الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس
كلية الآداب والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

بحث مقدم لنيل درجة الدّكتوراه في اللّغة بعنوان:

المحمود في اللّغة العربيّة

دراسة في البناء اللّغوي والقراءات القرآنيّة

إعداد الطالب: بوحادي محمد
إشراف: أ.د/ طيبي أمينة

لجنة المناقشة:

أ.د/ رفاس سميرة.....جامعة سيدي بلعباس..... رئيسا
أ.د/طيبي أمينة.....جامعة سيدي بلعباس.....مشرفا ومقررا
أ.د/ مكي درار.....جامعة وهران.....عضوا مناقشا
أ.د/ شارف عبد القادر.....جامعة شلف.....عضوا مناقشا
أ.د/بسناسي سعاد..... جامعة وهران.....عضوا مناقشا
د/ مسيردي مصطفى.....جامعة سيدي بلعباس.....عضوا مناقشا

العام الدراسي
2015م - 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح والدي العزيز أهدي ثواب هذا العمل

إلى والدتي العزيزة التي كابدت أعباء الحياة لإسعادنا

إلى زوجتي الغالية أمّ إبراهيم التي ضحّت فنالت

إلى حبّات قلبي وفلذات كبدي

إلى كلّ هؤلاء...

أهدي هذا البحث المتواضع، وكُلّي رجاءٌ أن ينال

رضا الله ثم رضاهم

أبو إبراهيم

شكر وتقدير

بعد شكر الله تعالى المنّان، على ما أفاض من نعم وأعان، لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر وجميل العرفان إلى كل من أسهم معي علميا في سبيل إتمام هذا البحث؛ الذين أعدّ منهم ولا أعدّهم، وفي هذا المقام أشكر كلاّ من:

- الأستاذة الفاضلة المشرفة على هذا البحث، أ.د. طيبي أمينة

- مشايخي الأفاضل في مجال القراءات القرآنية، وأخصّ الشيخان الجليلان: سعد عبد الحكيم سعد المصري الصعيدي، والأستاذ الدكتور: أحمد محمود مبارك السيوطي الطهطاوي.

- الأساتذة الأفاضل مهندسي الصوت في محطّة إذاعة سيدي بلعباس، وأخصّ المهندسان: أيوب وعمر.

- الأساتذة الأفاضل أساتذة الفيزياء، وأخصّ أ. محمد لبّاني

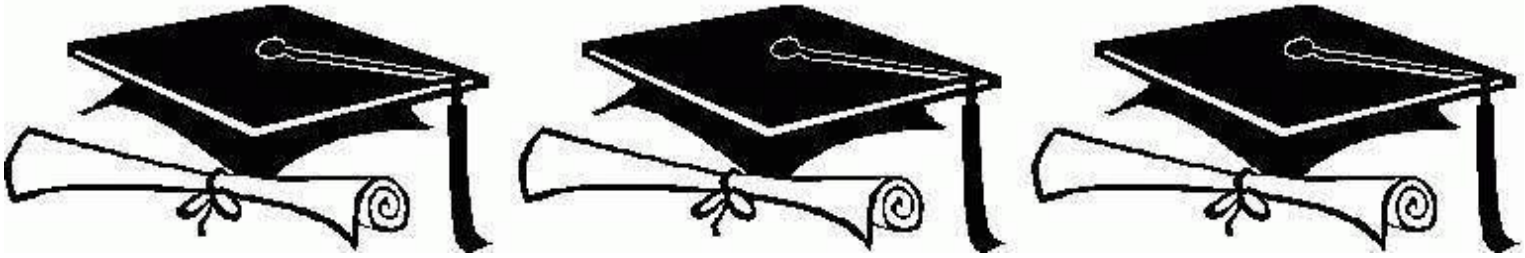

مقدّمة

الحمد لله سامع السر وأخفى،

والصّلاة والسلام على سيّدي محمد بن عبد الله

خير مرهم للجروح وأشفى،

وعلى آله وصحبه

ممن لقي الرسول وألفى،

والتابعين ومن تبعهم بإحسان

إلى يوم الدين،

وبعد...

مقدمة

لا ينفك أي باحث في اللغة العربية وعلومها عن التردد على ينابيع القرآن الكريم، تلك المدونة العظيمة الخالدة التي لا تنقضي عجائبها، والمعين الذي يبدأ منه الباحث وإليه يعود، وهكذا تطلعت نفس الباحث إلى الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه مند بواكير الدراسة والتحصيل، وكان أسعد ما يكون وهو يربط بين القرآن الكريم المعجز واللسان العربي المبين، ثم تنامى ذلك في نفسه حتى ألفاه وقد شدا في الدراسات العليا، فانصب عليه انصابا، وجعله موضوع رسالته في الماجستير التي كانت بعنوان "المدود بين الأزرق والأصبهاني (دراسة تطبيقية) "؛ تلك الرسالة المتواضعة التي أدخل عليها جانبا من التطبيق الحاسوبي المخبري ، فخرجت على ما هي عليه. وربط شرف الدراسة بشرف المادّة فوجَد نفسه غيَر متردِّدٍ في اختيار جهة البحث الذي طرقه في حقل الدراسات القرآنية، مبيِّنا العلاقة الضرورية والوطيدة بينها وبين ما قرّره التطور العلمي والتكنولوجي في عالم الصوتيات.

لكن البحث يوم خلاصه كتب عليه ما كتب على كل مؤلَّف بشري؛ فتغشّته مواطن النقص واحتاج إلى موضع اللَّبِنة، وتمنيت لو أني وسعت مجال البحث فيه على نحو يقتضيه الاستيفاء وتتطلبه الإحاطة، وهذا ما أتيح لي وأنا في بحث الدكتوراه، فوسعت مجال البحث وشرائحه وحقله؛ أما المجال فمن القرآن الكريم وحده إلى القرآن الكريم واللغة العربية، وأما الشرائح فمن الصوائت الطويلة فحسب إلى الطويلة وأشباه الصوائت، وأما الحقل فمن الأزرق والأصبهاني عند ورش إلى القراءات القرآنية كلها.

وعلى ذلك عزمت على تسمية البحث - بعد مشاورة المشرف وإذنه - بـ " المدود في اللغة العربية (دراسة في البناء اللغوي والقراءات القرآنية)"، وهي إشكالية أحسّ بها القدماء بفطرتهم وذكائهم العلمي الكمين، حتى قال ابن سينا فيها ما قال، ومضوا على ذلك دهرا، يخدم المتأخر علم المتقدم منهم، ولكنَّ هذا الجهد بقي في إطار العرض العام للمسألة، من غير أن يتناولها دارس بقلم الإحاطة والحصر، ولم أقف - في حدود اطلاعي- على أحد من المتقدمين أفرد للمد مصنفا مستقلا إلا ما وجدت من " تمكين المد في آمن وآتى وشبهه " لمكي بن أبي طالب القيسي، ولكنه لم يستوعب الموضوع كله، ولا أعني بهذا أنني أدَّعي ذلك لنفسي.

ثم آل الأمر إلى المحدثين من اللغويين العرب، فأضْفَوا وأضافوا وجددوا وانتقدوا، ولكنهم لم يلموا بكل أطراف القضية، على الأقل لم يكن ذلك في كتاب واحد مجموع، اللهم إلا مؤلف الدكتور غالب فاضل المطلبي " في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية-"، ولكنه على جلالة مضمونه إلا أنه يحتاج إلى إعادة ترتيب من جهة، ومزيد عناية من جهة أخرى.

وكان هذا هو السببَ في اختياري لهذه المادة وعلى هذا النحو من الدراسة؛ إضافة إلى الطموح الأكيد في دراسة الظواهر الصوتية القرآنية دراسة متميزة تجمع بين التنظير والتطبيق، كذلك الرّغبةَ في كسر الحاجز

المفتَعَل بين الدراسة النظرية والمخبريّة؛ اعتقادا منّي بأن الدرس الصوتي لابدَّ له من علوم تجريبيَّة وتجريديَّة دقيقة تؤكِّد مصداقيته، يعاضد ذلك كله أنها امتداد لرسالة الماجستير وتتميم لها.

وهكذا تبدَّت لي معالم البحث الذي أردته أن يكون خاصّا في باب المدود، ولما لم أجد بحثا يدرس هذه المادة جمعا بين الإحصاء النظري والتحليل الحاسوبي معاً؛ عزمت على أن يكون بحثي بطريق الدراسة والمقارنة والتطبيق العمليّ معاً؛ ليكون من حيثُ التنظيرُ دقيقا قدر الإمكان، يتبعه الجانب التطبيقيُّ الذي يتم فيه إخضاع عينات من تلاوات القراء المجازين، لربط علم القراءات بالمخبر. والوصول إلى أهدافٍ سيأتي بيانها.

وهو بحث لابد منه، ليتبين به ما غاب من مسائلَ تتعلق بحسن أداء القرآن الكريم وتلاوته حق التلاوة، ولأنّ وقع المدود طولا وقِصَراً في سياق الأداء القرآني يعني أداة حساسة تنسجم بها الأصوات ويحسُن وقعها على أذن السامع؛ الأمرُ الذي ينعكس إيجابا أو سَلْبا على حسن الإصغاء والتصنُّت، أو هو - بعبارة أخرى - يعني انتباه السامع أو نفورَه، ثمّ إن المد أو الإطالةَ مظهرٌ صوتيٌّ مقعّد ومقنّن، له مقاديره المتغيّرة بتغير ظروفه التي تتحكم فيه، وليس مجرد تلوين أو زخرفة صوتية جيء بها لطرب سامع أو مُتعة نَشوان.

كما جاء هذا البحث إجابة عن تساؤلات عدة، ولعل أهمها ما يلي:

- هل المدود مجرد ظاهرة كتابية أو أنها أدائية مقنّنة؟
- إذا عرفت العربية المنطوقة المدّ فإلى أي مدىً طغى المدُّ على خصائصها؟
- إذا كان القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب، فهل هذا يعني أن المد كان موجودا في لغة العرب قبل نزول القرآن الكريم؟
- ما هي أشهر القبائل التي عرفت بالمد وبالظواهر الأدائية المتنوعة التي تلابسه، حتي يتسنى لنا معرفة كيفية انتقاله إلى القراءات القرآنية؟
- ما هي معايير المدود؟ وهل هي متقيدة بزمن لا يمكن الحياد عنه؟ وما مدى موافقة القراء لهذه المعايير؟
- لماذا لم تعتمد بعض القراءات القرآنية كل تلك التنوعات الأدائية التي تحلت بها القراءات الأخرى في باب المدود؟
- هل أغفل المتقدمون الصوائت كما وصفهم بذلك بعض المحدثين؟

واقتضت طبيعة البحث توزيعَ البحث إلى خمسة فصول؛ أربعة منها نظرية والخامس تطبيقي. **أما الفصل الأول** فكان دراسة لأصوات المد عند المتقدمين، واشتمل على عدة مباحث، عرضت فيه لمفهوم المد وأقسامه، ومفهوم المدود وأقسامها ومصطلحاتها ومخارجها وصفاتها. كما درست حرفي اللين؛ مفهومها وأقسامها ومصطلحاتها ومخارجها وصفاتها، وبينت العلاقة بين أحرف المد وحرفي اللين، وكذلك أهمية أصوات المد على جميع المستويات. كما عرضت لمسألة خلافية تصور البون الشاسع في تصور لأصوات المد، سواء من جهة المتقدمين أو من جهة المحدثين؛ وهي إشكالية أصوات المد؛ هل هي أصوات ساكنة أو حركات طويلة؟ وخصصت مبحثا لأصوات المد في الكتابة العربية.

وأما الفصل الثاني فقد جعلته لدراسة أصوات المد عند المحدثين، وقسمته مباحث عدة؛ حيث تحدثت فيه عن تصنيف الأصوات اللغوية، وعن تصنيف الصوائت اللغوية، ونظرة المحدثين إلى تصنيف المتقدمين للأصوات العربية، وأقسام الصوائت العربية، وتعرضت لأنواع أخرى من الصوائت، كما تحدثت عن موقع الصوائت العربية بالنسبة لتصنيف دانيال جونز، وعن أهمية أصوات المد على عدة مستويات، ثم شرعت في الحديث عن مفهوم الصوائت الطويلة عند المحدثين؛ مفهومها ومصطلحاتها ومخارجها وصفاتها وكيف تحدث؟ وخصصت مبحثا لأشباه الصوائت عند المحدثين، وتحدثت فيه عن مفهومها ومصطلحاتها ومخارجها وصفاتها وكيف تحدث؟ وتعرضت للعلاقة بين الصوائت الطويلة وأشباه الصوائت، وكذلك للعلاقة بين الصوائت القصيرة والطويلة، ثم تحدثت عن أصوات المد في الكتابة الصوتية الدولية.

وأما الفصل الثالث فكان لدراسة الظواهر الصوتية الكمية التي تعرض لأصوات المد، وقسمته إلى مباحث؛ تحدثت فيها عن مفهوم الظواهر الصوتية الكمية، ثم عرضت للظواهر الصوتية الكمية الخاصة بالصوائت الطويلة؛ تحدثت فيها عن مفهوم ظاهرة المد وأسبابها، وتعليل ظاهرة المد مع الهمزة ومع السكون، وأقسام المدود، وأحكامها ومقاديرها، وضبط أزمنتها، ودرجة المدّ، ومراتب المدود، وكذلك مراتب الأئمة القراء في مقادير المد، ثم ختمت ذلك بالحديث عن محاذير المدود.

وأما الفصل الرابع فكان لدراسة الظواهر الصوتية النوعية الخاصة بالمدود، درست فيه عدة ظواهر صوتية تعرض للمدود، كالإمالة والتفخيم والإبدال والإتباع الحركي والحذف والوقف.

وكان الفصل الخامس التطبيقي مخصصا لدراسة الصوائت العربية مخبريا، واحتوى هذا الفصل تمهيدا، ومبحثين؛ أما المبحث الأول فكان دراسة مخبرية لبعض الظواهر الصوتية الكمية التي تعرض للصوائت العربية،

واشتمل على سبعة مطالب؛ الأول لمناقشة نتائج تحليل مد البدل، والثاني لمناقشة نتائج تحليل المد المتصل، والثالث لمناقشة نتائج تحليل المد المنفصل، والرابع لمناقشة نتائج تحليل مد اللين المهموز، والخامس لمناقشة نتائج تحليل مد اللين غير المهموز، والسادس لمناقشة تحليل نتائج المد اللازم، والسابع لمناقشة نتائج تحليل الصوائت القصيرة والطويلة بالمقارنة. وأما المبحث الثاني فكان دراسة مخبرية لبعض الظواهر الصوتية النوعية التي تعرض للصوائت العربية، واشتمل على تسعة مطالب؛ الأول لمناقشة نتائج تحليل الفتح والإمالة وبين اللفظين مع الصامت المستفل؛ (متى - أنموذجا)، والثاني لمناقشة نتائج تحليل الفتح والإمالة وبين اللفظين مع الصامت المستعلي؛ (وأبصارهم - أنموذجا)، والثالث لمقارنة كل نتائج الفتح والإمالة وبين اللفظين مجتمعة، والرابع لمناقشة نتائج تحليل تفخيم وترقيق الألف مع (اللاَّم) الصامت الجانبي ؛ (الصلاة - أنموذجا)، والخامس لمناقشة نتائج تحليل تفخيم وترقيق الألف مع (الرَّاء) الصامت المكرَّر؛ (فِراشا - أنموذجا)، والسادس لمقارنة كل نتائج التفخيم والترقيق مجتمعة، والسابع لمناقشة نتائج تحليل الإشمام وإخلاص الكسر مع الصامت المستفل؛ (سِيئت - أنموذجا)، والثامن لمناقشة نتائج تحليل الإشمام وإخلاص الكسر مع الصامت المستعلي؛ (وقيل - أنموذجا)، والتاسع لمقارنة كل نتائج الكسر والإشمام مجتمعة.

وأخيرا أنهيت بحثي بخاتمة لخّصت فيها نتائج المادة التي وصلت إليها، وأجبت عن الإشكالات المطروحة، ونوَّهتُ بطموحاتي في المشاريع المقبلة؛ لعلي أكون بذلك قد مهَّدتُ طرُقا لنفسي ولغيري في مجال البحث.

وكان زادي في ذلك عدة مؤلفات وقفت عليها وأفدت منها كثيرا؛ التي لا أعدها ولكني أعد منها كتب المتقدمين التي أسجل منها كتاب سيبويه، والخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وكلها لابن جني. والحجة لأبي علي الفارسي، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي، والتحديد في الإتقان والتجويد لأبي عمرو الداني، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري، والموضح في التجويد لعبد الوهاب القرطبي، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي، ولسان العرب لابن منظور، وأسباب حدوث الحروف لابن سينا.

وبالنسبة إلى كتب المحدثين أسجل كتاب الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ودراسات في علم اللغة للدكتور كمال محمد بشر، وعلم اللغة العام (قسم الأصوات) للدكتور كمال محمد بشر، وعلم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) للدكتور محمود السعران، وفي الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد) للدكتور غالب فاضل المطلبي، وفي الدراسات القرآنية واللغوية (الإمالة في القراءات واللهجات العربية) للدكتور عبد الفتاح شلبي، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين، والمحيط في أصوات العربية

ونحوها وصرفها للدكتور محمد الأنطاكي، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية للدكتور عبدالعزيز سعيد الصيغ، ومناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان، والتشكيل الصوتي في اللغة العربية - فنولوجيا العربية، للدكتور سلمان حسن العاني، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد للدكتور غانم قدوري الحمد.

هذه أهم المصادر والمراجع التي استفدت منها خلال بحثي، منها انطلقت وسطرت خطة بحثي الذي لا أدعي تفردا به أو ابتكارا له، ولكني أراني أصبغت عليه ملامح جدة تتمثل في الآتي:

1- جمع دراسة المتقدمين لأصوات المد مع دراسة المحدثين في مصنف واحد.

2- معالجة كل ألوان الصوائت الطويلة وأشباهها في بحث واحد.

3- توسعة مجال الدراسة ؛ ويظهر ذلك فيما يلي:

أ- التعرض لأصوات المد في القراءات القرآنية.

ب- موازاة ما سبق بدراسة أصوات المد في اللغة العربية الفصيحة.

ج- دراسة أصوات المد من حيث الظواهر الصوتية التي تعرض لها، وهذا يشمل النوعية والكمية.

4 - عدم الاكتفاء بالجانب النظري البحت للدراسة، وذلك بتعزيز البحث بجانب تطبيقي حاسوبي مخبري، يشرّح أصوات المد ويحللها لمناقشتها بآليات مختلفة.

واقتضت صيغة العنوان وطبيعة المادة أن يكون المنهج وصفيا مقارنا في الفصول الأربعة الأولى، وتحليليا في الفصل الخامس التطبيقي الذي استعنت عليه ببرنامج (Audacity – جُرأَة) الذي يستخدم بكثرة في بناء الذخائر الصوتية الخاصة بتطبيقات التعرف الآلي على الكلام؛ نظراً لما يوفره من إمكانات وتسهيلات في التعامل مع الصوت.

أما مشقة البحث فشأني فيها شأن أي باحث؛ أما المصادر فوفيرة والحمد لله، وقد يكون في الكثرة ما يضني ويشتت الذهن، ويوسع النظرة لدرجة لا يمكن احتواؤها في بحث واحد.

ومما يمكن تسجيله في جانب المشقة البونُ الشاسع بين لغة المتقدمين ولغة المحدثين، واتساع رقعة المصطلحات، واختلاف مصادر التلقي أحيانا، وتباين طرائق الدراسة والهدف من ذلك. حتى تمثلتُ نفسي حكما بين طائفتين، أو متعلما مخضرما عاش العصرَين، فكيف يكون حاله؟! ولعل القارئ يلمس ذلك في تنويعي للمصطلحات كرها، وربما لاحظ اضطرابا لم أقصده، وما سببه إلا حصاد حصدته لزرع قوم آخرين!

أضف إلى ذلك تنازع الهمة بين مشاغل العمل وضغوط الحياة، وبين السعي الحثيث لإنجاز البحث الذي ضرب أطنابه ونشر أطرافه.

كذلك صعوبةُ التعرُّف على آليات المخبر وأنظمة تشغيله واستعماله، خاصة وأن ارتباطَه بالرياضيات والفيزياء الدَّقيقَيْنِ والغريبَيْنِ عليَّ جد وثيق.

ولذلك خضت غمار رحلة الدكتوراه وقد تملكني شعور بالرهبة والتقاعس، ولكنني أجمعت نفسي وتداركت أمري لما أيقنت بأن الأجر منوط بالمشقة؛ فعند الصباح يحمد القوم السُّرى، وأما الرهبة فقد لازمتني إلى نهاية بحثي ، كيف لا وأنا أتكلم فيما يخص كلام رب العالمين؟ وما أدراك ما كلام رب العالمين!

ولم يكن هدفي من البحث الفصلَ بين أقوال متضاربة، ولا الترجيح في مسائل شائكة، ولكني قصدت - في الغالب - إلى لـمِّ ما تشتت لعله يلقى يد عناية أخرى فتحظى بتمحيصه أكثر، وتتلافى ما أغفلتُه إما سهوا وإما عجزا. ومع ذلك فإنه بالإمكان تحديد أغراض البحث فيما يلي:

أولاً: جمع المادة العلمية المتوخاة في مصنف واحد ربما تصلح لأن تكون مرجعا يهتدي الطلاب به وإليه في شتى مراحلهم التعليمية.

ثانيا: المقارنة بين عالَمَيْنِ: بسيطٍ ومعقَّدٍ، وبين ميدانَيْنِ: شفهيّ ومخبَريٍّ، وتقرير مدى التزام التطبيق العملي للتنظير المجرد.

ثالثا: تقرير قاعدة أن هذا القرآن لا يدرك إلا بالمشافهة، ومن أفواه المشايخ المجازين؛ يساعدني في ذلك الاستقراءُ على عينة من القراء والاستعانةُ بالمخبر لتجسيد ما هو منظَّر في الواقع، أو نقل القواعد إلى حيِّز التطبيق المخبري.

رابعا: تقديم الأدلة العلمية الواضحة على أن الوحي - الآن - صار هو المصدرَ الوحيد للاهتداء إلى النطق الفصيح الذي كان عليه العربي الأصيل، والمدوَّنةَ الحصينة للاستدلال والتحقيق في شتى المسائل اللغوية التي تفتقر إلى النص السمعي خاصة، وذلك بالاستناد إلى القراءات المتواترة على اختلاف أوجهها، وبيانُ أنه ليس للأئمة القراء أدنى اجتهاد في اختراع أي وجه، أو ترجيح متواتر على متواتر.

خامسا : الوصول إلى نتيجة قطعية، وهي أن هذا القرآن محفوظ بحفظ الله له، استدلالا بقوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) سورة الحجر، الآية9.

ولا يَسَعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بأجل الحمد وأتم الشكر وأبلغ الثناء لكريم الأرض والسماء، فله الحمد أولا وآخرا على ما يسَّر وأعان على إتمام هذا البحث.

كما أُجمل الشكر إلى كل من كان سببا في وصول البحث إلى نهايته؛ أعُدُّ منهم ولا أعُدُّهم، وأذكر منهم مشايخي وأساتذتي الأجلاء ووالدتي وزوجتي والأصدقاء.

وأخص بالشكر الأستاذة الفاضلة أ.د طيبي أمينة على ما تفضلت به من إشراف على هذا البحث، وأجدد الشكر لها على تلك الإشارات والنصائح والتعديلات والتخطيطات والمعلومات الهامة التي أخرجت البحث في أحسن حلله وأجمل مظاهره، كما أشكرها كثيرا على صبرها معنا وعلينا.

واللهَ أسأل أن يلهمني فيما قدمته الرشدَ، وأن يجنبني ويغفِرَ لي الزَّلل، ويكتبَ لي التوفيق فيما أرتجي، وأن يمنحنيَ الإخلاص و القَبول، وما توفيقي إلا بالله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه : الطالب / بودادي محمد بن علي
في التاسع عشر من شهر الله المحرم سنة 1437 هـ
الموافق للفاتح من شهر نوفمبر سنة 2015 م
بمدينة سيدي بلعباس

الفصل الأول

أصوات المدّ العربية
عند المتقدمين

المبحث الأول: مفهوم المدّ وأقسامه

1 - مفهوم المدّ:

أ - المدّ لغة:

هو الجذْب والمطْلُ. ومدّه يمُدُّه مدّاً، ومدّ بِهِ فامتدّ ومدّده فتمدّد، وتمدّدناه بيْننا: مدَدْناه. وفُلانٌ يُمادُّ فُلانًا أي يُماطِلُه ويُجاذِبه. والتّمدُّد: كتمدُّدِ السِّقاء، وكذلِك كُلُّ شيْءٍ تبْقى فِيهِ سعةُ المدِّ. والمادّةُ: الزِّيادةُ الْمُتّصِلةُ. ومدّه فِي غيِّه أي أمهله وطوّل لهُ. وشيْءٌ مدِيد: ممْدُودٌ. ورجُلٌ مدِيد الْجِسْمِ: طوِيلٌ[1].

ب - المدّ اصطلاحا:

أما في الاصطلاح فهو إطالة زمن النطق بأصوات المد، وهو ما اعتمدته العربية في تنويع صوائتها، فمدّ الصوت بالضمّة ينتج عنه الضمة الطويلة (الواو المديّة)، ومدّه بالكسرة ينتج عنه الكسرةُ الطويلة (الياء المدية)، أمّا الفتحة فمدّ الصوت بها يؤدي إلى الفتحة الطويلة (الألف). فهو -إذن- مطّ الحركة وإشباعها [2]. وتكاد تجتمع كلمة المتقدمين على أنَّ المد: هو الإطالة في الزمن الذي يستغرقه النطق بأحرف المد الثلاثة؛ وهي الألف الساكنة ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحا، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها؛ أو بحرفي اللين وهما والواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلها[3]، على تنوُّع في المصطلح المستخدم لعملية المد.

2- أقسام أصوات المد عند المتقدمين:

تصنَّف أصوات العربية - كغيرها من اللغات - وفقا لمقاييس تبنى عليها هذه العملية؛ إلا أن دوافع التصنيف ونتائجه اختلفت إلى حد ما بين القدماء من دارسي العربية. وسنركز هنا على التصنيف الذي يخدم غرضنا في هذه الدراسة: **الصوائت** (**vowels**) **/ الصوامت** (**consonants**).

---

(1) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي /دار صادر - بيروت/الطبعة: الثالثة- 1414 هـ/(3/ 397-396)، مادة مدد.

(2) البحر المحيط، ابو حيان الاندلسي (ت 745هـ)، تح: د. عبدالله الرزاق المهدي، مط: دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، 389/4.

(3) انظر: الحصري، محمود خليل، أحكام قراءه القرآن الكريم، دار البشائر الاسلامية، السعودية، ط4، 1999، ص 208. وانظر:العميد في علم التجويد، محمود بن علي بسّة المصري، تح: محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة – الإسكندرية/ط:1425/01 هـ - 2004 م/(82/1). وانظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي المصري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط 02،(266/1).

يُعَدّ اللغويون وعلماء التجويد العرب أقدم من درس أصوات العربية وحاول تصنيفها، كما اهتم بها بعض موسيقييهم وأطبائهم، فتنوعت من أجل ذلك دوافع دراسة الأصوات وتصنيفها عندهم؛ ما بين هدف معجمي خالص، كما عند الخليل وأتباعه، وهدف نحوي وصرفي، كما عند سيبويه ومعظم النحاة، وهدف فني (موسيقي)، كما عند أبي نصر الفارابي، وهدف علمي صوتي خالص، كما عند ابن سينا، وهدف ديني تعليمي، كما عند علماء التجويد[1].

ورغم اختلاف دوافع التصنيف عند المتقدمين إلا أن أسسه ونتائجه لم تختلف اختلافا جوهريا، فالتصنيف - بل التصنيفات - المنسوبة للخليل بن أحمد تختلف باختلاف الروايات عنه، من رواية الليث في مقدمة كتاب **العين** إلى رواية ابن منظور في مقدمة **اللسان**، مرورا بروايات ابن دريد والأزهري وأبي حيان عن جنادة عن آخرين. وخلاصة هذه الروايات أن الخليل صنف أصوات العربية تصنيفين أساسيين[2]:

أولهما: إلى **مذلقة** (ر ل ن، ف ب م)، **ومصمتة**(22 حرفا)، **وجرس بلا صرف** (ألف المد).

والتصنيف الثاني إلى: **حروف صحاح** (25 حرفا)، **وحروف جوف** (و، ي، ا، ء). وهذا التصنيف الأخير قريب من التصنيف المتداول الآن (صوامت/صوائت).

أما تصنيفات سيبويه والنحاة فالصريح منها ذو الأطراف المتقابلة هو:

أ- التصنيف المخرجي: ستة عشر مخرجا...

ب- المجهور/المهموس.

ج- الشديد/الرخو/بينهما.

---

(1) هدف الخليل هو تبرير ترتيبه الصوتي لحروف العربية ومن ثم ابتدائه معجمه وتسميته بـ "العين"، أما هدف سيبويه فهو التقديم لباب الإدغام الذي لم ينفصل بعد عن النحو، وهدف الفارابي هو الربط بين الصوت (النغم) الطبيعي والصوت الإنساني، وهدف ابن سينا هو التفسير العلمي لحدوث الأصوات اللغوية ولتنوعها انطلاقا من الوصف التشريحي لأعضاء النطق. أما هدف علماء التجويد فهو حث القراء الناشئين على التعبد بتلاوة القرآن تلاوة ترتيل وتجويد، مع تجنب "اللحن الخفي"، وذلك بـ» إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله...»؛ ويمكن أن نضيف هدفا سادسا نسميه موسوعيا أصوليا، كما في مقدمات كتب أصول الفقه والتفسير (الرازي،1: 29-). ينظر: العين أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (175هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد 1400 – 1980 م (47/1). ظ: سيبويه، عمرو بن عثمان، أبو بشر-: الكتاب، تح. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1966، (75/4). ظ: أسباب حدوث الحروف، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (428هـ) طبعة السلفية –القاهرة 1352هـ، طبعة تفليس – بروسيا 1966م، عناوين الفصول؛ ظ: التمهيد في علم التجويد، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري (833هـ) تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1406 هـ-1986م، ص 59. ظ: الحمد، د. غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط.1، وزارة الأوقاف، بغداد، 1986، ص 47.

(2) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (175هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، (51/1-57)؛ ظ: تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (370هـ) حققه وقدم له عبد السلام محمد هارون، راجعه محمد علي النجار، دار القومية العربية للطباعة، مصر، 1384هـ-1964م، (44/1). ظ: لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور (17/1).

د- المطبق/المنفتح..

والباقي عبارة عن ألقاب وصفات أطلقوها على بعض الأصوات مثل **اللينة** (و، ي) و**الهاوي** (الف المد)، دون التصريح دائما بما يقابل هذه الألقاب [1].

وقد ردد ابن جني عموما في **سر صناعة الإعراب** هذه التصنيفات والألقاب، إلا أنه في سياق حديثه عن الفرق بين الصوت والحرف يكاد يصرح بالتقسيم الثنائي (صامت/صائت) وإن لم يستعمل هذين المصطلحين، فهو يفرق بين نوعين من الحروف:

أ- حروف ذات مقاطع (أي مخارج) واضحة، وهي سائر الحروف.

ب- وحروف غير ذلك؛ وهي المتسعة المخارج بعبارة أخرى، وهي الألف ثم الياء ثم الواو؛ والحركات الثلاث أبعاضها[2].

وعن سيبويه وابن جني أخذ علماء التجويد دراسة الأصوات وتصنيفاتها كما هي، فوظفوها لهدفهم الخاص، ولم يضيفوا أي جديد جوهري فيما يتعلق بتصنيف الأصوات[3].

ومن الطرائف أن نجد التصنيف الثنائي (صامت/صائت) صريحا أو شبه صريح عند غير النحويين والقراء، كالفارابي وابن سينا؛ قال الفارابي: «ومن فصول الأصوات الفصول التي بها تصير الأصوات حروفاً، والحروف منها مصوت، ومنها غير مصوت، وأصوات المد منها قصيرة ومنها طويلة، وأصوات المد القصيرة هي التي تسميها العرب الحركات ... وأصوات المد الطويلة منها أطراف، ومنها ممتزجة عن أطرافه، والأطراف ثلاثة، أما الطرف العالي وهو الألف، وأما الطرف المنخفض وهو الياء، وأما المتوسط، وهو الواو، والممزوجة إما ممزوجة من الألف والياء، وأما من ياء وواو، وإما من ألف وواو ... »[4]. ونص الفارابي هذا يحمل – فيما وجدت - أول إشارةٍ صريحة إلى صنفي الأصوات عن طريق المزج بين مصطلحي الصامت والمصوت، كما أنه يشير إلى علاقة أصوات المد الطويلة بأصوات المد القصيرة وإلى أصوات المد الفرعية التي تنشأ عن امتزاج أصوات المد ببعضها.

---

(1) سيبويه: (الكتاب)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1991 م، 4: 431. ظ: المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (285هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة 1403هـ-1983م، (192/1). ظ: شرح المفصل يعيش بن علي بن يعيش (643هـ)،عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي – القاهرة (د.ت)،(123/10). ظ: شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (686 هـ) تحقيق الدكتور محمد الزفزاف والدكتور محمد نور الحسن والدكتور محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1975م، (250/3).

(2) ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تح. د. حسن هنداوي، ط.1، د. القلم، دمشق/ بيروت، 1985، (8.6/1).

(3) الحمد، د. غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط.1، وزارة الأوقاف، بغداد، 1986، ص 81.

(4) الموسيقى الكبير 1072، نقلاً عن كتاب أبحاث في أصوات العربية، الدكتور حسان سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، 1998 م، ص 89.90.

أما ابن سينا فلم يصرح بهذه الثنائية العامة، ولكنه ختم وصفه لمخارج الحروف وكيفيات حدوثها بالإشارة إلى العلاقة بين الصوائت القصيرة والطويلة، حيث قال: «وأما الواو الصامتة فإنها تحدث...وأما الياء الصامتة...وأما الألف المصوّتة وأختها الفتحة...وأما الواو المصوتة وأختها الضمة...وأما الياء المصوتة وأختها الكسرة... ثم أمر هذه الثلاثة عليَّ مشكل...»[1].

وفي إطلاق المتقدمين مصطلحات المصوتة والممدودة واللينة والممطولة وما إلى ذلك على أصوات المد الطويلة دون غيرها تأكيد لنظرتهم إلى هذه الأصوات على أنها تشكل قسيماً ثانياً للأصوات الصامتة، وهو استخدام ينم عن معرفة بقابلية هذه الأصوات لإطالة الصوت بها دون غيرها.

وإذا جئنا إلى المتأخرين فإننا لا نجد في تصنيفهم للأصوات ملامح الجِدّة؛ إذ اكتفوا بجمع آراء المتقدمين، وتوضيح دلالة المصطلحات التي تشير إلى صنفي الأصوات، وهو ما نراه عند ابن يعيش[2]، وابن الحاجب[3]، والرضي الأستراباذي[4]وابن منظور[5]، وأبي حيان الأندلسي[6]، وابن خلدون[7]، وجلال الدين السيوطي[8]، وغيرهم.

والجدير بالملاحظة – في هذا الباب - هو ما ينسب إلى الخليل من تصنيفٍ للهمزة في جملة الصوائت نظرا إلى قوله: «في العربية تسعة وعشرونَ حرفاً، منها خمسةٌ وعشرون حرفاً صحاحاً، لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة »[9]. وقوله في موضع آخر: «ثم الألف والواو والياء في حيز واحد، والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه »[10].

---

(1) أسباب حدوث الحروف، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (428هـ) طبعة السلفية –القاهرة 1352هـ، طبعة تفليس – بروسيا 1966م (ص83). وفي موضع آخر (ص126) سماهما: "الألف الصغرى والكبرى".

(2) ينظر: شرح المفصل يعيش بن علي بن يعيش (643هـ)،عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي – القاهرة (د.ت). 130/10.

(3) ينظر: الإيضاح في شرح المفصل، أبو عمرو بن الحاجب،تحقيق وتقديم الدكتور مصطفى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد،1983م، 489/2.

(4) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (686 هـ) تحقيق الدكتور محمد الزفزاف والدكتور محمد نور الحسن والدكتور محمد محي الدين عبد الحميد،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1395هـ1975م، 67/3، 257.

(5) ينظر: لسان العرب 17/1، 44/6-47.

(6) ينظر: ارتشافُ الضرب من لسان العرب، ابو حيان الاندلسي (ت 745هـ)، تح: د. رجب عثمان محمد ومراجعة د. رمضان عبد عبد التواب، مط: المدني، مصر، ط1، 1998، 11/1.

(7) ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988م، ص 548 ـ 549.

(8) ينظر: همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 1418هـ – 1998 م، 456/3.

(9) العين 57/1، وينظر: تهذيب اللغة 48/1.

(10) العين 58/1.

والذي يبدو هو أن قول الخليل السابق: (في العربية تسعة وعشرون حرفاً ...) ناتج عن خطأ في نقل كلام الخليل. والذي يرجح كون الهمزة من الصوامت هو قول الخليل الأول: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ...»، وقوله: «فالألف اللينة هي أضعف الحروف المعتلة، والهمزة أقواها متناً، ومخرجها من أقصى الحلق من عند العين» [1].

ومما يزيد الأمر تأكيداً هو قول مكي بن أبي طالب القيسي: «الحروف الجوفية ... سماهن الخليل بذلك ... وزاد غيره معهن الهمزة»[2]، وقول ابن الجزري: «وزاد غير الخليل معهن الهمزة... الصواب اختصاص هذه الثلاثة بالجوف دون الهمزة، لأنهن أصوات لا يعتمدن على مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف الهمزة »[3].

وممن تابع ابن الجزري في ذلك شهاب الدين القسطلاني (923هـ)[4]، ومحمد بن أبي بكر المرعشي الذي ميز بين أربعة أنواعٍ من الأصوات تتفاوت في طريقة النطق، وهي الشديدة والبينية والرخوة، وحروف المد واللين(الصوائت)، ونقل عن الشريف الجرجاني (816هـ) قوله: «إن الحروف الشديدة آنية، لا توجد إلا في آن حبس النفس، **وما عداها زمانية يجري فيه الصوت زماناً**»، ثم قال (المرعشي): «وما عداها متفاوتة في الجريان، إذ حروف الرخو أتم جرياناً من حروف البينية، وحروف المد أطول زماناً من سائر حروف الرخو »[5]. وكلام المرعشي ـ هنا ـ لا يخرج في مجمله عما قاله سيبويه وعلماء العربية من بعده.

وما لاحظه الباحث في تصنيفات المتقدمين لأصوات المد هو اكتفاؤهم بالتنبيه إلى علاقة أصوات المد القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) بأصوات المد الطويلة (الألف والواو والياء المدية) من حيث الكمية، دون إفراد قسم مستقل لأصوات المد القصيرة، فصارت الصوائت عندهم كالآتي:

1 – **أصوات المد:** وهي الألف الساكنة المفتوح ما قبلها (**ـَا**) ومعها الفتحة(**ـَ**)، والواو الساكنة المضموم ما قبلها (**ـُو**)ومعها الضمة(**ـُ**)، والياء الساكنة المكسور ما قبلها (**ـِي**)ومعها الكسرة(**ـِ**).

(1) تهذيب اللغة 51/1.

(2) القيسي مكي بن أبي طالب، أبو محمد، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح.د.أحمد حسن فرحات، ط.د.المعارف للطباعة، دمشق، 1973،ص 142.

(3) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى. 199/1.

(4) ينظر: القسطلاني شهاب الدين، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة – مصر، 1972م 1393هـ، 200/1، 202.

(5) المرعشي، محمد بن أبي بكر الملقب بساجقلي زاده، جهد المقل، دراسة وتحقيق: سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان- الأردن، ط2، ط2، 2008م، ص 144، وينظر: ص125.

2 – صوْتا اللين: وهما الواو الساكنة المفتوح ما قبلها (ـَوْ)، و الياء الساكنة المفتوح ما قبلها (ـَيْ)[1].

كما أن لبعض الباحثين المعاصرين آراء وتفسيرات حول تصنيفات القدماء للأصوات نذكر منها رأيين بخصوص التصنيف الثنائي (صامت/صائت):

أولهما: أن القدماء أدركوا الفرق بين الصوائت والصوامت، ولكنهم لم يسموا كلا من الصنفين باسم خاص[2].

و**الرأي الآخر:** هو أن عدمَ إدراكهم للفرق بين الصنفين، ومن ثم إهمالهم للصوائت، ناتجٌ عن إهمال الخط العربي للصوائت وعلى الخصوص الصوائت القصيرة[3].

(1) القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 4، 1987 م: 1/ 45، ظ: القرطبي عبد الوهاب، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان – الأردن، ط01، 1421هـ،2000م، 1/175.

(2) ظ: بشر د. كمال محمد-: علم اللغة العام، الأصوات، ط. د. المعارف بمصر، 1975، 147. ظ: السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي: 89.

(3) برجشتراسر، جوتهلف، التطور النحوي للغة العربية، ط. المركز العربي للبحوث، القاهرة، 1981، ص33. ظ: أنيس، د. إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط5، مك. الأنجلو المصرية، 1979، ص37. ظ: كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، تر.صالح القرمادي، ط. مركز الدراسات والبحوث، تونس، 1966، ص20.

المبحث الثاني: أحرف المد (أصوات المد الطويلة)

1- مفهوم أحرف المد:

وإذا عدنا إلى التراث اللغوي العربي لنبحث فيه عن مفهوم دقيق لأصوات المد الطويلة فإنا لا نظفر بشيء معوّلٍ عليه في هذا الباب؛ لأن المهتمين بهذا الموضوع من المتقدمين العرب لم يصرح معظمهم بالتقسيم الثنائي (صامت / صائت) في تصنيفاتهم لأصوات اللغة العربية – كما سبق -، ولأن الأوصاف التي أطلقوها على بعض الصوائت لا يمكن اعتبارها تعريفا علميا للصوائت أو لأصوات المد الطويلة.

وإذا بدأنا بالخليل وجدناه يعرف الألف والياء والواو بأنها «هاوية لا مدرجة لها»[1]، وعند سيبويه: «اللينة: وهي الواو والياء»[2]، و«الهاوي: وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه... وهي الألف»[3]، ويرى ابن دريد أن الألف «جرس بلا صرف»[4]، وابن جني يرى أنها: «الحروف التي اتسعت مخارجها»[5]، وعرفها المبرد بقوله: «المدة الألف، والياء المكسور ما قبلها والواو المضموم ما قبلها »[6]، وعبد الوهاب القرطبي يستخدم مصطلح **المصوتة** فضلاً عن استخدامه مصطلح أصوات المد واللين؛ قال: «وأما المصوتة فالألف والواو والياء، وإنما سميت مصوتة، لأن النطق بهن يصوت أكثر من تصويته بغيرهن لاتساع مخارجهن، وامتداد الصوت بهن »[7]. وعرفها ابن الجزري وعلماء التجويد بأنها: « هي الحروف الجوفية: **الألف**، ولا تكون إلا ساكنة، ولا يكون قبلها إلا مفتوح؛ **والواو** الساكنة المضموم ما قبلها؛ **والياء** الساكنة المكسور ما قبلها»[8]. واكتفى ابن السراج وغيره بالنقل الحرفي لعبارات سيبويه في تعريف أنواع الأصوات، ومن ذلك تعريفه للحروف اللينة والحرف الهاوي[9].

وما لاحظه الباحث في التعاريف السابقة ما يلي:

1 – أن هذه التعاريف غير جامعة دائما: فالأصوات اللينة عند سيبويه لا تحوي الألف المدية؛ كما يتفرد مصطلح الهاوي بها دون أخواتها الواوَ والياءَ المديتين. وابن دريد وغيره يعرِّف الألف وحدها دون الواو والياء بقوله: «جرس بلا صرف»[10].

---

(1) الفراهيدي، العين،1: 57.

(2) الكتاب لسيبويه (4/ 435).

(3) الكتاب لسيبويه (4/ 435).

(4) ابن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م، (45/1).

(5) ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تح. د. حسن هنداوي، ط.1، د.القلم، دمشق/بيروت، 1985، (8/1).

(6) المبرد أبو العباس، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب. – بيروت، (95/1).

(7) القرطبي، الموضح في التجويد، 97 ـ 98.

(8) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى (1/ 313).

(9) ينظر: الأصول في النحو 403/3 ـ 404.

(10) ابن جني، سر صناعة الإعراب، (8/1).

2 – أن المتقدمين حين يعرفون الواو والياء المديتين لا يفرقون دائما بين حالتيها: الصائتية وشبه الصائتية؛ إضافة إلى ذلك إقحامُ بعضهم للهمزة أحيانا مع أصوات المد الطويلة[1].

3 – من المتقدمين من عرف المدود ببعض صفاتها، وبعضهم بمخارجها.

4 - أن الذين صرحوا -أو كادوا- بثنائية (المصوّت / غير المصوّت)، كالفارابي [2] وابن سينا[3]؛ فإنهم لم يقدموا تعريفا لأي من طرفي هذه الثنائية، بل ألحقم بعضهم الحركات القصيرة ضمن أصوات المد الطويلة ولم يجعلوها قسيما مستقلا.

2 - أقسام أحرف المد:

تكاد تتفق كلمة المتقدمين على أن أصوات المد الطويلة ثلاثة وهي: **الألف** الساكنة و لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا، و**الواو** الساكنة المضموم ما قبلها، و**الياء** الساكنة المكسورة ما قبلها. ومثال الأولى **أَلِفُ قَال**، ومثال الثانية **واوُ يقُول**، ومثال الثالثة **ياءُ قِيل**.

يقول ابن جني: « فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث...»[4]. ويقول أحمد بن أبي عمر: عمر: «والحروف الذائبة ثلاثة: الياء المكسور ما قبله، والواو المضموم ما قبله، والألف ولا يجيء إلا مفتوحا ما قبله، وهذه الحروف حروف المد واللين...وما عداها جامد »[5]. وقال مكي: «حروف المد واللين، وهي ثلاثة ثلاثة أحرف الألف والواو الساكنة التي قبلها ضمة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة»[6]. وقال السمرقندي: «وحروف المد واللين ثلاثة: الواو والياء والألف» [7].

ويرى عبد الوهاب القرطبي في كتابه **الموضح في التجويد** أن أصوات الجوف أربعة: **حروف المد الثلاثة والهمزة**. وهو في ذلك يجنح نحو قول الخليل في معجمه العين ونص كلامه في الموضح هو: « وأما الجوف فأربعة أحرف: الهمزة مع حروف المد اللين».

ثم إن هذه الأحرف الثلاثة تنقسم بدورها إلى قسمين:

1 - أحرف المد الأصلية وهي:

---

(1) الفراهيدي، العين،1: 57. ظ: ابن دريد، جمهرة اللغة، (45/1). ظ: الحمد، الدراسات الصوتية، 361.

(2) الموسيقى الكبير 1072، نقلاً عن كتاب أبحاث في أصوات العربية، الدكتور حسان سعيد النعيمي 89-90.

(3)ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله (428هـ)، أسباب حدوث الحروف، طبعة السلفية –القاهرة 1352هـ، طبعة تفليس – بروسيا 1966م (ص83 /ص126).

(4) سر صناعة الإعراب (1/ 33).

(5) ظ: الحمد، الدراسات الصوتية، ص 140، ص 293.

(6) القيسي مكي بن أبي طالب، أبو محمد، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح. د. أحمد حسن فرحات، ط. د. المعارف للطباعة، دمشق، 1973، ص 101.

أ - الألف الساكنة و لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا (ـَا) كألِف **قَال**.

ب- الواو الساكنة المضموم ما قبلها (ـُو) كواوِ **يقُول**.

ج - **الياء** الساكنة المكسورة ما قبلها (ـِي) كياءِ **قِيل**.

2 - أحرف المد الفرعية وهي:

أ - الألف المشوبة بالياء:

وهي ألف الإمالة، كالألف التي في نحو عابد وعارف، وذلك أن الإمالة إنما هي انتحاء بالألف نحو الياء، فالألف فيها ليست ألفا محضة.

ب - الألف الممالة نحو الواو:

وهي ألف التفخيم، وذلك نحو الصلاة والزكاة، ودعا وغزا، وقام وصاغ، فالألف المفخمة ليست ألفا محضة.

ج - الياء المشوبة بالواو:

وهي الياء المشَمة أو المشرَبة، في نحو قيل وبيع وغيض وسيق. فالياء مشوبة بروائح الواو، وليست ياء محضة.

د - الواو المشوبة بالياء:

كقولك في الإمالة: مررت بمذعور، وهذا ابن بور. فالواو مشوبة بروائح الياء، وهذا مذهب سيبويه[1].

3 - المصطلحات الخاصة بأحرف المد:

استخدم المتقدمون من علماء العربية وعلماء التجويد عدة مصطلحات للتعبير عن أصوات المد الطويلة، كل مصطلح يوضح خاصية من خواص هذه الأصوات، وهذه التسميات إنما ترجع إلى صفةٍ صوتية تتميز بها أصوات المد أو أحدها عن غيرها من الأصوات، أو إلى تغيُّر أو هيئة في ممر الهواء عند نطق ذلك الصوت؛ ومن هذه المصطلحات:

- **الجُوفية:** وهي من مصطلحات الخليل بن أحمد؛ سميت بذلك لأنها تَخْرُجُ من الجُوف [2]، ولأن مخرجها لا معتمد له[3]، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا مدارج الحلق، ولا مدارج اللهاة[4].

(1) الكتاب لسيبويه (4/ 142). ظ: سر صناعة الإعراب (1/ 68).

(2)كتاب العين- الفراهيدي -المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال، (54/1).

(3) القرطبي عبد الوهاب، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان – الأردن، ط01، 1421هـ،2000م، ص 96. 96.

(4) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ص 116.

- **الهوائية:** وهو اصطلاح الخليل أيضا؛ ويشير إلى أهم خصائص أصوات المد الطويلة وهو خروج النفس معها حرا طليقا من غير أن تعترضه عوائق تمنع انسيابه خلال الحلق والفم[1]. وتابعه مكي في إطلاق هدا المصطلح[2]، وسميت **هوائية:** «لأنهن نسبن إلى الهواء، لأن كل واحدةٍ منهن تهوي عند اللفظ بها في الفم، فعمدة خروجها في هواء الفم»[3].

- **الليّنة:** عند سيبويه وهو اصطلاحه على الواو والياء[4]، وكذلك ابن جني[5]، واكتفى المبرد بمصطلح **اللينة** في بعض المواضع للتعبير عن أصوات المد واللين[6].

- **الهاوي:** وهي تسمية سيبويه للألف؛ سمي بذلك لأنه اتسع لهواء الصوت مخرجُه أشد منه عند خروج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك[7]. وعلل عبد الوهاب القرطبي القرطبي ذلك بأن الفم ينفتح لها فتخرج بالنفس مستطيلة، وتهوي في الفم إلى ما بين الهمزة والهاء[8].

- **الممطولة:** وهي تسمية ابن جني أيضا، وقد عقد له باباً سماه (باب في مطل الحروف)، قال فيه: «والحروف **الممطولة**، هي الحروف الثلاثة اللينة المصوِّتة، وهي الألف والواو والياء»[9].

- **المصوتة:** وهي تسمية ابن جني[10]، وهذا المصطلح أخذه عن سيبويه[11]. قال عبد الوهاب القرطبي: «وإنما سميت **مصوّتة** لأن النطق بهن يصوّت أكثر من تصويته بغيرهن، لاتساع مخارجهن وامتداد الصوت بهن»[12]. ونجد عند علماء القرن الخامس تقليداً لمن سبقهم في هذا الجانب، ومن هؤلاء أبو علي الحسين ابن سينا[13] الذي تابع أبا نصرٍ الفارابي[14] في إطلاق المصطلحين المتقابلين (الصامتة و**المصوتة**).

---

(1) كتاب العين- الفراهيدي -المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال- 8-ص91. /وانظر: مكي الرعاية ص 102و 116.

(2) ينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ص126.

(3) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ص 126.

(4) الكتاب لسيبويه (4/ 435

(5) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط 4، 1990، 3/126-127.

(6) المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (285هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة 1403هـ-1983م، (1/ 124).

(7) الكتاب لسيبويه (4/ 435- 436).

(8) الموضح في التجويد 96.

(9) الخصائص 3/126-127.

(10) الخصائص 3/126-127.

(11) الكتاب 4/ 437- 438. شرح كتاب سيبويه 6/467 ـ 468. ينظر: الموضح في التجويد 129.

(12) القرطبي عبد الوهاب، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان – الأردن، ط01، 1421هـ،2000م، ص (97- 98).

(13) في رسالة أسباب حدوث الحروف (ص83-) /وفي موضع آخر (ص126)سماها: "الألف الصغرى والكبرى".

(14) الموسيقى الكبير 1078- 1079، نقلا عن كتاب أبحاث في أصوات العربية 90- 91.

واستخدمه أبو شجاع محمد بن علي بن الدهان[1]، والفخر الرازي[2]، ويميل المبرد إلى استخدام مصطلح **المصوتة** للدلالة على الألف والواو والياء المدية؛ قال المبرد: «فمن حروف البدل حروف المد واللين **المصوتة**، وهي الألف والواو والياء» [3]، ويعتمِد ابن جني المصطلح ذاته[4]، وعلّل تسميتها بشدَّة الصوت فيها[5]. وهذا وهذا اصطلاح يلتقي مع ما عند المحدثين.

- **الممدودة:** قال الداني: «سميت **ممدودة** لأن الصوت يمتد بها بعد إخراجها من موضعها»[6]. وكذلك سماها المبرد[7].

- **أحرف العلة:** وهي تسمية مكي في الرعاية، وعلل ذلك بأن التغيير والاعتلال والانقلاب لا يكون في جميع كلام العرب إلا في أحدها إضافة للهمزة[8]. وكان أبو حيان – في بعض المواضع- يكتفي بهذا المصطلح مشيراً به إلى الألف والواو والياء[9].

- **حروف المد واللين:** يخصص كثير من علماء التجويد مصطلح **(حروف المد واللين)** للألف المدية، وللواو والياء إذا كانت حركة ما قبلها من جنسها، لأن مد الصوت لا يكون في شيء من الأصوات إلا فيهن، ولأنهن يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان [10]، قال مكي: «حروف المد واللين، وهي ثلاثة أحرف الألف والواو الساكنة التي قبلها ضمة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة»[11]. وقال عبد الوهاب القرطبي: « الواو والياء: تكون تارة من حروف المد واللين بأن تسكنا ويكون ما قبلهما منهما...»[12]. وكان أبو

(1) تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، ونبذ مذهبية نافعة، محمد بن علي ابن الدَّهَّان، تح: د. صالح بن ناصر بن صالح الخزيم، مكتبة مكتبة الرشد - السعودية / الرياض، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م، (57/1).

(2) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ - 2000،الطبعة: الأولى،(35/1).

(3) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ت)، ج 1، ص61.

(4) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط 4، 1990، ج2، ص124.

(5) ابن جني، أبو الفتح عثمان،، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993، ج1، ص11.

(6) الداني، أبو عمرو، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمّان، ط 1، 2000 م، (ص: 109).

(7) المقتضب، المبرد، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب – بيروت، (261/2).

(8) الرعاية، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان – الأردن، ط 03، 1417هـ - 1996م، ص128. ص128.

(9) ظ: م.ن:398/1.

(10) القيسي مكي بن أبي طالب، أبو محمد، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح.د.أحمد حسن فرحات، ط.د.المعارف للطباعة، دمشق، 1973،ص101. ظ: الفراهيدي، العين،(57/1). ظ: سيبويه، الكتاب (435/4). ابن جني، سر الصناعة، (7،62/1). ظ: الحمد، الدراسات الصوتية، ص 165.

(11) مكي، الرعاية، ص 101.

(12) الموضح في التجويد 164.

حيان - في بعض المواضع- يكتفي بمصطلح اللين مشيراً به إلى الألف والواو والياء، أيًّا كانت حركة ما قبلها[1].

- **حروف الزيادة:** قال علي القاري: «ولا يخفى أنّ المد ليس حرفاً ولا حركة، بل زيادة على كمية حرف المد »[2]، وسماها بذلك أيضاً كلٌّ من أحمد بن محمد البنا[3]، والصفاقسي[4]، والمرعشي[5].

- **الأحرف الخفية:** أو أحرف الخفاء سماها كذلك ابن الجزري، وعلل ذلك بأنها « تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها»[6]. وهي تسمية مكي أيضا[7]، وعبد الوهاب القرطبي[8]، والقسطلاني[9].

- **الذوائب:** وهو اصطلاح أحمد بن أبي عمر الأندرابي، وعلَّل التسمية بأنها: « تذوبُ وتلينُ وتمتدّ، وما عداها لا يلينُ ولا يذوبُ ولا يمتدّ»[10]، وهو اصطلاح أبي الفضل الرازي[11]، والزمخشري[12].

- **الأصوات المعلولة:** وهي اصطلاح أبي حيان، وقصد بالمعلولة المتغيرة في داخل البناء[1].

---

(1) ارتشافُ الضرب من لسان العرب، ابو حيان الاندلسي (ت 745هـ)، تح: د. رجب عثمان محمد ومراجعة د. رمضان عبد التواب، مط: المدني، مصر، ط1، 1998،:332/1.

(2) ملا علي القاري، المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، الطبعة الأخيرة، 1948م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ص45.

(3) ينظر: الدمياطي،شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م، ط01، تح: أنس مهرة، 157/1.

(4) ينظر: تنبيه الغافلين وارشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين،أبو الحسن علي بن محمد الصفاقسي (1118هـ) مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،لبنان، الطبعة الأولى 1407هـ-1987م، ص99.

(5) ينظر: جهد المقل 213/ المقتضب 210/1، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها 45/1.

(6) ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1406 هـ-1986م، (ص: 97).

(7) الرعاية، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان – الأردن، ط 03، 1417هـ - 1996م، ص127. ص127. وانظر مشكل إعراب القرآن لمكي أيضا (2/ 699).

(8)القرطبي عبد الوهاب، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان – الأردن، ط01، 1421هـ،2000م، ص 97. 97.

(9)القسطلاني شهاب الدين، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة – مصر، 1972م 1393هـ، ج01، ص 200.

(10) الإيضاح في القراءات للأندرابي، ص 318 – 319؛ نقلا عن بحث الجهودُ الصوتيَّةُ للأندرابيّ في كتابه الإيضاح في القراءات (دراسة موازِنة)، رسالة ماجستير تقدم بها الطالب أحمد خضير محمد خالد الجبوري إلى مجلس كلية التربية بجامعة تكريت، إشراف د. جمعة حسين محمد البياتي، 1425 هـ - 2004م.

(11) حسين خلف صالح، جهود علماء العربية في دراسة أصوات المد في ضوء الدرس الصوتي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة تكريت، إشراف عبد الجليل تركي نقي، 2003، ص 52.وانظر: الإيضاح في القراءات لأحمد بن أبي عمر الأندرابي، أطروحة دكتوراه، دراسة وتحقيق منى عدنان، إشراف غانم قدوري الحمد، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، 2002، ص298.

(12) المفصل في علم اللغة العربية،أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ)، دار الجيل،بيروت، الطبعة الثانية (د.ت)،ص395.

- **الجرْس:** وهي تسميةٌ للألف المدية؛ نقله الأزهري عن الخليل فقال: «فَأَما الْألف اللينة فَلَا صَرْف لَهَا، إِنَّمَا هِيَ جَرْسُ مَدَّةٍ بعد فَتْحة»[2].وسماها كذلك القرطبي فقال: « وأما الجرْس فالألف الساكنة لا يكون إلا كذل »[3]. وهي تسمية ابن دريد أيضا[4].

- **أحرف الإبدال:** عند مكي بن أبي طالب القيسي؛ سميت بذلك لأنها تبدل من غيرها[5].

- **الزوائد:** في اصطلاح مكي؛ وعلل تسميتها بذلك لأنه لا يقع في كلام العرب حرف زائد في اسم ولا فعل إلا من هذه الأحرف[6].

- **المذبذبة:** عند مكي؛ لأنها لا تستقر على حال: مرة أصولا ومرة زوائد[7].

- **المتصل:** وهو لقب الواو عند مكي؛ سميت بذلك لأنها تهوي في مخرجها في الفم، لما فيها من اللين حتى تتصل بمخرج الألف. ولأن الألف تتصل بعدها في الكتابة[8]، قال سيبويه: « وزعم الخليل أنهم لذلك قالوا ظلموا ورموا فكتبوا بعد الواو ألفاً»[9]. وزاد ابن الجزري معها الياء لامتدادها واتصالها بمخرج الألف[10].

- **الصُّمُّ (الصُّتْم):** وهو اصطلاح الخليل على الواو والياء قال الخليل: « والحُروف الصُّتْمُ: التي ليستْ من الحَلْق»[11]، وعلّل مكي تسميتها بذلك لتمكنها في خروجها من الفم[12].

- **الحروف الميتة:** تحدث سيبويه عن قضية أطلق فيها مصطلح الحروف الميتة؛ هذا المصطلح الذي يُعَدّ أصل الفكرة لدى علماء التجويد. يذهب سيبويه إلى تقسيم الألف والواو والياء إلى حية وميتة. وهو يريد بالحية (المتحركة)، وبالميتة (الساكنة)، ومن ثم كانت الألف ميتة لأنها لا يفارقها السكون، قال: «وإنما جسروا على حذف الألف لأنها ميتة لا يدخلها جر ولا رفع ولا نصب»[13]. وقال سيبويه عن الواو في

---

(1) ارتشاف الضرب،156/3.

(2) تهذيب اللغة (1/ 42).

(3) القرطبي عبد الوهاب، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان – الأردن، ط01، 1421هـ،2000م، ص 96.

(4) ابن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م، (45/1).

(5) الرعاية، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان – الأردن، ط 03، 1417هـ - 1996م، ص122.

(6) الرعاية، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان – الأردن، ط 03، 1417هـ - 1996م، ص120.

(7) الرعاية، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان – الأردن، ط 03، 1417هـ - 1996م، ص121.

(8) القرطبي عبد الوهاب، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان – الأردن، ط01، 1421هـ،2000م، ص 96.

(9) كتاب سيبويه (176/4).

(10) ينظر: التمهيد في علم التجويد 109 ـ 110.

(11) العين (7/ 107).

(12) الرعاية، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان – الأردن، ط 03، 1417هـ - 1996م، ص137.

(13) الكتاب 3/ 356و 423.

جدْوَل: «وذلك لأن هذه الواو حية»[1]، وقال سيبويه أيضا: «وسألته [2] عن واو عجوز وألف رسالة وياء صحيفة، لأي شيء همزن في الجمع، ولم يكنّ بمنزلة معاون ومعايش إذا قلت: صحائف ورسائل وعجائز؟ فقال: لأني إذا جمعت معاون ونحوها، فإنما أجمع ما أصله الحركة فهو بمنزلة ما حركت كجدول. وهذه الحروف لما لم يكن أصلها التحريك **وكانت ميتة لا تدخلها الحركة** على حال، وقد وقعت بعد ألف، لم تكن أقوى حالا مما أصله متحرك **فهذه الأحرف الميتة** التي ليس أصلها الحركة أجدر أن تغيّر إذا همزت ما أصله الحركة»[3].

ويتضح من هذه النصوص أن سيبويه يستخدم مصطلح (الحروف الحية) للدلالة على الواو والياء إذا تحركتا، ومصطلح (الحروف الميتة) على الألف والياء والواو الساكنة. ويفهم من النص الأخير أن الخليل بن أحمد استخدم مصطلح (الحروف الميتة)، ولا يستبعد أن يكون سيبويه أخذ الفكرة عن الخليل. أما سيبويه فقد تحدث عن هذا المصطلح في أكثر من موضع [4].

- **الحرف الممال:** وهو لقب للألف، ومن الحركات الفتحة، والمراد به القابل للإمالة. فالألف تمال ويمال ما قبلها من أجلها[5]. ويعدُّ من الحروف الفرعية المستحسنة.

- **الحرف المشرَب:** ويسمى المخالَط بفتح اللام وكسرها؛ وهو لقب للألف المفخمة والألف الممالة وغيرهما، ومن الحركات الفتحة، والمراد به القابل للإمالة وللتفخيم، ويعد من الحروف الفرعية التي اتسعت فيها العرب فزادتها على التسعة والعشرين المستعملة، فالألف تمال ويمال ما قبلها من أجلها، وكذلك المفخمة نحو **الصلاة** عند ورش [6].

- **المجهورة:** وإنما لُقِّبت بالجهر لأن الجهر الصوتُ الشديد القوي، فلما كانت في خروجها كذلك لقِّبت به، لأن الصوت يُجهَر بها [7].

---

(1) الكتاب 3/ 469، وانظر 3/ 355.

(2) يريد أستاذه الخليل بن أحمد. قال السيرافي (أخبار النحويين البصريين ص 40): «وكل ما قاله سيبويه: وسألته، أو قال من غير أن أن يذكر قائله فهو الخليل».

(3) الكتاب 4/ 356.

(4) الكتاب 262/2. وانظر: نفس المصدر 360/4، و المصدر نفسه 355/3 ـ 356. و المصدر نفسه 423/3.

(5) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد، تح: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض- السعودية، ط01، 1985م.ظ: لطائف الإشارات، القسطلاني، ص 203.

(6) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ظ: لطائف الإشارات، القسطلاني، ص 203.

(7) ظ: لطائف الإشارات، القسطلاني، ص 87.

4 - مخارج أحرف المد:

لعلّنا لا نُجانبُ الصوابَ ولا نعدو الحقيقةَ إذا قلنا إنَّ من أهمِّ موضوعاتِ علم الأصوات التي دارَ حولَها الجدلُ واحتدمَ حولها النقاشُ – وما يزال – هو موضوعُ: مخارجِ الأصوات. ويتعلَّقُ هذا الجدلُ بجوانبَ مهمةٍ في هذا الموضوع، منها ما يتّصلُ بتعريفِ المخرجِ، ومنها ما يتصل بالمصطلح الذي يعبّر عن المخرج.

تعريف المخرج:

المخرج لغة: هو موضع الخروج [1].

والمخرج اصطلاحاً: هو الموضع الذي ينشأ منه الحرف [2]. وعرف بأنه الحيز المولد للحرف، أو أنه الموضع الذي يخرج منه الحرف. وهذه تعريفات قد تباينت في صياغتها وألفاظها واتحدت في معناها[3].

أما مصطلح المخرج فقد ظهر عند العلماءِ قديمًا تحت عدة مصطلحات؛ لعل من أهمها:

1 - الحيّز: وأوّل من استعمل هذا المصطلحَ الخليل بن أحمد [4]، والأزهري [5]. وهي معانٍ يمكنُ ردُّها ردُّها إلى معنى الحصر في مكانٍ واحدٍ محدودِ المعالم، لا يتعدى ما فيهِ إلى خارجه ولا يتعدى ما في خارجهِ اليه، وكذلك الحروفُ تكون في حيّز واحد فيكون مخرجها واحدًا ولا تتعدى إلى مخارج غيرها من الحروف.

2 - المَخْرَج: وعلى هذا المصطلح أكثرُ علماءِ العربية، وإذا أطلق في مجال دراسةِ الأصوات لم يُفهم منهُ غيرُ مخرج الصوت. وأوّل إشارة ظهرت لهذا المصطلح عند الخليل بن أحمد أيضًا[6]، واخذ به مَن جاء بعد الخليل كسيبويه وغيره[7].

3 - المبدأ: ورد عند الخليل أيضًا [8]. ولم يوجد لهذا المصطلح ذكر في كتب اللغة بعد الخليل، ويبدو أنّ المصطلح قد هُجِر ولم يكتب لهُ الاستمرار والبقاء.

4 - المَدْرَجَة: وأول من استعمل هذا المصطلح هو الخليل أيضا [1]، فعنى الخليل بالمدارج في هذا النصّ «النقاط التي يتمّ فيها تكوّن الأصوات»[2]. واستعمل هذا المصطلح ابن دريد أيضًا [3].

---

(1) لسان العرب: مادة (خَرَجَ) 3 / 73.

(2) الداني، أبو عمرو، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمّان، ط 1، 2000 م، ص 104.

(3) القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، الأردن، ط03، 1996م، ص 139. ينظر: همع الهوامع، 3: 449. ظ: ابن يعيش، شرح المفصل، 10: 124.

(4) العين، 1: 58.

(5) تهذيب اللغة مادة (حوز) 5: 116.

(6) العين 1: 58.

(7) ينظر: الكتاب 4: 431، المقتضب 1: 192.

(8) العين، 1/ 65.

5 - المجرى: ورد هذا المصطلح عند ابن دريد في مقدمة الجمهرة[4]. واختار إبراهيم أنيس استعمال هذا المصطلح للدلالة على طريق النَّفَس من الرئتين حتى الخارج، فالمجرى عنده أعَمُّ من المخرج[5].

6 - المقطع: وَرَدَ هذا المصطلح عند ابن جِنّي في كتاب سر صناعة الإعراب[6]. وقد أخذ بهذا المصطلح علي القاري أيضا[7]، والمرعشي[8].

7 - المحبس: وهو من اصطلاحات ابن سينا، حيث يقول « وأما حال التموج من جهة الهيئات التي تستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه فتفعلُ الحروفَ» [9]. يقول إبراهيم انيس: « أمّا المحابسُ فيبدو أنَّ ابن سينا يريد بها ما أراده القدماء بمصطلحهم المخارج» [10].

وتتفرع دلالة المخرج [11] عند القدماء على قسمين:

1- المخارج المحققة: وهي التي تعترض الصوت عند خروجه مع النفس في الحلق والفم والشفتين.

2- المخارج المقدرة: وهو ما يخرج من جهة معلومة لكن لا من موضع معين، أو هو الذي لا يعتمد على أي جزء من أجزاء الحلق أو اللسان أو الشفتين[12]، بل يخرج في لين من غير كلفة، وتختص بها أصوات المد واللين. وهذه المخارج المقدرة التي نادى بها المتأخرون نجد جذورها عند الخليل، حيث قال: «في العربية

---

(1) العين 1: 57.

(2) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، 1417هـ - 1997م، ص 48.

(3) ينظر: ابن دريد، محمد بن الحسن، أبو بكر-: جمهرة اللغة، تح. د. رمزي منير البعلبكي، ط.1، د. العلم للملايين، بيروت، 1987، (1:46).

(4) جمهرة اللغة 1: 45 - 46.

(5) أنيس د. إبراهيم: الأصوات اللغوية، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979: 112.

(6) سر صناعة الاعراب 1: 6.

(7) ينظر: ملا علي القاري، المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، الطبعة الأخيرة، 1948م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ص: 9.

(8) ينظر: المرعشي، محمد بن أبي بكر الملقب بساجقلي زاده، جهد المقل، دراسة وتحقيق: سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان- الأردن، ط2، 2008م، ص 123.

(9) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د.ت)، ص60.

(10) الأصوات اللغوية: 140.

(11) المَخرج في اصطلاح علماء اللغة المحدثين هو: «مكان النطق» أو: «هو النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء، والتي يصدر الصوت فيها ».ظ: مناهج البحث في اللغة 84. وينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز سعيد الصيغ 50.

(12) القول السديد في علم التجويد، على الله بن علي أبو الوفا، دار الوفاء – المنصورة، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003م، ص140.

تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحيانا ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء **فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلا الجوف** [1]».

وقد درس علماء العربية قديماً وحديثاً مخارج الأصوات، وميزوا بين الأصوات المتحدة المخارج ما بين حنجرية وأخرى حلقية وثالثة لهوية وهكذا. وبين العلماء خلافٌ في تحديد عدد ومخارج أصوات المد بحكم أن ثمت خمسةَ أصوات تتدانى مخرجا وتتقارب في الصفات، وهي الواو والياء شبه الصائتتين في نحو(بَيْت وخَوْف)، وأصوات المدّ الثلاثة الصائتة: الألف والواو والياء. وللقُدماء من علماء العربية فيها مذهبان:

المذهب الأول: لم يُفرِّق بين الواو والياء حال كونهما صائتين أو شبه صائتين، ويتفرع هذا المذهب إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: يُعزى إلى الخليل بن أحمد؛ الذي استقر على أن الصوائت الطوال جوفية تتفق مبادئها وتختلف مجاريها. وأن الواو المسبوقة بغير الحركة المجانسة لها تخرج من الشفة. وأن الياء المسبوقة بغير الحركة المجانسة لها تخرج من الشجر[2]. فهذه الأصوات تتفق في بداية خروجها من الجوف لكنّ مجاريها تختلف باختلاف هيئة أعضاء النطق التي تتخذها مع إنتاج كل صوت مد ولين ليتميز به عن غيره. وعلى هذا سار بعض علماء التجويد، لذلك كانت الأصوات عندهم واحدا وثلاثين، تتوزع على سبع عشرة مخرجاً، واحد منها مخرج مقدّر وهو الجوف والبقية مخارج محققة. ويعلل اعتبارها جوفية بكونها «تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الفم. فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف»[3].

الاتجاه الثاني: يُنسَب إلى سيبويهِ؛ حيث جعل لكل صوت من هذه الأصوات الثلاثة مخرجا محددا؛ فأصحابه لم يميزوا بين مخارج الصوائت الطوال وبين مخارج أشباه الصوائت؛ فجعلوا الألف في أقصى الحلق مع الهمزة والهاء على أساس مخرجها المقدر، والياء المدية (الصامت الطويل) في وسط اللسان مع الجيم والشين، والواو (الصائت الطويل) من الشفتين مع الباء والميم [4]. ويَستطرد المبرد شارحا كلام سيبويه بقوله: بقوله: «إلا أن الواو تهوي في الفم حتى تتصل بمخرج الطاء والضاد وتتفشى حتى تتصل بمخرج اللام، فهذه الاتصالات تُقرِّب بعض الحروف من بعض وإنْ تراخت مخارجها» [5]. وهو ما ذهب إليه من تابع سيبويه من

(1) العين (1/ 57).

(2) تهذيب اللغة (1/ 43).

(3) العين 57/1، وينظر: تهذيب اللغة 48/1، ظ: لسان العرب 17/1.

(4) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب. ج 4، ص 432.

(5) المصدر السابق ج 1، ص 194، وانظر ص192.

جمهور اللغويين وبعض علماء التجويد، كأبي حيان [1]، وابن جني في سر الصناعة، وابن دريد[2]، والأزهري في تهذيب اللغة، والداني في الإدغام الكبير والتحديد، ومكي[3]، والقرطبي[4]، والزمخشري[5]، وابن الباذش[6]، والشيرازي[7]، وابن الجزري[8]، وغيرهم كثير.

المذهب الثاني: يمثله عدد من علماء التجويد المتأخرين وابنُ سينا، ويرى هؤلاء أن هذه المجموعة تتألف من ثلاثةِ صوائت وهي حروف المدّ الثلاثة وشبهِ صائتين هما: الواو والياء اللّينتان غير المديَّتيْن. يقول محمد بن محمود السمرقندي (ت 780هـ): «وقيل: إنَ الألف والواو والياء، إذا سكنت وتحرك ما قبلها بجنسها، جوفية، أو هوائية، أو هاوية، لأنها لا تقع في الأحياز التي ذكرناها، فتنسب إليها، لكنها تخرج من الجوف، فتذهب في هواء الفم، **والأصح:** أنّ الألف من هواء الحلق. والياء الساكنة المكسور ما قبلها من هواء وسط الفم. والواو الساكنة المضموم ما قبلها من هواء الشفة. والياء المتحركة والساكنة المفتوح ما قبلها شجرية. والواو المتحركة والساكنة المفتوح ما قبلها شفوية» [9]. فالسمرقندي فرق ـ هنا ـ بين مخارج أصوات المد وأنصاف أصوات المد، بقوله في الأولى: (من هواء وسط الفم) و (من هواء الشفة)، وقوله في الثانية (شجرية) و (شفوية)، إشارةً إلى اتساع المخرج عند نطق أصوات المد، وحرية مرور الهواء فيه، وضيقه عند نطق أنصاف أصوات المد، وانحصار الهواء، وهو رأي المحدثين عند وصفهم لمخارج الواو والياء في كلتا الحالتين[10]. قال المرعشي: «أما الواو المدية فضم شفتيك فيها اعتراض على الصوت وكذا رفع وسط لسانك إلى جهة الحنك في الياء المدية لكنْ ذانك الاعتراضان قليلان لا يمنعان جريان الصوت بالكلية»[11].

(1) ارتشافُ الضرب من لسان العرب، ابو حيان الاندلسي (ت 745هـ)، تح: د. رجب عثمان محمد ومراجعة د. رمضان عبد التواب، مط: المدني، مصر، ط1، 1998،: 5/1.

(2) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط01، 1987م، (45/1).

(3) الرعاية، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان – الأردن، ط 03، 1417هـ - 1996م، ص 160.

(4) القرطبي عبد الوهاب، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان – الأردن، ط01، 1421هـ،2000م، ص 78.

(5) المفصل في علم العربية، جارالله الزمخشري، (ت 538 هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، (د. ت)، ص: 546.

(6) الإقناع في القراءات السبع،أبو جعفر احمد بن علي بن الباذش (540هـ) تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش،دار الفكر،دمشق،الطبعة الأولى 1403هـ1983م، ص 171.

(7) الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي الشيرازي ابن أبي مريم، تح: عمر حمدان الكبيسي، رسالة دكتوراه بإشراف، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، 1408هـ، ص 171.

(8) التمهيد في علم التجويد، ص: 113.

(9) السمرقندي، محمد بن محمود، روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، رسالة ماجستير، دراسة وتح: إبراهيم عواد السامرائي، إشراف رشيد عبد الرحمن العبيدي وغانم قدوري الحمد، جامعة صدام للعلوم الإسلامية، العراق، 1999، ص 65.

(10) ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية 42، ظ: كمال بشر، علم اللغة العام (قسم الأصوات) 106.

(11) بيان جهد المقل، ص 7.

وفرق ابن سينا بين الواو والياء الصامتتين والصائتتين، وبيّن مخرج كل واحد منهما، فأشار إلى أن الواو الصامتة تحدث حيث تحدث الفاء، وأن الياء الصامتة تحدث حيث تحدث الطاء والجيم، لكنه فطن إلى أن الاحتكاك في أثناء نطقهما في هذه الحالة قليل جدًّا، وأن أهم صفة لجهاز النطق أثناء النطق بالصائتتين هو حرية خروج الهواء سلسًا غير مزاحَم، وهي إشارة إلى عدم وجود إعاقة في جهاز النطق أثناء حدوث أصوات المدّ عامة. يشرح ابن سينا كيفية إخراج هذه المجموعة بقوله: «وأما الواو الصامتة فإنها تحدث حيث تحدث الفاء، ولكنْ بضغطٍ وحفزٍ للهواء ضعيفٍ لا ينافس في انضغاطه سطحَ الشفة...والياء الصامتة فتحدث حيث تحدث الطاء والجيم وغيرُ ذلك، ولكن تتعرض لحبس يسير وصفير ضعيف...وأظن أن الألف الصغرى والكبرى مخرجهما من إطلاق الهواء سلِساً غير مزاحَم» [1]. وهذا المذهب لا يخلو من الغموض والاضطراب، لكنه يتفق مع ما قرره المحدثون الذين بينوا ما للوترين الصوتين من أثر في تكوين النغمة الحنجرية التي تكون عاملا مهمًّا لنطق هذه الأصوات الذائبة [2].

والظاهر أن الواو والياء سواء كانتا مدّيّتين أو ليّنتين لا يمنع تصنيفهما من الصوائت، لأن الكمَّ الزمني المنوطَ بهما في الأداء يحكم بسلامة هذا التصنيف. ولأن مخارج أصوات المد تتميز عن مخارج الصوامت باتساعها، وهو الأمر الذي جَعَل دراستها وتحديدَ ملامحها الصوتية يسبب إشكالاً اختلف العلماء به اختلافاً زاد على اختلافهم في جُلِّ المسائل الصوتية قديماً وحديثاً، حتى قال ابن سينا: «وأمَّا أصوات المد فأمرها عليَّ مُشكل »[3]، وقال برجشتراسر: «للحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الحروف الصامتة، غير أنَّ تحديدها وتمييزها مُشكلُ» [4]، فلا يتسع تجويف الفم عند نطقها فيأخذ شكلاً أنبوبياً حتى يجعل تحديدها صعباً بعض الشيء.

فإذا كانت حروف المد تخرج من مخرج واحد هو الجوف، فما الذي جعل أصواتها تتمايز في السمع؟

لاحظ علماء التجويد أن حروف المد بالرغم من أن مخرجها الجوف فإن أوضاع اللسان والشفتين تختلف مع كل صوت عنها مع الأصوات الأخرى. قال علي القاري عن حروف المد: «ثم إنهن بالصوت المجرد أشبه منهن بالحروف، ويتميزن عن الصوت المجرد بتصعّد الألف وتسفّل الياء واعتراض الواو»[5].

ويرى ابن جني أن:« العلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث أحوال مختلف الأشكال أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فتجد معها الأضراس

(1) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف، ص 19.
(2) كمال بشر، علم اللغة العام – قسم الأصوات –، ص 106.
(3) أسباب حدوث الحروف 19.
(4) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م، ص 40.
(5) المنح الفكرية ص 9.

سفلا... وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر وذلك قولك في الألف **أَا** وفي الياء **إِي** وفي الواو **أُو**»[1].

إن اتحاد مخرج أصوات المد وتغاير أصواتها يفرض علينا طرْقَ العناصر الثلاثة الآتية:

1ـ دور الحلق في إنتاج أصوات المد.

2ـ دور اللسان في إنتاج أصوات المد.

3ـ دور الشفتين في إنتاج أصوات المد.

أولا ـ دور الحلق والجوف في إنتاج أصوات المد:

اتفق عليها علماء الأصوات قديماً وحديثاً على قضية اتساع أعضاء النطق عند إنتاج أصوات المد اتساعاً من شأنه أن يعطي للهواء الحرية في المرور عبر تجويف الحلق والفم، وهذا هو الأساس الذي بني عليه تصنيف الأصوات إلى صامتة ومصوتة. ولكن مرور الهواء عبر هذه التجاويف يتأثر بمجموعة عوامل تعطي أصوات المد صفتها، وإلا استحال الصوت نفساً، ومن هذه العوامل وجود ما أطلق عليه العلماء مصطلح **(الجوف)**، وليس من شأننا أن نحدد الآن ما أراده العلماء بهذا المصطلح قبل أن ننظر فيما قالوه في هذا الشأن.

وأول ما يطالعنا هو قول الخليل بن أحمد: «وسميت جُوفاً لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجةٍ من مدارج اللسان. ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الفمِ فلم يكن لها حيزٌ تنسب إليه إلا الجوف ...»[2]. وأكدها عنه مكي بن أبي طالب بزيادة بيان حين قال: «سماهن الخليل بذلك لأنهن نسبن إلى آخر انقطاع مخرجهن، وهو الجوف»[3].

ولعل في قول الخليل الآتي ما يقرب الصورة أكثر، حين قال عن هذه الأصوات: «وأصلهنّ من عِنْد الْهمزَة. أَلا ترى أَن بعض الْعَرَب إِذا وقف عندهنّ همزهن، كَقَوْلِك للْمَرْأَة افعليءْ وتسكت، وللاثنين افعلاءْ وتسكت، وَلِلْقَوْمِ افعلُوءْ وتسكت، فإِنّما يُهمَزن فِي تِلْكَ اللُّغَة لأنهنّ إِذا وُقِف عِنْدهن انْقَطع أنفاسهن فرَجعْن إِلى أصل مبتدئهن من عِنْد الْهمزَة. فَهَذِهِ حَال الْألف اللينة، وَالْوَاو السَّاكنة بعد الضمة، وَالْيَاء السَّاكنة بعد الكسرة، وَالْألف اللينة بعد الفتحة. وَهَؤُلَاء فِي مجْرى وَاحِد.»[4]. إن هذه الأصوات أحادية التصويت تنشأ

(1) سر صناعة الإعراب (1/ 21).

(2) العين 57/1، وينظر: تهذيب اللغة 48/1. ظ: لسان العرب 17/1.

(3) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 142، ولمعرفة رأي الخليل: ينظر: الكتاب 176/4.

(4) تهذيب اللغة 43/1.

من اهتزاز الوترين الصوتيين - كما قرر ذلك المحدثون، وأن الذي يحدد طبيعة الصوت هو الشكلُ الذي يتخذه تجويف الفم والشفتان مع عدم ارتفاع اللسان حتى يتجاوز ما أسماه المحدثون بـ **(منطقة الحركات)**.

ولما كانت الهمزة تخرج من أقصى الحلق، وهو رأي الخليل نفسه[1]، فإننا نستطيع أن ندرك فهم الخليل لطبيعة هذه الأصوات من أنها تنشأ في هذه المنطقة التي اصطلح على تسميتها فيما بعد بالأوتار الصوتية، وقيل عن الأصوات التي تنشأ عنها فقط بأنها أحادية التصويت.

ومن هنا يمكن أن نفهم من قولي الخليل السابقين أنه يعني بالجوف المنطقة التي تلي الحلق وهي الوتران الصوتيان، فأعوزه نقص المعرفة التشريحية- مع التسليم بإدراكهم لأثرهما في إنتاج الأصوات- وأطلق عليها مصطلح (الجوف).

وفكرة الخليل هذه أقرها سيبويه حين قال في هذه الحروف: «ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيءٌ من الحروف أوسع مخارجَ منها، ولا أمد للصوت، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفةٍ، ولا لسان، ولا حلقٍ كضم غيرها، فيهوي الصوت إذا وجد متسعاً، حتى ينقطع آخره في موضعِ الهمزة، وإذا تفطنت وجدت مس ذلك»[2].

وربط المبرد بين كون هذه الأصوات جوفية، وبين ما سنأتي عليه من وجود مخارج لها في الفم أو الشفتين، قال في الألف: «إنما هي هواءٌ في الحلق يسميها النحويون الحرف الهاوي »[3]، وقال في الواو والياء: «الواو تخرج من الشفة، ثم تهوي في الفم حتى تنقطع عند مخرج الألف، والياء تخرج من وسط اللسان، من مخرج الشين والجيم حتى تنقطع عند مخرج الألف ... »[4].

أما علماء التجويد فأقوالهم في هذا الجانب تبدو تكراراً لما قرره علماء اللغةِ قبلهم، وهذا الأمر عند المتقدمين منهم أمثال مكي بن أبي طالب[5]، وأبي عمرو الداني[6]، وعبد الوهاب القرطبي[7]، وغيرهم.

وجاء من علماء التجويد من بلغ بأقوال علماء العربية إلى درجةٍ تتفق مع ما توصل إليه الدرس الصوتي الحديث بدرجةٍ كبيرة[8]، وهو أبو الحسن شريح بن محمد الرعيني الذي نقل عنه أبو حيان الأندلسي قوله: «إن

(1) ينظر: العين 52/1، تهذيب اللغة 51/1.

(2) الكتاب 176/4.

(3) المقتضب 155/1.

(4) المصدر نفسه 221/1.

(5) ينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 126 ـ 127.

(6) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد 110، 122، 133، الإدغام الكبير 49.

(7) ينظر: الموضح في التجويد 78 ـ 79.

(8) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د.حسام سعيد النعيمي 302، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 193.

«إن الألف هوائية لا مخرج لها»[1]، قال الدكتور غانم قدوري الحمد: «ولعله ذهب هذا المذهب في كتابه (**نهاية الإتقان في تجويد القرآن**) الذي لم نطلع عليه» [2]. وممن وافق أبا الحسن الرعيني من المتأخرين ابن الجزري[3]، والملا علي القاري[4]، وحسن العطار (1250 هـ) الذي قال: «قوله [خالد الأزهري] الألف من الحلق، فيه تسمح؛ لأنها من الجوف»[5].

ومذهب علماء العربية في هذه القضية ذكره الملا علي القاري حين قال: «هذه الحروف تنتهي إلى هواء الفم من غير اعتمادٍ على جزءٍ من أجزائه، ولذا يقال لهذه الحروف جوفية وهوائية»[6].

فمذهبه في هذا الجانب أن أصوات المد تبدأ في تجويف الحلق والفم، وهو بالنسبة لها ليس المخرج المحقق، وتمتد هذه الحروف وتستطيل حتى تنقطع بانقطاع هواء الفم، وهو الهواء الخارج من الصدر، الذي عبر عنه ابن جني بأنه يخرج غفلاً بغيرِ صنعة[7]، فخروج هذه الأصوات بهذه الكيفية من اتساع تجويف الحلق والفم أقرب في طبيعتها إلى صوت الصدر. أما نسبتها إلى الجوف فلأنه «آخر انقطاع مخرجها» [8]، حيث لا توجد نقطة التقاء معروفة في جزءٍ من أجزاء جهاز النطق فيما فوق الجوف.

وأكد المرعشي مقالة سابقيه من خلال رفضهِ لأن يكون الألف خارجاً من الموضع الثالث من مواضعِ أقصى الحلق. على الرغم من اعترافه بتلك القسمة، فهذا المكان هو مبدأ صوتهِ؛ ولعله يريد به منطقة الحنجرة التي هي موضع الوترين الصوتيين اللذين يشكلان عامل الجهر، ولولاهما لاستحال الصوت نفساً غير مسموع، فالمخرج إنما هو هواء الصدر الذي يتكيف بحسب شكل اللسان والشفتين[9].

(1) ارتشافُ الضرب من لسان العرب، أبو حيان الاندلسي (ت 745هـ)، تح: د. رجب عثمان محمد ومراجعة د. رمضان عبد التواب، مط: المدني، مصر، ط1، 1998، (2/1).

(2) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 192.

(3) ينظر: النشر في القراءات العشر 201/1.

(4) ينظر، المنح الفكرية 10.

(5) حاشية الشيخ حسن العطار على شرح الأزهرية 16.

(6) المنح الفكرية 10.

(7) ينظر: سر صناعة الإعراب 8/1.

(8) المنح الفكرية 11.

(9) ينظر: جهد المقل 127.

ثانيا - دور اللسان في إنتاج أصوات المد:

أشار الخليل بن أحمد إلى دور اللسان في إنتاج أصوات المد في قوله: «والياء والواو والألف اللينة منوطات بها [الهمزة]، ومدارج أصواتها مختلفة، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء مختفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين ...» [1].

وأوضح سيبويه عبارة الخليل من خلال وضعه مخارج لهذه الأصوات، فالألف مع الهمزة والهاء من أقصى الحلق، والياء من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى حيث يخرج الجيم والشين، والواو من بين الشفتين من مخرج الباء والميم [2].

فإذا أخرجنا الألف من هذه المجموعة لكونها لا تأتي إلا مدية، وكون المخرج الذي حدده لها العلماء هو أقصى الحلق أو الجوف - على ما بيناه - فستبرز لدينا أربعة أصوات هي: الياء، في مثل: (بَيْت)، والواو في مثل: (حَوْض)، والياء في مثل: (بَرِيء)، والواو، في مثل: (يقُول)، وهذه المجموعة رغم أنَّ ظاهر عبارة سيبويه هو عدم التفريق فيما بينها، مما جعل كثيراً من العلماء - قديماً وحديثاً - يقولون عنه إنه عدّها من مخرج واحد، سواء كانت صائتة أو شبه صائتة، فإنه في تعريفه للحروف اللينة قد أشار إلى الخاصية التي تمتاز بها عن غيرها، حين قال: «ومنها (اللينة)، وهي الواو والياء، لأن مخرجيهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما، كقولك: وأي، والواو، وان شئت أجريت الصوت ومددت » [3].

وقد وجه محمد بن أبي بكر المرعشي مذهب سيبويه حين ردّ على من قال إن سيبويه قد جَعل الألف من مخرج الهمزة، والواو والياء المصوتين من مخرجها صامتين: «جعل الألف من مخرج الهمزة مجازٌ بعلاقة المجاورة؛ لما قال: إن مبدأ امتداد صوتها مخرج الهمزة، وكذا جعلُ الواو والياء المديين من مخرجيهما غير مديين مجاز أيضاً، بمعنى أنَّ لذيْنِك المخرجين مدخلاً في خروجهما، وإلا فحروف المد تخرج من جوف الحلق والفم بالضرورة، ولعلَّ الداعي إلى القول المجازي - هنا - إرادة تقليل أقسام المخرج » [4].

وحدَّد المبرّد ما يلعبه اللسان من دور في إنتاج أصوات المد من خلال قوله: «ومن الشفة مخرج الواو والباء والميم، إلا أن الواو تهوي في الفم حتى تتصل بمخرج الطاء والضاد، وتتفشى حتى تتصل بمخرج اللام، فهذه الاتصالات تقرب بعض الحروف من بعض، وإن تراخت مخارجها» [5].

وكأنه أراد بقوله: «تهوي في الفم حتى تتصل بمخرج الطاء والضاد، وتتفشى حتى تتصل بمخرج اللام» ما أراده المحدثون بقولهم إن اللسان يرتفع عند إنتاج الواو [1]، وفي هذا ردّ على قول د. إبراهيم أنيس:

---

(1) تهذيب اللغة 51/1.

(2) ينظر: الكتاب 433/4.

(3) الكتاب 435/4.

(4) جهد المقل 122.

(5) المقتضب 194/1.

«أما مخرج الواو فليس الشفتين فقط، كما ظن القدماء، بل هو في الحقيقة من أقصى اللسان، حين يقترب من أقصى الحنك، غير أنَّ الشفتين حين النطق بها تستديران، أو بعبارةٍ أدق، تكمل استدارتهما» [2].

ومما يزيد الأمر تأكيداً في هذه القضية ما نقله السيوطي في كتابه همع الهوامع عن أبي حيان الأندلسي أنه قال: «فصل المهدوي الواو من الباء والميم، وجعل لها مخرجاً على حده، فقال: الواو تهوي حتى تنقطع إلى مخرج الألف» [3].

فنص المبرد وأبي حيان يؤكدان إدراك علماء العربية لما أدركه المحدثون من أن اللسان يشترك إلى جانب الشفتين في تكوين الواو. ولعلَّ في عبارة ابن جني الآتية ما يزيد الأمر وضوحاً، قال: «أما **الألف** فتجد الحلق والفم معها منفتحين، غير معترضين على الصوت بضغطٍ أو حصر. وأما **الياء** فتجد معها الأضراس، سفلاً وعلواً، وقد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، وتفاج الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعداً هناك، فلأجل تلك الفجوةِ ما استطال. وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج، ليخرج فيه النفس، ويتصل الصوت. فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر، وذلك قولك في الألف (أ ا)، وفي الياء (إي)، وفي الواو (أُوْ) » [4].

وأتى ابن جني بتشبيهين طريفين لآلة النطق عند إصدار الألف وبقية الأصوات، وهما تشبيهها بالناي وبوتر العود، فالصوت يخرج في الناي «مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعةٍ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين عملهِ اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه؛ فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتمادٍ على جهاتٍ مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة» [5]. والأمر نفسه يصدق على وتر العود، حيث أن ضربه مرسلاً يؤدي صوتاً غير الذي يؤديه حين يضع الضارب يده على نقطةٍ ما في ذلك الوتر، وهكذا بتغير الصوت كلما تغير مكانُ وضعِ الأصابع.

فنظرة ابن جني لا تختلف عن سابقيه من أن الألف تخرج مع صوت الصدر في لين من غير كلفةٍ على اللسان والشفتين، وأن بقية الأصوات؛ ومنها الواو والياء المصوتين، تخرج بالاعتماد على تغيير ممر الهواء من قبل اللسان أو الشفتين، أو أية نقطة أخرى في الحلق أو الفم، ولكن تلك الكلفة تختلف في الواو والياء المصوتين عنها في بقية الأصوات.

---

(1) ينظر: أصوات المد عند علماء العربية 49.

(2) الأصوات اللغوية 43.

(3) الموضح في تعليل وجوه القراءات السبع، وينظر: همع الهوامع 452/3.

(4) سر صناعة الإعراب 8/1.

(5) سر صناعة الإعراب 8/1 ـ 9.

وهذا لا يعني أن اللسان لا يتحرك في نطق الألف البتة، فهو يتحرك حركة قليلةً لا تحسب إذا ما قورنت بحركته مع غير الألف، كما أن الهواء إذا مرَّ في الناي سُمع له صوت مستطيل أملس ساذج، فهذا الصوت يُسمع مع وجود تلك الخروق في الناي، وصوت الألف يسمع مع وجود الحركة القليلة للسان.

وقد تابع ابن السيد البطليوسي (521هـ) ابن جني في مثاله، إلا أنه جعل الواو والياء المصوتين بمنزلة الألف في عدم اعتراض الهواء الخارج من الجوف في نقطةٍ من الحلق أو الفم أو الشفتين؛ قال ابن السيد فيما نقله عنه أبو الحجاج يوسف ابن محمد البلوى (604هـ): «ويشارك الألف في هذه الصفة أختاها الموضوعتان للمد واللين، وهما الواو الساكنة المضموم ما قبلها، في نحو: عنقود، والياء المكسور ما قبلها في نحو: قنديل، فإنهما صوتان لا مقطع لهما، كما لا مقطع للألف ... »[1].

ويمكن أن يُحمل كلام ابن جني وابن السيد على أنه لا مقاطع **محققة** لهذه الأصوات، وهو ما جعلهم يقدمون الألف؛ لخفاء مخرجها أكثر من الواو والياء، إذ إن عبارة العلماء قديماً وحديثاً تشير إلى وجود عملٍ لأعضاء الفم في نطق هذه الأصوات أقل من عملها في نطقِ الصوامت، وهذا يؤكد ما قلناه من وجود حركةٍ قليلةٍ للسان في نطق الألف لا تُحسب إذا ما قورنت بحركته في نطق غير الألف.

ومن المتأخرين من علماء التجويد من رفض أن يكون للألف مقطع لا محقق ولا مقدر إلا الجوف، قال حسن العطار: «قوله (متصلاً بمقطع)، أي: معتمداً عليه، وخارجاً منه ... ثم إن هذا التعريف لا يشمل الألف اللينة الخارجة من محض الجوف، فإنها لا تتصل بمقطع، وأجابوا بأن فيها مقطعاً مقدراً، قال بعض أشياخنا: ولم أفهم له معنى، وأجاب إنه نَفَسٌ قويٌّ لا مقطع له غير الجوف»[2].

وتحدث ابن سينا عن مخارج أصوات المد بشكلٍ ربط فيه بوضوح بين نسبة الواو إلى الشفتين ودور اللسان في إنتاجها، قال: «وأما أصوات المد فأمرها عليَّ كالمُشكل، ولكني أظن أنَّ الألف الصغرى والكبرى مخرجها مع إطلاق الهواء سلساً غير مُزاحَم. والواوان مخرجها مع أدنى مزاحمةٍ، وتضييق للشفتين واعتمادٍ في الإخراج على ما يلي فوق اعتماداً يسيراً. والياء أن تكون المزاحمة فيهما بالاعتماد على ما يلي أسفل قليلاً»[3].

وذكر مكي بن أبي طالب أنَّ اللسان لا يعتمد عند نطقِ هذه الأصوات على موضعٍ من الفم، وإنما يكون نطق هذه الحروف عن طريق فتح الفم أو ضمه بصوت ممتد أو غير ممتد، حتى ينقطع الصوت في الحلق، والألف هي الأصل في ذلك، والواو والياء مشبهتان بها[4].

---

(1) الجبوري، حسين خلف صالح، جهود علماء العربية في دراسة المصوّتات في ضوء الدرس الصوتي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة تكريت، إشراف د. عبد الجليل تركي نقي، تموز 2003م، ص70.

(2) شرح الأزهرية في علم العربية الشيخ خالد الأزهري، وبهامشه حاشية الشيخ حسن العطار (1250هـ) على شرح الأزهرية وتقريرات العلامة شمس الدين محمد بن محمد الانباري الشافعي (1313هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ،الطبعة الثانية 1374هـ-1955م، ص12.

(3) أسباب حدوث الحروف، ص19.

(4) ينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 126 ـ 127.

وكلام علماء العربية في هذه القضية أكثر من أن يحصى، وهو لا يخرج في مجمله عما ذكرناه. ولعل خير تلخيصٍ له هو ما ذكره المرعشي حين قال: «ومخارجها المقدرة جوف الحلق والفم ... »[1].

وقد علل المرعشي سبب عدم انقطاع أصواتها في مخارجها المقدرة، مع القول بانضغاط أصواتها في تلك المخارج - وهو ما قال به علماء العربية -، حيث قال: «قلت: هو انضغاط قليل لا يوجب انقطاع الصوت»[2].

فهو يشير إلى خاصية مهمةٍ في مخارج أصوات المد، وهي ابتعاد أجزاء الفم عن بعضها البعض واتساع المخرج حتى لا ينضغط الصوت انضغاطاً يوجب انقطاعه، إذ إن اتساع المخرج هو الذي يؤدي إلى استطالة الصوت وامتدادهِ، مما يجعل المخرج مقدراً بعكس الحالة الأخرى. فأصوات المد لها معتمدٌ في الفم كما للصوامت، ولكنه معتمد «لا يوجب انقطاع الصوت لقلته»[3].

ثالثا ـ دور الشفتين في إنتاج أصوات المد:

لعل أوَّل إشارةٍ في هذا الجانب هي ما روي عن أبي الأسود الدؤلي (69 هـ) في قصتهِ المشهورة حين أراد وضع نقط الإعراب، فأحضر كاتباً، وصِبغاً يخالف لون المداد، وقال لكاتبه: «إذا فتحت شفتي فانقط واحدةً فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله ...»[4]. فهذه الرواية تشير إشارة واضحة إلى الشكل الذي تتخذه الشفتان عند نطق كل مصوت. كما يتضح دور الشفتين في قول الخليل: « ومدرجة الْوَاو مستمرة بَين الشفتين»[5]. وهذا لا يعني أن مخرجها منهما، فهي يشترك في تكوينها مؤخر اللسان عن طريق ارتفاعه نحو الحنك الأعلى، وهذا الأمر يطابق ما قاله المحدثون من اتخاذ الفم شكلاً أنبوبياً من مؤخرة اللسان الذي يمثل الجزء المرتفع، وحتى يشمل هذا الوضع الشفتين اللتين تتخذان شكلاً مستديراً يشابه شكل الفم، فالشفتان تنفردان بهذا الوضع عند نطق الواو، أما الباء والميم فإن الشفتان تنطبقان عند إنتاجهما[6]، وهو ما دعا بعض علماء التجويد إلى تسمية الواو (الحرف المتصل) على ما بيناه.

ونجد الفخر الرازي يؤكد على دور الشفتين في أكثر من عبارة، وهو تأكيد قائم على معرفة تامة بما يؤديه كل جزء من أجزاء الفم من عملٍ في هذا الجانب، قال: «أثقل الحركات الضمة؛ لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين، ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين إلى طرف الشفة، وأما الكسرة فإنه يكفي في

(1) جهد المقل 124.

(2) المصدر نفسه 125.

(3) المصدر نفسه 126.

(4) المحكم في نقط المصاحف،أبو عمرو الداني، تحقيق الدكتور عزة حسن،دار الفكر، دمشق،الطبعة الثانية 1407هـ، ص3 ـ 4.

(5) تهذيب اللغة (1/ 43).

(6) ينظر: الموضح في التجويد 78 ـ 79.

تحصيلها العضلة الواحدة الجارية، ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة، وكما دلت هذه المعالم التشريحية على ما ذكرناه، فالتجربة تظهره أيضاً» [1].

وقال في موضعٍ آخر: «من أراد أن يتلفظ بالضمة، فإنه لا بد له من ضم شفتيه أولاً، ثم رفعهما ثانياً، ومن أراد التلفظ بالفتحة، فإنه لابد له من فتح الفم، بحيث تنتصب الشفة العليا عند ذلك الفتح، ومن أراد التلفظ بالكسرة، فإنه لابد له من فتح الفم فتحاً قوياً، والفتح القوي لا يحصل إلا بانجرار اللحي الأسفل وانخفاضه، فلا جرم يسمى ذلك جراً وخفضاً وكسراً؛ لأن الانجرار القوي يوجب الكسر...» [2].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد في تحديد عمل الشفتين، بل إن بعض العلماء فرق بين انضمام الشفتين في نطق الواو المصوتة وانضمامهما في نطق الواو الصامتة، قال المرعشي: «وانضمامها في الواو المدية أقل من انضمامها في الواو غير المدية» [3].

إن ما حققه علماء التجويد في مجال تحديد مخارج أصوات المد يعد إنجازا متميزا، لا سيما إذا أخذنا بالاعتبار قضيتين:

الأولى: هي أن وسائلهم لم تتجاوز الملاحظة الذاتية، في الوقت الذي توفرت فيه لدارسي الأصوات من المحدثين الأجهزة الدقيقة التي يضمها مختبر الصوت.

الثانية: صعوبة الموضوع؛ لأن أصوات المد لا ينقطع الصوت في مخارجها على نحو محدد وبشكل قوي، يسهل رصده نتيجة لاتّساع مخارجها وعدم المعرفة بالوترين الصوتيين ودورهما في إنتاج الأصوات بصورة عامة. وقديما قال ابن سينا عن مخارج حروف المد: «أمر هذه الثلاثة عليّ مشكل» [4].

(1) التفسير الكبير 54/1.

(2) المصدر نفسه 55/1.

(3) جهد المقل 135.

(4) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة اللغة العربية، دمشق، (د. ت)، ص 19.

5 - صفات أحرف المد:

نستطيع أن نقول - إجمالاً - إن علماء العربية لاحظوا في وصفهم كيفيةَ نطق الصوائت أثر تغيير تجويف الفم والحلق، والأوضاع التي يتخذها اللسان حال النطق، وكذلك أوضاع الشفتين المختلفة. ولأن مرور الهواء عبر تجاويف الجهاز النطقي يتأثر بمجموعة عوامل تعطي أصوات المد صفتها، وإلا استحال الصوت نفَساً. فالخليل بن أحمد يرى أنّ الاختلاف بين أصوات المد إنما يكمن في اختلاف طريقة خروج الهواء؛« فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء مختفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين»[(1)].

ويعد موضوع صفات الأصوات من الموضوعات المهمة عند علماء العربية، حيث أعطوا لكل صوت صفته الخاصة به، والتي يتميز بها عن غيره من الأصوات، ولأن معرفة مخارج الأصوات غير كافية في إعطاء الخصائص الصوتية التي تميزها في السمع عن غيرها خاصة عند اتحاد المخرج.

فصنف علماء التجويد صفات الأصوات إلى صفات مميزة وصفات محسنة[(2)]. فضلاً على تقسيم صفات الأصوات إلى قسمين ذاتي وعرضي، فالذاتية مثل الجهر والهمس، والعرضية مثل المد والقصر[(3)]. وهناك تقسيمات أخرى مثل تقسيم الصفات إلى صفات قوية وضعيفة وأخرى متوسطة، وتقسيم الأصوات بقدر ما فيها من صفات قوية وضعيفة ومتوسطة، بمعنى أن داخل التقسيم تقسيما آخر[(4)].

والملاحظ على علماء العربية أنهم قسموا صفات الأصوات إلى صفات متقابلة وصفات مفردة. لذلك سنسير على وفق هذا المنهج القائم على الثنائية والإفرادية في تقسيم صفات أصوات المد.

أ - الجهر: وهذا من حيث جريان وحبس النفس؛ فأصوات المد ينحبس معها النفس عند التصويت بها، وهو ما يعرف عند المتقدمين بصفة **الجهر**. والمتصفح لكتب المتقدمين من علماء التجويد والعربية يلمس لديهم ربطا بين أصوات المد وبين كونها مجهورة، وإذا أمعنا النظر في طبيعة هذه الأصوات نجد أن صفة الجهر تشكل العنصر الواضح فيها الذي يمنحها قوة الإسماع بحيث أن الناطق لو أوقف اهتزاز الوترين أثناء النطق بها لاستحالت نفسا، ولا يبقى لها في السمع أثر بيّن، ومن هنا ذكر الخليل أن: « الياء والواو والألف اللينة **منوطات بها**(الهمزة)...**وأصلهن من عند الهمزة**»[(5)] وقال سيبويه: «فيهوي الصوت إذا وجد متسعا **حتى ينقطع**

(1) نقلا عن الأزهري: تهذيب اللغة 1/ 51.

(2) لمزيد من التفصيل راجع: الحمد، د. غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص231.

(3) القسطلاني، لطائف الاشارات، ج1، ص196.

(4) القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 4، 1987 م، ج1، ص137.

(5) تهذيب اللغة (43/1).

آخره في موضع الهمزة»[1]. وفي ذلك يقول الداني عن الألف: « حرف هاوٍ مجهور »[2]، ويصفها سيبويه بأنها: « غير مهموسات» [3].

ب - الرخاوة: وهذا من حيث جريان وحبس الصوت؛ فأصوات المد يجري معها الصوت جريانا كليا، وهو ما يعرف عند المتقدمين بصفة الرخاوة. وقد علق أبو سعيد السيرافي على وصف سيبويه هذه الأصوات الثلاثة بأنها: «أخفى الحروف لاتساع مخرجها»[4] بقوله: « هذه الثلاثة الحروف، وهي الياء والواو والألف...فصارت مشبهة للرخوة بالصوت الذي يجري عند الوقف عليها»[5].

وهنا نقف عند مسألة لفتت انتباهنا بشكل خاص، وهي إدراج القدماء حروف المد واللين ضمن الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، حيث يبدو أنَّ هناك خلافاً بين القدماء أنفسهم في بينية أصوات المد، فهي عند بعضهم متوسطة بين الشدة والرخاوة[6]. وأبعدها آخرون [7]. وعند المبرد نجد حروف المد واللين متوسطة بين الشدة والرخاوة بسبب اللين الذي يجري فيها[8]. وجعل ابن الطحان الواو والياء متوسطة متوسطة بين بين، وأخرج الألف[9]. وجعلها ابن الجزري في كتابه التمهيد[10] من الأصوات المتوسطة، ولكنه أخرجها منها في النشر[11]. وربما يعود السبب في ذلك إلى أنَّه قد ألف التمهيد في سن مبكرة أملت عليه أنْ يتابع من سبقه من العلماء، وقد يكون التطور الصوتي في عدد من اللهجات قد أدى إلى زيادة هذه الأصوات أو نقصانها، ويبدو أنَّ العلماء الذين عدّوا الأصوات المتوسطة خمسة ولم يذكروا الألف، والواو، والياء مع الأصوات المتوسطة أو الشديدة أو الرخوة قد عدّوا هذه الأصوات قسماً رابعاً لا يدخل في أي من الاقسام الثلاثة [12]. ويؤاخذ الدكتور إبراهيم أنيس من سبقه من العلماء على تسمية هذه الأصوات بالمتوسطة قائلاً:

---

(1) كتاب سيبويه (4/ 176).

(2) التحديد في الإتقان والتجويد لأبي عمرو الداني، ص: 122.

(3) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج 4، ص 176.

(4) الكتاب 436/4.

(5) شرح كتاب سيبويه 461/6، وانظر لطائف الإشارات للقسطلاني ص(204، 206،205). ظ: شرح طيبة النشر، 31، وذكر ابن ابن الجزري أن الأصوات المتوسطة يجمعها هجاء قولك (لن عمر).

(6) ينظر: سر صناعة الإعراب 1/ 75، والرعاية 94.

(7) ينظر: التحديد 108، والنشر 1 / 202، وهمع الهوامع 2/ 230.

(8) المقتضب 1/ 196.

(9) ابن الطحان، السُّماتي، مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة، الإمارات- الشارقة، ط01، 2007، ص 41.

(10) ينظر: التمهيد 97.

(11) ينظر: النشر 202/1.

(12) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 259.

" أمَّا تسميتها بالأصوات المتوسطة، فليست تعني أكثر من أنَّها تخالف النوعين: أي أنَّها ليست بالشديدة ولا الرخوة "[1].

ولقب الداني الصوت المتوسط:" بالشديد الذي يجري فيه الصوت " [2]. وذكر أحمد بن محمد الجزري أنَّ هذه الأصوات أي المتوسطة: " أنَّها بين القبيلين الرخوة والشدة "[3]. وعلى هذا الأساس يمكن القول أنَّ مصطلح التوسط هو الأنسب في وصف تلك الأصوات، والأكثر دقة في وقوعها بين وصفين مختلفين.

ولو نظرنا إلى مفهوم التوسط لدى القدماء والمحدثين لوجدنا تقارباً كبيراً بينهما فالأصوات المتوسطة " هي شديدة في الأصل، وإنَّما يجري فيها النفس؛ لاستعانتها بصوت ما جاورها من الرخو، كالعين التي يستعين المتكلم عند اللفظ بها بصوت الحاء والتي يجري فيها الصوت؛ لانحرافها واتصالها بما قد تقدمنا في ذكره من الحروف، وكالنون التي تستعين بصوت الخياشيم لما فيها من الغنة، كحروف المد واللين التي يجري فيها الصوت للينها [4] ". أي تبدأ شديدة وتنتهي رخوة وهي كذلك عند المحدثين (فالصوت الانفجاري الاحتكاكي) أي المتوسط يبدأ بانغلاق لا يستمر إحكامه فالانغلاق موجود في الشديدة والمتوسطة، لكنه في الأولى تام محكم وفي الثانية غير محكم حيث ينتهي الصوت احتكاكيا مما يدل على التقارب بين المفهومين.

ج - **الاستفال:** من حيث عمل مؤخرة اللسان من الارتفاع والانخفاض نحو الحنك الأعلى، فهي أصوات تنخفض معها مؤخرة اللسان إلى قاع الفم، وهو ما يعرف عند المتقدمين بصفة **الاستفال**[5]؛وهذا فيما لو تقدم عليها صوت مستفل. أما إذا تقدمها مستعل فإنها تتسم بصفة الاستعلاء، وهذا موضوع سيتم طرقه في باب الظواهر الصوتية.

د - **الترقيق:** من حيث عمل الصوت مع ارتفاع وانخفاض مؤخرة اللسان، فهي أصوات لا يمتلئ الفم بصداها بسبب اتساع غرفة الرنين وهو ما يعرف عند المتقدمين بصفة **الترقيق**؛ وهذا فيما لو سُبِقت بصوت مرقق. وهي مفخمة إذا سبقت بمفخم، وهذا موضوع نرجئه إلى باب الظواهر الصوتية كسابقه.

---

(1) الأصوات اللغوية 24، 25.

(2) التحديد 108.

(3) شرح طيبة النشر 31.

(4) المقتضب 1/ 196.

(5) ينظر: الحواشي المفهمة 13، وشرح طيبة النشر 31. الكتاب 2 / 264، وينظر: المقتضب 1/ 425، وسر صناعة الإعراب 1/ 71، والرعاية 99، والتحديد 108، 109، ومخارج الحروف وصفاتها 90، والتمهيد 100، والنشر 1/ 202.ولطائف الإشارات للقسطلاني ص(204، 206،205).

هـ - الانفتاح: وهو من حيث ضغط وانفتاح مجري الصوت، فهي أصوات منفتحة بسبب تباعد اللسان عن غار الحنك الأعلى وهو ما يعرف عندهم بصفة الانفتاح[1].

و - السكون: توصف أصوات المد الثلاثة بأنها أصوات ساكنة، وهذه الصفة من القضايا المهمة التي تتعلق بأصوات المد عند سيبويه[2]؛ وهو اختصاص أصوات المد بسكون سماه السكون الميت، وسمى أصواته بـ **الأصوات الميتة**[3]. وقسم الألف والواو والياء إلى حية وميتة. وهو يريد بالحيةِ المتحركةَ، وبالميتة الساكنةَ، ومن ثَمَّ جعل الألفَ ميتةً لأنها لا يفارقها السكون، قال: «وإنما جسروا على حذف الألف لأنها ميتة لا يدخلها جر ولا رفع ولا نصب»[4]. وقال عن حروف المد: «وإنما كانت هذه الأحرف الثلاثة الزوائد: الياء والواو والألف وما بعدها بمنزلة زيادة واحدة **لسكونها** وضعفها، فجعلت وما بعدها بمنزلة حرف واحد، إذ كانت **ميتة** خفية»[5]. وقال: «وسألته[6] عن **واو** عجوز و**ألف** رسالة و**ياء** صحيفة، لأي شيء همزن في الجمع، ولم يكنّ بمنزلة معاون ومعايش إذا قلت: صحائف ورسائل وعجائز؟ ولم يكنَّ بمنزلة معاون ومعايش إذا قلت صحائف ورسائل وعجائز فقال لأني إذا جمعت معاون ونحوها فإنما أجمع ما أصله الحركة فهو بمنزلة ما حركت كجدولٍ وهذه الحروف لما لم يكن أصلها التحريك **وكانت ميتة** لا تدخلها الحركة على حالٍ، وقد وقعت بعد ألف، لم تكن أقوى حالا مما أصله متحرك **فهذه الأحرف الميتة** التي ليس أصلها الحركة أجدر أن تغيّر إذا همزت ما أصله الحركة»[7].

ويتضح من هذه النصوص أن سيبويه يستخدم مصطلح **الحروف الميتة** على الألف والياء والواو الساكنة. ويفهم من النص الأخير أن الخليل بن أحمد استخدم مصطلح **الحروف الميتة**، ولا يستَبعد أن يكون سيبويه أخذ الفكرة عن الخليل.

(1) لطائف الإشارات للقسطلاني ص(204، 205،206).

(2) سيبويه: الكتاب 2/ 220و 221و 4/ 442و 447. والمبرد، المقتضب:1/ 211-210. والأزهري: تهذيب اللغة 1/ 51، وابن جني سر صناعة الإعراب 1/ 31، ومكي: الرعاية ص 101.

(3) الكتاب 2/ 262.

(4) الكتاب 3/ 356، 423.

(5) الكتاب 2/ 262.

(6) يريد أستاذه الخليل بن أحمد. قال السيرافي في أخبار النحويين البصريين، ص 40: «وكل ما قاله سيبويه: وسألته، أو قال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل».

(7) الكتاب 4/ 356.

وعن سيبويه أخذ ابن الطحان هذه الفكرة حيث قال: «وأما الواو والياء فإنهما ما وقعتا بعد حركتهما فإن سكونهما ميّت»[1]. وهي الفكرة التي واصل فيها القسطلاني بقوله: «وأما السكون فنوعان: حي وميت. فالثاني الألف وأختاها، لأنهن لا حيّز ولا مقطع لهن محقق» [2].

والسكون هو خلو العضو من الحركات عند النطق بالحروف، أو سلب الحركة وعدمها من النطق[3]. ويفهم من كلام ابن الطحان السابق أنه يقصد بوصف حروف المد بأنها ساكنة أكثر من كون السكون سلب الحركة، فهو يريد بالسكون الميت اتساع مخارجها للصوت حتى يصير الفم لأصواتها كالأنبوب [4]. وهذا مخالف مخالف لما ذهب إليه المحدثون من أن أصوات المد حركات طويلة وليست ساكنة، لكن بعض الأصواتيين المحدثين يعتذر للمتقدمين بأن ذكر الحركات فوق الحرف السابق لحروف المد يمكن أن يجد مسوغا في أن هذه الحركات يمثلن أوائل حروف المد التالية لها ويؤذنّ بتمامها[5].

وكان بعض دارسي الأصوات العربية من المحدثين قد أخذوا على علماء العربية قولهم إن حروف المد ساكنة وأنها مسبوقة بحركات تجانسها، على أساس أن حروف المد هي من الناحية الصوتية حركات طويلة فلا يمكن أن توصف بأنها ساكنة ولا أن تكون مسبوقة بحركات من جنسها. وفسروا ذلك بقولهم: إن علماء العربية انخدعوا بطريقة الكتابة العربية التي تضع حركة قبل حروف المد وسكونا فوقها لاعتبارات كتابية لا صوتية محضة[6].

وإذا نظرنا إلى هذه القضية من وجهة نظر الكتابة وجدنا ما يسوغ رسم علامات الحركات قبل حروف المد مع وضع علامة السكون عليها في مثل (باع نبيع نقول) وذلك لأن رموز الألف والياء والواو تمثل في الكتابة ستة أصوات، فرمز الألف يمثل الهمزة في مثل (أخذ) وحرف المد في مثل (قال)، ورمز الواو يمثل حرف المد في مثل (نقول) والواو الجامدة في مثل (حوض)، ورمز الياء يمثل حرف المد في مثل (نبيع) والياء الجامدة في مثل (بيت)، فرسم تلك العلامات أعني الحركات قبل حروف المد والسكون فوقها بمثابة علامات تمييزية لتحديد دلالة تلك الرموز[7].

ولا يزال موضوع وجود حركات قبل حروف المد بحاجة إلى تحقق، وإن من التسرع القول بأن علماء العربية أخطأوا حين قالوا إن حروف المد مسبوقة بحركات تجانسها، فهناك ظواهر لغوية وصوتية تؤيد وجهة

---

(1) مرشد القارئ 136و 136.

(2) لطائف الإشارات 1/ 187.

(3) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل 9/ 67، والسيوطي: الأشباه والنظائر 1/ 176.

(4) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (325/1).

(5) هنري فليش: التفكير الصوتي عند العرب، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة 1968، ج 23، ص 79.

(6) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 39، وكمال محمد بشر: دراسات في علم اللغة 1/ 201 202. ورمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ص 354.

(7) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (325/1).

نظر علماء العربية، فالفعل (أدعو) مثلا ينتهي بحرف مد (ضمة طويلة)، وفي نظر الدارسين المحدثين أننا لا نحتاج إلى أي علامة كتابية توضع على العين أو الواو، بينما يجب في مذهب علماء العربية أن توضع ضمة على العين وسكون على الواو (أدعو)، وإذا جاء هذا الفعل في مثل هذا السياق (لن أدعوَ) فسوف نحتاج حينئذ إلى أن نضع ضمة فوق العين وفتحة فوق الواو، ولا نستطيع أن نستغني عن الضمة قبل الواو حينئذ والفتحة بعد الواو. وكذلك الحال في الفعل (نرمي لن نرميَ). فلزوم الحركة قبل رمز الواو والياء في الحالة الثانية للفعل يسوغ القول بوجود حركة قبل حرف المد تمثل الجزء الأول منه، بينما يمثل رمز الواو أو الياء الجزء الثاني من حرف المد باعتباره حركة طويلة مؤلفة من حركتين.

وإذا كان دارسوا الأصوات المحدثون قد أخذوا على علماء العربية قولهم إن أصوات المد هي أصوات ساكنة، وإنها مسبوقة بحركات تجانسها، على أساس أنها حركات طويلة لا توصف بالسكون، مفسرين ذلك بأن علماء العربية قد انخدعوا بطريقة الكتابة العربية التي تضع حركة قبل حروف المد وسكوناً فوقها لاعتبارات كتابية[1]. فإن قول سيبويه في الواو إنها « مَدَّة تبعت الضمة، ولم تجئ لتلحق بناءً ببناء »[2] ما ينفي هذه الدعوى ويبطلها، كما يوافق إلى حد بعيد مقالة أن «ذكر الحركات فوق الحرف السابق يمكن أن يجد مسوغاً، ولكن ينبغي حينئذٍ أن ندرك أنَّ هذه الحركات يمثلن أوائل حروف المد التالية لها، ويؤذنَّ بتمامها» [3].

ز - المد واللين: وهو إطالة زمن النطق بأصوات المد، وأول من وصف أصوات المد بذلك هو الخليل بن أحمد؛ فقد جعل الألف، والواو المسبوقة بضمة والياء المسبوقة بكسرة أصواتاً لينةً، وذكر أن الواوَ في كلمة **(نُون)** مَدّةٌ [4]. وعليه يمكننا أن نقول: إن الخليل رأى أن الياءَ المسبوقة بكسرة صوتُ مد، وكذا الألف[5]. وذكر سيبويه في موضع الصفات أن أصواتَ المد الطويلة أصواتٌ يُمدُّ بها الصوت[6]، وأن الواو والياء لينتان لأن مخرجهما« يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما ...»[7]، وأنّ الألف: « حرف لين اتسع اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو؛ لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك»[8]. وأن أصوات اللين:« هي حروف المد التي يمد بها الصوت وتلك الحروف: الألف

(1) ينظر: الأصوات اللغوية 39، دراسات في علم اللغة. كمال محمد بشر 201/1 ـ 202، فصول في فقه العربية 354.

(2) كتاب سيبويه (3/ 470).

(3) التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الأعراب. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج23، ص 79.

(4) ظ:العين:319/4 (خ و ي) و 51/6 (ج ر س) و 95/4 (هـ ف و).

(5) ظ:النكت الحسان:255،175.والارتشاف:156/3.

(6)كتاب سيبويه (3/ 426، المصدر نفسه:285/2.

(7) الكتاب 436/4.

(8) الكتاب436/4.

والواو والياء»[1]. وأشار إلى أن تلك الأصوات ممدودة ولينة في بعض المواضع من كتابه[2]. وصفة اللين عند سيبويه أوسع من صفة المد؛ لأن اللين يدخل فيه الواو والياء اللَّتَيْنِ تخليتا عن المد إما لتحركهما أو لأنهما مسبوقتان بحركة غير مجانسة لهما. وسبب ذلك اللين –كما ذكر- هو اتساع المخارج لهواء الصوت. فالألف أشدها اتساعاً لأنها: «ليس منها علاج على اللسان والشفة وإنما هي بمنزلة النفَس»[3]، ثم تليها الياء في الخفة واللينِ ثم الواو[4]. فاللين عند سيبويه هو اتساع المخرج لهواء الصوت أما المد فهو مد ذلك الصوت، والفرقُ جليٌّ بين الصفتين.

وصرح سيبويه بحقيقة صوت المد بأنه **«حرف ممطول»**[5]، بل رأى أن الواو في مثل **(عجوز)**: «إنما هي **مَدَّة** تبعت الضمة... »[6]، وهذه إشارة مهمة إلى أن رمز الواو ناصف رمز الضمة في الزمن النطقي لها. ونجد للمبرد إشارة صريحة إلى أصوات المد واللين بقوله: «واعلم أن الياء والواو بمنزلة ما تدانت مخارجه وذلك لأنهما مشتركان في المد واللين، وأنهما يخرجان جميعاً منهما إذا تحركتا، وكان قبل كل واحد منهما فتحة»[7]. وقد اكتفى في بعض المواضع بالتعبير عن أصوات المد واللين بقوله إنها لينة[8]، أو ممدودة فقط[9].

والألف هي الأصل في المد، والياء والواو مشبهتان بها وإنما أشبهتاها؛ لأنهما ساكنتان مثلها، وحركة ما قبلها منهما، ويتولدان من إشباع الكسرة والضمة، ويعرب بهما، ويبدلان من الألف، وتبدل الألف منهما[10]. **فالألف أمكن الأصوات الثلاثة في المد** فلا تخرج عنه، والواو والياء تخرجان عنه بأن تتحركا أو تسبقهما حركة من غير جنسها [11]. وكان أبو حيان - في بعض المواضع- يكتفي بمصطلح اللين مشيراً به إلى الألف والواو والياء، أيا كانت حركة ما قبلها[12]، واكتفى في مواضع غيرها بالإشارة إلى صفة المد فيها فقط [13].

---

(1) الكتاب426/3.

(2) المصدر نفسه:197/2 و 405-406.

(3) المصدر نفسه: 157/2.

(4) المصدر نفسه: 281/2.

(5) نفسه: 407/2.

(6) نفسه:131/2.

(7) المقتضب: 221/1.

(8) المصدر نفسه:122/1.

(9)المصدر نفسه:211/1.

(10) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 125 ـ 126.

(11) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 125 ـ126، وانظر: تذكرة النحاة:116، ظ: المنصف: 224/1. وللدكتور غالب المطلبي تفصيل عن هذا الكلام، ظ: في الأصوات اللغوية:88-91.

(12) ظ:الارتشاف:332/1.

(13) المصدر نفسه: 198/2 و 280، و291، و 303، و407.

ونجد عند مكي تصريحا جديدا من نوعه من حيث إنه فصل في موضع الصفات بين صفة المد واللين وبين صفة اللين فقط. أما المد واللين فهي الألف والواو والياء المسبوقتان بحركة مجانسة لهما. وسبب مدّها هو أن:« مد الصوت لا يكون في شيء من الكلام إلا فيهن...ولأنهن في أنفسهن مدات ...»[1]، أما وصفهن باللين فـ:« لأنهن يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان واللهوات، بخلاف سائر الحروف، وإنما ينسللن عن الحروف عند النطق بهن انسلالاً بغير تكليف» [2].

وذكر الخليل أيضا أنّ الواو والياء إذا لم تُسبَقا بحركة مجانسة لكل واحدة منهما تخلَّيتا عن المد وصارتا صوتي لين فقط[3]. أما عن لِين الياء أو الواو الساكنتين المسبوقتين بالفتح فإن ذلك كان لأن الفتحة وإن كانت مخالفة لجنس الياء والواو فإن فيها سرًّا له، ومن أجله جاز أن تمتد الياء والواو، كما في **ثَوْب** و **شَيْخ** نحوًا من **شاخ** و **ثاب**[4].

وذكر مكي في صفة الأصوات اللينة فقط أن تلك الأصوات هي: « الواو الساكنة التي قبلها فتحة والياء الساكنة التي قبلها فتحة، وإنما سميتا بذلك لأنهما تخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان، لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما فنقصتا المد الذي في الالف وبقي فيهما اللين لسكونهما فسميتا بحرفي اللين»[5].

وتعرّض أبو حيان لصفة اللين قائلاً: «**ولين**: هو الألف، ولا يكون ما قبلها إلاّ مفتوحاً. والواو المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها. وتسمى حروف المد واللين والألف أمكن من الواو والياء، هذا مذهب الجمهور، وذهب صاحب الاقتداء وهو أبو بكر الصقلي إلى أنّ أمكنهن في المد الواو، ثم الياء ثم الألف[6]».

ح - **التباين:** والتباين عكسُ الإدغام[7]، وهو وصف نعت بها سيبويه أصوات المد، قال أبو سعيد السيرافي: « اعلم أنَّ حروف المدِّ واللين لها فضيلةٌ على سائر الحروف بما فيها من المد واللين... فهن يباين الحروف اللاتي من مخارجهن، والمقاربة لهنَّ في المخرج، فمن أجلِ ذلك لا يدغمن فيما كان من مخرجهن، فلذلك لم تقوَ الجيم على الياء بأن تدغم في الجيم، وإن كانت الياء من مخرج الجيم، وكذلك لا تدغم الواو في الباء، وهما

(1)الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 125 ـ 126.

(2)الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 125 ـ 126.

(3) ظ:النكت الحسان:255،175.والارتشاف:156/3.

(4) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 125 ـ126، وانظر: تذكرة النحاة:116.

(5) الرعاية:101.

(6) النكت الحسان:279.

(7) البكوش، د. الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ط2، مؤ.عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1987، ص ص 72.

من مخرجٍ واحد؛ لأنه بإدغام الياء في الجيم، والواو في الباء يصيران جيماً وباءً، فيذهب المد واللين فيهما»[1]. وجاء المبرد ليكرر عبارات سيبويه ووصفه أصواتَ المد بالتباين[2].

ط- الخفاء: توصف أصوات المد الطويلة **بالخفاء**، لخفاء مخرجها فلا مخرج لها تنسب إليه، ولأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها[3]، فهي عندهم أحرف الخفاء أو الخفية. قال سيبويه: « فإذا وقفت قلت يا غلا**ماه**، وإنما ألحقت الهاء **ليكون أوضح للألف لأنها خَفِيَّة**»[4]، وقال: «ونحو ما ذكرنا قول بني تميم في الوقف هذه فإذا وصلوا قالوا هذي فلانة لأن الياء خفية فإذا سكت عندها كان أخفى والكسرة مع الياء أخفى فإذا خفيت الكسرة ازدادت الياء خفاءً كما ازدادت الكسرة فأبدلوا مكانها حرفاً من موضع أكثر الحروف بها مشابهة وتكون الكسرة معه أبين»[5]. وكذلك وصفها مكي[6]، وعبد الوهاب القرطبي[7]، والقسطلاني[8]، وابن الجزري[9] وغيرهم. ويصفها الرازي بأنها (ليس لها جروس)، أي: في اللفظ، ومصطلح الجروس هنا هو المقابل لمصطلح (الخفاء) عند علماء اللغة والتجويد.

والصوائت الثلاثة **أخفى الحروف**: «لاتساع مخرجها، **وأخفاهن** وأوسعهن مخرجا الألف، ثم الياء ثم الواو» [10]. فالياء والواو المصوتتين هما مرتبةٌ وسطى بين الألف والأصوات الصامتة وهذا التدرج ناشئ من طبيعة مخرج الصوت عند نطقِ كلٍّ منها. وقد علق أبو سعيد السيرافي على وصف سيبويه السابق لهذه الأصوات الثلاثة بقوله: « هذه الثلاثة الحروف، وهي الياء والواو والألف، لاتساع مخرجها، وأن الحركات منها، ولا يمدُّ في الغناء وسائر الألحان حرفٌ سواهن كل واحدة منهن لها صوتٌ في غير موضع مخرجها من الفَم، فصارت مشبهة للرخوة بالصوت الذي يجري عند الوقف عليها، وهي تشبه الشديدة للزومها مواضعها،

(1) شرح كتاب سيبويه 499/6.

(2) المقتضب 210/1 ـ211.

(3) ينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 127، التمهيد في علم التجويد 103.

(4) كتاب سيبويه (2/ 210).

(5) كتاب سيبويه (4/ 182).

(6) الرعاية، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان – الأردن، ط 03، 1417هـ - 1996م، ص127. ص127. وانظر مشكل إعراب القرآن لمكي أيضا (2/ 699).

(7) القرطبي عبد الوهاب، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان – الأردن، ط01، 1421هـ،2000م، ص 97. 97.

(8)القسطلاني شهاب الدين، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة – مصر، 1972م 1393هـ، ج01، ص 200.

(9) ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، (ص: 97).

(10)كتاب سيبويه (4/ 436)،وينظر حسين خلف صالح، جهود علماء العربية في دراسة أصوات المد في ضوء الدرس الصوتي الحديث، ص41.

وليس الصوت فيها مثله في الحروف الرخوة؛ لأن الرخوة إنما صوتها الجاري عند الوقف من موضعها»[1].
فالفرق إذن هو أنَّ أصوات المد تنشأ في غير الموضع الذي تنشأ منه الأصوات الصامتة الرخوة حيث إن الأخيرة تنشأ من موضع التقاء عضوَي النطق، ولعله قصد بذلك الموضع الذي ينتهي عنده نطق أصوات المد، وهو الوتران الصوتيان، فأعوزه نقص المعرفة التشريحية، كما حصل عند الخليل.

ي - الوضوح السمعي: إنَّ أهم ما تتميز به أصوات المد من الناحية السمعية هو أنَّها أصوات ذات قدرة عالية في الإسماع، فهي أوضح في السمع وأقوى إذا قيست بالأصوات الصامتة، ويعود ذلك إلى طبيعة نطق الصوائت أنفسها، فأهم ما تتميز به هذه الأصوات من الناحية النطقية أمران: أحدهما كونها أصواتاً مجهورة، والآخر أنَّ الهواء معها يمرّ طليقاً في تجويف الفم، ولا شك أنّ الصوت المجهور عندما يخرج حراً طليقاً من دون عَوْق، يحمل طاقة أعلى بكثير ممّا يحمله الصوت المعوق الذي يفقد كثيراً من طاقته بسبب العوق الذي يتعرض إليه في عملية النطق. فقوة الطاقة في الصوائت هي التي ساعدتها على أن تكون أصواتاً ذات وضوح سمعي عال[2]، ومن ثمَّ قيل إن السامع يمكن أن يميّز الصوائت من مسافة أبعد من تلك المسافة التي يستطيع يستطيع تمييز الصوامت معها، وإنَّ الخطأ في الصوائت أوضح منه في نطق الصوامت، لأنّه في الأول سيكون نابياً غير مستساغ[3]. ويقصد بالوضوح السمعي السّمةُ الطبيعية في الصوت لا المكتسبة من إشباع أو نبرة. نبرة. وفي وصف المتقدمين[4] لأصوات المد بالمصوتة إشارة دقيقة من المبرد تعبيراً عن الأثر السمعي لتلك الأصوات[5].

ك - الخفة والثقل: وهي من المسائل المهمة في باب الصفات، فالألف وأختها الفتحة ـ عندهم ـ أخف الحركات، يليها في ذلك الياء وأختها الكسرة ثم الواو وأختها الضمة، وهذه الخفة في الألف وأختها ناشئة عن طبيعة أعضاء النطق عند إصدار أصوات المد. ذلك أنَّ التعديلات التي يقوم بها جهاز النطق في طريق الهواء- حين النطق بالصوائت- لا تؤدي إلى إعاقة تامة للهواء تمنع مروره ليحدث انفجارٌ، أو إلى تضييق في مجراه ليحدث احتكاك مسموع كما هو الحال مع الصوامت، بل يكون الهواء معها حرّاً طليقاً، وهذا يعني أنَّ الجهد المبذول حين النطق بهذه الأصوات أقلُّ منه حين النطق بالصوامت. وبهذا، يمكننا أن نفسّر ما يشير

(1) شرح كتاب سيبويه 461/6.
(2)ينظر في الأصوات اللغوية: 24 - 25.
(3)علم اللغة العام، الأصوات: 138
(4) ظ:الخصائص 126/3-127، الكتاب(437/4- 438)/ شرح كتاب سيبويه (467/6 ـ 468) / الموضح في التجويد 129 / النكت في تفسير سيبويه 1249/2/ تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، ونبذ مذهبية نافعة، محمد بن علي ابن الدَّهَّان/ مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (35/1)/ المبرد المقتضب ج 1، ص61.
(5)المصدر نفسه:61/1 و 119 و 210. والدراسات الصوتية عند علماء التجويد:157 و 251.ظ: أصوات المد عند علماء العربية 34.

إليه القدماء من أنّ حروف المد والحركات التي هي أبعاضها أخفُّ الأصوات في النطق، فقد قالوا في حروف المدّ: «إنَّ أخفَّ الحروف حروف المدّ واللين، وهي الواو والألف والياء »[1]. وقال سيبويه: «وإنما خفت الألف هذه الخفة؛ لأنه ليس منها علاج على اللسان والشفة، ولا تحرك أبداً، فإنما هي بمنزلة النفس، فمن ثم لم تثقل ثقل الواو عليهم ولا الياء، لما ذكرت لك من خفة مؤونتها »[2]. وقال الفارابي: «... الفتحة أخف الحركات؛ لأنها تخرج من خرق الفم بلا كلفة، ثم تتبعه المضموم ثم المكسور ... »[3]، وتقديمه المضموم على المكسور ـ هنا ـ ليس لأنه خالف العلماء، فرأى أن الضمة أخف من الكسرة، وإنما لكثرة ما ورد عن العرب في باب المضموم الفاء والعين، وقلة ما ورد بالكسر، وهو ما أشار إليه ابن جني. حين قال: «فإن قلتَ: فما بالهم كثر عنهم باب فعل، نحو: عُنق، وطُنب، وقل عنهم باب فِعِل، نحو: إبل، وإطِل، مع أن الضمة أثقل من الكسرة ؟ فالجواب عنه من موضعين:

أحدهما: أن سيبويه قال: «واعلم أنه قد يقل الشيء في كلامهم، وغيره أثقل منه، كل ذلك لئلا يكثر في كلامهم ما يستثقلون»[4] فهذا قول.

والآخر: أنَّ الضمة وإن كانت أثقل من الكسرة، فإنها أقوى منها، وقد يحتمل للقوة ما لا يحتمل للضعف، ألا ترى إلى احتمال الهمزة مع ثقلها للحركات، وعجز الألف عن احتمالهن، وإن كانت خفيفةً لضعفها، وقوة الهمزة، وإنما ضعفت الكسرة عن الضمة لقرب الياء من الألف[5].

وهذا الأمر لا خلاف فيه بين علماء العربية[6]، إلا ما ذكره ابن الجزري حين قال: «وأمكنهن عند الجمهور الألف، وأبعد ابن الفحام، فقال: أمكنهن في المد الواو ثم الياء ثم الألف»[7].

ثم إنّ هذه الأصوات تتفاوت فيما بينها في الخفة والثقل، فالفتحة أخفُّ من الكسرة، والكسرة أخفُّ من الضمة، أي إنَّ الفتحة أخفّ الحركات، والضمة أثقلها، والكسرة في مرتبة بين الفتحة والضمة، ولهذا قالوا: «إذا عُدل إلى الحركة قُدِّم الأخفّ فالأخفّ، وذلك الفتح ثم الكسر ثم الضم»[8]. وكذلك الأمر مع حروف

(1) شرح المفصل يعيش بن علي بن يعيش (643هـ)،عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي – القاهرة (د.ت)، 137/4.

(2) الكتاب 335/4 ـ 336.

(3) ديوان الأدب،أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (350هـ) تحقيق الدكتور احمد مختار عمر، مراجعة الدكتور إبراهيم أنيس، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القاهرة 1394هـ-1974م، 87/1.

(4) نص عبارة سيبويه هو: ((واعلم أنَّ الشيء قد يقل في كلامهم، وقد يتكلمون بمثلهِ من المعتل كراهية أن يكثر في كلامهم ما يستثقلون ... وقد يقل ما هو أخف مما يستعملون كراهية ذلك أيضاً ...)) الكتاب 430/4.

(5) الخصائص 69/1 ـ 70.

(6) النشر في القراءات العشر 204/1.

(7) النشر في القراءات العشر 204/1، وابن الفحام: هو عبد الرحمن بن عتيق بن خلف الصقلي القرشي، قارئ، كان شيخ الإسكندرية في عصره، توفي سنة 516 هـ. ينظر: الأعلام 316/3.

(8) همع الهوامع: 62/1.

المدّ التي هي إشباع للحركات، فالألف أخفّ من الياء، والياء أخفّ من الواو ...»[1]. وإذا كانت حرية النطق واتسّاع المخرج في هذه الأصوات قياساً بالأصوات الصامتة، سبباً في كونها أخفّ الأصوات، فإنَّ الاختلاف في حجم تجويف الفم ووضع اللسان والشفتين هو السبب في تفاوتها في الخفة والثقل [2].

فكانت الفتحة أخفَّها؛ لأنَّ تجويف الفم يكون معها أكثر اتساعاً، إذ يكون اللسان منخفضاً في قاع الفم، وتنفرج الشفتان، ولعلّنا نذكر قول ابن جنيّ في الألف التي هي إشباع للفتحة: «فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر»[3]. أمّا الكسرة والضمة فإنَّ اللسان يرتفع من مقدَّمه مع مع الأولى، ومن مؤخَّره مع الثانية، إلاّ أنَّ الضمّة تنضمّ معها الشفتان، وهذا يعني أنّ ثمة جهداً مضافاً إلى حركة اللسان في نطقها، ولذا قيل إنَّها أثقل من الكسرة [4].

ل - الضعف: وصف ابن جني أصوات المد بالضعف، فرأى أن:« واو الواحد منها ضعيفة ساكنة في ثوب»[5]. ويرى المبرد أن الألف والواو والياء أصوات على غاية من الضعف، ولذا سُمّوا بحروف العلة؛ وذلك أنها في أقوى أحوالها ضعيفة، ألا ترى أن هذين الحرفين - يعني: الواو والياء- إذا قويا بالحركة فإنك حينئذٍ مع ذلك مؤنس فيهما ضعفًا، وذلك أن تحملها للحركة أشق منه في غيرهما، كما يظهر ضعفها في حالة الوقف عليها كما في إطالة الصوت بهن في الوقف عند الندبة، فيتبعن بالهاء، وذلك قولك: وازَيداه، واجعفراه[6].

وتبين من قول ابن جني السابق أن الضمة هي أقوى الحركات تليها في ذلك الكسرة ثم الفتحة، وهو ما أكده بقوله: «... أفلا ترى إلى مساواتهم بين الفتحة والألف، حتى كأنها هي هي، وهذا يدل على أنَّ أضعف الأحرف الثلاثة الألف دون أختيها، لأنها قد خصت هنا بمساواة الحركة دونها» [7]، وهذا الذي عليه جمهور العلماء قبل ابن جني وبعده[8].

(1) ينظر أسرار العربية: 60 - 61.
(2) ينظر التصريف العربي: 47.
(3) سر صناعة الإعراب: 8/1.
(4) ينظر التصريف العربي: 47.
(5) سر صناعة الإعراب (2/ 364) .
(6) المقتضب (4/ 268.
(7) الخصائص 320/2.
(8) ينظر: الكتاب 64، الإدغام الكبير 75، البيان في غريب إعراب القرآن 359/1، 131/2.

وذكر أبو حيان أنّ الواو والياء أيا كانت حركة ما قبلها والألف هي أصوات معلولة[1]، قصد بالمعلولة المتغيرة في داخل البناء. وهذا يعني أن ظاهرة الاعتلال أصلًا مرتبطةٌ بفكرة درجة ضعف هذه الأصوات في أثناء التأليف الصوتي.

وباقي الصفات التي عثرت عليها إنما هي ألقاب مخرجية:. وأخرى تعد ألقابا صرفية.

لقد كانت دراسة صفات الأصوات عند المتقدمين دقيقة ومعمقة تحوي تفصيلات متشعبة، تتفاوت بين عالِم وآخر؛ إلا أنها تسير في اتجاه واحد، وهي في الوقت نفسه تنطبق على الصفات التي ذكرها العلماء من قبل كالخليل وسيبويه.

وما لاحظه الباحث على علماء التجويد أنهم قد أعطوا صفات عديدة لأصوات المد؛ إلا أنهم خلطوا بين صفات هذه الأصوات في حيز الإفراد، وصفاتها في التركيب. فبعض هذه الصفات تعد ألقابا مخرجية، **كالحلقية واللهوية والشجرية والجوفية، والهوائية، والهاوي، والمتصل، والصُّمُّ (الصُّمْ)، الذائبة** وغيرها من الألقاب، ومن تلك الألقاب ما يعبر عن معنى صرفي مثل **(الأصوات الزوائد، وحروف الزيادة، وأحرف العلة، وأحرف الإبدال، والمذبذبة)**. غير أن علماء التجويد كان رأيهم قد استقر على ست عشرة صفة للأصوات، وهي الصفات التي ذكرها سيبويه من قبل.

(1) ارتشاف الضرب:156/3.

المبحث الثالث: حرفا اللين(أشباه الصوائت)

1 - مفهوم اللين:

أ – لغة:

اللِّينُ ضِدُّ الْخُشُونَةِ وَقَدْ (لَانَ) الشَّيْءُ (يَلِينُ لِينًا) وَشَيْءٌ (لَيِّنٌ) وَ (لَيْنٌ) مُخَفَّفٌ مِنْهُ. وَ (لَيَّنَ) الشَّيْءَ (تَلْيِينًا) وَ (أَلْيَنَهُ) صَيَّرَهُ لَيِّنًا، وَيُقَالُ: (أَلَانَهُ) أَيْضًا عَلَى النُّقْصَانِ وَالتَّمَامِ مِثْلُ أَطَالَهُ وَأَطْوَلَهُ. وَ (لَايَنَهُ مُلَايَنَةً) وَ(لِيَانًا). وَ (اسْتَلَانَهُ) عَدَّهُ لَيِّنًا. وَ (تَلَيَّنَ) لَهُ تَمَلَّقَ[1].

ب – اصطلاحا:

لم يصرح أغلب اللغويين العرب القدماء بالتقسيم الثنائي (صامت /صائت)، الذي ينبني عليه إشكال هذا الصنف الثالث المسمى **شبه صائت** أو **شبه صامت**، ولكن النظام الفونولوجي للعربية يشتمل على فونيمين شبهي صائتين هما الواو والياء في مثل **«بيْت» و «يوْم».** والمستقرئ لمعظم المصادر القديمة يستنتج أن المتقدمين لم يتناولوا أشباه الصوائت كمصطلح مستقل يصاغ له تعريف نظري كما هو اليوم، ولكن بعض معالجاتهم للياء والواو تدل على إدراكهم لخصوصيتها التي هي أساس تجريد هذا المفهوم المعاصر المعنون بـ **شبه الصائت(semi-voyelle)** عادة.

فالخليل فطن إلى أن للواو والياء حالتين مختلفتين: **أحدهما:** حالة المد الكامل وقد عبّر عنها الخليل بمصطلحي الواو الساكنة بعد الضمة، والياء الساكنة بعد الكسرة[2]. **والثانية:** حالة الواو والياء إذا سُبقتا بفتحة أو إذا تحركتا[3]، وهي الحالة التي أُطلق عليها المحدثون مصطلحَيْ **نصف المد** و**نصف الحركة**. وقد لاحظ الخليلُ اختلافَ سلوكِهما في أثناء التصريف في الحالتين، فهما في الحالة الأولى أعلى درجة في الضعف والاعتلال منهما في الحالة الثانية، وأورد مثلًا في ذلك أنهما عرضة للسقوط إذا كانتا في حالة المد الكامل، ولقيهما حرف ساكن بعدهما. « كقولك عبد الله ذو العمامة، كأنك قلت ذُل. وتقول رأيت ذا العمامة، كأنك قلت ذَل. وتقول مررت بذي العمامة، كأنك قلت ذِل. ونحو ذلك كذلك في الكلام أجمع». أما في الحالة الثانية من نحو: الياء والواو بعد الفتحة، إذا سكنتا ولقيهما ساكن بعدهما فإنهما يتحركان ولا يسقطان أبدًا كقولك للمرأة: اخشَيِ الله، وللقوم: اخشَوُا الله[4].

والرأي نفسه اتجه إليه سيبويه؛ حيث ميَّز بين الواو والياء المسبوقتان بجنس حركتهما « وذلك قولك للمرأة وأنت تريد الخفيفة اضربي وللجميع اضربوا وارموا وللمرأة ارمي واغزي»[5]، وبين الواو والياء

(1) مختار الصحاح (ص: 288) /لسان العرب (13/ 394) /العين (ج8، ص333).

(2) تهذيب اللغة (43/1).

(3) تهذيب اللغة (43/1).

(4) تهذيب اللغة (43/1).

(5) الكتاب - سيبويه - المحقق: عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي، القاهرة - الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م/(4- 193).

المسبوقتان بفتحة «وذلك قولك للمرأة وأنت تريد الخفيفة اخشَيْ وللجميع وأنت تريد النون الخفيفة اخشَوْا»[1]، وبين الياء والواو إذا تحركتا كقولك «أن أُعْطِيَه»[2] فالياء عنده «لما تحركت خرجت من أن تكون حرف لين، وصارت مثل غير المعتل، نحو باء «ضربه»، وبَعُد شبهها من الألف... »[3].

وبهذه الفكرة أسس سيبويه لمن بعده الذين نذكر منهم **أبا الفتح ابن جني**، إذ يفسر جواز أن تأتي بالياء بعد الضمة، وبالواو بعد الكسرة في نحو:«غُيَر» و«عِوَض» في اللغة، وعدم جواز الإتيان بها في نحو: «مُيْسِر» و« عِوْد» فيقول: «إنما جاز ذلك من قِبَل أن الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة فلحقتا بالحروف الصحاح، فجازت مخالفة ما قبلها من الحركات إياهما»[4].

ويزداد تميز الواو والياء شبه الصائتين وضوحا عند مكي بن أبي طالب القيسي وغيره من المتأخرين؛ يقول القيسي: « **حرفا اللين** وهما: الواو الساكنة التي قبلها فتحة، والياء الساكنة التي قبلها فتحة، وإنما سميتا بذلك لأنهما يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان، لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلها عن جنسها فنقصتا المدّ الذي في الألف، وبقي فيهما اللين لسكونهما، فسميتا بحرفي اللين» [5].

ويعرف ابن الجزري اللين بأنه: « عبارة عما يجري من الصوت في حرف المد ممزوجا بالمد طبيعة وارتباطا لا ينفصل أحدهما في ذلك عن الآخر وهو أجرى في الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما»[6]. وعرف جُلُّ جُلُّ المتأخرين من علماء التجويد اللِّينَ بأنه: « إخراج الحرف من مخرجه في لين وعدم كلفة على اللسان»[7].

(1) الكتاب - سيبويه - المحقق: عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي، القاهرة - الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م/(3/ 522).

(2) الكتاب - سيبويه - المحقق: عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي، القاهرة - الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م/(4- 193).

(3)سيبويه 4،75: 193؛ وينظر أيضا: 3: 469، حيث وصف واو " جدْول" بأنها حية.

(4) ابن جني 1،85: 19-20.

(5) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب القيسي، ص126.

(6) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، التمهيد في علم التجويد (ص: 67).

(7) سالم، صفوت محمود، فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية، فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، جدة، السعودية، **ط02، 2003**، ص14.

2 - أقسام أصوات اللين:

ذهب جُلُّ المتقدمين من علماء العربية والتجويد إلى أن مصطلح حرفي اللين يشمل صوتين اثنين؛ هما:
1 – الواو الساكنة المفتوح ما قبلها، وذلك نحو: قَوْل و رَوْح.
2 – الياء الساكنة المفتوح ما قبلها، وذلك نحو: شَيْخ وشَيْب.

يقول ابن الجزري: «وحرفا اللين الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما»[1]، و«سميا بذلك، لما فيهما من اللين القابل لمدهما»[2]. وبه قال غير واحد من علماء التجويد والقراءات؛ كأبي شامة المقدسي [3]، وشهاب الدين الدمياطي[4]، والقاضي عبد الفتاح[5]، والضباع[6]، والمرصفي[7]، والواسطي[8]، وغيرهم كثير.

وكان السمرقندي (ت 780هـ) قد انفرد بمذهب خاص به في تعيين (حروف اللين)، فقد قال: «وحروف اللين خمسة أحرف: الألف والواو والياء والهاء والنون الساكنة، سميت بذلك لأنها لانت في المخرج»[9]. ويبدو أن السمرقندي هنا يستخدم كلمة (اللين) بمعناها اللغوي، لا المعنى الاصطلاحي الذي استقر لها عند علماء العربية وعلماء التجويد. وإطلاق كلمة (اللين) على النون والهاء أمر مقبول من ناحية

(1) النشر في القراءات العشر (1/ 204)، ظ: سالم، صفوت محمود، فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية، فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، جدة، السعودية، ط02، 2003، ص14.ظ: غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ج1/ص302.

(2) شرح طيبة النشر لابن الجزري (ص: 33).

(3) أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تح: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (1/ 125).

(4) الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م، ط01، تح: أنس مهرة، (1،53).

(5) القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبي و الدرة، دار الكتاب الكتاب العربي، بيروت – لبنان، (ج1،ص30).

(6) الضباع، علي بن محمد حسن المصري، القول الأصدق في بيان ما خالف فيه الأصبهاني الأزرق، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1999 م، (ج01،ص09).

(7) المرصفي،عبد الفتاح السيد عجمي، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط2، (د.ت)، ج 1، ص267..

(8) الواسطيّ، أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي ابن المبارك التاجر المقرئ تاج الدين، الكنز في القراءات القراءات العشر، تح: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط01، 2004 م، (1،170).

(9) كشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار 168/1. نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 360.

دلالة الكلمة اللغوية لأن هذين الصوتين قريبا الشبه بالصوائت الطويلة من حيث قلة الاحتكاك في مخرجيهما وحرية مرور الهواء في أثناء النطق بهما، سوى أن الهاء مهموسة والنون أنفية[1].

3 - المصطلحات الخاصة بأصوات اللين:

اصطلح المتقدمون من علماء العربية والقراءات والتجويد على الواو والياء المسبوقتان بفتحة بما يلي:

أ - حرفا اللين: قال مكي: «**حرفا اللين:** وهما الواو الساكنة التي قبلها فتحة، والياء الساكنة التي قبلها فتحة» [2]. ويقول المرعشي: «وترك المد بالكلية في (قالوا) مثلا إما بحذف الواو والاقتصار على اللام المضمومة، أو بإبقاء الواو ساكنا وترك مده بالكلية، فيكون **حرف لين** لا حرف مد، وحاصل ذلك إعدام حرف، إذ ما لم يمتد الواو لا يصير حرف مد»[3]. ويوضح الملا علي القاري المسألة بقوله: «والتحقيق أنَّ هذه الحروف تسمى حروف العلة بالمعنى الأعم، سواء تكون متحركة أو ساكنة، حركة ما قبلها من جنسها أولا، ثم حروف المد، **ثم اللين بالوجه الأخص وهو مختص بالواو والياء دون الألف**» [4].

ونقل الدركزلي نصا يلخص ذلك التداخل في استخدام المصطلحات المذكورة، ويظهر منه أن الاتجاه الغالب لدى المتأخرين هو تخصيص مصطلح (المد) بالحروف الثلاثة إذا كانت ساكنة وحركة ما قبله من جنسها. وتخصيص مصطلح (اللين) بالواو والياء في أحوالهما الأخرى، وذلك حيث يقول: « لكن الاصطلاح أن حرف المد ما قبله حركة مجانسة كما تقدم، وحرف اللين هو ما قبله حركة غير مجانسة، فعلى الاصطلاح بينهما مباينة، وكل من وقع في عبارته حروف مد ولين إنما هو نظر للمعنى الآخر، والله أعلم»[5].

ب - **اللينة:** عند سيبويه وهو اصطلاحه على الواو والياء حيث يقول: « ومنها **اللينة** وهي الواو والياء لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك وأيٌ والواو وإن شئت أجريت الصوت ومددت» [6]، وكذلك ابن جني[7].

---

(1) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 360.

(2) الرعاية ص 101، ظ: المنح الفكرية ص 9.

(3) بيان جهد المقل ص5.

(4) المنح الفكرية 10.

(5) خلاصة العجالة ص160، نقلا عن كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص304.

(6) كتاب سيبويه (4/ 435).

(7) الخصائص 3/126-127.

ج - **حرفا العلة:** يقول علي القاري: «والتحقيق أن هذه الحروف تسمى **حروف العلة** بالمعنى الأعم، سواء تكون متحركة أو ساكنة، حركة ما قبلها من جنسها أوْ لا...». وهي تسمية مكي في الرعاية، وعلل ذلك بأن التغيير والاعتلال والانقلاب لا يكون في جميع كلام العرب إلا في أحدها إضافة للهمزة [1]. وكان أبو حيان – في بعض المواضع- يكتفي بهذا المصطلح مشيراً به إلى الألف والواو والياء[2].

د - **الخفية:** أو أحرف الخفاء سماها كذلك ابن الجزري، وعلل ذلك بأن « حروف المد واللين سميت بالخفية لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها»[3].وهي تسمية مكي أيضا[4]، وعبد الوهاب القرطبي[5]، والقسطلاني[6].

هـ - **الذوائب:** وهو اصطلاح أحمد بن أبي عمر الأندرابي، وعلَّل التسمية بأنها: « تذوبُ وتلينُ وتمتدّ **وما عداها لا يلينُ** ولا يذوبُ ولا يمتدّ»[7]، وهي اصطلاح أبي الفضل الرازي[8]، والزمخشري[9]، وأبي العلاء العطار[10].

و- **المعلولة:** وهي اصطلاح أبي حيان، وقصد بالمعلولة المتغيرة في داخل البناء[11].

(1) الرعاية، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان – الأردن، ط 03، 1417هـ - 1996م، ص128.
(2) المصدر نفسه:398/1.
(3) ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، (ص: 97).
(4) الرعاية، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان – الأردن، ط 03، 1417هـ - 1996م، ص127. ص127. وانظر مشكل إعراب القرآن لمكي أيضا (2/ 699).
(5) القرطبي عبد الوهاب، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان – الأردن، ط01، 1421هـ،2000م، ص 97. 97.
(6) القسطلاني شهاب الدين، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة – مصر، 1972م 1393هـ، ج01، ص 200.
(7) الإيضاح في القراءات للأندرابي، ص 318 – 319؛ نقلا عن بحث الجهودُ الصوتيَّةُ للأندرابيّ في كتابه الإيضاح في القراءات (دراسة موازِنة)، رسالة ماجستير، أحمد خضير محمد خالد الجبوري إلى جامعة تكريت، إشراف د. جمعة البياتي، 1425 هـ - 2004م.
(8) حسين خلف صالح، جهود علماء العربية في دراسة أصوات المد في ضوء الدرس الصوتي الحديث، ص 52. وانظر: الإيضاح في القراءات لأحمد بن أبي عمر الأندرابي، أطروحة دكتوراه، دراسة وتحقيق منى عدنان، ص298.
(9) ينظر: المفصل في علم العربية 395.
(10) ينظر: التمهيد في معرفة التجويد 279، 285.
(11) ظ: تذكرة النحاة:62. والارتشاف:156/3.

4 - مخارج أصوات اللين:

تختلف نظرة المتقدمين من علماء العربية والتجويد في مخرج الواو والياء إذا كانا حرف لين بحكم التداني المخرجي والتقارب الصفاتي بين الواو والياء شبه الصائتين في نحو(بَيْت وخَوْف)، وأصوات المدّ الثلاثة الصائتة: الألف والواو والياء. وللقُدماء من علماء العربية فيها مذهبان:

المذهب الأول: لم يُفرِّق بين الواو والياء حال كونهما صائتين أو شبه صائتين، ويتفرع هذا المذهب إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: يُعزى إلى الخليل بن أحمد؛ الذي استقر على أن الصوائت الطوال جوفية تتفق مبادئها وتختلف مجاريها. وأن الواو المسبوقة بغير الحركة المجانسة لها تخرج من الشفة. وأن الياء المسبوقة بغير الحركة المجانسة لها تخرج من الشجر[1].

الاتجاه الثاني: يُنسَب إلى سيبويهِ، حيث جعل لكل صوت من هذه الأصوات الثلاثة مخرجا محددا؛ فأصحابه لم يميزوا بين مخارج الصوائت الطوال وبين مخارج أشباه الصوائت؛ فجعلوا الألف في أقصى الحلق مع الهمزة والهاء على أساس مخرجها المقدر، والياء المدية (الصامت الطويل) في وسط اللسان مع الجيم والشين، والواو (الصائت الطويل) من الشفتين مع الباء والميم[2].

المذهب الثاني: يمثله عدد من علماء التجويد المتأخرين وابنُ سينا، ويرى هؤلاء أن هذه المجموعة تتألف من ثلاثةِ صوائت وهي حروف المدّ الثلاثة وشبهِ صائتين هما: الواو والياء اللّيّنتان غير المديَّتيْن. يقول محمد بن محمود السمرقندي: «وقيل: إنَ الألف والواو والياء، إذا سكنت وتحرك ما قبلها بجنسها، جوفية، أو هوائية، أو هاوية، لأنها لا تقع في الأحياز التي ذكرناها، فتنسب إليها، لكنها تخرج من الجوف، فتذهب في هواء الفم، والأصح: أنّ الألف من هواء الحلق. والياء الساكنة المكسور ما قبلها من هواء وسط الفم. والواو الساكنة المضموم ما قبلها من هواء الشفة. والياء المتحركة والساكنة المفتوح ما قبلها شجرية. والواو المتحركة والساكنة المفتوح ما قبلها شفوية»[3].

وهذا علي القاري يقول: « وحيث لزمت الألف هذه الطريقة المعتادة من كونها ساكنة وحركة ما قبلها من جنسها وهي الفتحة لم يختلف حالها من أنها دائما تكون هوائية، بخلاف أختيها فإنهما إذا فارقاها في صفة

(1) تهذيب اللغة (1/ 43.

(2) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب. ج 4، ص 432.

(3) السمرقندي، محمد بن محمود، روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، رسالة ماجستير، دراسة وتح: إبراهيم عواد السامرائي، إشراف رشيد عبد الرحمن العبيدي وغانم قدوري الحمد، جامعة صدام للعلوم الإسلامية، العراق، 1999، ص 65.

المشابهة صار لهما حيز محقق، ومن ثمة كان لهما مخرجان: مخرج حال كونهما مديتين ومخرج حال كونهما متحركتين»[1].

وينص عبد الوهاب القرطبي على أن الواو والياء: « تارة يتحيز مخرجهما إذا تغيرتا عن هذا الموضع، بأن تسكنا وينفتح ما قبلهما، ومتى وجد ذلك زال عنهما معظم المد، وبقي اللين وانبسط اللسان بهما»[2].

وقول القرطبي « وتارة يتحيّز مخرجهما» يعبر عن موقف معين من مخارج أحرف المد، وهو أنها تخرج من هواء الحلق والفم وليس لها مخرج معين، بينما الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما يتحيز مخرجهما أي يتحدد في نقطة معينة من أعضاء آلة النطق. وقد وضح القرطبي ذلك بقوله: «إن الواو والياء حرفا مد، والصوت يمتد بهما، وبالتشديد تخرجان عن المد واللين ويتحيز مخرجهما فيكون الواو من الشفتين والياء من الشجر، وبالتحيز يبطل المد ويلتحقان بغير هما من الحروف الصحاح»[3].

وقال أبو العلاء الهمذاني العطار: «فإن سكنتا وانفتح ما قبلهما ولقيهما ساكن وجب تبيين حركة الياء بالكسر من وسط اللسان، وتبيين حركة الواو بالضم من الشفتين وذلك نحو قوله: {طَرَفَيِ النَّهَارِ} [هود: 114] و {وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ} [البقرة: 237]»[4].

(1) المنح الفكرية ص 9.

(2) القرطبي، الموضح ص164، وانظر: الداني، التحديد ص29.

(3) الموضح 170.

(4) التمهيد 149، ظ: الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (311/1).

5 - صفات أصوات اللين:

أ - اللين:

وهي من الصفات المفردة التي لا ضد لها[1]؛ هذه الصفة التي لاحظها سيبويه في حرفي اللين لما قال: «ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شيءٍ من المتقاربة **لأن فيهما ليناً** ومداً»[2]. فالواو والياء المسبوقتان بفتحة لم يبلغا الألف وهما مع هذا أشبهاها لما فيهما من **اللين**. أما الواو المسبوقة بضمة والياء المسبوقة بكسرة فإنهما كالألف عنده من حيث **المد والمطل**.

وذكر سيبويه في موضع الصفات أن الواو والياء لينتان لأن مخرجهما« يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما ...»[3]، وصفة اللين عند سيبويه أوسع من صفة المد؛ لأن اللين يدخل فيه الواو والياء اللَّتَيْنِ تخليتا عن المد إما لتحركهما أو لأنهما مسبوقتان بحركة غير مجانسة لهما. وسبب ذلك اللين –كما ذكر- هو اتساع المخارج لهواء الصوت. فاللين عند سيبويه هو اتساع المخرج لهواء الصوت أما المد فهو مد ذلك الصوت، والفرقُ جليٌّ بين الصفتين.

ونجد للمبرد إشارة صريحة إلى أصوات المد واللين بقوله: «واعلم أن الياء والواو بمنزلة ما تدانت مخارجه وذلك لأنهما مشتركان في المد واللين، وأنهما يخرجان جميعاً منهما إذا تحركتا، وكان قبل كل واحد منهما فتحة»[4]. وقد اكتفى في بعض المواضع بالتعبير عن أصوات المد واللين بقوله إنها لينة[5]، أو ممدودة فقط[6].

والواو والياء تخرجان عن المد بأن تتحركا أو تسبقهما حركة من غير جنسها[7].ونجد عند مكي تصريحا جديدا من نوعه من حيث إنه فصل في موضع الصفات بين صفة المد واللين وبين صفة اللين فقط. أما المد واللين فهي الألف والواو والياء المسبوقتان بحركة مجانسة لهما. وسبب مدّها هو أن:« مد الصوت لا يكون في شيء من الكلام إلا فيهن...ولأنهن في أنفسهن مدات ...»[8]، أما وصفهن باللين فـ:« لأنهن يخرجن من

(1) سالم، صفوت محمود، فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية، فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، جدة، السعودية، ط02، 2003، ص 13.

(2) كتاب سيبويه (4/ 446).

(3) الكتاب 436/4.

(4) المقتضب: 221/1.

(5)المصدر نفسه:122/1.

(6)المصدر نفسه:211/1.

(7) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 125 ـ126، وانظر: تذكرة النحاة:116، ظ: المنصف: 224/1. وللدكتور غالب المطلبي تفصيل عن هذا الكلام،ظ: في الأصوات اللغوية:88-91.

(8)الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 125 ـ 126.

اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان واللهوات، بخلاف سائر الحروف، وإنما ينسللن عن الحروف عند النطق بهن انسلالاً بغير تكليف» [1].

وذكر الخليل أيضا أنّ الواو والياء إذا لم تُسبَقا بحركة مجانسة لكل واحدة منهما تخلَّيتا عن المد وصارتا صوتي لين فقط [2].

وأما عن لِين الياء أو الواو الساكنتين المسبوقتين بالفتح فإن ذلك كان لأن الفتحة وإن كانت مخالفة لجنس الياء والواو فإن فيها سرًّا له، ومن أجله جاز أن تمتد الياء والواو، كما في **ثوب** و **شيخ** نحوًا من **شاخ وثاب** [3]

وذكر مكي في صفة الأصوات اللينة فقط أن تلك الأصوات هي: « الواو الساكنة التي قبلها فتحة والياء الساكنة التي قبلها فتحة، وإنما سميتا بذلك لانهما تخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان، لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما فنقصتا المد الذي في الالف وبقي فيهما اللين لسكونهما فسميتا بحرفي اللين» [4].

وعرف ابن الجزري صفة اللين بأنها: « عبارة عما يجري من الصوت في حرف المد ممزوجا بالمد طبيعة وارتباطا لا ينفصل أحدهما في ذلك عن الآخر وهو أجرى في الواو والياء إذا انفتح ما قبلها » [5].

وقال السمرقندي: «وفي الواو لين ومد إذا سكنت وانضم ما قبلها، وفيها لين إذا سكنت وانفتح ما قبلها، وفيها ثقل إذا تحركت. وكذا حكم الياء...» [6].

وقال عبد الوهاب القرطبي عنهما: «وتارة يتحيز مخرجهما إذا تغيرتا عن هذا الموضع، بأن تسكنا وينفتح ما قبلهما، ومتى وجد ذلك زال عنهما معظم المد، وبقي اللين وانبسط اللسان بهما » [7].

ويرى أبو حيان أنّ الواو والياء إذا لم تسبقا بحركة مجانسة لكل واحد منهما تخليتا عن المد وصارتا صوتي لين فقط [8].

ويقول الداني: «فإن انفتح ما قبلهما زال عنهما معظم المد، وانبسط اللسان بهما، وصارا بمنزلة سائر الحروف الجامدة...» [9].

---

(1)الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 125 ـ 126.

(2) ظ:النكت الحسان:255،175.والارتشاف:156/3.

(3) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 125 ـ126.

(4) الرعاية:101.

(5) التمهيد في علم التجويد (ص: 67).

(6) روح المريد (ص: 128).

(7) القرطبي، الموضح ص164، وانظر: الداني، التحديد ص29.

(8) ظ:النكت الحسان:255،175.والارتشاف:156/3.

(9) الحمد 86: 158.

ب - السكون:

والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحروف، أو سلب الحركة وعدمها من النطق[1]. ولكن نجد لدى بعض علماء التجويد اتجاها متميزا في معالجة السكون، وذلك بتقسيمه إلى حي ومميت. وكان ابن الطحان أقدم من تحدث عن هذا الاتجاه، مما اطلعت عليه من مصادر علم التجويد. ولم يتابعه في ذلك إلا القسطلاني الذي تحدث عن الموضوع حديثا موجزا. قال ابن الطحان: «وأما الواو والياء فإنهما ما وقعتا بعد حركتهما فإن سكونهما ميّت...**وهما إذا انفتح ما قبلهما كسائر الحروف، وسكونهما حي لسكونهما**»[2].

ولخص القسطلاني فكرة تقسيم السكون إلى حي ومميّت، من غير أن يخرج على أصل الفكرة، ومن غير أن يضيف إليها شيئا جديدا، وذلك حيث قال: «وأما السكون فنوعان: حي ومميت. فالثاني الألف وأختاها، لأنهن لا حيّز ولا مقطع لهن محقق، فإن انفتح ما قبل الواو والياء فسكونهما حي، لأخذ اللسان الياء، والشفتين الواو، كسائر الحروف، فكما تجد الجيم التي هي أخت الياء في مخرجها قد أخذها اللسان في قولك: **رمَيْت**، كذلك تجد الواو قد أخذتها الشفتان في قولك: **عفَوْت** »[3]. وأصل هذه الفكرة عند سيبويه سبق أن عالجناها في مبحث صفة السكون في أحرف المد.

ج - الجهر:

وهذا من حيث جريان وحبس النفس؛ فحرفا اللين ينحبس معهما النفس عند التصويت بها، وهو ما يعرف عند المتقدمين بصفة **الجهر**. والمتصفح لكتب المتقدمين من علماء التجويد والعربية يلمس لديهم ربطا بين أصوات اللين وبين كونها مجهورة، وإذا أمعنا النظر في طبيعة هذه الأصوات نجد أن صفة الجهر تشكل العنصر الواضح فيها الذي يمنحها قوة الإسماع بحيث أن الناطق لو أوقف اهتزاز الوترين أثناء النطق بها لاستحالت نفسا، ولا يبقي لها في السمع أثر بيّن، ومن هنا ذكر الخليل أن: « الياء والواو والألف اللينة **منوطات بها**(الهمزة)...**وأصلهن من عند الهمزة**»[4] وقال سيبويه: «فيهوي الصوت إذا وجد متسعا **حتى ينقطع ينقطع آخره في موضع الهمزة**»[5].وفي ذلك يقول الداني عن الألف: « حرف هاوٍ مجهور »[1]، ويصفها سيبويه بأنها: « غير مهموسات »[2].

(1) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل 9/ 67، والسيوطي: الأشباه والنظائر 1/ 176، والدركزلي: خلاصة العجالة 189.

(2) مرشد القارئ 136و 136.

(3) لطائف الإشارات 1/ 187.

(4) تهذيب اللغة (43/1).

(5) كتاب سيبويه (4/ 176).

د - الرخاوة:

وهذا من حيث جريان وحبس الصوت: فحرفا اللين يجري معهما الصوت جريانا كليا، وهو ما يعرف عند المتقدمين بصفة الرخاوة. وقد علق أبو سعيد السيرافي على وصف سيبويه هذه الأصوات الثلاثة بأنها: «أخفى الحروف لاتساع مخرجها»[3] بقوله: « هذه الثلاثة الحروف، وهي الياء والواو والألف...فصارت مشبهة للرخوة بالصوت الذي يجري عند الوقف عليها »[4].

هـ - الاستفال:

وهذا من حيث عمل مؤخرة اللسان من الارتفاع والانخفاض نحو الحنك الأعلى: هي أصوات تنخفض معها مؤخرة اللسان إلى قاع الفم، وهو ما يعرف عند المتقدمين بصفة **الاستفال**[5].

و - الترقيق:

من حيث عمل الصوت مع ارتفاع وانخفاض مؤخرة اللسان: هي أصوات لا يمتلئ الفم بصداها بسبب اتساع غرفة الرنين وهو ما يعرف عند المتقدمين بصفة **الترقيق**.

ز - الانفتاح:

من حيث ضغط وانفتاح مجري الصوت: هو حرف منفتح بسبب تباعد اللسان عن غار الحنك الأعلى وهو ما يعرف عندهم بصفة **الانفتاح**[6].

ح - الضعف:

وصف ابن جني أصوات المد بالضعف، فرأى أن:« واو الواحد منها ضعيفة ساكنة في ثوب»[7]. ويرى المبرد أن الألف والواو والياء أصوات على غاية من الضعف، ولذا سُمّوا بحروف العلة؛ وذلك أنها في أقوى أحوالها ضعيفة، ألا ترى أن هذين الحرفين -يعني: الواو والياء- إذا قويا بالحركة فإنك حينئذٍ مع ذلك مؤنس

---

(1) التحديد في الإتقان والتجويد لأبي عمرو الداني، ص: 122.

(2) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج 4، ص 176.

(3) الكتاب 436/4.

(4) شرح كتاب سيبويه 461/6، وانظر لطائف الإشارات للقسطلاني ص(204، 205،206).

(5) لطائف الإشارات للقسطلاني ص(204، 205،206).

(6) لطائف الإشارات للقسطلاني ص(204، 205،206).

(7) سر صناعة الإعراب (2/ 364) .

فيهما ضعفًا، وذلك أن تحملهما للحركة أشق منه في غيرهما، كما يظهر ضعفها في حالة الوقف عليها كما في إطالة الصوت بهن في الوقف عند الندبة، فيتبعن بالهاء، وذلك قولك: وازَيداه، واجعفراه[1].

وذكر أبو حيان أنّ الواو والياء أيا كانت حركة ما قبلها والألف هي أصوات معلولة[2]، قصد بالمعلولة المتغيرة في داخل البناء. وهذا يعني أن ظاهرة الاعتلال أصلًا مرتبطةٌ بفكرة درجة ضعف هذه الأصوات في أثناء التأليف الصوتي.

ط - التباين:

والتباين عكسُ الإدغام[3]، وهو وصف نعت بها سيبويه أصوات المد واللين، قال أبو سعيد السيرافي: «اعلم أنَّ حروف المدِّ واللين لها فضيلةٌ على سائر الحروف بما فيها من المد واللين...فهن يباين الحروف اللاتي من مخارجهن، والمقاربة لهنَّ في المخرج، فمن أجلِ ذلك لا يدغمن فيما كان من مخرجهن، فلذلك لم تقوَ الجيم على الياء بأن تدغم في الجيم، وإن كانت الياء من مخرج الجيم، وكذلك لا تدغم الواو في الباء، وهما من مخرجٍ واحد؛ لأنه بإدغام الياء في الجيم، والواو في الباء يصيران جيماً وباءً، فيذهب المد واللين فيهما»[4]. وجاء المبرد ليكرر عبارات سيبويه ووصفه أصواتَ المد بالتباين[5].

ي - الوضوح السمعي:

إنَّ أهم ما يتميز به صوتا اللين من الناحية السمعية هو أنَّها أصوات ذات قدرة عالية في الإسماع، فهي أوضح في السمع وأقوى إذا قيست بالأصوات الصامتة، ويعود ذلك إلى طبيعة نطق الصوائت أنفسها، فأهم ما تتميز به هذه الأصوات من الناحية النطقية أمران: أحدهما كونها أصواتاً مجهورة، والآخر أنَّ الهواء معها يمرّ طليقاً في تجويف الفم، ولا شك أنّ الصوت المجهور عندما يخرج حراً طليقاً من دون عَوْق، يحمل طاقة أعلى بكثير ممّا يحمله الصوت المعوق الذي يفقد كثيراً من طاقته بسبب العوق الذي يتعرض إليه في عملية النطق. فقوة الطاقة في أشباه الصوائت هي التي ساعدتها على أن تكون أصواتاً ذات وضوح سمعي عال[6]، ومن ثمَّ قيل إن السامع يمكن أن يميّز الصوائت من مسافة أبعد من تلك المسافة التي يستطيع تمييز الصوامت

(1) المقتضب (4/ 268.

(2) ظ: تذكرة النحاة:62. والارتشاف:156/3.

(3) التصريف العربي، الطيب البكوش، ص72.

(4) شرح كتاب سيبويه 499/6.

(5) المقتضب 210/1 ـ211.

(6) ينظر في الأصوات اللغوية: 24 - 25.

معها، وإنَّ الخطأ في الصوائت أوضح منه في نطق الصوامت، لأنّه في الأول سيكون نابياً غير مستساغ [1]. ويقصد بالوضوح السمعي السّمةُ الطبيعية في الصوت لا المكتسبة من إشباع أو نبرة.

ك - الخفة والثقل:

إنَّ التعديلات التي تقوم بها أعضاء النطق في طريق الهواء-حين النطق بصوتي اللين- لا تؤدي إلى إعاقة تامة للهواء تمنع مروره ليحدث انفجارا، أو إلى تضييق في مجراه ليحدث احتكاكا مسموعا كما هو الحال مع الصوامت، بل يكون الهواء معها حرّاً طليقاً، وهذا يعني أنَّ الجهد المبذول حين النطق بهذه الأصوات أقلُّ منه حين النطق بالصوامت. وبهذا، يمكننا أن نفسّر ما يشير إليه القدماء من أنّ حروف المد والحركات التي هي أبعاضها أخفُّ الأصوات في النطق، فقد قالوا في حروف المدّ: «إنَّ أخفَّ الحروف حروف المدّ واللين، وهي الواو والألف والياء» [2].

ثم إنّ هذه الأصوات تتفاوت فيما بينها في الخفة والثقل، فالفتحة أخفُّ من الكسرة، والكسرة أخفُّ من الضمة، أي إنَّ الفتحة أخفّ الحركات، والضمة أثقلها، والكسرة في مرتبة بين الفتحة والضمة، ولهذا قالوا: «إذا عُدل إلى الحركة قُدِّم الأخفّ فالأخفّ، وذلك الفتح ثم الكسر ثم الضم» [3]. وكذلك الأمر مع حروف المدّ التي هي إشباع للحركات، فالألف أخفّ من الياء، والياء أخفّ من الواو ...» [4].وإذا كانت حرية النطق النطق واتسّاع المخرج في هذه الأصوات قياساً بالأصوات الصامتة، سبباً في كونها أخفّ الأصوات، فإنَّ الاختلاف في حجم تجويف الفم ووضع اللسان والشفتين هو السبب في تفاوتها في الخفة والثقل [5].

(1) علم اللغة العام، الأصوات: 138

(2) شرح المفصل: 137/4

(3) همع الهوامع: 62/1، وينظر حاشية الصبان: 63/1

(4) ينظر أسرار العربية: 60 - 61

(5) ينظر التصريف العربي: 47

المبحث الرابع: العلاقة بين أحرف المد وحرفي اللين

أشار القدماء إلى وجود ياءين وواوين في اللغة العربية، فالياءان في مثل قولنا: (بَيْت) و (سعِيد)، والواوان في مثل قولنا: (قَوْل) و (يقُول). وأن القاسم المشترك بين هذه الأصوات والذي جعلها تتميز عن غيرها هو شكل أعضاء النطق، أو الوضع الذي تتخذه هذه الأعضاء عند نطق كلا الصنفين. وما ينبني عليه هذا التمييز من إدراك للطبيعة النطقية لكِلا الصنفين، وهو ما دعاهم إلى استنتاج فكرة السكون الحي والسكون الميت.

وأول إشارة تطالعنا في هذا الموضوع هي ما نقله الأزهري، حين قال: «قال الخليل بن أحمد في رواية غير ابن المظفر: ... فهذه حال الألف اللينة، والواو الساكنة بعد الضمة، والياء الساكنة بعد الكسرة، وهؤلاء في مجرى واحد، والواو والياء إذا جاءتا بعد فتحةٍ قوِيَتَا، وكذا إذا تحركتا كانتا أقوى، ومن تبيان ذلك أن الألف اللينة والياء بعد الكسرة والواو بعد الضمة إذا لقيهن حرف ساكن بعدهن سقطن، كقولك: عبد الله ذو العمامة، كأنك قلت: ذُل، وتقول: رأيت ذا العمامة، كأنك قلت: ذَل، وتقول: مررت بذي العمامة، كأنك قلت: ذِل، ونحو ذلك في الكلام أجمع، والياء والواو بعد الفتحة إذا سكنتا ولقيهما ساكن بعدهما فإنهما يتحركان، ولا يسقطان أبداً، كقولك: لَوِ انطلقت يا فلان، وقولك للمرأة: اخشَيِ الله، وللقوم: اخشَوُا الله ... »[1].

ونجد أصول هذا التفريق أيضا عند سيبويه الذي اقتفى خُطى أستاذه من خلال مجموعةٍ من العبارات، منها قوله عن أحرف المد: « فالياء التي كالألف ياء قنديل، والواو واو زنبور، كياء يبيع، وواو يقول، لأنهما ساكنان وحركة ما قبلها منهما ...»[2]. وهذه الأحرف الثلاثة تميز عن الياءِ المسبوقة بالفتحة والواو المسبوقة بالفتحة، واللتين تُعَدَّان أصوات لين؛ لقربهما من الألف و«لأن فيهما ليناً وإن لم يبلغا الألف ولكن فيهما شبها منها...»[3]. ولذلك يقول: «وإن شئت أخفيت في ثَوْب بكرٍ وكان بزنته متحركا وإن أسكنت جاز لأن فيهما مداً ولينا وإن لم يبلغا الألف...»[4]. فالواو والياء المسبوقتان بفتحة لم يبلغا الألف ومع هذا فقد أشبهاها لما فيهما من اللين. أما الواو المسبوقة بضمة والياء المسبوقة بكسرة فإنها كالألف عنده من حيث المد والمطل.

وفرق سيبويه بين أحرف المد الثلاثة وحرفي اللين في الإدغام الذي لا يجوز في أحرف المد في حين جوازه في حرفي اللين، وفي ذلك يقول: « وإذا كانت الواو قبلها ضمةٌ والياء قبلها كسرة فإن واحدةً منهما لا تدغم إذا كان مثلها بعدها وذلك قولك ظلموا واقداً واظلمي ياسراً... ويغزو واقدٌ وهذا قاضي ياسرٍ لا تدغم...

(1) تهذيب اللغة 51/1 ـ 52.

(2) الكتاب 290/4، وينظر 440/4 ـ 441، 447.

(3) كتاب سيبويه (411/2).

(4)كتاب سيبويه (4/ 441).

وإذا قلت وأنت تأمر اخشي ياسراً واخشوا واقداً أدغمت لأنهما ليسا بحرفي مد كالألف وإنما هما بمنزلة قولك احمد داود واذهب بنا، فهذا لا تصل فيه إلا إلى الإدغام»[1].

ومن أقوال المبرَّد في هذا الجانب: «واعلم أنَّ الياء والواو بمنزلة ما تدانت مخارجه، وذلك لأنهما مشتركتان في المد واللين، وإنهما يخرجان جميعاً منهما إذا تحركتا، أو كان قبل كلِّ واحدٍ منهما فتحة»[2]. وأكد الفكرة بقوله: « إذا كانت الياء والواو مفتوحاً ما قبلها فهما كسائر الحروف»[3]، وعنده أنَّ «... المدة: الألف، والياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها»[4].

ولابن جني في هذا الجانب نصوص كثيرة، منها قوله: «وقد أجرَوْا الياء والواو الساكنتين المفتوح ما قبلها مجرى التابعتين لما هو منهما، وذلك نحو قولهم: هذا جيب بَكر، أي: جيبُ بكر، وثوب بَكر، أي: ثوبُ بكر، وذلك أن الفتحة وإن كانت مخالفة الجنس للياء والواو، فإن فيها سراً، له ومن أجله جاز أن تمتد الياء والواو بعدها في نحو ما رأينا. وذلك أنَّ أصل المد وأقواه وأعلاه وأنعمه وأنداه، إنما هو للألف، وإنما الياء والواو في ذلك محمولان عليها، وملحقان في الحكم بها، والفتحة بعض الألف، فكأنها إذا قدمت قبلها في نحو: بيت وسوط، إنما قدمت الألف إذ كانت الفتحة بعضها، فإذا جاءتا بعد الفتحة جاءتا في موضعٍ قد سبقتهما إليه الفتحة التي هي ألف صغيرة، فكان ذلك سبباً للأنس بالمد؛ لا سيما وهما بعد الفتحة ـ لسكونهما ـ أختا الألف وقويتا الشبه بها، فصار ثوب وشيخ نحواً من شاخ وثاب، فلذلك ساغ وقوع المدغم بعدهما»[5]. وتعليل ابن جني هذا تؤيده الدراسة الصوتية الحديثة، يقول الدكتور هنري فليش: «إن مجيء الواو أو الياء بعد الفتحة أمرٌ ممكن بسبب التفاوت المذكور بينهما، ولخفة الفتحة أيضاً، وهي خفة تستتبع ضعف تأثيرها في تاليها»[6].

وقال أبو بكر بن السراج: « وأما (ثَوْب بكر) فالبيان ها هنا أحسن منه في الألف؛ لأن الواو في (ثوب) لا تشبه الألف؛ لأن حركة ما قبلها ليس منها. وكذلك (جَيْب بكر)، والإدغام في هذا جائز، وإن لم يكونا بمنزلة الألف، وإنما يكونان بمنزلة الألف إذا كان قبل الواو ضمة، وقبل الياء كسرة ...»[7].

وجاء أبو سعيد السيرافي بعبارات لعلها أقرب إلى حاجة الباحث في هذا الجانب، لِما تضمنته من إسهاب في العبارة، وإيراد للأمثلة، ووضوح في التعبير، قال: «اعلم أنَّ الياء والواو إذا كانتا ساكنتين وانفتح ما قبلهما ففيهما مدٌّ دون المد الذي يكون فيهما إذا انضم ما قبل الواو وانكسر ما قبل الياء، وذلك أنَّ الألف التي هي أوسع حروف المد واللين مخرجاً وأبلغها مدى لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً والفتحة من الألف، فإذا

(1)كتاب سيبويه (4/ 442).

(2) المصدر نفسه 221/1.

(3) المقتضب 160/1.

(4) المصدر نفسه 95/1، وينظر 176/1.

(5) الخصائص 129/3 ـ 130.

(6) الفكر الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الاعراب. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج23، ص 76 ،

(7) الأصول في النحو 411/3، وينظر: 412/3، 428.

كان قبل الواو الساكنة ضمة، وقبل الياء كسرة فهما على منهاج الألف، فلذلك يستحسن الإدغام في قولك: هذا ثوب بكر، وجيب بكر... »[1]. فلما استحسن الإدغام في هذين المثالين اتضح أنهما لم يعاملا معاملة الأحرف المدية إذ أنه لا يجوز إدغامها فيما بعدها.

ونقل السيرافي احتجاج سيبويه على أن الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما ليس كحالهما إذا سُبِقا بحركةٍ من جنسهما، بالواو في: اخشَوْا واقدا، والياء في: اخشَيْ ياسرا، فهنا تدغم الواو والياء فيما بعدهما، وذلك لنقصان المد من أجل الفتحة، ومثله قوله تعالى: ﴿ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ﴾ التغابن: ٦، بخلاف قوله تعالى: ﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ ﴾ يوسف: ٧١، وقولنا: أكرمي ياسرا»[2].

أما أبو محمد الصيمري فقد كرر مقالة سابقيه في الفرق بين الياء والواو المديتين واللينتين، وأن كلاهما يتصف مدٌ، ولكن المد في اللينتين أقل منه في المديتين، قال: «والدليل على أنَّ الواو والياء إذا كان ما قبلهما مفتوحاً كان فيهما مد أنهم جاءوا بالياء المفتوح ما قبلها مع الياء المكسور ما قبلها في الردف، قال عمرو بن كلثوم التغلبي:

كأن متونهن متون غدرٍ تصفقها الرياح إذا جرَيْنا[3]

والقصيدة مبنية على ياء قبلها كسرة، وواو قبلها ضمة ... فلما جاء بقوله: (جرينا) مع (جونا) و(لاعبينا)، علمنا أنه جمع بين ذلك لتشاكلها بالمد، وإن كان المد فيما انفتح ما قبله دون المد فيما كان ما قبله مكسوراً أو مضموماً »[4].

وهذا الأمر أكده الأعلم الشنتمري بقوله: «اعلم أنَّ الياء والواو إذا كانتا ساكنتين وانفتح ما قبلهما ففيهما مدٌّ دون المد الذي يكون فيهما إذا انضم ما قبل الواو وانكسر ما قبل الياء ...»[5].

وفرق ابن السيد البطليوسي بين القيم الصوتية لرمزي الياء والواو المديتين واللينتين، فقال بعد أن تحدث عن الألف: «ويشارك الألف في هذه الصفة أختاها الموضوعتان للمد واللين، وهما الواو الساكنة المضموم ما قبلها في نحو: عنقُود، والياء المكسور ما قبلها في نحو: قنديل، فإنهما صوت لا مقطع لهما كما لا مقطع للألف، غير أنَّ الياء والواو قد ينفتح ما قبلهما، فيذهب ما فيهما من المد، ويبقى فيهما اللين في نحو: ثَوْب وبَيْت...»[6].

(1) شرح كتاب سيبويه 474/6.
(2) ينظر: شرح كتاب سيبويه 475/6، وينظر: 476/6 ـ 477، 499 ـ 500، 502 ـ 503.
(3) البيت في شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي 419.
(4) التبصرة والتذكرة 930/2، 931، وينظر: 965/2 ـ 968.
(5) النكت في تفسير كتاب سيبويه 1250/2.
(6) ألف با 316/1 ـ 317.

وممن تحدث في هذا الموضوع أيضاً ابن الحاجب حين قال: «وهي الألف والواو والياء؛ لما فيها من قبول التطويل لصوتها، وهو المعني باللين فيها؛ فإذا وافقها ما قبلها في الحركة، فهي حرف مد ولين، فالألف حرف مد ولين أبداً، والواو والياء بعد الفتحة حرف لين، وبعد الضمة والكسرة حرف مد ولين»[1].

ونختتم كلام علماء اللغة بما قاله الشريف الجرجاني: «وأما الواو والياء فكل واحدٍ منهما قد يكون مصوتاً، كما عرفت، وقد يكون صامتاً بأن يكون متحركاً أو ساكناً ليس حركة ما قبله من جنسه»[2].

أما علماء التجويد فإنهم ـ كعادتهم ـ لا تخلو دراستهم للأصوات اللغوية من جديد، فنراهم في هذا الجانب قد وضعوا بعض اللمسات على دراسة علماء اللغة المتقدمين.

وتبدأ انطلاقتنا بمكي بن أبي طالب الذي أطلق على أصوات المد الثلاثة مصطلح حروف المد واللين. في حين أطلق على الواو والياء الصامتين مصطلح حرفي اللين[3]، وهو استخدام تابعه عليه كثيرٌ من علماء التجويد[4]. ومن أقوال مكي في هذا الجانب حديثه عن الواو أنها: «يكون فيها مد ولين إذا سكنت وانضم ما قبلها، وفيها لين إذا سكنت وانفتح ما قبلها ...»[5].

أما أبو عمرو الداني فالياء عنده تكون حرف مد إذا كانت ساكنة وحركة ما قبلها منها، ثم قال: «وكذا حكم الواو المضموم ما قبلها في التمكين وزيادة المد سواء، فإن انفتح ما قبلها زال عنها معظم المد، وانبسط اللسان بها، وصارا بمنزلة سائر الحروف الجامدة ...»[6]. ومن أقواله في هذا الجانب أيضاً قوله: «المد الذي في الألف ـ للزوم حركة ما قبلها ـ أقوى من المد الذي فيها [الواو والياء] لتغير ما قبلها منها ...»[7].

وقال عبد الوهاب القرطبي: «الواو والياء: تكونان تارة من حروف المد واللين، بأن تسكنا ويكون ما قبلهما منهما، وتارة يتحيز مخرجهما إذا تغيرتا عن هذا الوضع بأن تسكنا وينفتح ما قبلهما ومتى وجد ذلك زال عنهما معظم المد وبقي اللين وانبسط اللسان بهما، وصارتا بمنزلة سائر الحروف الجامدة»[8]. ومن أقواله أيضاً: «إن الواو والياء حرفا مد، والصوت يمتد بهما، وبالتشديد تخرجان عن المد واللين، ويتحيز مخرجهما، فيكون الواو من الشفتين والياء من الشجر، وبالتحيز يبطل المد، ويلتحقان بغيرهما من الحروف الصحاح»[9].

---

(1) الإيضاح في شرح المفصل 2/ 489.
(2) شرح المواقف 272/5.
(3) ينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 125 ـ 126.
(4) ينظر: الموضح في التجويد 121، مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ 34، التمهيد في علم التجويد 68، الطرازات المعلمة 71.
(5) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 235.
(6) التحديد في الأتقان والتجويد 134.
(7) الإدغام الكبير في القرآن 76.
(8) الموضح في التجويد 121.
(9) الموضح في التجويد 142، وينظر: 156.

وقال أبو العلاء العطار: « اعلم أنَّ الألف لا تكون إلا ساكنة مفتوحاً ما قبلها، ولا خلاف في تمكينها. فأما الياء والواو فمتى سكنتا بعد حركتهما وجب تمكينها كالألف من غير إفراطٍ ولا إفحاش ... فإن لم يكن قبل الياء والواو حركتاهما خرجتا عن مضارعة الألف، ودخلتا في شبه الحروف الصحاح في خلو المد ... » [1].

وهذا النص هو الذي يوضح معنى مضارعة حرفي اللين الحروفَ الصحاح، وهو تجردهما من صفة المد وبقاء اللين فيهما، وهو ما اصطلح عليه المحدثون بأشباه الصوامت.

وكما أن الواو والياء المديتان يمَكَّن لهما في المد إذا وجد سببه، وهو أن يعقبا بهمزٍ أو سكون، فإن هذا الحكم يجري على الواو والياء اللينتين، وهو مذهب جمهور علماء التجويد، ولعل خير ما يمثل هذا الاتجاه هو قول الحسن بن قاسم المرادي في حديثه عن كلمة (عليهم) من قوله تعالى: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ»(الفاتحة: من الآية7) حيث قال: «وقصر الياء ضرورة، وإنما لم تُمد؛ لأنها حرف لينٍ لا مد فيه، ولكنه قابل للمد إذا وجد سببه وهو الهمزة والسكون» [2].

ونقل أبو القاسم علي بن عثمان المعروف بابن القاصح مذهب أبي محمد القاسم بن فيرّو الشاطبي في الواوين والياءين، حيث قال في شرحه لقول الشاطبي:**... و(واي) حروف المد والرخو كلا**

قال: «وقوله: (وواي حروف المد) أخبر أن الواو والألف والياء المجموعة في قوله واي موصوفة بالمد، أما الألف فلا تكون إلا كذلك، وأما الواو والياء فيلزمهما ذلك إذا سكنتا وناسبهما حركة ما قبلهما، ولا يتأتى فيهما ذلك إذا انفتح ما قبلهما» [3].

وكما أن أصوات المد يتسع مخرجها وتقل كلفتها على اللسان، فكذلك الياء والواو اللينتان، ولكن هذا الاتساع يكون بدرجة أقل مما هو في أصوات المد، وهو ما دعا المحدثين إلى تسمية الواو والياء الصامتين بأشباه أصوات المد، وهذا الأمر أشار إليه ابن الجزري حين قال: «حرفا اللين: وهما الياء الساكنة التي قبلها فتحة، والواو الساكنة التي قبلها فتحة، سميتا بذلك؛ لأنهما تخرجان في لينٍ، وقلة كلفةٍ على اللسان، لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف، لتغير حركة ما قبلهما عن جنسيهما، فنقصتا المد الذي في الألف، وبقي اللين فيهما لسكونهما، فشبهتا بذلك» [4].

وعند ابن الجزري - كما هو الحال عند بقية العلماء - أنَّ سلوك الواو والياء المديتين يختلف عن سلوك اللينتين، حيث ذكر في حديثه عن أنواع الساكن، وهي اللازم والعارض، أنَّ العارض هو ما سكن في الوقف، وفيه الطول والتوسط والقصر في الوقف لعروضه، ثم قال: «فإن قيل: فهلا تجري هذه الثلاثة فيما سكن، وقبله أحد حرفي اللين، نحو: (الخوف)، و (الليل) ؟ فالجواب: أنهما حملا على حروف المد واللين

(1) التمهيد في معرفة التجويد 285 ـ 286.

(2) شرح الواضحة في تجويد الفاتحة 57.

(3) سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي 342.

(4) التمهيد في علم التجويد 102، وينظر: جهد المقل 126.

في الثلاثة، إلا أن القصر فيهما للفتحة، والمد فيهن للضمة والكسرة، والألف اجتمع فيه المد واللين خلاف أختيه، خلاف أختيه لأنهما تارة يكونان حرفي مد ولين وتارة حرفي لين فقط على حسب اختلاف الحركات والألف على حالة واحدة»[1].

ويفرق السمرقندي بين أحوال الواوات والياءات بقوله: «وفي الواو لين ومد إذا سكنت وانضم ما قبلها، وفيها لين إذا سكنت وانفتح ما قبلها، وفيها ثقل إذا تحركت. وكذا حكم الياء أن فيها مدا ولينا إذا سكنت وانكسر ما قبلها، وفيها لين إذا سكنت وانفتح ما قبلها، وفيها ثقل إذا تحركت. وحروف المد واللين ثلاثة: الواو والياء والألف»[2].

ويقول المرعشي: «وترك المد بالكلية في (قالوا) مثلا إما بحذف الواو والاقتصار على اللام المضمومة، أو بإبقاء الواو ساكنا وترك مده بالكلية، فيكون حرف لين لا حرف مد، وحاصل ذلك إعدام حرف، إذ ما لم يمتد الواو لا يصير حرف مد»[3].

ولعل فيما نقلناه عن علماء التجويد ما يوضح مذهبهم في هذه القضية، وهو الذي سار عليه متأخروهم[4].

ونقل الدركزلي (ت 1327هـ) نصا يلخص ذلك التداخل في استخدام المصطلحات المذكورة، ويظهر منه أن الاتجاه الغالب لدى المتأخرين هو تخصيص مصطلح (المد) بالحروف الثلاثة إذا كانت ساكنة وحركة ما قبله من جنسها. وتخصيص مصطلح (اللين) بالواو والياء في أحوالها الأخرى، وذلك حيث يقول: «ويصدق اللين على حرف المد، بخلاف العكس، لأنه يلزم من وجود الأخص وجود الأعم، ولا ينعكس، وإن اعتبر قبول اللين المدّ تساويا في صدق الاسم عليهما. وعلى هذا فكل من حروف المد وحرفي اللين يصدق عليهما حروف لين على الأول، وحروف مد على الثاني، وحروف مد ولين عليهما...قلت (الدركزلي): لكن الاصطلاح أن حرف المد ما قبله حركة مجانسة كما تقدم، وحرف اللين هو ما قبله حركة غير مجانسة، فعلى الاصطلاح بينهما مباينة، وكل من وقع في عبارته حروف مد ولين إنما هو نظر للمعنى الآخر، والله أعلم»[5].

وقال أبو العلاء الهمذاني العطار: «فإن التقت ياءان أو واوان لم يخل التقاؤهما من أمرين: أحدهما أن تلتقيا وأولاهما ساكنة، والثانية أن تلتقيا متحركتين. فإن التقت ياءان أولاهما ساكنة وجب إشباع الكسرة التي قبل الأولى، وذلك نحو قوله: {فِي يَتَامَى} [النساء: 127] و {فِي يُوسُفَ} [يوسف: 7] و {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي} [الأحزاب: 43] ونظائرها، وإنما لم يجز إدغام ذلك لأن الياء والواو هاهنا تشبهان الألف في السكون

(1) التمهيد في علم التجويد 163.

(2) روح المريد 128.

(3) بيان جهد المقلّ، 5.

(4) ينظر: الطرازات المعلمة 92 ـ 93، الحواشي الأزهرية 7، المنح الفكرية 10، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر 157/1، تنبيه الغافلين 85، جهد المقل 126، 214.

(5) خلاصة العجالة 160. نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: 304).

ومجانسة الحركة المتقدمة، فصار ذلك بمنزلة قولك: زورا ياسرا، وأكرما واقدا. وقد عرفت أن إدغام الألف غير ممكن. فإن انفتح ما قبل الواو الأولى، نحو قوله: {عَصَوْا وَكَانُوا} [البقرة: 61] و {عَفَوْا وَقَالُوا} [الأعراف: 95] و {آوَوْا وَنَصَرُوا} [الأنفال: 72] وما أشبه ذلك لزم الإدغام»[1]. وهذا الرأي يجنح إلى ما ذهب إليه سيبويه كما تقدم عرضه سابقا.

وفرق ابن سينا بين الواو والياء المديتين واللينتين، وبيّن مخرج كل واحد منهما، فأشار إلى أن الواو الصامتة تحدث حيث تحدث الفاء، وأن الياء الصامتة تحدث حيث تحدث الطاء والجيم، لكنه فطن إلى أن الاحتكاك في أثناء نطقهما في هذه الحالة قليل جدًّا، وأن أهم صفة لجهاز النطق أثناء النطق بالمديتين هو حرية خروج الهواء سلسًا غير مزاحَم[2]، وهي إشارة إلى عدم وجود إعاقة في جهاز النطق أثناء حدوث أصوات المدّ عامة.

وقبل أن ننهي الحديث في هذا الموضوع نشير إلى ملاحظة مهمة، وهي إشارة علماء العربية إلى أن رمزي الواو والياء يمثلان زوجين من الأصوات في الكتابة العربية[3]، وهو ما أشار إليه حمزة الأصفهاني[4]، وابن درستويه (عبد الله بن جعفر ت 346هـ) وهو يتحدث عن رموز حروف العربية: «والذي لا صورة له مدتان وهمزة، فإن مدتي الحرف المضموم والحرف المكسور لم توضع لهما صورة في المعجم، كما وضعت لمدة الحرف المفتوح الألف، ولكن كتبتا بصورة الواو والياء»[5]. فالفرق -إذن- يتضح بين الواوين والياءين بالإدراك السمعي والتحليل المخبري دون الكتابة، ولعل هذا من الإشكالات التي يعانيها المتعلم المبتدئ للغة العربية لا سيما الناطق بغيرها.

(1) التمهيد 150.

(2) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف، ص 19.

(3) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 358، المصوتات عند علماء العربية 45.

(4) ينظر: كتاب الكتّاب ص 64. وانظر: حمزة الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف ص 33.

(5) كتاب الكتّاب ص 64. وانظر: حمزة الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف ص 33.

المبحث الثامن: أهمية أصوات المد

ذكرنا في المباحث السابقة أقوال المتقدمين بشأن أصوات المد والتي تبين مدى عناية المتقدمين بها؛ ومن ذلك قول سيبويه: «فأما الأحرف الثلاثة، فإنهن يكثرن في كل موضع، ولا يخلو منهن حرف، أو من بعضهن» [1].

وفكرة سيبويه هذه تكررت عند العلماء بعده؛ قال المبرد: «وَهِي حُرُوف بَائِنَة من جَمِيع الْحُرُوف لأَنَّهَا لَا يمدّ صَوت إِلاَّ بهَا والإعراب مِنْهَا وتحذف لالتقاءِ الساكنين فِي الْمَوَاضِع الَّتِي تحرّك فِيهَا غَيرهَا نَحْو قَوْلك هَذَا الْغُلَام وأَنت تغزو الْقَوْم وَتَرْمِي الْغُلَام وَلَو كَانَ غَيرهَا من السواكن لحرّك لالتقاءِ الساكنين نَحْو اضربِ الْغُلَام وقلِ الْحق...كَمَا أَنَّهَا والواوَ بِمَنْزِلَة مَا تدانت مخارجُه وإِن كَانَت بعيدةَ الْمخْرج مِنْهَا وَذَلِكَ لما يجمعهما من المدّ واللين وَالْكَثْرَة فِي الْكَلَام لأَنَّه لَيْسَ كلمة تَخْلُو مِنْهُمَا وَمن الأَلف أَو من بَعضهنَّ وبعضُهنّ حركاتُهنّ فحروف المدّ حيّزٌ على حِدة أَلا ترى أَنَّك تذكرهنّ فِي مَوَاضِع الحركات فيَدْلُلْن من الإعراب على مَا تدلّ عَلَيْهِ الحركات نَحْو مسلمِين ومسلمون ورجلُين ورجلان وَكَذَلِكَ أَخوك وأَخاك وأَخيك ويبدل بَعضهنَّ من بعض وَلَيْسَ هَكَذَا شيءٌ من الْحُرُوف...» [2].

وقال أبو البركات ابن الأنباري: «الأصل في كل حرف مفرد أن يبنى على حركة تقويةً له» [3]. وقال الرضي الأستراباذي: «وتتغير هذه الحروف...لكثرتها في الكلام، لأنه إن خلت كلمة من أحدها فخلوها من أبعاضها - أعني الحركات – محال ...» [4].

وقال العيني: « فإن قيل: بأي شيءٍ عُرِف أن حروف المد واللين أكثر دوراناً في كلامهم ؟ قيل له: ما وجد كلمة خالية عنها أو عن بعضها، فعُلِم أنها أكثر دوراناً، والمراد بالبعض هو الحركات الثلاث» [5]. وهذا ابن دريد ينص على « أن الألف والياء والواو أمهات الزوائد لأنهن حروف المد واللين...»، ثم يذكر أن «أكثر الحروف استعمالا عند العرب الواو والياء والهمزة...» [6]. ويذكر ابن جني أن كلا من الواو والياء «يكون في الكلام على ثلاثة أضرب: أصلا وبدلا وزائدا» [7].

---

(1) الكتاب 4 / 318.

(2) المقتضب 210/1 ـ211.

(3) البيان في غريب إعراب القرآن 1 / 72.

(4) شرح شافية ابن الحاجب 68/3.

(5) شرح المراح في التصريف 81.

(6) ابن دريد، جمهرة اللغة،1: 48، 50؛ وينظر أيضا: ابن يعيش،ش.المفصل،9: 141.

(7) ابن جني 2،85: 573، 729.

واهتم النحاة بالأفعال التي جاءت لاماتها بالواو والياء، فجمعها ابن مالك (672 هـ) في منظومة أوردها السيوطي في المزهر[1]. وأشار ابن درستويه إلى أهمية أصوات المد والحركات وكثرتها في الكلام، وأنه لا يخلو من أحدها أو من الحركات كلمة، وإنما الحركات منها[2].

ولا يكاد يخلو مؤلَّف من مؤلفات المتقدمين من الحديث في هذه القضية، وإنما اقتصرنا على هؤلاء لتمثيلهم مراحل مختلفة تمتد من زمن سيبويه حتى منتصف القرن التاسع الهجري.

كما أن أهمية أصوات المد تتجلى من خلال التعرف على وظائفها المتعدّدة التي تتوزع على مستويات التحليل اللغوي التي نرتبها على ما يأتي:

1 - على المستوى الصّوتي:

أ – تقوم الصّوائت **بدور الوصل** بين صوامت الكلمة الواحدة، أو بين صوامت الكلمتين سواء كانت حركة إعراب أو بناء، وعن ذلك يقول سيبويه: «فأما الأحرف الثلاثة، فإنهن يكثرن في كل موضع، ولا يخلو منهن حرف[3]، أو من بعضهن، إلا أن الواو لا تلحق أوَّلاً، ولا الياء أوَّلاً فيما ذكرت لك، ثم ليس شيء من الزوائد يعدل كثرتهن في الكلام، هن لكل مد، ومنهن كل حركة، وهن في كل جمع، وبالياء الإضافة والتصغير، وبالألف التأنيث، وكثرتهن في الكلام وتمكنهن فيه زوائد أفشى من أن يحصى ويدرك...» [4]. وهذا وهذا النص يعد امتداداً لرأي الخليل في إشارته إلى تمييز أصوات المد عن غيرها، ودورها في بناء الكلمة.

ب – كما أن الصوائت **تشارك في تكوين كلِّ مقطع** من المقاطع المؤلفة للكلمة في العربية حيث تمثّل النواة، وعددها يكفيك لمعرفة عدد المقاطع. ونجد عند علماء العربية بعض النصوص التي تتحدث عن نظام المقطع، كقول ابن جني في باب الساكن والمتحرك: «أما إمام ذلك، فان أول الكلمة لا يكون إلا متحركاً، وينبغي لآخرها أن يكون ساكناً ...» [5]. وأوضح مكي بن أبي طالب بعض الجوانب في قول ابن جني فقال: «الكلام كله أُلف من أربعة أشياء: من حرف متحرك، ومن حرفٍ ساكن، ومن حركةٍ ومن سكون، وذلك يرجع إلى شيئين: حرف متحرك وحرف ساكن، والحرف المتحرك في كلام العرب، أكثر من الساكن، كما أن الحركة أكثر من السكون. وإنما كان الحرف المتحرك في الكلام أكثر من الساكن؛ لأنك لا تبتدئ إلا بمتحرك، ولا يجوز أن يبتدأ بساكنٍ، ولا أن يتصل ساكنٌ بساكنٍ أبداً، إلا أن يكون الأول حرف مد ولين، أو يكون الثاني سكن للوقف»[6]. وتابع مكيَّ ابنُ الجزري في التمهيد[1].

---

(1) السيوطي، المزهر،2: 241.

(2) كتاب الكتّاب عبد الله بن جعفر بن درستويه (347هـ)، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، حولي، الطبعة الأولى 1397هـ – 1977 م، ص64.

(3) يعني: كلمة.

(4) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج 4، ص 318.

(5) الخصائص 2 / 330.

(6) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 97.

ولا بد لتكوّن المقطع أن يتبع الصامتَ مصوتٌ، سواء كان هذا المصوت قصيراً أو طويلاً؛ وهذا **الفارابي** يبين كيفية تكُّون المقطع، وأنواع المقاطع في قوله: «وكل حرفٍ غير مصوتٍ أتبع بمصوت قصير قرن به، فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك، من قِبَل أنهم يسمون أصوات المد القصيرة حركات. وكل حرفٍ لم يتبع بمصوتٍ أصلاً، وهو يمكن أن يقرن به، فإنهم يسمونه الحرف الساكن. وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل، فإنا نسميه المقطع الطويل، وكل حرف متحرك اتبع بحرف ساكن، فان العرب يسمونه السبب الخفيف ... وكل مقطع طويل فان قوته قوة السبب الخفيف، فلذلك يعد من الأسباب الخفيفة، وكل ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع الطويلة ... وكل سبب خفيف فانه يقوم مقام نقرة تامة تعقبها وقفة، وكذلك كل مقطع طويل» [(2)].

وهذه النصوص تتفاوت في طبيعتها بين علماء اللغة والتجويد من جهة، وبين الفلاسفة من جهة أخرى، ففي الوقت الذي نلحظ أقوال علماء اللغة والتجويد تشير إشارات عابرة تحتاج إلى زيادة إيضاح في تعريفهم للمقطع وذكرهم لكيفية تكونه ولأنواعه، فإننا نرى أقوال الفلاسفة مبينة لجوانب هذه القضية مما لا يدع كبير هوّةٍ بين ما قالوه وبين ما وصل إليه الدرس الحديث.

وممن نقل فكرة الفارابي ووضحها في هذه القضية أبو شجاع ابن الدهان، وهو من الفقهاء، حيث قال: «وبين الألفاظ والحروف المقاطع، والمقاطع تنقسم إلى خفيفة وثقيلة، فالخفيف يتركب من صامت ومصوت، والثقيل من صامتين ومصوت؛ لأن المصوت إما أن ينطق به في أقصر زمان يكون فيه اتصال الصامت إلى الصامت وإلى السمع، وهو المقطع المقصور، والسبب الخفيف العروضي مثل: (لن)، وإما أن ينطق به في ضعف الزمان أو إضعافه، ويسمى مقطعاً ممدوداً والوتد المفروق العروضي (فاع)» [(3)].

وحسبنا أن نلاحظ المصطلحات المستخدمة في عبارتيهما، فالناظر فيهما يتوهم لأول وهلة أنهما مما قاله المحدثون، ففضلاً عن الصامت والمصوت نراهما استخدما (المقطع – الخفيف – الثقيل – الممدود)، والمصطلح الأخير هو ما يقابل عند المحدثين مصطلح (المديد).

---

(1) ينظر: التمهيد في علم التجويد 110.

(2) الموسيقى الكبير 1078- 1079، نقلا عن كتاب أبحاث في أصوات العربية، الدكتور حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، 1998 م، ص 90- 91.

(3) تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، ونبذ مذهبية نافعة، محمد بن علي ابن الدَّهَّان، تح: د. صالح بن ناصر بن صالح الخزيم، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م، 57/1.

2 – على المستوى الصّرفي:

تحسن الإشارة إلى أن المستويين الصوتي والصرفي والدلالي يجمعها نسب قريب واتصال شديد من حيث أنها تهدف إلى إحداث التغيير على بنية الكلمة حسبما تحتمله من وجوه[1]. ولو أن فكاكها واستقلال الواحد عن المستويات الأخرى مما يتعسر، إذ النظر في أصل المادة اللفظية وزيادتها وتقبلها أمر صرفي لكن ذلك ملابس دائما للصورة السمعية (الصوت)، والناتج عن ذلك كله هو المعنى الدلالي الذي من أجله سيق الكلام الذي قال مكي بن أبي طالب عنه: « إنما جِيءَ به لتفهم المعاني التي في نفس المتكلم، وبالحركات واختلافها، تفهم المعاني فهي منوطة بالكلام مرتبطة به، إذ به يُفَرَّق بين المعاني التي من أجلها جِيء بالكلام»[2]. وجراء ذلك نجد من وظائف أصوات المد على المستوى الصرفي ما يلي:

أ - تقوم أصوات المد **بوظائف دلالية في بنية الكلمة وتنويع الصيغ على المستوى الصّرفي**؛ إذ تمثل الصوامت الجانب الثابت الذي يؤلف هيكل الكلمة، وتمثل هي الجانب المتغير الذي يحدّد صيغتها ويمنحها معناها، وبذلك تزداد قيمتها باعتبارها العامل الحاسم في إنشاء الكلمة العربية. فالصوائت تتكفّل بالتّفريق بين الأبنية المختلفة التي تدلّ على المعاني النحوية المتنوعة كالفاعلية والمفعولية والإضافة، أو على كون الاسم عمدةً أو فضلةً، وهذه المعاني النحوية لها أهمية كبرى في بيان المعنى العام للجملة، فلولا التمييز بين الفاعل والمفعول - على سبيل المثال - لاختلطت المعاني النحوية بعضها ببعض وبات المقصود من الكلام محاطاً بهالةٍ من الغموض. قال الكفوي: «كل لفظ فَلَهُ معنى لغَوِيّ، وَهُوَ مَا يفهم من مَادَّة تركيبه، وَمعنى صيغي وَهُوَ مَا يفهم من هَيئته أَي حركاته وسكناته وترتيب حُرُوفه »[3].

ب - ولأصوات المد وظيفة صرفية دلالية موحية؛ **هي مناسبتها للأحوال والمقامات**، وذلك أن: « مراتب الموجودات ثلاثة: مؤثر لا يتأثر وهو الأقوى، وهو درجة الفاعل ومتأثر لا يؤثر وهو الأضعف، وهو درجة المفعول، وثالث يؤثر باعتبار ويتأثر باعتبار وهو المتوسط، وهو درجة المضاف إليه، والحركات أيضا ثلاثة: أقواها الضمة وأضعفها الفتحة وأوسطها الكسرة، فألحقوا كل نوع بشبيهه، فجعلوا الرفع الذي هو أقوى الحركات للفاعل الذي هو أقوى الأقسام، والفتح الذي هو أضعف الحركات للمفعول الذي هو أضعف الأقسام والجر الذي هو المتوسط للمضاف إليه الذي هو المتوسط من الأقسام»[4].

---

(1) عبد العزيز عتيق، مدخل إلى علم الصرف، ص9.

(2) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 101.

(3) الكلّيات، (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)،أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي، (ت 1094هـ)،أعدّه للطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش، ومحمد المصري،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974م، ص: 994.

(4) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ دار إحياء التراث العربي (1/ 61).

ج - وللصوائت تأثير **في تغيير دلالة الكلمة ذات البناء الواحد،** كما قال سيبويه: «وسمعت من العرب من يقول: (قومٌ صُدْقُ اللقاء) والواحد (صَدْق اللقاء) »[1]، فالضمة جعلت دلالة الكلمة على الجمع في حين كانت دلالتها مع الفتحة على المفرد.

د - هناك تغييرات تجري على الكلمة المفردة عند جمعها جمع تكسير استنادا على الصوائت؛ يوضحها سيبويه بقوله: «وأما ما كان (فُعْلة)، فانك إذا كسّرته على بناء أدنى العدد ألحقت التاء وحركت العين بضمة، وذلك قولك: (رُكْبة) و (رُكُبات) و (غُرْفة) و(غُرُفات) ...وما كان (فِعْلة) فإنك إذا كسرته على بناء أدنى العدد، أدخلت التاء وحركت العين بكسرة، وذلك قولك: (قِربات) و (سِدِرات) و (كِسِرات) »[2]، أما ما كان مفتوح الأول، فإن اللغة الفصيحة إسكان الثاني، تقول: (عَوْرة، عَوْرات)[3].

هـ - هناك من الكلمات **المتفقة الصوامت ما يفرّق بين دلالاتها** بأصوات المد؛ قال ابن جني: «الذِل في الدابة: ضد الصعوبة، والذُّل للإنسان، وهو ضد العز، **وكأنهم اختاروا للفصل بينها الضمة للإنسان والكسرة للدابة**؛ لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدراً مما يلحق الدابة، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة »[4].

ولم يقتصر الأمر على أصوات المد القصيرة، بل تعداها إلى الطويلة، قال ابن جني: « وخصوا غَلَا في القول بالغُلُوّ؛ لأن لفظ فُعُول أقوى من لفظ فَعَال؛ للواوين والضمتين، وضعفِ الألف والفتحتين. وذلك أن الغُلُوّ في القول أعلى وأعنى عندهم من غلاء السعر، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾، وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾؟ وأما غلاء السعر فلا يدخل النار، ولا يحرم الجنة، ثم إنهم قالوا: غلتِ القِدْرُ تَغْلِي غَلَيَانا، فلما صغر هذا المعنى في أنفسهم أخذوه من الياء؛ لأنها تنحط عن الواو والضمة إلى الياء والكسرة»[5].

(1) الكتاب 3 / 628.
(2) الكتاب 3 /579 – 581.
(3) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن 2 / 199.
(4) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها 2 / 18.
(5) المحتسب لابن جني (2/ 139).

و - **من الأضداد ما يميَّز بينها بالصوائت**؛ يوضح لنا ابن فارس ذلك بقوله: «ومن سنن العرب الفرق بين ضدين بحرف أو حركة، كقولهم: يدوي من الداء، ويُداوي من الدواء، ويُخفِر إذا نقض، من أخفر، ويَخْفِرُ إذا أجار، من خَفَرَ، ولُعَنَة: إذا أكثر اللعن، ولُعْنَة، إذا كان يُلْعَن ...»[1].

وما نقلناه عن علماء العربية أدركه علماء التجويد والقراءات أيضا، قال مكي بن أبي طالب عن الكلام: «إنما جِيءَ به لتفهم المعاني التي في نفس المتكلم، وبالحركات واختلافها، تفهم المعاني فهي منوطة بالكلام مرتبطة به، إذ به يُفَرَّق بين المعاني التي من أجلها جِيء بالكلام»[2].

ز - تؤدي الصوائت **وظيفة الزوائد في الصيغ** القياسية لاشتقاق الألفاظ من الجذور المعجمية الثلاثية والرباعية والخماسية، والزوائد إما صوائت قصيرة أو طويلة ترد في الميزان الصرفي كما ترد في الألفاظ الموزونة، ويقوم بهذه الوظيفة كل صوائت العربية.

3 - على المستوى التركيبي:

أ - وللصوائت وظيفة أخرى تعد من خصائص بعض اللغات كالعربية، **هي وظيفة الإعراب**، أي وجود علامة صوتية في آخر الكلمة تدل على الوظيفة التركيبية لتلك الكلمة؛ فمن علامات الإعراب الوجودية في العربية أحرفُ المد الثلاثة والحركاتُ الثلاثة وحرفا اللين. وتتوزع مهام الصوائت من حيث العلامة الإعرابية على ما يأتي:

– **الرفع:** وله أربع علامات ثلاثة منها صوائت: الضمة والواو والألف؛ فالضمة في الاسم المفرد وجمع التكسير وجمع المؤنث السالم والفعل المضارع المجرد من ألف الاثنين وواو الجماعة وياء المخاطبة، والواو في جمع المذكر السالم والاسماء الستة، والألف في المثنى.

– **النصب:** وله خمس علامات أربعة منها صوائت: الفتحة والكسرة والألف والياء؛ فالفتحة في الاسم المفرد وجمع التكسير والمضارع المجرد من الألف والواو والياء، والكسرة في جمع المؤنث السالم، والألف في الاسماء الستة، والياء في المثنى وجمع المذكر السالم.

– **الجرّ**: وله ثلاث علامات كلها صوائت: الكسرة والفتحة والياء؛ فالكسرة في الاسم المفرد وجمع التكسير وجمع المؤنث السالم، والفتحة في الاسم الممنوع من الصرف، والياء في المثنى وجمع المذكر السالم.

(1) الصاحبي في فقه اللغة 376، وينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها 1 / 336.

(2) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة 101.

4 – على المستوى الدلالي:

تفطن اللغويون العرب إلى أثر الصيغة في توليد الدّلالة، ووضعوا قاعدة لذلك مفادها أنَّ الزيادة في المبنى تلحقها بالضرورة زيادة في المعنى[1]، وتتلوّن الأصوات بتلوّن الأغراض الدلالية، ففي غرض الوصف تكثر الكلمات الخفيفة والأصوات المعبّرة عن ذلك، وفي موضع الذكرى والتألم تكثر أصوات المدّ المعبرة عن الأنين والتألم. فعلى سبيل المثال قصيدة ابن زيدون النونية التي طغى عليها المدّ[2].

وكان ابن جني في مقدمة من نظر إلى الصوائت فوجدها تؤدي هي الأخرى الدور نفسه الذي تقوم به الصوامت، وأن إبدالها يؤدي هو الآخر دوراً مهماً في أداء دلالات مختلفة. فمن ذلك قوله: «الذِّل في الدابة ضد الصعوبة، والذُّل للإنسان وهو ضد العز، وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان، والكسرة للدابة، لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدراً مما يلحق الدَّابة»[3].

وبنظرته الفاحصة هذه يكون ابن جني قد حاز شرف السبق إلى مثل هذا التحليل، متقدماً بذلك جميع علماء اللغة المحدثين. فهذا الفيلسوف الهولندي **(بوص- Pos)**يذهب إلى ما ذهب إليه ابن جني بخصوص القيمة الدلالية للصوت **(الفونيم)**. فهو يرى أن «الانتقال من الفونيم الذي يدل على نفسه بنفسه إلى الكلمة التي تدل على شيء آخر لا يعد انتقالاً كبيراً، وبخاصة إذا وضع الإنسان في اعتباره-ولأول مرة- أن الكلمات تتألف من فونيمات، وأن المعاني الناتجة عن وضع الكلمات في تراكيب معينة تختلف اختلافاً جذرياً عن معاني الكلمات وهي مفردة»[4]. فالذي يعنيه **بوص** بكلامه هذا هو أن الفونيم هو الذي يوحي بدلالة الكلمة، كما أن هذه الأخيرة هي التي توحي بدلالة الجملة.

كما نجد أن نظرة ابن جني هذه قد سبقت نظرة اللغوي الإنجليزي **(فيرث - Firth)** الذي تحدث عما أسماه الوظيفة الفوناستيتيكية»، Phonaesthetic Function، ويعني بذلك تلك العلاقة القائمة بين الكلمات التي تبدأ بحرفين، مثل: ST أو SN أو SL وذلك في مثل[5]: - Stack: كومة، ركام، مقدار معين≠ Stick: عصا، عود، قضيب.

---

(1) ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ - 1999م،(2/ 209).

(2) أحمد عزوز، نشأة الدراسة الدلالية العربية وتطورها.

(3) ابن جني: المحتسب 18/2.

(4) نقلا عن ظ: أمنزوي، محمد، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى (دراسة صوتية إحصائية)، دار وليلي للطباعة والنشر - مراكش، ط الأولى، 2000 م، Ullman S: The principles of semantics. Basic Blackwel, OXFord 1957, pp 31-32.

(5) نقلا عن ظ: أمنزوي، محمد، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى، Firth J. R): Papers in linguistics. Oxford university press. London 1957, pp 44-46.

-Stub: أصل الشجرة الباقي بعد قطع جذعها≠ Stud: خشبة تسمر عليها الألواح المستخدمة في تشييد جدران المنازل.

- Slim: ينحل، يهزل≠Slit: يلوز، يضيق.

وإذا أمعنا النظر في هذه الكلمات فإننا سنجد ما يلي:

في أمثلة فيرث نلاحظ أنه حصل في الفئة **(أ)** إبدال بين الصائتين **(a)** و**(I)**الشيء نفسه يصدق على أمثلة ابن جني، ففي كل هذه الأحوال تنتج دلالات جديدة كلما أبدل صائت بصائت.

وكان الفارابي قد التفت إلى ما سمّاه بعض المحدثين **«الحاسة الموسيقية»**، وسمّاه هو **«الهيئة الشعرية»** [(1)]، وكونها مركوزة في الإنسان منذ تكوينه، أو على حدّ قوله: «مركوزة فيه من أول كونه». وهي في اللغة العربية وفي إحساس العربي أكثر ظهورًا، حتى إنّ كثيرًا من الباحثين يصف لغتنا بأنها لغة موسيقية، وأنها انحدرت إلينا وقد اكتسبت هذه الصفة منذ أقدم نصوصها[(2)]. وتلك الخصيصة أكسبت سمع العربي قدرة عالية في التمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة، فكان مرهفًا يستريح الحاضر من الكلام لحسن وقعه، وينفر من آخر لنبوّ جرسه[(3)]. ولقد بلغ القرآن الكريم الذروة في التأثير في سمع العربي ووجدانه، وذلك بعذوبة جرسه وجمال إيقاعه ونغمه، وما لذلك من صلة بدلالته[(4)].

ومن إعجاز القرآن وتفرّده الرائع في الدلالة، ارتباط الصوت بمعانيه ارتباطًا وثيقًا. وقد تبيّن لغير واحد من القدماء والمعاصرين، أنّ الجانب الصوتي ركن أساس في بناء التعبير القرآني، في عدة مواضع من التنزيل. ولابن جنّي ملاحظات دقيقة في هذا المضمار؛ من ذلك أنه في احتجاجه لقراءة أبي عمرو: ما لِي لا أَرَى الْهُدْهُدَ [النمل 20] بإسكان الياء، وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي [يس 22] بتحريكها- نسب إلى الإسكان معنى جواز الوقف، وإلى التحريك معنى وجوب الوصل. قال: «ومما يتلقّاه عامة من يسأل عنه بأنه أخذ باللغتين، وسعة باختلاف اللفظين: قراءة أبي عمرو: وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ بسكون الياء من (لي)، وقراءته أيضا: وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي بتحريك الياء. وعلة ذلك ليس الجمع بين اللغتين كما يفتي به جميع من تسأله عنه، لكنه لمّا جاز الوقف على قوله تعالى: وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ، وأن يستأنف فيقول: لا أَرَى الْهُدْهُدَ- سكّن الياء من (لي)، أمارة لجواز الوقوف عليها. ولمّا لم يحسن الابتداء بقوله: لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي، حرّك

(1) كتاب الموسيقى الكبير للفارابي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 70.

(2) دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، ط2، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1963م، 195.

(3) دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، ط2، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1963م.

(4) ينظر: التصوير الفني في القرآن لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط 16، 2002، ص 101.ظ: نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنايرة، جدة – السعودية، ط01، 1991م.

الياء من (لي) قبلها، أمارة لإدراج الكلام ووصله، وذاك أن الحركة من أعراض الوصل، والسكون من أعراض الوقف» [1].

على أن جمهور المحدثين على إنكار الصلة بين الأصوات ومدلولاتها في أكثر ألفاظ اللغة و المراد إنكار الصلة الطبيعية، لا عموم الصلة، لأن بينهما صلة عرفية، مع التسليم بأن فيها معاني تتطلب أصواتا خاصّة[2].

وأما ما يستشعره أهل اللغة من صلة بينهما فأمر مكتسب لا ذاتي، «نشأ بعد معرفة السامع بالمعنى لا قبله، ولذلك يصعب- بل يتعذر- على الأجنبي أن يحسّ بشيء من هذا التناسب الدلالي الصوتي ما لم يكن على معرفة باللغة، على حين أنه إذا عرف من هذه اللغة أو تلك كلمات كثيرة، وألف طريقة تركيبها، وتذوّق أصواتها- أخذ يربط بين جرسها ومعناها، اكتسابا من سيرورة الاستعمال لا استنتاجا من صلات طبيعية بين كلّ حرف وما يدلّ عليه من معان في حال الإفراد والتركيب»[3].

6 – على مستوى القراءات القرآنية:

كما تظهر الأهمية الوظيفية للمدود إذا نظرنا إليها نظرة النواة الحساسة في تعدد وتنوع أوجه القراءات القرآنية؛ والتي تبنى على معظم الظواهر الصوتية النوعية كالإمالة والتفخيم والوقف والسكت والروم والإشمام والإبدال والإتباع الحركي، وكذلك الظواهر الكمية كالمد والقصر وما بينهما، وكل هذا سنأتي عليه بالتفصيل في بابه من هذا البحث.

---

(1) المحتسب: 1/ 146 - 147، وانظر إعراب السبع: 2/ 144 - 145.

(2) ظ: ربيع بن هادي عمير المدخلي، نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم،ص44.ظ: من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 3، 1966 م، ص 129 - 130؛ ودلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 6، 1991 م، ص 68 - 74؛ ودور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة: د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط 12، 1997 م، ص 89 - 90؛ والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: د. النعيمي، 291 - 292.ظ: ربيع بن هادي عمير المدخلي، نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم،ص44.

(3) مدخل إلى فقه اللغة العربية: د. أحمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1999 م، ص 202؛ وانظر دلالة الألفاظ: 71.

المبحث التاسع: أصوات المد ساكنة أم حركات طويلة؟

وردت تعريفات أحرف المدّ في كتب التراث دائما مقيدة بالحركات المجانسة لها والمتقدمة عليها [1]. وهذا ينطلق - كما هو واضح - من الاعتقاد بوجود حركة قبل حرف المدّ تكون من جنسه ليشكّل بداية لها وتكوّن امتدادا له وبه.

وإذا فحصنا طريقة الكتابة العربيّة التّراثيّة وجدناها قد أثبتت فتحة قبل ألف المدّ وضمّة قبل واو المدّ وكسرة قبل ياء المدّ، وقد ظهر ذلك في كتابة القرآن الكريم والنصوص العربية، فقد جاء في سورة الفاتحة مثلا: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)، حيث تظهر في الآية فتحة قبل الألف في الكلمات: صرَاط، ولاَ، الضَّالّين. كما تظهر ضمّة قبل الواو في كلمة المغضُوب، أمّا الكسرة قبل الياء فتظهر في الكلمتين: الذِين، الضّالِين.

والمتفحّص لكتب الأدب واللغة يجد كلاما شائع الاستخدام حول الياء المكسور ما قبلها والواو المضموم ما قبلها وأن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا[2].

ومعنى ذلك أنّ الكتابة العربيّة قد أثبتت الحركات قبل حروف المدّ، وأنّ العرف اللغويّ الذي كان شائعا لدى القدماء ممن كتب في اللغة والأدب يقضي بوجودها. وهذا العرف اللغوي مما أنكره المحدثون على المتقدمين؛ يقول إبراهيم أنيس:«الفرق بين الفتحة وما يسمّى بألف المدّ لا يعدو أن يكون فرقا في الكمّيّة. وكذلك الفرق بين ياء المدّ وواو المدّ إذا قورنتا على التّرتيب بالكسرة والضّمّة، ليس إلا فرقا في الكمّيّة، فما يُسمّى بألف المدّ هي في الحقيقة فتحة طويلة، وما يسمّى بياء المدّ ليست إلا كسرة طويلة، وكذلك واو المدّ تعدّ من النّاحية الصّوتيّة ضمّة طويلة، فكيفيّة النّطق بالفتحة وموضع اللسان معها يماثل كلّ المماثلة كيفيّة النّطق بما يسمّى ألف المدّ، مع ملاحظة فرق الكمّيّة بينهما» [3].

وهذا الفهم في الواقع لا يتعارض مع فهم من تناول الموضوع من علماء اللغة القدماء ففارق الكمّيّة هو ما عبّر عنه ابن جنّي أن «الحركة حرف صغير؛ ألا ترى أن من متقدمي القوم من كان يسمى الضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والفتحة الألف الصغيرة. ويؤكد ذلك عندك أنك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها.» [4]، وما الإشباع الذي تحدّثوا عنه سوى زيادة في الكمّيّة على حدّ تعبير إبراهيم أنيس.

(1) القاموس المحيط، مادّة "حرف".ظ: لسان العرب، مادّة "ردف".

(2) انظر مثلا: المخصّص لابن سيده ص.1348 و 1522، المقتضب للمبرد ص11و 19.

(3) الأصوات اللغويّة، ص. 38.

(4) الخصائص ص. 196.

ويعرّف ابن جنّيّ الحركات على أنّها «أبعاض حروف المدّ واللين»[1]. وحجته في ذلك أنّك: «متى أشبعت واحدة منهنّ حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه، وذلك نحو فتحة عين (عَمَرَ) فإنّك إن أشبعتها حدث بعدها ألف، فقلت (عامَر). وكذلك كسرة عين (عِنَب) إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة، وذلك قولك: (عِينَب). وكذلك ضمة عين (عُمَر) لو أشبعتها لأنشأت بعدها واوا ساكنة، وذلك قولك: (عُومَر). فلولا أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما نشأت عنها ولا كانت تابعة لها»[2]. وهو يكرّر الرؤية نفسها في مواضع أخرى[3].

ولكن الإشكال الوارد هو: **هل يشكّل حرف المدّ بديلا للحركة أم أنّه حرف مستقلّ ينشأ عن إشباع الحركة مع بقائها قبله؟ وهل أحرف المد أصوات ساكنة مسبوقة بحركات قصيرة أو أنها حركات طويلة لا حركةَ قبلها؟**

يقول د. إبراهيم أنيس - إجابة عن ذلك -:« ولكنّ القدماء **قد ضلّوا الطريق السّويّ** حين ظنّوا أنّ هناك حركات قصيرة قبل حروف المدّ، فقالوا مثلا أنّ هناك فتحة على التّاء في (كتاب) وكسرة تحت الرّاء في (كريم)، وضمّة فوق القاف في (يقول)!! والحقيقة أنّ هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع، فالتّاء في (كتاب) محرّكة بألف المدّ وحدها، والرّاء في (كريم) محرّكة بياء المدّ وحدها، والقاف في (يقول) محرّكة بواو المدّ وحدها»[4].

ولنا أن نسأل عن السّبب الذي أدّى بالقدماء إلى أن «يضلّوا الطّريق السّويّ» - على حدّ تعبير الكاتب-، وهو يردّ هذا الخطأ إلى الكتابة العربيّة بقوله:« ويظهر أن الكتابة العربية في صورتها المألوفة من وضع فتحة على التاء في (كتاب) وكسرة تحت الراء في (كريم) وضمة فوق القاف في (يقول) قد جعلت القدماء يتوهمون وجود حركات قصيرة في مثل هذه المواضع»[5].

وادّعاء د. إبراهيم أنيس أنّ « القدماء قد ضلوا الطّريق السّويّ» يقوم على أساس التّحليل الصّوتيّ للغة العربيّة، فالمقطع **تا** في كلمة **كتاب** يتألّف من صوتين هما التّاء وألف المدّ، والمقطع **ري** في **كريم** يتألّف من صوتيّ الرّاء والياء، والمقطع **قو** في كلمة **يقول** يتألّف من صوتي القاف والواو، ومعنى ذلك من الناحية الصوتيّة أنّه يتركّب كلّ مقطع من المقاطع المذكورة من صامت اقترن به صائت طويل وليس هناك من داع للقول بوجود صائت آخر قصير من جنس حرف المدّ قبله. وإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة إذن لكتابة حركة قبل حرف المدّ ويجب الاكتفاء بحرف المدّ على اعتباره رمزا خطّيّا للحركة الطّويلة.

---

(1) سرّ صناعة الإعراب ص. 17.

(2) سرّ صناعة الإعراب. 18.

(3) الخصائص ص. 272، باب مطل الحركات.

(4) الخصائص. 39.

(5) الخصائص. 39.

وإذا عدنا لأهمّ المؤلّفات العربية في الموسيقى، نجد ذويها قد وصفوا المقطع العربيّ الطّويل المفتوح وصفا علميّا دقيقا ينسجم مع ما جاءت به البحوث المعاصرة من حيث تحليل المقطع إلى أصوات.

يقول ابن سينا:« فالحروف كما علمت في مواضع أخرى إما صامتة أو مصوّتة. والحرف الصّامت إذا صار بحيث يمكن أن ينطق به على الاتّصال الطّبيعيّ سمّي مقطعا، وهو الحرف الصّامت الذي شحن الزّمان الذي بينه وبين صامت آخر يليه بنغمة مسموعة. فإن كان ذلك الزّمان قصيرا سمّي المقطع مقصورا، وهو حرف صامت وحرف مصوّت مقصور، وإن كان طويلا سمّي مقطعا ممدودا، وهو حرف صامت وحرف مصوّت ممدود» [1].

كما جاء في كتاب الموسيقى الكبير للفارابي أن «الحروف منها مصوّت وغير مصوّت. والمصوّتات منها قصيرة ومنها طويلة، والمصوتات القصيرة هي التي تسمّيها العرب الحركات. وكلّ حرف غير مصوّت أتبع بمصوّت قصير قرن به فإنّه يسمّى المقطع القصير، والعرب يسمّونه الحرف المتحرّك...وكلّ حرف غير مصوّت قرن به مصوّت طويل فإنّا نسمّيه المقطع الطّويل» [2].

وما جاء في مؤلفات الموسيقيّين يدلّ على أمرين: أوّلهما أنّ علم الموسيقى قد ميّز بين الصّائت القصير والصّائت الطّويل، وثانيهما يتمثّل في رؤية المقطع الطّويل أو الممدود أنه يتركّب صوتيّا من صامت يتلوه صائت طويل، وهذا الفهم هو عينه الذي يقول به إبراهيم أنيس ومن نحا نحوه من المعاصرين. وعليه نقول: إنّ إبراهيم أنيس لم يكن دقيقا عندما عمّم ما جاء عند ابن جنّيّ على القدماء بوجه عام بقوله السابق.

كما هو واضح؛ فإنّ قضيّة وجود الحركات قبل حروف المدّ أو عدم وجودها تستوجب طرح الموضوع على مستويين من مستويات اللغة هما: المستوى الكتابيّ والمستوى الصّوتيّ، لأنّ الخلط بين المستويين هو الذي أحدث هذا التعقيد والغموض.

ينص إبراهيم أنيس - فيما أوردناه سابقا - أنّ عادات الكتابة العربيّة المألوفة قد أثبتت الحركات قبل حروف المدّ، وهو لا يقول بخطإ ذلك، ولكنّه ينسب الخطأ إلى ما بني على ذلك من تحليل صوتيّ لدى القدماء وهو يعني بذلك علماء اللغة منهم. وصورة الكتابة العربيّة المألوفة هي أمر تواضع عليه أصحاب اللغة العربُ عبر تطوّرات تاريخيّة أوصلت هذه الكتابة إلى الصّورة التي نعهدها اليوم، وشأن اللغة العربيّة في ذلك هو شأن جميع اللغات.

لم يكن في الكتابة العربيّة القديمة رموز للصّوائت القصيرة **(الحركات)**، أما الصّوائت الطّويلة فقد تمثّلت في الكتابة بالألف والواو والياء، وقد التفت الكتّاب إلى ضرورة إثبات الحركات في النّصّ المكتوب، وهكذا نجد في نسخ القرآن القديمة علامات خطّيّة ترمز للحركات بنقاط حمراء تضاف إلى الحروف؛ فالنّقطة فوق

(1) ابن سينا، جوامع علم الموسيقى، ص 123-124.

(2) كتاب الموسيقى الكبير، ص. 1072- 1079.

الحرف ترمز للفتحة والنّقطة تحته ترمز للكسرة أمّا الضّمّة فقد رُمِز إليها بنقطة في الوسط أو على السّطر، وقد تطوّرت هذه العلامات حتى وصلتنا إلى شكلها الراهن الذي نعرفه ولا ننكره.

أمّا فيما يخصّ أحرف المدّ فقد تمثّلت في الكتابة العربيّة بوضع رموز الحركات قبلها في مثل: قَالَ، بِيعَ، سُوقٌ، للتّدليل على كونها أحرف مدّ فالرّموز: (ـَا، ـُو، ـِي) تدلّ دائمًا على أحرف المدّ في اللغة العربيّة.

ولا حرجَ في أن يرَمِّز العرب بعلامتين هما الفتحة والألف، أو الضّمّة والواو، أو الكسرة والياء، ويمكن أن يناقش الأمر بمعايير النّجاعة والسّهولة والصّعوبة ومدى دقّة تمثيل الرّمز المكتوب للصّوت المنطوق وغير ذلك من معايير، ولكنّه لا يخضع لمعيارَي الخطأ والصواب. وإذا كان العرب قد عبّروا عن التّنوين- مثلا- بحركة ثانية على الحرف الأخير بدل كتابة نون ساكنة، فلا ننسب ذلك اليوم إلى الخطإ في الكتابة، ولكن لنا أن نرتِّب ذلك على معيار النّجاعة ومدى الصّعوبة أو اليُسر، ولا نمنع قائلا بضرورة تغيير عادات الكتابة فيما يراه أنسب وأنجعَ، ولكن الواقع أن هذه هي أعراف الكتابة العربيّة تطوّرت على مدى عصور، وهي ليست معقّدة في هذا الباب على الإطلاق، فما من داع يدعو إلى تغييرها-على ما يبدو-، فإذا وصلت الكتابة العربيّة إلى التّدليل على المقطع الطّويل المفتوح بإثبات حركة على الصّامت وإضافة حرف مدّ من جنسها بعدها فلا يعدو الأمر كونه عرفا مقبولا من أعراف الكتابة لا يصدِم النّظر، ولا في كتابته تعقيد يدعو إلى تغييره. وأعراف الكتابة في كلّ لغة- وليس في العربيّة فحسبُ - تنشأُ وليدةَ تطوّرٍ تاريخيّ يترحَّل بالكتابة من حال إلى حال، ولا يوجد - فيما يُعلم - تطابق تامّ بين أعراف الكتابة والبنية الصّوتيّة لكلمات اللغة، فقد تكتب علامات خطّيّة ولا تسمع صوتيّا، كما قد تدلّ العلامة المكتوبة على مساحة من الأصوات تختلف فيما بينها، كما قد يكون للصوت الواحد أكثر من رمز كتابي.

ولنا أن نسأل عن الدّاعي الصّوتيّ لكتابة الحرف t في كلمة often، وعن وجود الحرف k في بداية كلمة know في اللغة الإنجليزيّة! ليس هناك ما يوجب ذلك صوتيّا **ولكن التّطوّر التّاريخي للغة الإنجليزية قد حافظ على هذه الأحرف من أصول سابقة،** فهذه الأحرف لا زالت تلفظ في الألمانيّة في الكلمات المقابلة oft و kennen، ورغم اختلاف نطق هذه الكلمات وطريقةَ كتابتها في الإنجليزيّة إلا أنّها بقيت ثابتة في الكتابة، وهي تشكّل تعقيدا على طالب اللغة ليس كمثله الظّاهرة التي نحن بصددها في اللغة العربيّة. يشبه ذلك في اللغة العربيّة إثبات واو كلمة عمرو في الكتابة، والألف الفارقة، وإبقاء لام التّعريف قبل الحروف الشّمسيّة وغير ذلك من ظواهر الكتابة.

أمّا فيما يخصّ المساحة الصّوتيّة فإنّنا ندرك أنّ الحروف قد تلفظ بطرق مختلفة بحسب ما يجاورها، ولا تتغيّر كتابتها جرّاء تغيير نطقها، كألف الفتح والإمالة، والصوت المرقق والمفخَّم، والمختلس والتام والمُشَمّ والمُرام، والمنقلب عن غيره وما إلى ذلك.

كما تتماثل بعض الحروف في لفظها وتختلف كتابةً مثل الألف القائمة والألف على صورة الياء، والتّاء المربوطة والمفتوحة، وكلّ ذلك يعني أنّه لا يوجد تماثل تامّ بين المستوى الصّوتيّ والمستوى الكتابيّ ولا يحسب ذلك من الأخطاء.

وإذا قارنا بين طريقة الكتابة العربيّة وطريقة الكتابة العبريّة فإنّنا نجد تشابها في هذا الباب فالعبريّة أيضا قد أثبتت الحركات قبل حروف المدّ معتبرة الحركة والحرف صوتا واحدا كالآتي:

(1)

نوع الحركة	القصيرة	الطويلة
الفتحة	—	ـَـا
الكسرة الخالصة	ـِ	ـِـي
الكسرة المالة	ـِ	ـِـي
الضمة الخالصة	ـُ	ـُـو
الضمة المالة	ـُ	ـُـو

فليس ثمت من سبب لتخطئة إثبات الحركات قبل حروف المدّ كتابيّا، حتّى وإن لم يكن هناك داع لإثباتها على المستوى الصّوتيّ، إنْ هو إلا عرف من أعراف الكتابة تواضع عليه أصحاب اللغة على مرّ القرون، حيث رمزوا لحروف المدّ بوضع حركة من جنسها قبلها.

وإذا عدنا إلى المستوى الثّاني الذي طرحناه سابقا وهو المستوى الصّوتيّ الذي سوّغ لإبراهيم أنيس القول بخطأ القدماء، في قولهم بوجود حركة قبل حرف المدّ عند تحليلهم لأصوات اللغة. نبدأ ذلك بسؤال أساسيّ هو: هل اعتبر ابن جنّي وغيره من علماء اللغة المتقدمين وجودَ صائتين بعد الصّامت في المقطع الطّويل المفتوح في اللغة العربيّة؟ وهل المقطع (مَا) مؤلّف من صامت هو الميم، يتلوه صائت أوّل هو الفتحة، وصائت ثان هو الألف المدية؟!

للإجابة عن ذلك نورد ما جاء عند ابن جنّي حيث يقول:«والحرف الواحد لا يتحمّل حركتين، لا متّفقتين ولا مختلفتين»[2]. وهذا كلام صريح ينفي عن ابن جنّي القول بوجود صائتين بعد صامت. ومعنى هذا أنّ ابن جنّي يرى أنّ المقطع (مَا) يتألّف من صامت واحد وصائت واحد طويل، لأنّ الصامت الواحد لا يتحمّل حركتين ولو كانتا متّفقتين (وهما الفتحة والألف في المثال). وإذا كان الأمر كذلك فليس لنا أن ننسب

(1) رمضان عبد التواب، في قواعد الساميات العبرية والسريانية والعربية مع النصوص والمقارنات، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط02، 1983م، ص14.

(2) سر صناعة الإعراب ص 27.

إليه أنّه قد «ضلّ الطّريق السّويّ»، لأنّ هذا الفهم للأصوات هو عينه الفهم الذي يقول به المعاصرون ممّن بحَث الأصوات اللغويّة.

ولكنّ كلام ابن جنّيّ يحتاج إلى تفسير، فإن قال بوجود صائت واحد بعد الصّامت فما تبريره لوجود الحركة وحرف المدّ مقترنين؟ لشرح ذلك لا بدّ من العودة إلى طبيعة فهم ابن جنّيّ للحركات وحروف المدّ.

يرى ابن جنّي أنّ الحركات في اللغة العربيّة ثلاث وهي فتحة وكسرة وضمّة [1]. وأحرف المدّ في نظره «توابع للحركات ومتنشّئة عنها، وأنّ الحركات أوائل لها وأجزاء منها، وأنّ الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمّة مشبعة»[2]. والإشباع والمطل في تعبيره يدل على الزّيادة الكمّيّة في نطق الحركة، وننبّه إلى تعبيره الصّريح أنّ الحركات هي أوائل لحروف المدّ وأجزاء منها، وإذا نظرنا فيما اقتبسناه من كلام ابن جنّيّ نرى أنّه يعتبر الحركات ثلاثا، وأنّك تبدأ النّطق بعد الصّامت بالصّائت القصير - على حدّ تعبيرنا -، وإذا زدت من كمّيّته وصلت إلى لفظ الصائت الطويل، وهذا الأخير لا تنفصل مدّة النّطق به لعن مدّة النّطق بالصّائت القصير قبله، إذ لا يمكن أن يحرّك الصّامت بحركتين، ولكنّ الصّائت القصير هو **بداية لحرف المدّ وجزء منه** على حدّ تعبيره، فيكون الصّائت القصير وحرف المدّ بعده كُلاً واحدا غير قابل للتّجزئة، وهو يقول في ذلك:« وذلك حكم حرف المدّ الذي يحدث عن تمكين الحركة ومطلها واستطالتها، هو من هذا الوجه في حكم الحركة، والحركة في حكمه، لأنّه لا يمكن فصل الحركة منه والعودة إلى استتمامه، لأنّ هذه المدّة المستطيلة إنّما تسمّى حرفا ليّنا ما دامت متّصلة، فمتى عُقتها عن الاستطالة بفصل مَّا فقد أخرجتها عن اللين والامتداد الذي هو شرطها» [3].

نستنتج مما سبق أنّ ابن جنّيّ يعتبر الحركة وحرف المدّ بعدها صائتا واحدا، ولا يقول بوجود حركتين بعد الصّامت في المقاطع الطّويلة، وهذا الفهم لا يناقض جوهريّا فهم بنية المقطع الصّوتيّة التي ترى وجود صائت طويل بعد الصّامت في هذه المقاطع، ولكنّه يختلف عن إبراهيم أنيس ومن نحا نحوه في تفسير كيفيّة التّوصّل إلى النّطق بحرف المدّ، وإن كانت النّتيجة في كلا التّفسيرين واحدة. فحرف المد عند ابن جني تتميم للحركة القصيرة التي هي بعضه، وعند إبراهيم أنيس يستبدل الصائت القصير تماما بصائت طويل.

وهذا عبد الرحمن حاج صالح يفسر ظاهرة المصوت الطويل الذي يتكون – عند المتقدمين- من الحركة وامتداد صوتها تفسيرا مخبريا، والذي عالجته الباحثة M.Durand ومن قبلها N. Trubetskoy الذي يعد أحد مؤسسي الفنولوجية، وهو إذ صرح بأن المصوت القصير ذو قسم واحد (monoparti) والمصوت

(1) سر صناعة الإعراب. 27-28.

(2) سر صناعة الإعراب. 23.

(3) سر صناعة الإعراب ص 32. ظ: الخصائص ص 196.

الطويل هو ذو قسمين (bidarti) لأن التلفظ بالمصوت الطويل يختلف في بدايته عن نهايته كمًّا وكيفًا. فبعد أن ذكرت الباحثة Durand هذا الكلام بينت باللجوء إلى الاختبار الآلي أن المصوت الطويل يتصف قسمه الأخير (وهو الأطول) بتناقص لقوة اللفظ(decroissance)، أما المصوت القصير فتتزايد قوته[1]. ونستنتج من ذلك أن المصوت الطويل متزايد القوة في بداية، وهذا يتفق مع نظرة العلماء العرب كابن جني وغيره. وخاصة حكمهم على حرف المد بأنه ساكن إلا أن السكون هنا غير السكون في الحروف الجوامد لأنه يحصل بالتدريج، ومع ذلك فهذا المتناقص القوة هو أقوى من المتزايد لطوله، وذلك في اللغات التي يلعب المد فيها دورا في التمييز[2].

ومن الأهمّيّة بمكان **أن نرى الظّاهرة في سياق الفهم الصّرفيّ والنّحويّ** للغة العربيّة وهو السّياق الذي تتراءى فيه نظرة القدماء، وليس في بُعدها الصّوتيّ معزولا عن أبعاد اللغة الأخرى، ومن أهمّ خصائص اللغة العربيّة كونها لغة اشتقاقيّة يمْكن فيها بناء صيغ من أصول مختلفة على أوزان متعارف عليها. وإذا كانت الحركة جزءا لا يتجزّأ من صيغة الميزان الصّرفيّ، فإنّ ذلك يوصلنا إلى الإعلال في بعض الحالات التي يكون فيها اختلاف بين الحركة وحرف العلّة.

يقول ابن جنّيّ: «وأنت لو رُمت أن تأتي بكسرة أو ضمّة قبل الألف لم تستطع ذلك البتّة، وكذلك لو تكلّفت الكسرة قبل الواو السّاكنة المفردة، أو الضّمّة قبل الياء السّاكنة المفردة، لتجشّمت فيه مشقّة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصّحاح، وذلك نحو **فِعْلٍ** من القول والطّول، أصله أن تقول فيه **قِوْل وطِوْل**، ثمّ تستثقل ذلك، فتقلب الواو - للكسرة قبلها - ياء، فتقول: **قِيل وطِيل**، وقد قالتهما العرب مقلوبين هكذا. ونحوهما: **ميزان وميقات وميعاد**، كلّ هذا من الواو في: **وزن ووقت ووعد**. وكذلك قالوا **مُوسِر ومُوقِن** وأصلهما: **مُيْسِر ومُيْقِن**، فكرهوا الياء بعد الضّمّة، فأبدلوها واوا. وكذلك إن انكسر ما قبل الألف أو انضمّ قلبت للكسرة ياء وللضّمّة واوا، وذلك الياء في **قراطِيس**، إنّما هي بدل من الألف في **قرطاس**، والواو في **ضُوَيرب** إنّما هي بدل من الألف في **ضارب**»[3].

ومعنى هذا الكلام أنّ الكسرة على القاف في كلمة قِيل، وعلى الميم في مِيزان، وكذلك الضّمّة على الميم في مُوسر والكسرة على الطّاء في قراطيس كلّها حركات موجودة ومستقلّة في الميزان الصّرفيّ عن أحرف

(1) عبد الرحمن الحاج صالح، الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة الحديثة، بحث ألقاه في الجلسة العاشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والستين يوم الاثنين 17 من ذي القعدة سنة1418هـ الموافق 16 من مارس (آذار) سنة 1998م.

(2) قال عبد الرحمن حاج صالح: هذا قد برهنا عليه منذ زمان فيما يخص العربية: انظر مقالتنا **La notion de syllabe** وما ألحقنا بهذا البحث من ذبذبيات وأطياف.

(3) سرّ صناعة الإعراب ص. 18-19.

المد، وقد أدّى وجودها إلى تغيير الحروف التي تلتها إلى حروف مدّ تجانسها، **وهذا أمر سوّغ لابن جنّيّ القول بوجود الحركة والحرف مقترنين وإن لم يقل بوجود صائتين في اللفظ.**

ويمكن أن نذكّر في هذا المقام أنّ الإعراب في اللغة العربيّة يُعنى بحركة آخر الكلمة بحسب وظيفتها في الجملة، وعليه نقول إنّ الفعل الماضي يبنى على الفتح عند اتّصاله بألف الاثنين في نحو **ذهبَا**، وعلى الضّمّ عند اتّصاله بواو الجماعة نحو **ذهبُوا**، ولو اعتبرنا الألف والواو حرفي مدّ غير مسبوقين بحركات قصار **لحمّلناهما وظيفتين: إحداهما دلالتهما على ضمير الفاعل، وثانيهما كونهما حركة طويلة تتلو آخر الفعل الماضي لتكون علامة بناء له،** وقد يكون في ذلك تعقيد أكثر مما هي عليه قواعد اللغة العربيّة الرّاهنة[1].

والأمر يتضمّن إشكالا آخر هو أنّ الألف والواو يضافان إلى الفعل بعد تمام أحرفه، والإعراب كما قلنا يبحث في علامة الحرف الأخير منه، وليس فيما يتلوه من حروف. وشبيه ذلك يمكن أن يقال في تحريك آخر الاسم بالكسر عند اتّصاله بياء المتكلّم، وفي مواضع أخرى في الصّرف والنّحو.

يتضح مما تقدم أن علماء السلف أدركوا طبيعة حروف المد الصوتية، وأنهم حين درسوا وظائفها الصوتية والنحوية عاملوها معاملة تتناسب وطريقتَهم في التحليل الصرفي والنحوي بشكل عام.

إنّ فهم المتقدمين من علماء اللغة ليس مجرّد سهو أوقعتهم به الكتابة العربيّة في صورتها المألوفة، ولكنّه فهم ينسجم وتفسيرَهم للظّواهر الصّرفيّة والنّحويّة التي قدمناها، إلى غيرِ ذلك من الظّواهر التي يعرفها كل متخصص.

واستنادا إلى ما سقناه يمكننا أن نخلص إلى النّتائج التّالية:

1 - هناك إجماع بين من أوردناهم في البحث من علماء لغة وموسيقيّين على أنّ المقطع الطّويل المفتوح يتألّف على المستوى الصّوتيّ، من صوتين هما الصّامت والصّائت الطويل (حرف المدّ) ولا أحد يدّعي وجود صائتين بعد الصّامت.

2 - دلّت الكتابة العربيّة في صورتها المألوفة على حرف المدّ (الصّائت الطّويل) بحركة وحرف من جنسها (ـَا، ـُو، ـِي).

3 - ينسجم هذا العرف في الكتابة مع النّظريّة العربيّة القديمة في النّحو والصّرف، فيكوّنان معا فهما منسجما ومتماسكا.

4 - إضافة إلى ما ذكرناه سابقا فإنّه يصعب تغيير طرق الكتابة العربيّة في عصرنا هذا، من منطلق تطابق الرّمز المكتوب والصّوت المسموع، لأن ذلك يصَعِّب على الأجيال الراهنة والتالية قراءة كتب التراث

(1) منير تيسير منصور شطناوي، حركة آخر الفعل الماضي بين اللاحقة الإسنادية والعلامة البنائية، الجامعة الهاشمية -كلية الآداب - قسم اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 79، (107 ـ 127).

التي تم كتابتها، وبخاصة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. كما أنه يشكل تصادما في تفسير بعض الظّواهر النّحويّة والصّرفيّة التي لا تنسجم مع الكتابة الجديدة المتوقعة.

5 - على افتراض الوصول إلى ذلك - وما أضناه! -، وإلى أن يتمّ ذلك فالكتابة السّليمة وفق العرف العربيّ تلزم وضع الحركات قبل أحرف المدّ.

المبحث العاشر: أصوات المد في الكتابة العربية[1]

اختلفت نظرة العلماء قديماً وحديثاً لتاريخ تطور كتابة أصوات المد القصيرة عنه في أصوات المد الطويلة؛ ففي الوقت الذي يُرجِع فيه أكثر الباحثين تاريخ كتابة أصوات المد القصيرة إلى عهد تلى نزول القرآن الكريم وتدوينه، فإننا نراهم يتفقون على أن تاريخ كتابة أصوات المد الطويلة يرجع إلى عهد سابق لنزول القرآن على نحو ما سنبينه في هذا المبحث الذي قسمناه إلى فقرتين أساسيتين تطلبهما المقام؛ هما: **تاريخ كتابة أصوات المد القصيرة، وتاريخ كتابة أصوات المد الطويلة.**

1 ـ تاريخ كتابة أصوات المد القصيرة:

لم تعتمد الكتابة العربية في القديم على إثبات رموز صوتية للصوائت القصيرة؛ فكلمة مثل كَتَبَ تتكون في الحقيقة من ستة أصوات (**kataba**)، ولكنها كانت تكتب في ثلاثة رموز فقط، اعتمادا على أن الذهن يكمّل النقص، ويبرزه في النطق حسب السياق. ولقد كان هذا الوضع مقبولا في عصور الجاهلية، حين لم تكن الكتابة مهنة أو مهارة يدوية، أو وسيلة لتسجيل المعارف، حيث ندر الاهتمام بها، وقلت المعرفة بها في الجزيرة العربية. أما بعد ظهور الإسلام واتساع رقعته واختلاط العرب مع غير العرب، حيث صار يصعب على غير العربي الفصيح تمييز الحركات في السياق. ومن ثم بدأت محاولة استدراك الوضع...[2].

تكاد تتفق كلمة الباحثين قديماً وحديثاً على أن الواضع الأول لعلامات أصوات المد القصيرة في الكتابة العربية هو أبو الأسود الدؤلي، وذلك اعتمادا على الرواية التي ذكرها العلماء عنه حين أحضر كاتبا وصبغا يخالف لون المداد، وقال لكاتبه: «إذا فتحت شفتي، فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله»[3].

وهناك روايات تُرجع أصل هذا الوضع إلى نصر بن عاصم الليثي (9هـ)، أو إلى يحيى بن يعمر العدواني (9هـ)[4]، أو عبد الرحمن بن هرمز (117 هـ)[5]. ولعل السبب في نسبة هذه الروايات إلى هؤلاء الثلاثة

---

(1) نظرا إلى العلاقة الوشيجة بين المستويين الكتابي والصوتي، والتي ألفاها الباحث أثناء مسيرة البحث، وما ينبني على ذلك من حل لبعض القضايا، شد الباحث العزم على كتابة هذا المبحث، وإدراجه ضمن مباحث الرسالة.

(2) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية،، ص34.

(3) المارغني التونسي، إبراهيم بن أحمد، دليل الحيران على مورد الظمآن، لمحمد بن محمد الشريشي الفاسي الشهير بالخراز، مكتبة النجاح، طرابلس – ليبيا، (د.ت)، ص244. ظ: النقط والشكل 129، أخبار النحويين البصريين،السيرافي16، الفهرست 45،صبح الأعشى في صناعة الإنشا 154/3_155، مفتاح السعادة ومصباح السيادة،طاش كبرى زادة 375/2. إيضاح الوقف والابتداء، ج 1، ص (39-41). ونقل هذا الخبر أبو عمرو الداني عن أبي بكر الأنباري، (المحكم، ص 43)، وانظر السيوطي: سبب وضع علم العربية، ص (50-51).

(4) ينظر:النقط والشكل 129، صبح الأعشى في صناعة الأنشا155/3.

(5) ينظر:أخبار النحويين البصريين 13،21_22.

هو كونهم جميعاً ممن تلمذ على يد أبي الأسود، وأنهم نقلوا علمه، وتعلموا النقط منه، وأظهروه للناس، فنسب إليهم [1].

وقد تكون هذه الروايات ناشئة عن خلط بين الإشارة إلى نقط الإعراب ونقط الإعجام التي هي للتفريق بين الحروف المتشابهة، والتي تنسب الروايات وضعها إلى نصر بن عاصم الليثي [2]، على أن هذه الروايات جميعها لا تخرج عن كون ظهور أصوات المد القصيرة تلا زمن نزول القرآن الكريم وتدوينه.

إن تجرد الكتابة من علامات أصوات المد القصيرة قبل زمن أبي الأسود أوقع الكثير من المحدثين في وهمٍ كبير - بغَضّ النظر عن اختلاف الدوافع -، حيث زعموا أن تعدد القراءات القرآنية نشأ عن خلو رسم المصحف في بدايته من هذه العلامات، وهو طعن في أصل هذه القراءات وكونها مما أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ ، وهذه دعوى تزعمها مستشرقون وعرب، وليس لها تاريخ عند علماء العربية سوى عند حمزة الأصفهاني (36هـ)[3]، ومن القائلين بها: اليهودي جولد تسيهر، وبروكلمان، وبرتزل، وآرثر جفري، ومن العرب: علي عبد الواحد وافي، وجواد علي، وصلاح الدين المنجد وغيرهم، وليس هذا مكانَ عرض أقوال هؤلاء، وقد كُتِب في الرد عليهم الكثير من البحوث[4].

نعود لنشير إلى أن كتابة أصوات المد القصيرة مرَّت على فترة طويلة حتى وصلت إلى شكلها التي هي عليه اليوم، ويمكن تلخيص مراحل تطور كتابتها بمرحلتين رئيستين:

المرحلة الأولى: مرحلة النقط المدور

وهي ما بدأ به أبو الأسود الدؤلي على ما ذكرناه في بداية هذا المبحث، وتعتمد على وضع حركات الحروف، يقول الداني: «اعلم أن موضع الفتحة فوق الحرف، وموضع الكسرة تحت الحرف، وموضع الضمة وسط الحرف، أو أمامه على ما رويناه عن أبي الأسود الدؤلي، فإذا ضبطت قوله عز وجل: (الحمد لله – الفاتحة:2) جعلت الفتحة نقطة بالحمراء فوق الحاء، وجعلت الضمة نقطة بالحمراء أمام الدال وجعلت الكسرة نقطة بالحمراء تحت اللام وتحت الهاء، وكذلك تفعل بسائر الحروف المتحركة بالحركات الثلاث» [5]، وعلى

(1) ينظر:رسم المصحف،الدكتور غانم قدوري الحمد 496.

(2) ينظر:شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، الحسن بن عبد الله العسكري 13.

(3) ينظر: التنبيه على حدوث التصحيف 73 – 74.

(4) كتب عبد الفتاح إسماعيل شلبي بحثا بعنوان (رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات) رد فيه على جولد تسيهر، وكتب غانم قدوري الحمد بحثا بعنوان (أصل القراءات القرآنية بين حقائق التاريخ ودعاوى المبطلين) كشف فيه جوانب من هذا الموضوع، ورد على القائلين بهذه الدعوى، ينظر: مجلة الحكمة اللندنية، العدد 20، شوال 1420هـ - ص 133 وما بعدها.

(5) النقط والشكل 126.

قول الداني فإن أبا الأسود كتبها هكذا: الحمد لله، فقد ضبط الداني في قوله حروف الكلمة بحركاتها سواء كانت حركة إعراب أو غيرها.

وعلى هذا يكون أبو الأسود قدَّم عملاً نحوياً وصرفياً كبيراً، «وإذا لم يثبت أن لأبي الأسود دوراً في وضع أوليات النحو، سوى نقط المصحف، فإن ذلك يعدُّ – وحده- عملاً نحوياً كبيراً، خاصةً إذا تذكرنا أن ذلك يتم لأول مرة في تاريخ اللغة العربية وكتابتها» [1].

وطريقة أبي الأسود في نقط المصحف بنقاط الحركات ناتجة - في نظر بعض المحدثين-عن عنصر القوة والضعف في كل منها، وهو ما عُرِف عند المحدثين بالقوة الصوتية [2]، وهي كون الفتحة صائتاً قوياً فتكون علامتها فوق الحرف، والكسرة صوت ضعيف فتكون علامتها تحت الحرف، والضمة متوسطة بين القوة والضعف فتكون علامتها أمام الحرف[3].

لكن رمزي منير بعلبكي يفند هذه النظرة فيقول: «وفي هذا الرأي تمحل ظاهر، والأقرب إلى الصواب الربط بين مواضع الحركات، وبين حركة أعضاء النطق، وهذا ما تقوم عليه الرواية أصلاً، فالكسرة يصاحبها انكسار في الحنك الأسفل، رُمِزَ إليه بحركةٍ سُفلية، والفتحة يصاحبها تباعد الشفتين فرُمِز إليها بحركةٍ فوقية، أما الضمة، ويصاحبها تدوير الشفتين، فالأولى أن تكون حركة أمام الحرف لا فوقية ولا سفلية...» [4].

المرحلة الثانية: مرحلة الشكل المستطيل

يقول رمزي منير بعلبكي: « ليس مستغرباً أن يصيب التغييرُ أشكالَ الحركات لا أشكال الإعجام ... لأن تغييرها كان يقتضي أن يحل محلها عدد كبير من الرموز، ليقوم بغرض التفرقة بين كل حرفٍ وصاحبه المشتبه به، ومنها ما نقطته فوقه، ومنها ما نقطته تحته، ثم هناك الموحَّد والمثنى والمثلث، في حين أن تغيير أشكال الحركات لم يكن يقتضي أكثر من وضع ثلاثة أشكال جديدة محل الثلاثة الأقدم» [5].

والشكل الجديد للحركات هو ما وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي، قال أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده: «والمشهور الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف، وهو الذي أخرجه الخليل، وهو

(1) رسم المصحف 494.

(2) ينظر: الكتابة العربية والسامية، الدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1981 م، ص 356.

(3) ينظر: المحكم في نقط المصاحف 6.

(4) الكتابة العربية والسامية 356.

(5) الكتابة العربية والسامية، ص 357.

أكثر وأوضح وعليه العمل، فالفتح بشكلةٍ مستطيلة فوق الحرف، والكسر كذلك تحته، والضم واو صغرى ...»[1].

أي أن هذه الحركات هي بشكلها المعروف لدينا اليوم هكذا: (ـَ، ـِ، ـُ)، وهو ما قال به القلقشندي[2]. ونقل الداني عن الحسن بن كيسان (299هـ) انه قال: «قال محمد بن يزيد: الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل، وهو مأخوذ من صور الحروف، فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف»[3]، وهو الظاهر من قول طاش كبرى زادة السابق.

ويرى غانم قدوري الحَمَد أن إطلاق العلماء «لفظ الصغيرة على الحركات القصيرة يشعر أنهم كانوا يعرفون أن علامات هذه الحركات أُخذت من رموز الحركات الطويلة الثلاث، لكنها لم تكتب على السطر بين الحروف خشية التباسها بالرموز التي أخذت منها»[4]، وهو يشير هنا إلى مذهب المتقدمين في أن: «الفتحة بعض الألف ...الخ»[5].

2 ـ تاريخ كتابة أصوات المد الطويلة:

يرى الباحثون أن أصل الكتابة العربية من الكتابة النبطية التي تنحدر في أصلها عن الكتابة الآرامية، لذلك فقد ورثت الكتابة العربية عن أصلها النبطي استخدامَ رمزي الواو والياء الصامتين (حرفَي اللين) للدلالة على المصوتين الطويلين (الواو المدّية والياء المدّية)، وهو أمر ورثته النبطية بدورها عن الآرامية[6].

أما رمز الفتحة الطويلة فهو مما توصلت إليه الكتابة النبطية المتأخرة وورثته العربية عنها دون أن يكون للآرامية دورٌ في استخدامه، ويتمثل في استعارة رمز (الهمزة) واستخدامه للإشارات إلى الألف[7].

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة 2/ 375، وينظر: الفهرست 47، غاية النهاية 1/ 275.

(2) ينظر: صبح الأعشى في صناعة الانشا 3/ 161 – 162.

(3) المحكم في نقط المصاحف 7.

(4) رسم المصحف 507.

(5) سر صناعة الإعراب 1 / 17.

(6) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية،الدكتور ناصر الدين الأسد،دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة 1966م، ص 24، ظ: تاريخ العرب قبل الإسلام،الدكتور جواد علي، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1376هـ-1957م، 7 / 56، رسم المصحف ـ دراسة لغوية تاريخية ـ الدكتور غانم قدوري الحمد، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1402 هـ – 1982 م، ص71، ص280.

(7) ينظر: رسم المصحف 71، التطور النحوي 27.

ويذهب الدكتور علي عبد الواحد وافي إلى أن استخدام الرموز الثلاثة في الدلالة على أصوات المد هو مما انفردت اللغة العربية به بعد استقلالها عن الأصل الذي نشأت منه، وهو الخط السرياني في رأيه [1].

إذن فاستخدام هذه الرموز جاء في زمن سابق بكثير لزمن نزول القرآن الكريم وتدوينه، وتدوين العلوم والمعارف باللغة العربية، ولكن في الوقت الذي استقر نظام الإشارة إلى الواو والياء المصوتين، فان نظام الإشارة إلى الألف كان لا يزال غير مستقر، وهو ما دلت عليه النقوش في العصر الحديث، ومن ذلك مجيء (الألف) في نقش حران والقاهرة في آخر الكلمات دون وسطها، بينما جاء في نقوش أخرى مثبتاً في وسط الكلمة وفي آخرها، وهذا الأمر كان موجوداً في الكتابة النبطية المتأخرة وفي الكتابة العربية، حتى تمكنت العربية من تعميم هذا الاستخدام في وسط الكلمة وفي نهايتها [2]، وكان ذلك الاستخدام «يخضع لحجم الكلمة، أي عدد الرموز التي يتكون منها هجاؤها، فكلما ازدادت كان ذلك مسوغاً لعدم إثبات رمز الفتحة الطويلة» [3].

فاللغة العربية إذن أخذت شكلها الكتابي كاملاً، و هذا في الصوامت دون أصوات المد، ثم بعد ذلك مرت بمراحل أخرى من التطور أدى إلى انتقال بعض رموزها إلى الاستخدام المزدوج شأنها في ذلك شأن معظم اللغات السامية الأخرى[4]. ولعل هذا الإجراء كان متعمداً خشية الوقوع في متاهة التعبير عن البدائل الصوتية، مثلما لم تعبر الكتابة العربية عن رموز لألف الإمالة [5]وألف التفخيم والألف المرققة والألف التي فيها زيادة مدَّ، لأن هذه الظواهر هي ظواهر نوعية لهجية، أو ظواهر كمية، لا تؤدي إلى تغيير المعنى، أو ما يسميه المحدثون تغيير ألفوني [6] فلا حاجة إلى إيجاد رموز بديلة، وقد وضع الخليل لكل منها علامة تدل تدل عليه [7].

ولعلماء العربية في هذه القضية أقوال كثيرة، تدل على معرفتهم بطبيعة النظام الكتابي لهذه الأصوات، فمن ذلك قول الزجاجي: «الهمزة حرفٌ من حروف المعجم مبتدأه أ ب ت ث، والدليل على إنها همزة إجماع الناس كلهم على أن الألف لا يبتدأ بها، لأنها لا تكون إلا ساكنة في جميع كلام العرب، والابتداء بها يدل

(1) ينظر: فقه العربية – دراسة اجتماعية تاريخية لغوية لفصيلة اللغات السامية وخاصة اللغة العربية – الدكتور علي عبد الواحد وافي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية 1363هـ-1944م، ص 131.

(2) ينظر: المصدر نفسه 72، 280، الكتابة العربية والسامية 359.

(3) رسم المصحف 281.

(4) الكتابة العربية والسامية 321.

(5) ينظر: الكتابة العربية والسامية 357 – 358.

(6) ينظر: المصدر نفسه 358، فقه العربية المقارن 80.

(7) ينظر: النقط والشكل 130.

على أنها همزة وليست بألف» [1] وقوله أيضا: «فإن قال قائل: فقد ذكرت في أول الباب أن الألف التي وضعها واضع الهجاء همزة وليست بالألف واستشهدت على ذلك بما عرفنا صحته فأين الألف من حروف المعجم ؟ قلت: لمَّا لم يمكنه الابتداء بالألف لسكونها جعل ما قبلها حرفاً متحركاً يصل به إلى الألف فقال: لا، وهي التي تسمى: لام ألف» [2].

وكما أن أحرف المد تثبت كتابةً فهي أيضا تحذف لاعتلالها وثقلها وتعاور السكون والحركات والتنوين إياها، مع كثرتها في الكلام، وأكثر أحرف المد واللين حذفاً الألفُ لضعفها فإنها أكثر من غيرها في الكلام [3].

وأحصى أبو عمرو الداني ما ورد في القرآن مما اتفقت المصاحف على حذف الألف في رسمه، منها حذف الألف بعد (يا) النداء و (ها) التنبيه، وفي بعض الكلمات مثل: (الرحمن) و(ذلك) و (ذلكم) و(أولئك)، و(الملائكة) و(امرأتن) وغيرها [4] وكذلك فعل مع الياء [5] والواو [6].

وكثيرا ما تحذف الألفات للتعريف كالإله، والرحمن، والحرث، والسلم. أو للأعلام المشتهرة في الاستعمال مثل: إبرهيم وإسحق واسمعيل وهرون وسليمن وعثمن وسفين ومعوية والنعمن والقسم. ولا يحذفونها من اسم حُذِف منه شيء، ولا من اسم يُخاف التباسه، نحو إسرائيل وعباس فان الثاني يلتبس بالفعل إذا حذفت ألفه، والأول حذفت منه الهمزة التي كانت ترسم ياءً بقاعدة كل همزة بعدها حرف مد كصورتها، فلا يجتمع عليه حذفان [7].

والراجح في هذا الحذف أنه شكل كتابي ورثته العربية عن أصلها الذي اشتقت منه، وهو الكتابة النبطية، حيث أشار الباحثون إلى أن بعض الكلمات في النقوش النبطية حملت نفس خصائص الحذف في هذه الكلمات [8].

وحذر العلماء من إسقاط الألف في اللفظ من لفظ الجلالة (الله)، قال المرادي: «وليحترز أيضا من اسقاطها كما يتكلم به بعض الناس، فيقول: (بسم الله) ـ بحذف الألف ـ وذلك إن قيل: انه لغة بعض

---

(1) كتاب الخط، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، مجلة المورد، مج 19، ع2، 1410 هـ – 1990 م، ص 145.

(2) المصدر نفسه ص 147.

(3) كتاب الكتاب عبد الله بن جعفر بن درستويه (347هـ)، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، حولي، الطبعة الأولى 1397هـ – 1977 م، ص64.

(4) ينظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار 16 وما بعدها.

(5) ينظر المصدر نفسه 38 وما بعدها.

(6) ينظر المصدر نفسه 42 وما بعدها.

(7) المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، أبو الوفاء نصر الوفائي الهوريني (1291هـ) المطبعة الميرية، مصر، الطبعة الثانية 1302هـ، ص 181.

(8) ينظر: تاريخ العرب قبل الإسلام 7 / 345، رسم المصحف 305.

العرب، فهو لا تجوز القراءة به على أن منهم من لم يثبت ذلك لغة، بل جعل ما ورد منه من ضرائر الأشعار» [1]. ونقل نصر الوفائي الحرمة في ذلك، وعدم صحة العبادة، وكذلك عدم انعقاد اليمين [2].

ومما يحذف أيضا الواو المصوتة إذا اجتمعت مع واو صامتة في كلمة واحدة، مثل: داود، وغيرها[3]، وشذ من ذلك بعض الكلمات مثل: الراوون، الغاوون، واجتووا، واكتووا «لأنه إذا كان بين الواوَيْن فاصل، ولو في التقدير لا تحذف واحدة منهما»[4]، والفاصل هنا الياء المحذوفة في الأسماء كالغاوي والراوي، والألف المحذوفة في الأفعال كاجتوى واكتوى.

وعلى العكس من ذلك، فإن هناك كلمات يثبت فيها المصوت الطويل خطاً، ويسقط لفظاً، منها ما يوقف عليه بالألف، كضمير المتكلم (أنا)، والمنوَّن المنصوب كرأيت زيداً، بخلاف المرفوع والمجرور، فإنها يوقف عليها بالحذف، وكذلك الفعل المؤكد بالنون الخفيفة نحو: لنَسْفَعَا، مالم يُخَف لَبس، فإن خِيف كتبت بالنون نحو: اضربن زيدا [5]، وكذلك الحال بالنسبة للواو والياء والألفُ معهما، نحو: اضربوا القوم، واضربي الرجل، واضربا الرجل عند التقاء الساكنين[6].

وقد أفرد الدكتور غانم قدوري الحمد مبحثا نفيسا فصَّل القول فيه عن رموز الصوائت الطويلة في الرسم العثماني، تحشينا ذكره في هذا البحث لطوله، فليرجع إليه من أراد الفائدة[7].

كذلك مُثِّل للمصوت الطويل الذي فيه زيادة مد بعلامة تدل عليه، وهي (ميم) صغرى، «ممدودة في آخرها (دال) صغرى، هكذا (مد)، وموضعها حرف المد واللين»[8]. وهذه العلامة تطورت كتابيا من (مد) إلى (~)[9].

وختاما لهذا الفصل نلخص جهود علماء العربية والتجويد في دراسة أصوات المد فيما يلي:

1 - أنهم ميّزوا بكل وضوح بين الصوامت والصوائت، وأدركوا ما تتميز به الصوائت من اتساع مخارجها قياسا بالأصوات الأخرى.

(1) شرح الواضحة في تجويد الفاتحة 39.
(2) ينظر المطالع النصرية 180.
(3) ينظر: المقنع 36، الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف 43، المطالع النصرية 191.
(4) المطالع النصرية 191.
(5) ينظر: همع الهوامع 3 / 461.
(6) ينظر المصدر نفسه 3 / 462 – 463.
(7) ظ: الحمد، د. غانم قدوري، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ص 279.
(8) الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف 154.
(9) ظ: الحمد، د. غانم قدوري، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ص 591.

2 - حددوا الصوائت في العربية، وهي حروف المد الثلاثة: الألف والواو والياء الساكنتان المسبوقتان بحركة من جنسهما، وأدركوا العلاقة بين حروف المد والحركات وقال الجمهور منهم إن الفتحة من الألف، والضمة من الواو، والكسرة من الياء وتوصل بعضهم إلى تحديد نسبة الحركات من حروف المد، وقالوا: إن الألف مركب من فتحتين، والواو مركب من ضمتين، والياء مركب من كسرتين.

3 - وعرفوا أنواعا أخرى من الحركات الفرعية وحروف المد هي من مظاهر النطق اللهجي أو أنها ترتبط ببعض القراءات.

4 - ميز علماء التجويد بين الواو والياء الصامتتين وبينهما حين يكونان صوتين صائتين (حرفي مد).

5 - حدد علماء التجويد مخارج الصوائت وصفاتها، وقد ميزوا بين مخرجي الواو والياء الصامتتين وبين مخارج الصوائت الأخرى، وربطوا بين مخارج حروف المد وبين مخارج الحركات، وتوصلوا في ذلك إلى نتائج تستحق تقدير الدارسين.

6 - إن مقولة علماء العربية وعلماء التجويد (حروف المد أصوات ساكنة، ومسبوقة بحركات من جنسها) لا تزال بحاجة إلى بحث، ولا يمكن الجزم بتخطئتهم فيها، وهي تجد الآن ما يسوغ القول بها من عدة نواح صرفية وصوتية وكتابية.

والخلاصة هي أن علماء التجويد استطاعوا أن يوضحوا مخارج الصوائت، وهي حروف المد الثلاثة، والحركات الثلاث: الضمة والفتحة والكسرة. وكان تفريقهم بين مخرجي الواو والياء الصامتتين وبين مخرجي الصائتتين شيئا صحيحا أقرته الدراسات الصوتية الحديثة. وكذلك ربطهم بين مخارج الحركات وبين مخارج حروف المد شيء صحيح، لأنه ليس بين الحركات وبين حروف المد من فرق إلا في الكمية، فهي تنتج بطريقة واحدة إلا أن زمان نطق حروف المد هو ضعف زمان نطق الحركات.

وأكتفي هنا بأن ما حققه علماء التجويد في مجال تحديد مخارج الصوائت يعد إنجازا متميزا، لا سيما إذا أخذنا بالاعتبار قضيتين:

الأولى: صعوبة الموضوع، لأن الصوائت لا ينقطع الصوت في مخارجها على نحو محدد وبشكل قوي يسهل رصده. وقديما قال ابن سينا عن مخارج حروف المد: «أمر هذه الثلاثة عليّ مشكل»[1]. وحديثا قال برجشتراسر: « للحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الحروف الصامتة، غير أن تحديدها وتمييزها مشكل»[2].

والثانية: هي أن وسائلهم لم تتجاوز الملاحظة الذاتية، في الوقت الذي توفرت فيه لدارسي الأصوات من المحدثين الأجهزة الدقيقة التي يضمها مختبر الصوت.

(1) أسباب حدوث الحروف ص 43، وانظر ص 19.

(2) برجشتراسر، التطور النحوي ص 40.

الفصل الثاني

أصوات المدّ العربية

عند المحدثين

المبحث الأول: تصنيف الأصوات اللغوية

جاء تصنيف المحدثين لأصوات العربية في إطار لساني علمي واع يهدف إلى وصف الأصوات في حدّ ذاتها، ولذلك انطلق في معظمه من تصنيفات اللسانيين الغربيين المحدثين لأصوات اللغات البشرية، فنراهم يتفقون في أغلب الأحيان على التصنيف الثنائي (صامت/ صائت)، وهو تصنيف يوجد إلى جانب تصنيفات أُخرى، كتصنيف الأصوات إلى أصولٍ وفروع، وتصنيفها بحسب المخارج والصفات، أو إلى أصوات مهموسة وأخرى مجهورة، ويكون ذلك بالنظر إلى وضع الوترين الصوتيين حال النطق بالصوت، وقد تقسّم على أصوات فموية وأخرى أنفية، وذلك بحسب ارتفاع الحنك اللين وانخفاضه.

والتصنيف الذي يهمنا هنا هو تصنيف الأصوات إلى صامتة وصائتة. فلا نجد صوتا كَلاميا إلا وهو ينتمي إلى قسم من القسمين العامين المعروفين بالصوائت والصوامت.

وأول من سلك هذا الاتجاه هم المستشرقون، كالذي نجده عند كانتينو[1] برجشتراسر[2]. ثم سار على نهجهم الباحثون العرب مع اختلافات يسيرة بينهم، فقد اعتبر بعضهم التصنيف الثنائي (صامت/صائت) أساسيا وبدأ به[3]، وجاء به آخرون بعد تصنيفات أخرى[4]، ومن المحدثين من وقف عند تصنيفات سيبويه والنحاة مناقشا لها على ضوء اللسانيات الحديثة[5].

ويرتكز تصنيف الأصوات اللغوية إلى صوامت وصوائت على خاصتين مهمتين؛ تتعلق أولاهما باعتبارات سمعية أكوستيكية ممثلة في وضع الوترين الصوتيين من حيث الهمس والجهر، والثانية فيزيولوجية تتمثل في

---

(1) Cantineau, Jean-: Esquisse d'une phonologie de l'arabe classique ,in Bullelin de la société de linguistique de paris , t.43, F.I,n126 , PP 93- 140, ed.Klinchsieck, 1946.p (94-121)، نقلا عن أمنزوي، محمد، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى (دراسة صوتية إحصائية)، دار وليلي للطباعة والنشر - مراكش، ط الأولى، 2000 م، ص23. وينظر أيضا: كانتينو، جان: دروس في علم أصوات العربية، تر. صالح القرمادي، ط. مركز الدراسات والبحوث، تونس، 1966، ص 143،22.

(2) برجشتراسر، جوتهلف: التطور النحوي للغة العربية، ط. المركز العربي للبحوث، القاهرة، 1981، ص 5- 33.

(3)السعران، د. محمود-: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ط.د.النهضة العربية، بيروت [مصورة عن ط.د.المعارف، 1962]، ص148 ؛ ظ: الأنطاكي، محمد-: الوجيز في فقه اللغة، ط. مك.د.الشروق، بيروت، [1969]: 159-،227- ؛ ظ: العاني د. سلمان حسن-: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، تر.د.ياسر الملاح، ط.1، النادي الأدبي، جدة، 1983: 38-،49- ؛ ظ: بشر د.كمال محمد-: علم اللغة العام، الأصوات، ط.د.المعارف بمصر، 1975: 73- ؛ ظ: مصلوح د.سعد: دراسة السمع والكلام، ط.عالم الكتب، القاهرة، 1980: 197،223 ؛ وغيرهم.

(4)أنيس د.إبراهيم: الأصوات اللغوية، ط5، مك.الأنجلو المصرية، 1979: 19،37 ؛ ظ: حسان د. تمام: مناهج البحث في اللغة، ط.د.الثقافة، الدار البيضاء، 1974: 84،108.

(5)أنيس د.إبراهيم: الأصوات اللغوية، ط5، مك.الأنجلو المصرية، 1979: 105 ؛ ظ: حسان د.تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973: 57.

طريقة مرور الهواء عبر جهاز النطق[1]. ولذلك عرّفوا الصائت« بأنه الصوت المجهور الذي يحدث أثناء النطق به أن يمرّ الهواء حرّاً طليقاً خلال الحلق والفم من دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل، ومن دون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً»[2]. أما الصامت، فهو الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث أثناء النطق به اعتراض في مجرى الهواء، سواءٌ كان ذلك الاعتراض كاملاً أو جزئياً من شأنه أن يسمح بمرور الهواء ولكن بصورة ينتج عنها احتكاك مسموع[3].

يقول إبراهيم أنيس: «وأساس هذا التقسيم **هو الطبيعة الصوتية** لكل من القسمين، فالصفة التي تجمع بين كل أصوات اللين (**vowel**)، هي أنه عند النطق بها **يندفع الهواء** من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيّق مجراه، كما يحدث مع الأصوات الرخوة، أو تحبس النَّفَس فلا تسمح له بالمرور، كما يحدث مع الأصوات الشديدة، **فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم، وخلو مجراه من حوائلَ وموانِع**»[4].

أمّا ما ذهب إليه كمال محمد بشر في قوله: « ينبني التقسيم إلى هذين القسمين على طبيعة الأصوات وخواصها، بتركيز الاهتمام في ذلك على خاصتين مهمتين؛ هما: أوضاع الأوتار الصوتية، وطريقة مرور الهواء في الحلق والفم أو الأنف»[5]، فيمكن أن يحمل على بيان دور الأوتار الصوتية في تكوين النغمة الحنجرية التي التي تكون بداية لنطق هذه الأصوات، على أن ذلك لا يعد أساساً لتقسيم الأصوات إلى صامتة ومصوتة، فاهتزاز الوترين (الجهر) صفة للمصوتات تشترك معها فيها مجموعة من الصوامت. فأساس التقسيم ـ إذن ـ هو شكل ممر الهواء بعد تجاوزه منطقة الحنجرة ؛ أي في الحلق والفم، أما وضع الوترين، فتتولد من اهتزازهما نغمة صوتية تسمى (الجهر)، وإذا تباعدا ومرَّ الهواء خلالهما دون تحريكهما فهنا ينعدم أثرهما في عملية إصدار الأصوات.

---

(1) السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، طبعة 2 - القاهرة 1997، (ص: 124-126). ظ: المصوتات عند علماء العربية، الدكتور غانم قدوري الحمد، مجلة كلية الشريعة ع5 1399 هـ – 1979 م، ص15.

(2) علم اللغة العام، الأصوات: 74.

(3) ويدخل في الأصوات الصامتة الصوت الذي لا يمر الهواء معه من الفم، بل من الأنف، كالنون والميم، والصوت الذي ينحرف هواؤه فلا يخرج من وسط الفم، بل يخرج من جانبيه أو إحداهما كاللام، وكذلك الصوت الذي يتكرر معه الإعتراض عند النطق به كالراء. ينظر نفسه .

(4) الأصوات اللغوية 26. ولمعرفة كيفية انتاج الصوت اللغوي، ينظر:

ـ علم اللغة العام (قسم الأصوات) د. كمال محمد بشر 109 ـ 126.

ـ دراسة الصوت اللغوي، د. احمد مختار عمر 91 ـ 112.

ـ محاضرات في اللسانيات، د. فوزي حسن الشايب 42، 76.

ـ المدخل إلى علم أصوات العربية ، د. غانم قدوري الحمد 41 ـ 66.

(5) علم اللغة العام (قسم الأصوات) 91.

ويضيف بعض المحدثين خاصية أخرى إلى المصوتات تعد أساساً في تمييزها عن الصوامت وهذه الخاصية هي قوة الوضوح السمعي[1]. يقول دانيال جونز: « إن التمييز بين الحركات والصوامت ليس تمييزاً فسيولوجياً اعتباطياً، إنهُ في الواقع تمييز قائم على اعتباراتٍ أكوستيكية، أعني قوة الإسماع النسبية، أو قوة الحمل، فبعض الأصوات أقوى إسماعاً من غيرها بحيث يقال: إنها تبلغ أو تصل بشكل أفضل، أو إنها يمكن أن تسمع من مسافة أبعد عندما تنطق بنفس الطول والنبر ودرجة الصوت »[2]. ولولا هذه الاختلافات في أوضاعها لأشبهت الصوت المجرد[3].

المبحث الثاني: تصنيف الصوائت اللغوية

عُني المحدثون بدراسة الحركات لتعددها وصعوبة نطقها، واختلافها باختلاف اللغات، حتى تجاوز ذلك إلى الخلاف في اللغة الواحدة وما تفرع عنها من لهجات مختلفة، ما يؤدي إلى الخطإ فيها، كل ذلك كان للمحدثين باعثا لوضع مقاييس لها من عدة لغات مشهورة، ليسهل الوقوف عليها في اللغات الأخرى ومن ثم يتيسر تعلمها.

إن ما دعا العلماء إلى هذا هو أنهم أحسوا «بصعوبة وصف الأصوات الذائبة بسبب عدم حصول حبس في آلة النطق أو تضييق واضح عند النطق بها»[4]. وأصبح من المعتاد في اللسانيات المعاصرة أن تصنف الصوائت نطقيا اعتمادا على متغيرات فيزيولوجية تتفاوت في أهميتها حسب اللغات، لأن بعض هذه المتغيرات قد يكون له أثر إيجابي في تمييز صائت عن آخر في لغة ما، بينما يعتبر في لغات أخرى عنصرا محايدا أو ظاهرة تأليفية[5]، وهو ما دعا دانيال جونز إلى ابتكار تصنيفه الشهير للحركات الذي سماه بالحركات المعيارية (**Cardinal Vowels**)،واستند فيه إلى ثلاثة معايير أساسية هي:

1ـ مقدار ارتفاع وانخفاض اللسان داخل (منطقة الحركات)[6] وهي المنطقة التي يتحرك فيها اللسان عند نطق المصوتات دون أن يزيد في ارتفاعه إلى الحد الذي يجعل الهواء عند مروره في الفم يحدث حفيفاً مسموعاً.

---

(1) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي 124.

(2) **An outline of English phonetics by Daniel Jones. Cambridge. Hefer and sons Ltd. p23.** نقلا عن كتاب جهود علماء العربية في المصوتات في ضوء الدرس الحديث، ص 25.

(3) التحليل النطقي والوظيفي ص 660.

(4) المدخل إلى علم أصوات العربية، الدكتور غانم قدوري الحمد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، الطبعة الأولى 1423هـ-2002م، ص 146.

(5) أمنزوي، محمد، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى (دراسة صوتية إحصائية)، دار وليلي للطباعة والنشر - مراكش، ط ط الأولى، 2000 م، ص50.

(6) ظ: عبد الرحمن أيوب، الكلام إنتاجه وتحليله 73، 248.

2ـ الجزء الذي يرتفع من اللسان سواء كان طرف اللسان أو مؤخرته.

3ـ وضع الشفتين عند النطق بالحركة، من استدارةٍ (كما في الضمة العربية)، أو انفراجٍ(كما في الكسرة العربية)، أو انفتاح(كما في الفتحة العربية)[1].

وهذه المعايير تؤخذ بعين الاهتمام مجتمعة عند محاولة فهم هذا النظام، ولم يتم الفصل فيما بينها عند علماء اللغة، إلا لغرض تسهيل مهمة الدارسين، وإيصال الفكرة إليهم بأقصر الطرق الممكنة، ويمكن معرفة مواقع الحركات المعيارية عند دانيال جونز من خلال الرسمين التوضيحيين الآتيين[2]:

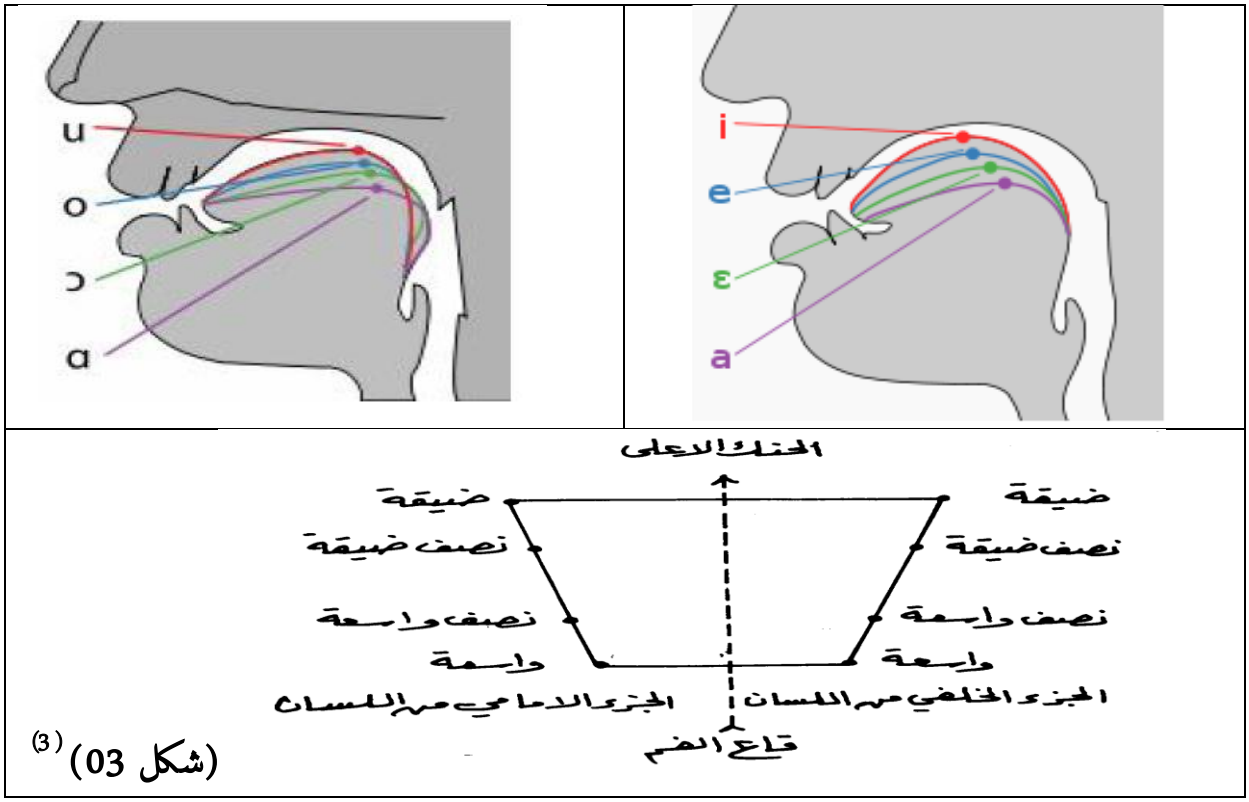

(شكل 03)[3]

(1) بشر، كمال، علم اللغة العام، ص151-152.

(2) الرسمان منقولان عن كتاب: محاضرات في اللسانيات للدكتور فوزي حسن الشايب 232 ـ 233. ولمعرفة المزيد عن تصنيف دانيال جونز للذوائب المعيارية يمكن مراجعة الكتب الآتية:

ـ الأصوات اللغوية 29 ـ 36.

ـ دراسة الصوت اللغوي 125 ـ 132.

ـ محاضرات في اللسانيات 227 ـ 237.

ـ علم اللغة العام (قسم الأصوات) 179 ـ 188.

ـ المدخل إلى علم اصوات العربية 146 ـ 152.

(3) المطلبي، د. غالب فاضل: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، ط. وزارة الثقافة، بغداد، 1984،ص 33.

وانتقد الدكتور عبد الرحمن أيوب معيارَ دانيال جونز من جهتين:

الأولى: أنه لا يصف شكل اللسان كله عند إنتاج حركة ما، بل يحدد أعلى نقطة فيه وهو بهذا يغفل أن اللسان جسم عظيم المرونة يمكنه أن يتخذ أشكالا عديدة عندما تكون أعلى نقطة فيه في مكان واحد.

الثانية: أنه يذكر وضع النقطة العليا بالتقريب دون أن يقيس بالدقة مدى أماميتها أو خلفيتها أو علويتها أو سفليتها[1].

في حين أضاف بعض المعاصرين إلى معايير جونز متغيرات أخرى أوردها كليزون، وإن كان كل منهم يعبر عنها بعبارات مختلفة أحيانا[2]؛ وهذه المعايير هي:

- دور التجويف الأنفي.
- ظواهر مختلفة تحدث في الحلق والحنجرة[3].

ومهما يكن فإن مقاييس دانيال جونز الرئيسة أخذت صفة الدولية من حيث العدد وطريقة الكتابة والترتيب، وهذا عرض لها:

المقياس الأول:

وهو ذلك الصوت الذي يرتفع مقدم اللسان حال النطق به تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد ممكن شريطة ألا يحدث الهواء الخارج حفيفا مسموعا وتأخذ الشفتان وضع الانفراج التام ويرمز له بالرمز (i)، ويقابل في العربية الكسرة المرققة والياء المدية، ويمثل له بالحركة التي تلي السين في الكلمة الفرنسية (si).

المقياس الثاني:

وفيه ينخفض مقدم اللسان في اتجاه قاع الفم بنسبة الثلث، والشفتان في حالة انفراج كالصائت المعياري الأول، وإن كان الانفراج هنا أقل من الانفراج مع المقياس السابق ويرمز له بالرمز (e) ويمثل له بالحركة التي تلي الذال في الكلمة الفرنسية (the)، وكذلك الكسرة العربية المفخمة في مثل **صِراط**، وقريب منه صوت الإمالة الشديدة والتي تسمى عند القراء بالإضجاع أو البطح.

---

(1) الكلام إنتاجه وتحليله 73 -74.

(2) ظ: كانتينو، جان: دروس في علم أصوات العربية، تر.صالح القرمادي، ط.مركز الدراسات والبحوث، تونس، 1966. ص 143. ظ: السعران، د. محمود: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ط.د.النهضة العربية، بيروت [مصورة عن ط.د.المعارف، 1962] ص183. ظ: عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 1976؛ ص131. ظ: المطلبي، د.غالب فاضل-: في الأصوات اللغوية، درسة في أصوات المد العربية، ط.وزارة الثقافة، بغداد، 1984،ص27.

(3) **Gleason, (H.a.): Introduction à la linguistique, tr. F.Dubois-charlier, ed.libr.Larousse, Paris, 1969. 202**، نقلا عن أمنزوي.

المقياس الثالث:

وفيه ينخفض مقدم اللسان مع اتجاه الفم بنسبة الثلثين و الشفتان تأخذ وضع الانفراج الذي في المقياس الثاني ويرمز لهه بالرمز (E) ويمثل له بالحركة التي تلي الميم الأولى في الكلمة الفرنسية (même)، وبالفتحة الممالة في العربية.

المقياس الرابع:

وفيه يكون مقدم اللسان حال النطق بالصوت منخفضا إلى قاع الفم بأقصى ما يمكن بحيث يستوي اللسان في قاع الفم مع شيء من الانحراف في أقصى اللسان نحو أقصى الحنك. وتأخذ الشفتان وضعا محايدا غير أنها أقرب إلى الانفراج منها إلى الاستدارة و يرمز له برمز (a) ومثاله الحركة التي تلي اللام في الكلمة الفرنسية(La)، ويقرب من الحركة التي تلي الكاف في الكلمة الإنجليزية (cat)، وكذلك الفتحة العربية المرققة في مثل **كَتَبَ**.

المقياس الخامس:

وفيه ينخفض مؤخر اللسان إلى أقصى حد مع رجوع هذا الجزء من اللسان إلى الخلف قدر الطاقة. وتأخذ الشفتان وضعا محايدا بين الاستدارة والانفراج غير أنها هنا أقرب إلى الاستدارة منها إلى الانفراج عكس المقياس السابق ويرمز لهذا المقياس بالرمز (a) ومثاله الحركة التي بعد الياء في الكلمة الفرنسية (pas)، وكذلك الفتحة العربية المفخمة.

المقياس السادس:

وفيه ينخفض مؤخر اللسان إلى حد ما غير أن انخفاضه أقل من المقياس السابق والشفتان مع هذا الصوت تكونان في حالة استدارة غير تامة ويرمز لها بالرمز (ò) ومثاله تلك الحركة التي تلي السين في الكلمة الألمانية (sonne)، ويشبه صوت الفتحة المشوبة بالضم.

المقياس السابع:

وفيه يرتفع مؤخر اللسان إلى الحنك بمقدار ثلث آخر فوق المقياس السادس وبمعنى آخر يرتفع إلى ثلثي المسافة التي يرتفع إليها في أثناء نطق الصائت الذي يتم في المقياس الثامن. وتأخذ الشفتان وضع الاستدارة أكثر من الوضع الذي هي عليه في المقياس الثامن، ويرمز لهذا المقياس بالرمز (o) ومثاله الحركة التي تلي الراء في الكلمة الفرنسية (Ross)، ويشبه الضمة العربية المفخمة في كلمة **صُداع**.

المقياس الثامن:

وفيه يرتفع مؤخر اللسان إلى أقصى حد تجاه الحنك بحيث يكون الفراغ بين اللسان والحنك يسمح للهواء بالمرور دون إحداث حفيف؛ ذلك أن أقصى اللسان لو ارتفع تجاه الحنك أكثر من ذلك لأحدث حفيفا

مسموعا وأنتج صوتا آخر هو الواو. ويلحظ أن الشفتين تكونان مضمومتين مستديرتين مع هذا الصوت، ويرمز له بالرمز (u). وهو يشبه صوت الضمة العربية المرققة في مثل كلمة **كُتُب**.

المقياس التاسع:

وينسب إلى وسط اللسان وفيه يرتفع وسط اللسان نسبيا مع هذا الصائت لذلك نسبوه إلى وسط اللسان ويرمز له بالرمز (ə) ومن أمثلته في اللغة العربية صوت القلقلة ويوصف هذا الصوت بالحركة المركزية[1].

ولابد من الإشارة هنا إلى أن هذه الأوضاع ليست هي وحدها المتحكمةَ في تنويع الصوائت، لأن هناك عوامل أخرى قد تتدخل فتكون عنصرا مميزا إضافيا بين صائت وآخر في بعض اللغات، كمدة التصويت مثلا؛ فإن أي صائت يمكن تطويل مدة نطقه تطويلا قد يكون وحده العنصر المميز في بعض اللغات - كالعربية - بين صائتين متفقين في جميع الخواص النطقية الأخرى، ولهذا اعتاد اللسانيون الإشارةَ إلى عنصر الطول، في استعمالهم للألفباء الصوتية الدولية، بعلامات إضافية أشهرها الآن وضع نقطتين عموديتين أمام الرمز الدولي عندما يكون الصائت طويلا، كالضمة الطويلة مثلا **(واو المد في العربية) ↔ [u:]**.

ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الأوضاع النطقية الموصوفة - وخصوصا أوضاع اللسان - أوضاع نسبية يمكن أن تتنوع على أساسها الصوائت تنوعا لا نهاية له نظريا، لأن اللسان قد يتقدم أو يتأخر وقد يرتفع أو ينزل قليلا عن تلك **النقطة الاعتباطية** الموصوفة، ومن هنا يصعب التمثيل الدقيق لصائت ما، حتى في نطاق لغة بعينها، نظرا لأن المتكلمين لا ينطقون هذا الصائت نطقا متساويا، بسبب الفوارق الفردية واللهجية وغيرها[2].

وهذه الظاهرة تحدّث عنها بعض علماء الأصوات المحدثين حيث قال: «إن الفراغ بين مقدم اللسان وبين الحنك الأعلى في نطق الياء يكون أضيق منه حال النطق بالكسرة الطويلة (الياء الأخرى). ويترتب على ذلك أننا نسمع نوعا من الحفيف الخفيف في نطق هذه الياء. وكذلك الحال مع الواو حيث يكون الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك حال النطق بها أضيق منه حال النطق بالضمة الطويلة (وهي الواو الأخرى) ومن ثم

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص32- 33، ظ: الدباس، صادق،الثنائيات الصغرى في الحركات ودورها الدلالي في صياغة البنى الصرفية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات- العدد الخامس والعشرون(2)- أيلول 2011، ص292-293. ظ: علم اللغة العام - الأصوات 140-141.

(2) بشر، كمال محمد-: علم اللغة العام، الأصوات، ط.د.المعارف بمصر،1975، ص 148.

نسمع حفيفا بسيطا مع النطق بهذه الواو؛ لهذه الأسباب عدّت الياء والواو من الأصوات الصامتة، برغم ما لهما من شبه صوتي بالحركات»[1].

وقد لا يكون ترتيب هذه المصطلحات مهما إلا من الناحية الاصطلاحية، كما أن بعض المصطلحات قد يكون مضللا بالنسبة لغير المتخصصين؛ فمصطلح **أمامي** مثلا يقصد به هنا **حنكي**. والعناوين نفسها تختلف بين اللسانيين وإن كانت مضامينها متقاربة؛ فالتعبير عن درجات الانفتاح مثلا قد يكون بألفاظ أخرى مثل: عالٍ (أو مغلق)، عالٍ أدنى، متوسط فوقي، متوسط، متوسط أدنى، منخفض فوقي، منخفض (أو مفتوح)[2]، كما قد يطلقون لفظ منفرج على غير المدور.

ومن الواضح أن هذه الصوائت يمكن مضاعفة عددها باستعمال إشارات الأنفية [~] والطول[:]، فيصل عددها نظريا إلى عشرات الصوائت، ولكنه لا توجد أية لغة تستعمل كل هذه الإمكانات في نظامها الصائتي، بل تختار كل لغة عددا منها قد يقتصر على ثلاثة فونيمات صائتية، كالفارسية الحديثة، وقد يصل إلى ست عشرة فونيما صائتيا، كالفرنسية[3] أو حتى عشرين فونيما صائتيا نصفها أنفي، كما في الأردية[4].

على أننا أن ننبه إلى وقوف بعض الدارسين بحذر من هذا التقسيم، وأنه لا توجد فجوات بين الأصوات التي تتكون منها الكلمات، ومن ثم فإن تجزئة الكلام إلى صوامت ومصوتات متتابعة يعد ـ في رأيهِ - عملاً اصطناعياً، بل هو انتحاء بالعلم منحى معاكساً للمنحى الصحيح[5].

(1) كمال محمد بشر: الأصوات ص 106. وانظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 42.

(2) العاني، د.سلمان حسن: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، تر.د.ياسر الملاح، ط.1، النادي الأدبي، جدة، 1983،ص 42.

(3) عمر،د.أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، ط.1، عالم الكتب، القاهرة، 1976، ص 132.

(4) ظ: أمنزوي، محمد، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى، ص 47.

(5) ينظر: محاضرات في اللسانيات 129 ـ 130.

المبحث الثالث: موقع الصوائت العربية بالنسبة لتصنيف دانيال جونز

اختلف علماء اللغة المحدثون في مدى تطابق مواقع الحركات المعيارية العربية مع ما صنفه دانيال جونز للحركات المعيارية، فذهب كثير منهم إلى وجود توافق بينهما، إلا أنهم لم يجزموا بتمامه، وصرحوا بأن هناك توافقا تقريبيا بين تصنيف دانيال جونز للحركات المعيارية وما عليه الحال في المصوتات في العربية [1].

وإذا أردنا أن نقارن الحركات وحروف المد العربية بالصوائت المعيارية [2] وجدناها كالآتي:

1 - الضمة وواو المد:

وهما أقرب ما يكونان إلى الصائت المعياري الثامن (u)، غير أن ارتفاع أقصى اللسان نحو الحنك الأعلى مع الضمة العربية أقل من ارتفاعه مع الصائت المعياري، كما أن أعلى نقطة في هذا الجزء الخلفي من اللسان تنحو إلى الأمام قليلا[3]. في حين يرى د/ إبراهيم أنيس أن الضمة العربية تنطبق تمام الانطباق على الصائت المعياري(u) ما لم تتأثر بالأصوات المستعلية[4]. فإذا تأثرت بها كانت أقرب إلى الصائت المعياري رقم 06 (ò)، كما في كلمة **صُم**، وواو **سيروا**[5].

وصرح الدكتور فوزي الشايب بعدم التوافق، وأن الضمة العربية أقل خلفية من الحركة المعيارية الثامنة (u) [6]. ويرجح الدكتور غانم قدوري الحمد موافقة الضمة للحركة المعيارية الثامنة (u) تقريباً[7].

2 - الكسرة وياء المد:

2 -وهما أقرب ما يكونان إلى الصائت المعياري رقم 01 (i)، غير أن مقدم اللسان أقل ارتفاعا منه مع الصائت المعياري، غير أن الكسرة وياء المد إذا تأثرت بأصوات التفخيم (ص - ض - ط - ظ - خ -غ - ق) يلحظ ميل هذا الصوت قليلا نحو المقياس رقم 02 (e) وبخاصة (ص - ض - ط - ظ) التي تجعل اللسان يأخذ شكلا مقعرا[8].

---

(1) ينظر: علم اللغة العام – الأصوات-:196-197. وينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية:154.

(2) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، هامش الصفحة 153.

(3) الصوائت بين ابن جني ودانيال جونز60، أصوات اللغة العربية 140.

(4) الأصوات اللغوية 41.

(5) استيتية، سمير شريف، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، عمان - الأردن، ط01 2002. ص 219.

(6) ينظر: محاضرات في اللسانيات:239-240.

(7) ينظر: المدخل إلى علم اصوات العربية 154 ـ 155.

(8) الأصوات اللغوية 41، أصوات اللغة العربية 140، الصوائت بين ابن جني ودانيال جونز60.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: « أمَّا نسبة الكسرة كما نسمعها من قراء مصر حيث يلتزمون قراءة حفص فهي تشبه كل الشبه ذلك الصوت الذي يرمز اليه بالرمز (i) غير أنه حين تتأثر بأصوات التفخيم (الصاد والطاء والظاء) وربما أيضا (الخاء والغين والقاف) نلحظ ميل هذا الصوت قليلاً نحو ذلك المقياس الذي يرمز اليه بالرمز (e)»[1]. ويرى الدكتور فوزي الشايب أن الكسرة العربية أقل أمامية وأكثر اتساعا من الحركة المعيارية رقم واحد (i)[2]. أما الدكتور غانم قدوري الحمد فهما يريان أن كلمة الأصواتيين العرب اتفقت اتفقت على أن الكسرة موافقة للحركة المعيارية رقم واحد (i) تقريباً[3]. وهو اتجاه أ.د سمير شريف إستيتية أيضا[4].

3 - الفتحة والألف:

وهما إما أن يكونا مرققتين أو مفخمتين، فالفتحة والألف المرققة تقابل الصائت المعياري رقم 04 (a)؛ كما في فتحات **أَكَلَ**، والفتحة المفخمة أقرب إلى الصائت المعياري رقم 05 (a)؛ كما في الفتحتين الأولَيَيْن من **قَطَع**[5]، غير أن مؤخر اللسان مع الفتحة العربية المفخمة يكون أعلى منه مع النظير المعياري(a)، كما أن أعلى نقطة في مؤخر اللسان تكون متقدمة قليلا مع الفتحة المفخمة على أعلى نقطة في الصوت[6].

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن الفتحة العربية إذا قيست بمقاييس أصوات اللين وجدناها قريبة الشبه بذلك المقياس الذي يرمز اليه بالرمز (a) حين تتأثر الفتحة بأصوات التفخيم[7].

أما الدكتور فوزي الشايب فيرى أن الفتحة العربية تعد نوعا ما خلفية، لأنها اقرب إلى الحركة الخلفية المتسعة منها إلى الأمامية المتسعة، إلا أنها تختلف عن هذه وتلك في أنها أقل اتساعا منها[8].

ويرجح الدكتور الحمد أنَّ الفتحة ومثلها الألف تكون أقرب إلى الذائب رقم (4) إذا كانت مرققة، وذلك إذا وقعت بعد صوتٍ من أصواتِ الترقيق وهي ماعدا أصوات الاستعلاء[9]، وهذا ما أنكرهُ الدكتور سعد مصلوح، إذ أنكر وجود شبيهٍ للذائب رقم (4) في العربية[1].

---

(1) الأصوات اللغوية 40 ـ 41.

(2) ينظر: محاضرات في اللسانيات:239-240.

(3) ينظر: المدخل إلى علم اصوات العربية 154 ـ 155.

(4) استيتية، سمير شريف، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، عمان - الأردن، ط01 2003. ص 217.

(5) استيتية، سمير شريف، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ص 218.

(6) الصوائت بين ابن جني ودانيال جونز61.

(7) الأصوات اللغوية 40 ـ 41

(8) ينظر: محاضرات في اللسانيات:239-240.

(9) ينظر: المدخل إلى علم اصوات العربية 154 ـ 155.

أما الإمالة الخفية للفتحة والألف في العربية الفصحى فهي أقرب ما تكون إلى الحركة المعيارية (E)؛ وفيها ينخفض مقدم اللسان مع اتجاه الفم بنسبة الثلثين و الشفتان تأخذ وضع الانفراج [2].

وأشار بعض المحدثين إلى أن كل واحد من الصوائت في العربية يتنوع نطقه بحسب نوع الصامت الذي سبقه، فيكون مفخما بعد أصوات الإطباق (ظ ط ص ض)، ومتوسط التفخيم بعد أصوات الاستعلاء الثلاثة (ق غ خ)، ومرققا بعد أصوات العربية الأخرى، فتكون الحركات من الناحية الصوتية تسعا لا ثلاثة[3]. إلا أن بعضهم أنكر تأثر الضمة والكسرة بأصوات الإطباق والاستعلاء، وجعل ذلك التأثر مقصورا على الفتحة[4].

(1) ينظر: دراسة السمع والكلام 239.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص32- 33، الدباس، صادق،الثنائيات الصغرى في الحركات ودورها الدلالي في صياغة البنى الصرفية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات- العدد الخامس والعشرون(2)- أيلول 2011، ص292-293.

(3) ينظر: علم اللغة العام – الأصوات :-192-195. وينظر: دراسة السمع والكلام:244.

(4) ينظر:الأصوات اللغوية:41. وينظر: علم الأصوات لمالمبرج: 76-81.

المبحث الرابع: نظرة المحدثين إلى تصنيف المتقدمين للأصوات العربية

يرى المستشرق برجشتراسر أن تقسيم الصوائت إلى قصيرة وطويلة مما خفي على النحويين القدماء، وأنهم «وإن كانوا ألموا بخواص الحروف الصامتة إلماماً مقبولاً، فلم يوفقوا إلى معرفة طبيعة الحروف الصائتة، لأنهم كانوا يتأثرون بالخط خلافاً للنطق، فرأوا أنه في بعض الأحيان لا يكتب شيء البتة بين الحروف الصامتة نحو (فَعَلَ)، وأحياناً يكتب بينهم حرف من حروف المد نحو (فاعَل)، فلم يدروا أن الحالتين سيَّان في أن تنطق بعد الفاء حركة في كلتيهما، إلا أنها مقصورة في الأولى وممدودة في الثانية، بل ظنوا أنه وإن كانت الفاء متحركة في كلتا الحالتين، أضيفت إلى الحركة في الحالة الثانية شيء غيرها هو الألف. وهذه الضلالة هي منبع ضلالات ومشكلات كثيرة نجتنبها نحن إذا فهمنا ان الحركات منها مقصورة ومنها ممدودة، وأن الحركات الممدودة يشار اليها بحروف المد»[1].

وهذه مقولة روّج لها كثيرٌ من الأصواتيّين المحدثين العرب؛ وأن المتقدمين من علماء العربية لم يُولُوا المصوتات العناية اللائقة بها «مع أنها عنصر رئيسي في اللغات، ومع أنها أكثر شيوعا فيها»[2]، وأنهم اكتفوا بالإشارة العابرة. يقول كمال محمد بشر: «ولسنا نجاوز الحقيقة حين نقرر أن علماء العربية القدامى لم يُعنَوا بالحركات العناية اللائقة بها، فقد عَدوا الحركات أشياء عارضة تعرِض للأصوات الصامتة فهي تَبَعٌ لها، وليست مستقلة مثلها، فأصول الكلمات عندهم مكونة من الأصوات الصامتة، وهذه الأصوات هي الأساس، أما الحركات فهي أصوات من شأنها أن تُعدِّل الصيغة أو الوزن فقط»[3].

ومَردُّ قلة العناية بالصوائت - من منظور هؤلاء - يرجع إلى أمرين؛ أولهما: افتقار المتقدمين إلى المختبرات الصّوتية والأجهزة الحديثة. و الثاني: كون الخط العربي لم يُعْنَ إلا بصور الصوامت[4].

والمتتبع لجهود علماء اللغة المتقدمين في تصنيف الأصوات، يؤكد فهمهم الكامل لطبيعة كلا الصنفين؛ فهذا الخليل في حديثه عن مخارج الأصوات العربية يميز بين صحاح وجوف؛ فيقول: «في العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا، لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة»[5].

ولم يغفل الخليل عن نسبة المصوتات القصيرة إلى الطويلة ؛ فقد ذكر سيبويه عنه قولَه: « إن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه،

---

(1) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، القاهرة، 1982م، ص 53.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، جمهورية مصر العربية، (د.ت)، ص37.

(3) محمد كمال بشر، علم اللغة العام – قسم الأصوات – دار المعارف، مصر، ط2، 1971، ص190.

(4) مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، مطبعة الزهراء، بغداد،1960، ص106.

(5) حسين خلف صالح، جهود علماء العربية في دراسة المصوتات في ضوء الدرس الصوتي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة تكريت، إشراف عبد الجليل تركي نقي، 2003، ص36.

فالفتحة من الألف والكسرة من الياء، والضمة من الواو، فكل واحدة شيء مما ذكرت لك»[1]. والضمة عنده «تمتد، وكذلك الواو لأنها حرفٌ هاو إلى الجوف، وانقطاع امتدادها عند ابتداء الهمزة »[2]. فهذا الكلام المنقول عن الخليل يدل على تصور تام للصفة المشتركة بين المصوتات طويلها وقصيرها.

ويفصل سيبويه أكثرَ؛ فيقول: «وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمدَّ للصوت. فإذا وقفت عندها لم تضمَّها بشفة، ولا لسان ولا حلق كضم غيرها ؛ فيهوي الصوت إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة»[3].

ويمضي سيبويه فيحدد طبيعة المصوتات، وأيها أقرب إلى الصوامت ؛ بقوله: «ومنها اللينّة: وهي الواو والياء؛ لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما... ومنها الهاوي: وهي الواو والياء؛ لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما ... ومنها الهاوي: وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجُه أشدَّ من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف»[4]. وهذه الصوائت الثلاثة أخفى الحروف عند سيبويه «لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجا الألف، ثم الياء ثم الواو »[5].

وفي سياق كلامه عن أثر المصوتات في بنية الكلمة وما يميزها عن الصوامت، يقول سيبويه: « فأما الأحرف الثلاثة، فإنهن يكثرن في كل موضع، ولا يخلو منهن حرف[6]، أو من بعضهن، إلا أن الواو لا تلحق أوَّلاً، ولا الياء أوَّلاً فيما ذكرت لك، ثم ليس شيء من الزوائد يعدل كثرتهن في الكلام، هن لكل مد، ومنهن كل حركة، وهن في كل جمع، وبالياء الإضافة والتصغير، وبالألف التأنيث، وكثرتهن في الكلام وتمكنهن فيه زوائد أفشى من أن يحصى ويدرك، فلما كن أخوات، وتقارين هذا التقارب أُجرين مُجرًى واحداً »[7].

ويميل المبرد إلى استخدام مصطلح المصوتة للدلالة على الألف والواو والياء المدية[8]، ويعتمِد ابن جني المصطلح ذاته[9]، وعلّل تسميتها بشدَّة الصوت فيها[10]، وبيَّن أن هذه الأصوات متسعة المخارج، فقال:

---

(1) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط2، 1982، ج 4، ص241.

(2) أبو القاسم الزجاجي، الخط، تح: غانم قدوري الحمد، مجلة المورد، 1990، مج3،ج2،ص129.

(3) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج 4، ص 176.

(4) المصدر نفسه:4ج، ص435436.

(5) ينظر حسين خلف صالح، جهود علماء العربية في دراسة المصوتات في ضوء الدرس الصوتي الحديث، ص41.

(6) يعني:كلمة

(7) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج 4، ص 318.

(8) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب،بيروت، (د. ت)، ج 1، ص61.

(9)ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط 4، 1990، ج2، ص124.

(10) ابن جني، أبو الفتح عثمان،، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993، ج1، ص11.

«فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا ينقطع الصوت عن امتداده واستطالته، استمر الصوت ممتدا حتى ينفذ...والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء، ثم الواو » [1]. أما أبو حاتمٍ الرَّازيُّ ؛ فيرى أن: « الألف والياء والواو هوائية، ليس لها جروس، ولا اصطكاك؛ لأنها تنسلُ من جوف الحنك» [2]. وليس في عبارة الرازي هذه خروجٌ عما قاله السابقون، خلافا لما ظنه غالب المطلبي [3] ؛ فالرازي لم يزد على أن استبدل بعض المصطلحات بمرادفاتها، فقوله: «تنسل من جوف الحنك» معناه: أنه لا موضع لها في الفم تُنسب إليه، وأما (مصطلح الاصطكاك) فيعني به: الاحتكاكَ، ومعلومٌ أن الجرس هو الأثر الناجم عن ذلك الاحتكاك [4]، وهو بذلك مقابل لمصطلح الخفاء عند علماء التجويد.

أما الفارابي؛ فالأصوات عنده «منها مصوِّت، ومنها غير مصوِّت، والمصوتات منها قصيرة ومنها طويلة. والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب الحركات... والمصوتات الطويلة منها أطراف، ومنها ممتزجة عن أطرافه، والأطراف ثلاثة؛ إما الطرف العالي وهو الألف، وإما الطرف المنخفض وهو الياء، واما المتوسط وهو الواو، والممزوجة إما ممزوجة من الألف والياء، وإما من ياء وواو، وإما من ألف وواو» [5]. ففي هذه العبارة توضيحٌ للفرعي منها الناشئ عن امتزاج المصوتات ببعضها، وعن علاقة الطويلة منها بالقصيرة.

وأطلق مكي على هذه الحروف الثلاثة مصطلح حروف المدّ واللين، كما تابع الخليل في إطلاق مصطلحي الهوائية [6] و الجوفية [7]. أما أبو عمرو الداني فالمصوتات عنده تشمل: حروف المدّ واللين أو حروف المدّ، أما الصوامت فقد أطلق عليها مصطلح الحروف الجامدة، وهو استخدام جديد يعكس «اتجاها يتسم بعمق النظرة في تحليل الأصوات، وإدراك خصائصها الصوتية » [8]. ويبدو أن مصطلح الحروف الجامدة الذي استخدمه الداني، كان دافعا لأبي الفضل الرازي إلى إطلاق مصطلح الحروف الذائبة على

---

(1) المصدر نفسه: ج1، ص8.

(2) الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان، الزينة في الكلمات الإسلامية، تع: حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبري، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ط1، 1957، ج1، ص64.

(3) حيث يقول: « وفي هذا التعريف نقف أمام صفات ثلاث لم يكن الخليل وسيبويه والفراء قد أشاروا إليها، هذه الإشارة الصريحة؛ الأولى: أنها أصوات بلا جروس ... الصفة الثانية: أنها أصوات لا يحدث في أثناء إصدارها اصطكاك ... الصفة الثالثة أنها تنسل من جوف الحنك » (3).

انظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 85.

(4) حسين خلف صالح، جهود علماء العربية في دراسة المصوتات. ص 48.

(5) داود عبده، أبحاث في علم أصوات العربية، مؤسسة الصباح، الكويت، (د.ت)، ص 89.

(6) القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، ط 3، 1996، ص 126.

(7) المصدر نفسه: 142.

(8) غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، الأردن، ط2، 2007، ص156.

المصوتات ؛ يقول أبو الفضل: « ولا يخلص للْقارئِ التجويدُ والترتيل إلا بمعرفة مخارج الحروف، وإعطائه إياها من المخارج حدها، ومن الحركات حظها، ومن السكون حقها، وفرَّق بين مجهورها ومهموسها...وجامدها وذائبها» [1]، ومما لاشك فيه أن الأضداد تدل على نظائرها دون التصريح بها.

فهذه النصوص وغيرها مما لا يتسع المقام لذكره [2]، تؤكد بوضوح أن دعاوى المُحدثين بحق القدامى، ووصفَهم إياهم بالتقصير وعدمِ العناية بالمصوتات، ناشئة عن عدم جردهم لكتب التراث الصوتي العربي، وأنه ما هو إلا ترديد لكلام المستشرقين على غير تمحيص.

(1) حسين خلف صالح، جهود علماء العربية في دراسة المصوتات. ص 52.

(2) انظر – على سبيل المثال لا الحصر -:

- ابن الحاجب، أبو عمر عثمان بن عمر، الإيضاح في شرح المفصل، تح: مصطفى بناي العليلي، مطبعة العاني،بغداد، 1983، ج2، ص489.

- الأستراباذي، رضي الدين، شرح الشافية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1982، ج 3، ص 257.

- ابن منظور، أبو الفضل محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج 1، ص17.

- الأندلسي، أبو حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1998، ج 1، ص 11.

- ابن خلدون، ديوان العبر، تح: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت،ط1، 1980. ص548.

- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط3، 1951، ج 3، ص 456.

- ملا علي بن سلطان محمد القاري، المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، الطبعة الأخيرة، شركة ومطبعة مصطفى البابي، مصر، 1948، ص 1011.

- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، إشراف ومراجعة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، لبنان، (د. ت)، ج 1، ص199.

- القسطلاني، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: عبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،1972، ج1، ص200.

- المرعشي، محمد بن أبي بكر، بيان جهد المقل، تح: سالم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط2، 2008، ص 144.

المبحث الخامس: مفهوم الصوائت عند المحدثين

اختلفت تعاريف الصوائت بين اللسانيين اختلافا بيّنا وصل ببعضهم إلى أن يقترح حلا وسطا للمشكل باستعمال مصطلحات أخرى إضافية. ولعل أقدم تعريف للصائت يمكن الرجوع إليه هو الذي أورده أرسطو (-322 ق.م) في كتابه فن الشعر حيث يقول: «المصوّت هو الحرف الذي له صوت مسموع من غير تقارب (اللسان أو الشفاه)»[1].

ومن تعريفات الصائت في القرن التاسع عشر نختار (هنري. سويت) حيث يقول: «إن التفريق الأساسي بين العلل وبين الصحاح يتمثل في أن تشكلات الفم مع العلل إنما تعدّل الهواء المجهور فحسب، وهو فيما عدا ذلك عنصر جوهري فيها»[2].

أما في القرن العشرين فنختار التعريفات الآتية:

1 - يقول دو سوسير: « لا وجود لأي فرق بين الحرف من حيث التقطيع الفموي، وكل ما في الأمر هو اختلاف في الانطباع الأكوستي...[و] للفم دور المِرْنان أساسا [في الصوائت]»[3].

2 - ويعرف د. جونز الصائت بأنه «صوت مجهور يخرج الهواء عند النطق به على شكل مستمر من الحلق والفم، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلا يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكا مسموعا »[4].

3 - ومن فندرييس نأخذ هذا الجزء من تعريفه: «كل العلل يقتضي أن يكون الفم مفتوحا، ولو اختلف هذا الفتح في الحجم، ولكنه دائما أكبر مما هو مع الصحاح»[5].

---

(1) أرسطوطاليس: فن الشعر، مع الترجمة العربية القديمة وشرح الفارابي وابن سينا وابن رشد، تر.د.عبد الرحمان بدوي، ط.د.الثقافة بيروت، د.ت ص 55 ؛ ظ: عياد، د.شكري محمد-: كتاب أرسطوطاليس في الشعر، ط.د.الكاتب العربي، القاهرة، 1967. ص110. وقد اختار الدكتور ع.ر.بدوي أن يحافظ على الترجمة العربية القديمة للكلمة اليونانية (**phônèen**) التي تعني **voyelle**، وهي "مصوّت". وينظر أيضا: ص 126، 191، 234 من ترجمة بدوي لـ "فن الشعر". أما ش.عياد فاختار مصطلح "الصائتة"؛ والترجمة الفرنسية للعبارة الأخيرة من التعريف هي: « من غير تقارب الأعضاء »..

(2) عن حسان،د. تمام: مناهج البحث في اللغة، ط.د.الثقافة، الدار البيضاء، 1974.ص 113-114، والعلل عنده هي الصوائت..

(3) سوسير، ف.دُ-: دروس في الألسنية العامة، تر. صالح القرمادي وزميله، ط. الد.العربية للكتاب، ليبيا/تونس، 1985، ص 82. والحركة عند المترجمين هي الصائت، والحرف هو الصامت..

(4) عن المطلبي، د.غالب فاضل-: في الأصوات اللغوية، درسة في أصوات المد العربية، ط.وزارة الثقافة، بغداد، 1984. ص 24، وقد ترجمه كل من:

السعران، د. محمود-: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ط.د.النهضة العربية، بيروت [مصورة عن ط.د.المعارف، 1962]. ص148،

وبشر،د.كمال محمد-: علم اللغة العام، الأصوات، ط.د.المعارف بمصر، 1975. ص 74،

و عمر،د.أحمد مختار-: دراسة الصوت اللغوي، ط.1، عالم الكتب، القاهرة، 1976. ص 114، كل بطريقته الخاصة.

(5) عن حسان،د. تمام-: مناهج البحث في اللغة، ط.د.الثقافة، الدار البيضاء، 1974.ص 114.

4 - يلمسليف: «نقصد بالصائت **سينيما** قابلا لأن يكون بمفرده **ملفوظا** أو قابلا داخل مقطع ما تأليفات أي سينيم مشابه»[1].

5 - تروبتسكوي: «إن خاصية الصحيح بعبارة أخرى هي إنشاء عقبة في طريق الهواء أو فتح هذه العقبة، على حين تبدو خاصية العلة في صورة انعدام أية عقبة أو تعويق»[2].

6 - ماروزو: يعتبر علماء الأصوات الصحيح مكونا في جوهره من جرس ناتج عن مرور الهواء عبر القناة الصوتية، فيخرج عن هذا التعريف الصوت، أو الحس الذي يخصص العلة[3].

7 - آيده وورد: العلة في الكلام العادي، صوت يمر الهواء في نطقه خلال الفم في تيار مستمر، لا تصادفه عقبة، ولا تضييق ينتج عنه احتكاك مسموع، وكل الأصوات الأخرى صحاح[4].

8 - إدوارد ساپير: « وطريقة النطق في الفم ليست كافية بالطبع لحد الصحاح، بل يجب أن ندخل في اعتبارنا المخرج»[5].

9 - بلوخ وتريجر: « العلة صوت لا توجد عقبه في الفم حين نطقه، حتى ليجري تيار الهواء من الرئتين إلى الشفتين، وما وراءهما دون أن يتوقف، أو يحشر في مجرى ضيق، ودون أن يحيد عن خط الوسط في قناة مروره، أو يحدث ذبذبة في أي عضو فوق الحنجرة، هذا الصوت مجهور من الناحية النوعية، وإن لم يكن هذا ضروريا من الناحية الفعلية، والصحيح بعكس هذا... »[6].

10 - بلومفيلد: «تعديلات للصوت المنطوق لا تتضمن غلقا ولا احتكاكا ولا اتصالا من اللسان أو الشفتين»[7].

مناقشة التعريفات:

وإذا حاولنا أن ننظر إلى هذه التعريفات على ضوء الأسس العامة لتصنيف الأصوات اللغوية وجدناها تتخذ فكرة (مرور الهواء مرورا حرا في أثناء النطق من غير أن يكون ثمة احتكاك أو إعاقة) أساسا للتعريفات

(1) نقلا عن كتاب أمنزوي، محمد، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى (دراسة صوتية إحصائية)، دار وليلي للطباعة والنشر - مراكش، ط الأولى، 2000 م، ص 24.

(2) عن حسان،د. تمام-: مناهج البحث في اللغة، ط.د.الثقافة، الدار البيضاء، 1974.ص 114.

(3) عن حسان،د. تمام-: مناهج البحث في اللغة، ط.د.الثقافة، الدار البيضاء، 1974.ص115.

(4) المرجع نفسه،ص116.

(5) المرجع نفسه،ص116.

(6) المرجع نفسه، ص 117.

(7) عن أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص، 137. ظ: المطلبي، غالب فضل، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1984،ص 24.

التي وضعها علماء اللغة المحدثون لأصوات المد[1]. فهي تنطلق من أربعة أسس؛ **أساس نطقي** (فيزيولوجي) محض، وأساس سمعي (أكوستي) محض، وأساس نطقي/ سمعي مزدوج، وأساس وظيفي(فونولوجي):

أ- فالتعريفات (2)و(3)و(5) تعتمد على الأساس النطقي الخالص، وإن كانت تختلف في العناصر الفيزيولوجية التي يركز عليها كل منها، فجونز يحرص على إبراز عنصر الجهر في الصوائت، بينما يكتفي تروبتسكوي وفندرييس بالتركيز على عنصر الانفتاح الأكبر فيها، إلا أن تروبتسكوي كان حريصا على توضيح ما يقصد بالانفتاح فأضاف عنصر غياب الحاجز أو العائق[2].

إن هذه العناصر الفيزيولوجية الثلاثة **(الجهر، الانفتاح، غياب الحاجز)** هي أقدم العناصر التي انتبه إليها علماء اللغة واعتمد عليها أغلبهم في تمييز الصوائت عن الصوامت. ففي تعريف أرسطو لا يستبعد أن تشير عبارة «له صوت مسموع» إلى ظاهرة الجهر الناتجة عن تذبذب الوترين الصوتين، وإن كان بعض المعاصرين يفهمها ظاهرة فيزيائية، وفي تعريف أرسطو أيضا إشارة إلى الانفتاح وغياب الحاجز بعبارة «من غير تقارب الأعضاء ». ويعزو جيمس هاريز، في منتصف القرن الثامن عشر، تكوّن الصوائت إلى تنوع هيئات انفتاح الفم لمرور صوت الجهر الذي هو عنصر جوهري فيها[3]، ولا يكاد لساني معاصر يغفل عنصر غياب الحاجز في تمييز الصوائت. وينسب الانفتاح وغياب الحاجز هنا إلى القناة الصوتية فوق الحنجرية.

وقد شكك بعض اللسانيين في صلاحية هذه العناصر الثلاثة للتمييز الدقيق بين الصوائت؛ **فالجهر** مثلا يمكن إسقاطه من التعريف لأنه قد يكون جزئيا[4]، كما أن بعض اللغات واللهجات تستعمل صوائت مهموسة[5]، وهو بالإضافة إلى ذلك عنصر مشترك بين الصوائت وبعض الصوامت.

واعترض يسبرسن على اعتبار **الانفتاح** عنصرا مميزا للصوائت، فهو يرى أنه معيار نسبي واصطلاحي[6]، كما يلاحظ ج. ستراكا أن هناك صوامت ذات انفتاح وزاوية للفكين أكبر من الصوائت الأكثر انغلاقا[7].

---

(1) المطلبي، غالب فضل، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1984،ص 24 .

(2) هذا هو العنصر الذي يعتمده معظم اللسانيين في تمييز الصائت عن الصامت، وقد يعبر عنه بعبارات أخرى مثل: "غياب الاحتكاك" و"غياب الاتصال ".

(3) نقلا عن كتاب أمنزوي، محمد، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى (دراسة صوتية إحصائية)، دار وليلي للطباعة والنشر والنشر - مراكش، ط الأولى، 2000 م، ص 26.

(4) نقلا عن كتاب أمنزوي، محمد، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى ص 26.

(5) المرجع السابق.

(6) نفسه.

(7) نفسه.

ولم يسلم معيار **غياب الحاجز** هو الآخر من الاعتراض، فهو عنصر غير محدد كما قد يبدو لأول وهلة، إذ قد نتردد في تصنيف الأصوات ذات الحواجز الجزئية ضمن الصوامت أم ضمن الصوائت[1]، كما قد يتصور احتكاك ما في الصوائت الضيقة[2].

وواضح أن هذا المدخل الفسيولوجي للتفريق بين الصحاح، والعلل سطحي مصطنع، وقاصر لا يكفي الحاجات العملية للبحث، سواء في الأصوات أو في التشكيل الصوتي[3].

ب-أما التعريفات التي تنطلق من الأساس السمعي أو الأكستيكي الخالص أو شبه الخالص فمنها ما يركز على قوة الإسماع في الصوائت ومنها ما يركز على عنصر الارتداد (أو الرنين) في التجويفات فوق الحنجرية، وهو تعريف ليس أكثر غناء من سابقه[4].

ج- لاحظ بعض اللسانيين أن تعريف الصائت والصامت لا يكفي فيهما الاعتماد على العناصر الفيزيولوجية وحدها أو الفيزيائية وحدها، فجاءوا بتعريفات تنطلق من الأسس النطقية والفيزيائية معا، فتعتمد على عناصر فيزيولوجية كتشكلات الفم والجهر، وأخرى فيزيائية كـ تعديل الهواء، وهذا ما نجده في تعريف سويت، أو تعتمد على الانفتاح مع الانطباع الأكوستي والرنين والضجيج كما في تعريف سوسير. ويظهر أن تروبتسكوي قد فضل هذا الأساس على غيره من الأسس حين خلص من بعض مناقشاته إلى أن «أي محاولة لإبعاد التصورات الفيزيائية أو تجنبها عند تعريف الصوائت والصوامت ستفشل حتما»[5].

د- بقي من التعاريف نوع رابع يعتمد الأساس الوظيفي للأصوات، فيعرف الصائت مركزا على وظيفته في المقطع، كما في تعريف لستتسون، أو على وظيفته في العبارة والمقطع معا، كما عند يلمسليف. ولا يمكن قبول هذا النوع من التعاريف في الصوتيات العامة، لأنه لا يصح تطبيقها على كل اللغات، ولهذا رفضها بعض اللسانيين مثبتين بأمثلة مختلفة عدم صلاحيتها للتعميم، لأن أصواتا مثل [n, m,r,l] قد تكوّن قمة للمقطع في بعض اللغات، وفي لغات أخرى كثيرة لا تكوّن إلا هامش المقطع. فهل يصح اعتبارها صوائت والحالة هذه؟

إن الجواب على هذا السؤال بالإيجاب غير سليم حتى في نطاق اللغة التي تكون فيها هذه الأصوات قمة للمقطع، والجواب الأوفق هو أن نقول: إن هذه الأصوات قد تكون فونيمات مقطعية في اللغة الفلانية [6]؛ إذ

---

(1) نفسه.

(2) عمر،د.أحمد مختار-: دراسة الصوت اللغوي، ط.1، عالم الكتب، القاهرة، 1976. ص 115 ؛ مصلوح، د.سعد-: دراسة السمع والكلام، ط.عالم الكتب، القاهرة، 1980، ص 115.

(3) مناهج البحث في اللغة (ص: 115).

(4) حسان مناهج البحث في اللغة، ص 115.

(5) نقلا عن نقلا عن كتاب أمنزوي، محمد، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى ص 28.

(6) عمر،د.أحمد مختار-: دراسة الصوت اللغوي، ط.1، عالم الكتب، القاهرة، 1976. ص 115 ؛ مصلوح، د.سعد-: دراسة السمع والكلام، ط.عالم الكتب، القاهرة، 1980، ص 292.

لا يعني هذا ضرورة أنها صوائت، لأن الفونيمات المقطعية في لغة ما قد تشمل بالإضافة إلى الصوائت أصواتا أخرى تعتبر صامتة من وجهة نظر الصوتيات العامة.

هكذا يظهر أن أي تعريف للصائت لم يسلم من النقد، مهما كان الأساس الذي ينطلق منه، ولا سيما التعاريف التي تعتمد الأساس الوظيفي حين يراد تعميمها، ولهذا ظهرت اقتراحات لحل إشكال التعميم في تعريف الصائت، لكن هذه الاقتراحات لم تحل الإشكال، وإنما زادته بلبلة بقلب المصطلحات والمفاهيم التقليدية وإضافة مصطلحات جديدة، ولذلك لم يحظ أي منها بالشهرة، إذ بقي المصطلحان **صائت/صامت** يستعملان بمفهوميهما في الصوتيات العامة، وشاع المصطلحان **مقطعي/لامقطعي** بمفهوميهما الوظيفيين في الفونولوجيا.

ومن هنا جاء **الاتجاه الآخر** ليدعو إلى قبول استعمال المصطلحين التقليديين (صامت/ صائت) بما يحملانه من مفهوم مشترك أدنى بين المتخصصين، وذلك يعني عدم التقيد بصوغ تعريف دقيق لكل من المفهومين، وهذا ما نلمسه عند اللسانيين العرب المعاصرين الذين كادت تتفق تعريفاتهم للصائت بأنه الصوت المجهور الذي يحدث أثناء النطق به أن يمرّ الهواء حرّاً طليقاً خلال الحلق والفم من دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل، ومن دون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعا[1].وأي صوت في الكلام الطبيعي لا يصدق عليه هذ التعريف يعد صوتا صامتا[2].

أما علماء اللغة العرب المحدثون فقد وردت تعريفاتهم عاكسة ومترجمة لتعريفات الغربيين؛ فهذا الدكتور رمضان عبد التواب يعرف الصوائت بأنها « الأصوات المجهورة التي يحدث في تكوينها، أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحيانا، دون أن يكون هناك عائق، يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما أو تضييق لمجرى الهواء، من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا»[3].

وعرف الأنطاكي الطليق بأنه صوت لغوي ناشئ عن اهتزاز الوترين الصوتيين، يجري معه النفس من غير أن يلقى في طريقه عقبة تمنعه من المرور، أو تحول اتجاهه إلى الأنف، أو تؤدي إلى تلكئه واحتكاكه بأعضاء النطق[4].

(1) عمر،د.أحمد مختار-: دراسة الصوت اللغوي، ص 135.

(2)علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) د. محمود السعران 124، وينظر: الوجيز في فقه اللغة د. محمد الأنطاكي 146، علم اللغة العام (قسم الأصوات) 92.

(3) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ص: 42).

(4) الأنطاكي محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، (دت)، ج01، ص 15، ظ.ن.م: ص 34.

ويحدد السعران الصوت الصائت في الكلام الطبيعي بأنه « الصوت المجهور الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معها أحيانا، دون أن يكون ثمة عائق "يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما" أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا»[1].

وعرف الدكتور إبراهيم أنيس الصائت بأنه « الصوت الذي يحدث عند النطق به أن " يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل»[2].

وهو عند الدكتور كمال بشر« صوت يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حرا طليقا من خلال الحلق والفم، دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا، ودون أن ينحرف عن وسط الفم إلى الجانبين أو أحدهما»[3].

وأخيرا؛ نشير إلى أن تعريف الحركة تعريفا جامعا لا يدخل فيه شيء، ومانعا لا يخرج منه شيء، أمر لا نكاد نعثر له على وجود في كتب علم الأصوات، وما زال الأمر موضع دراسة وحوار بين العلماء والباحثين في هذا العلم[4]. وما الخلاف الاصطلاحي بشأن هذه الأصوات، والتدرج في رسمها وكيفية معالجتها وطبيعتها من حيث التحول والانقلاب إلا دلالة على خصوصية هذه الأصوات وصعوبة مسلكها نسبة إلى غيرها.

(1) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (ص: 124).

(2) الأصوات اللغوية ص 27.

(3) دراسات في علم اللغة (ص: 87).

(4) استيتية، سمير شريف، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، عمان - الأردن، ط01، 2002. ص 202.

المبحث السادس: أقسام الصوائت العربية

يرى جل العلماء من القدامى والمحدثين أن الحركات في اللغة العربية تنقسم إلى ثلاثة: الفتحة والضمة والكسرة، وتحديدها بالثلاثة يعتمد على الجانبين النطقي والوظيفي[1]. يقول محمد الأنطاكي: ويشمل النظام الصوتي للطليقات في العربية على ثلاثة طليقات رئيسية هي: الكسرة والضمة والفتحة. ولكل واحدة طولان: قصير وطويل، فيكون مجموع الطليقات في العربية- على هذا - ستة[2]. ويقول في موضع آخر: ومن هذا النوع أصوات الفتحة والضمة والكسرة القصار، وبناتهن: الألف والواو والياء الطوال[3].

وتُقَسَّم الصوائت العربية باعتبارات شتى إلى عدة أقسام:

أوّلها - تقسيم الصوائت باعتبار الكمية، وتنقسم إلى:

- طويلة: وهي حروف المد (الألف والواو والياء).
- قصيرة: وهي الحركات (الفتحة والضمة والكسرة).

ثانيا - تقسيم الصوائت باعتبار اللسان وهيئاته إلى ما يلي:

أولا: الجزء الذي يرتفع أو ينخفض من اللسان وعلى أساسه تقسم الصوائت إلى:

1 - صوائت أمامية: نسبة إلى الجزء الأمامي من اللسان، أي أنها تخرج من مقدم اللسان سواء أكان مرتفعا أم منخفضا، وهذه الصوائت هي (a - E - e - i).

2 - صوائت خلفية: نسبة إلى الجزء الخلفي من اللسان سواء أكان مرتفعا أم منخفضا، وهذه الصوائت هي: (u- o- ò- a).

3 - صوائت مركزية: وهي التي تنتمي إلى وسط اللسان، وتشمل الحركة المعيارية (ə).

ثانيا: درجة ارتفاع اللسان وانخفاضه وما ينتج عن ذلك من اتساع مجرى الهواء أو ضيقه، وعلى هذا تنقسم إلى:

1 - صوائت ضيقة: وهي التي يرتفع فيها اللسان إلى أقصى حد ممكن، وتكون المسافة بينه وبين سقف الحنك أضيق ما تكون بحيث إذا ارتفع اللسان أكثر أحدث نوعا من الحفيف، ويشمل الصائت المعياري(i) والصائت المعياري(u) أي المقياس الأول والثامن.

---

(1) زيد خليل القرالة، الحركات في اللغة العربية، دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2004، ص25.

(2) الأنطاكي محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، (دت)، ج01، ص 34.

(3) ظ.ن.م: ص15 .

2 - صوائت متسعة: وهي التي يكون اللسان حين النطق بها منخفضا في قاع الفم إلى أقصى درجة، ويمثل ذلك في (a) و(a) ، أي المقياس الرابع والخامس.

3 - صوائت نصف ضيقة: وفيها يكون اللسان عند النطق بها في ثلث المسافة من الصوائت الضيقة إلى المتسعة، وهي صوائت (e) و(o). أي المقياس الثاني والسابع.

4 - صوائت نصف متسعة: وهي التي يقع اللسان حال النطق بها في ثلثي المسافة من الصوائت الضيقة إلى المتسعة، وهي (E) و (ò). أي المقياس الثالث والسادس. ولأجل التبسيط قدرت المسافات بين هذه الدرجات متساوية.

ثالثا - تقسيم الصوائت باعتبار وضع الشفتين إلى:

1 - صوائت منفرجة: وهي التي تنفرج معها الشفتان عند النطق بها، كما في الصائت الأول (i) والثاني(e) والثالث(E)، والانفراج أكثر ما يكون مع (i)، ثم يقل تدريجيا مع(e) و(E).

2 - صوائت مستديرة: وفيها تأخذ الشفتان شكلا دائريا أو شبه دائري، ويكون ذلك مع (ò) و (u)و(o)، وتختلف درجة الاستدارة؛ فهي أكمل ما تكون مع (u)، ثم تقل الاستدارة تدريجيا مع (o) ثم (ò).

3 - صوائت محايدة: وفيها تكون الشفتان في وضع محايد وتشمل الصائت الأمامي(a) والصائت الخلفي(a)، ويلحظ أن الشفتين مع حيادهما أقرب إلى الانفراج مع الصائت(a) وإلى الاستدارة مع الصائت(a).

رابعا: تقسيم الصوائت بالنظر إلى التجويف الأنفي في إنتاج الصوائت، وتقسم إلى:

1 - صوائت أنفية: وفيها يكون دور الأنف إيجابيا، حين ينخفض الحنك اللين واللهاة قليلا إلى الأسفل، ليمر جزء من الذبذبات الصوتية الحنجرية عبر الأنف.

2 - صوائت غير أنفية: أو **فموية**، وفيها يكون دور الأنف سلبيا، حين يرتفع الحنك اللين واللهاة متجهين إلى الخلف، ليلتصقا بالجدار الخلفي للحلق الأعلى ويسدا طريق التجويف الأنفي، ومن ثم تمر كل الذبذبات الحنجرية عبر الفم.

خامسا - تقسيم الصوائت باعتبار سهولة النطق إلى:

- خفيفة: وهي الألف وتتبعها الفتحة.

-ثقيلة: وهي الواو وتتبعها الضمة والياء وتتبعها الكسرة، **ثم إن الثقيلة يمكن تقسيمها إلى:**

أ - ثقيلة: وهي الياء.

ب -أثقل: وهي الواو.

إن اللغة العربية الفصحى تستعمل الصّوائتَ بطريقة اقتصادية عجيبة، لأنّها حقّقت بأقلّ وأسهل الأصوات فوائد عدّة، فاختارت أقلّ عدد يحويه نظام الصّوائت في اللغات المعروفة، وهو ثلاثة صوائت(u ، a، i)، في حين أنّ اللغات الأخرى قد أوغلت في استخدامها، ابتداءً من خمسة صوائت إلى ما يفوق التّسعة[1]، ويقول كمال بشر عن الصّوائت العربية: « هذه الحركات القليلة العدد ظاهرة بارزة تستحقّ النّظر والتأمّل إذا قيست بما يناظرها في اللغات الأخرى»[2]، ثم بيّن لنا أنّ قلّة الصّوائت في لغة ما حسنةٌ من حسنات هذه اللغة في النّطق والأداء الفعلي للكلام. ذلك أنّ الحركات - في عمومها- أصعب من الأصوات الأخرى وأكثرها تعرّضاً للتغيّر والتبدّل. ومن الطّبيعي أنّه كلّما زاد عدد الحركات كانت صعوبة النّطق أقوى احتمالاً وظاهرةُ التغيّر والتّحوّل أكثرَ وقوعاً[3].

فنظام الصوائت العربية من الأنظمة الموسومة بـ المثلّثية، وهي الأنظمة التي تكون لجميع فونيماتها الصائتية خواص انفتاح مميزة، ولها أيضا –باستثناء الصائت الأكثر انفتاحا- خواص مخرجية مميزة، وهذا ما جعل اللسانيين يمثلونها في شكل مثلث قاعدته إلى الأعلى، في إحدى زاويتيها الصائت المعياري رقم 1 [i]، وفي الأخرى الصائت المعياري رقم 8 [u]، ورأسه إلى الأسفل، وفيه الصائت المعياري رقم 4 [a]، وعلى كل من ضلعي المثلث بين الرأس والقاعدة يمكن أن توضع صوائت أخرى حسب درجات الانفتاح وحسب اللغة المعينة، مما يعني أن اللغة ذات النظام الصائتي المثلثي قد تستعمل أكثر من ثلاثة صوائت.

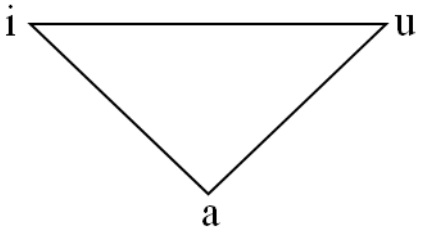

(1) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 156- 157.

(2) خواص صوتية تمتاز بها اللغة العربية، مقال للدكتور كمال بشر، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج: 71، نوفمبر، 1992م، ص: 37.

(3) المرجع نفسه.

وقد احتفظت العربية من هذا النظام بصوائته الثلاثة الرئيسة المعروفة في السامية، وأضافت إليها - باستغلال ظاهرة التطويل - ثلاثة فونيمات صائتية أخرى، مما جعل نظامها الصائتي في الواقع سداسيا هذه فونيماته[1]:

2،1 – صائت أمامي، ضيق، غير مدور { قصير هو الكسرة / طويل هو ياء المدّ }

4،3 – صائت خلفي، ضيق، مدور { قصير هو الضمة / طويل هو واو المدّ }

6،5 – صائت أمامي واسع غير مدور { قصير هو الفتحة / طويل هو ألف المدّ }

ويرى برجشتراسر أن الحركات في الأصل اثنتان لا ثلاثة؛ حركة كاملة وهي الفتحة، وحركة ناقصة تشبه الكسرة أحيانا، والضمة أحيانا أخرى[2]. في حين يرى د/ رمضان عبد التواب أن كلا من الكسرة والضمة تطورتا في اللغة الجعزية- وهي الحبشية القديمة - إلى الكسرة الممالة مما يدل على أنهما كانتا في أذن الحبشي شيئا واحدا أو كالشيء الواحد[3]. ومهما يكن من أمر فإن ما استقر عليه الأمر هو القول بأن الحركات ثلاثة.

وعند محمد الأنطاكي نجد سلسلتين من الأصوات الطليقة:

الأولى: سلسلة الأصوات الطليقة؛ وهي: الكسرة، الإمالة الكسرية الحادة، الإمالة الكسرية المنفرجة، الفتحة المرققة وتدعى **بالأصوات الطليقة الأمامية**، لأنها تنتج عن تكتل اللسان في مقدمة الفم تحت مقدم الحنك، أي الغار.

أما السلسة الثانية فهي: الضمة، الإمالة الضمية الحادة، الإمالة الضمية المنفرجة، الفتحة المفخمة، وتدعى **بالطليقات الخلفية** لأنها تحدث عند ارتفاع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك أي الطبق[4].

(1) ظ: أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها ص48.

(2) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، القاهرة، 1982م، ص54 - 55.

(3) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، 1417هـ - 1997م، ص 96.

(4) محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، دار الشرق، ط2، 1969م، ص 229- 230.

كذلك يقسم محمود السعران الصوائت العربية الأساسية إلى الفتحة و الكسرة و الضمة، والألف الممدودة اللينة أو الفتحة الطويلة (كما في قال)، والياء الممدودة اللينة أو الكسرة الطويلة (كما في بِيع)، والواو الممدودة اللينة أو الضمة الطويلة(كما في رُوح)[1].

وقسم أحمد مختار عمر الصوائت العربية على النحو التالي[2]:

نوع الصوت	اسم الصوت	الرمز العربي	الرمز الدولي
العلل القصيرة	الكسرة القصيرة	ـِ	I
	الضمة القصيرة	ـُ	u
	الفتحة القصيرة	ـَ	a
العلل الطويلة	الكسرة الطويلة (ياء المد)	ي	i : أو i أو ii
	الضمة الطويلة (واو المد)	و	u : أو u أو uu
	الفتحة الطويلة (الألف)	ا	a : أو a أو aa
أنصاف العلل	الواو (نصف الصائتة)	وْ	w
	الياء (نصف الصائتة)	يْ	y

وقسم عبد الصبور شاهين الصوائت تقسيما فرق فيه بين الفتحة أو الألف بين حالتيهما التفخيم والترقيق، باعتبار أن الألف أو الفتحة المفخمتان يعدان فونيما من شأنه أن يغير المعنى، ومثل لذلك بألف **طاب** مع ألف **تاب**، حيث تسببت ألف التفخيم في طاب تغييرا في المعنى وكذلك ألف الترقيق في تاب[3]. ورد على الدكتور عبد الصبور بعض المعاصرين[4] بردود خلاصتها:

1 - إذا كان التفخيم علة تنقل الفتحة أو الألف من الألوفونية إلى الفونيمية، فلماذا لا ينسحب هذا الأثر على الضمة أو الواو المسبوقتين بأصوات تفخيم، وذلك في نحو **طول** أو **حصول** مثلا، فينجر عليه أن نقسم الضمة والواو إلى مرققة ومفخمة؟

2 - وإذا كان الترقيق والتفخيم هو علة تغيير الدلالة في مثل **طاب وتاب**، فلماذا لا يجعل ذلك في مثل واو **فطور وفتور** أيضا؟

3 - هل تغير الدلالة راجع إلى تغير الأصوات الصامتة السابقة للصوائت أو إلى التغير الألوفوني للصوائت؟

ولنا أن نعتذر للدكتور عبد الصبور بمسائل أهمها:

(1) السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط02،القاهرة، 1997، ص: 154.

(2) ظ: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، 313.

(3) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص30.

(4) زيد خليل القرالة، الحركات في اللغة العربية، دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2004، ص 27.

1 - أنه عدل بطريقة أخرى عن رأيه في التقسيم الرباعي للصوائت طويلها وقصيرها - في نفس الموضع من كتابه-، والتزم النظام المثلّثي للصوائت، فقال: « بَيْد أن التسميات التي وضعت لهذه الحركات كانت ثلاثة بإدماج حركتي الفتحة (مفخمة ومرققة) في تسمية واحدة، من حيث كان اختلافهما لا أثر له من الناحية الصرفية »[1].

2 - أنه ربما اعتمد في تقسيمه للصوائت على الجانب النطقي **الفونولوجي**؛ من حيث وجود ذلك الاختلاف في هيئة الجهاز النطقي حين النطق بالألف أو الفتحة المفخمتين عنه في حال ترقيقهما.

ولذلك يرى المطلبي أن «ألف التفخيم ليست إلا صورة من صور نطق الألف، وهي بهذا لا تحمل أية قيمة فونيمية خاصة بها خارجة عن فونيم الألف العربية المعروفة، مثلها في ذلك مثل الإمالة»[2].

وينبغي علينا ونحن نتحدث عن أقسام الصوائت العربية أن نستحضر الفروق بين نطق عربية اليوم في الأقطار العربية وبين نطقها العربي القديم، تلك الفروق التي لم يصاحبها على كل حال اختلاف وظائفها الفونولوجية في العربية الفصحى، التي ظلت الوظائف التمييزية للصوائت فيها ثابتة طوال تاريخ العربية إلى اليوم. أما فروق النطق نفسها فلا نملك معطيات صحيحة لوصفها، إلا ما يخص الكيفيات التي تنطق بها اليوم في الأقطار العربية؛ ومع هذا يمكن الاستئناس بما نجده في كتب التراث من أوصاف لبعض الكيفيات التي كانت تنطق بها، للمقارنة التقريبية بين النطقين القديم والحديث للفونيمات الصائتية العربية[3].

(1) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص30.

(2) المطلبي، غالب فضل، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1984،ص 168.

(3) بشر، د.كمال محمد: علم اللغة العام، الأصوات، ط.د.المعارف بمصر، 1975، ص146.

المبحث السابع: أنواع أخرى من الصوائت

وهي التي يسميها علماء اللغة (المصوتات الفرعية)[1]، وهي موجودة في العربية تبعاً لثلاثة أسباب:

الأول: قد تكون خاصة بلغة من لغات العرب.

الثاني: قد ترد في رواية من روايات القراءات القرآنية[2].

الثالث: قد تأتي تبعاً لتأثيرات صوتية تحدث من تفاعل أصوات الكلمة تفاعلاً يؤدي إلى أن تفقد بعضُ أصواتها صفةً من صفاتها أو أكثر[3]. وهذا السبب الأخير يشمل جميع الأصوات الفرعية؛ مستحسنةً وغير مستحسنة، صامتة أو مصوتة.

فالمصوتات الفرعية عبارة عن ألوفونات أو تغيرات نطقية، لا ارتباط لها بتغير المعنى، فما تؤديه كلمة مثل (جاء) من معنى، هو ذاته ما تؤديه إذا أميلت ألفُها، يقول الدكتور هنري فليش: « ثم يرِد عليها [المصوتات] في الاستعمال تغيرات (بحسب القبائل) فتصبح الضمة الخالصة (u) ضمة مفتوحة (o) وتصبح الكسرة الخالصة (i) كسرة قريبة من الفتحة (ممالة) (e) ... ولكن ذلك لا يغير المعنى في شيئا »[4].

وقد أشرنا إلى ما سمّاه علماء اللغة (الحركات المعيارية)، وعرفنا أنها تتنوع بحسب درجة ارتفاع أو انخفاض اللسان أو الجزء الذي يرتفع منه؛ اللذين يتبعهما تغير في شكل الشفتين إلى ثمان درجات، ولكل من هذه الدرجات نظائر في العربية تكون قريبة منها أو مطابقة لها، وقبل أن نذكر المصوتات الفرعية نشير إلى ما نبه إليه علماء الأصوات من أن المصوتات الأصلية (الألف وياء المد وواو المد) يتنوع كل منها بدوره إلى ثلاث مراتب؛ هي الترقيق والتفخيم والحالة الوسطى[5]. فالكسرة المرققة علامتها **(i)**، والمفخمة **(I)**، والحالة الوسطى**(i)**، والفتحة المرفقة علامتها (æ) والمفخمة (a) والحالة الوسطى(a)، والضمة المرققة علامتها **(u)**، والمفخمة($\mathcal{V}$)، والحالة الوسطى (υ)[6].

فالفتحة في العربية إذن وحدة واحدة، ولكنها قد تكون قصيرة وعلامتها الكتابية (َ) أو طويلة وعلامتها (ا) وهي ما يسمى ألف المد. وتتفق هاتان الصورتان للفتحة في ظاهرة صوتية أخرى مهمة، تلك هي ظاهرة التفخيم والترقيق وما بينهما. وهذه المراتب ناشئة عن ارتفاع أو انخفاض اللسان، وتقدم أو تأخر الجزء المرتفع، مع عدم إغفال وضع الشفتين عند نطق كل مرتبة، وهي مراتب تعتري المصوتات بسبب السياق الصوتي

---

(1) وتسمى الصوائت المشوبة أو المركبة أو المختلطة أو الانزلاقية.

(2) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 370.

(3) المحيط في اصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الانطاكي 40/1.

(4) العربية الفصحى 35.

(5) ينظر: مناهج البحث في اللغة 136 ـ 137، علم اللغة العام (قسم الأصوات 198).

(6) علم اللغة العام (قسم الأصوات) 467.

الذي تقع فيه؛« فهي مفخمة مع أصوات الإطباق وهي(الصاد والضاد والطاء والظاء)، وهي في الحالة الوسطى بين التفخيم والترقيق مع (القاف والغين والخاء)، ولكنها مرققة في المواقع الصوتية الأخرى»[1].

فالفتحة بذاتها لا تتصف بتفخيم أو ترقيق، وإنما تعتريها هذه الظاهرة في السياق أي بسبب تأثرها بما يجاورها من الأصوات، فهي إذن ظاهرة سياقية contextual كما يظهر في نحو: **صَبٌّ/ قَبٌّ/ سَبٌّ؛** حيث فخمت الفتحة في المثال الأول، ورققت في الثالث ولكنها بين الحالتين في المثال الثاني. وهذا الاختلاف في الدرجة يرجع إلى الأصوات السابقة لها في هذه الكلمات. فهي في الكلمة الأولى مسبوقة بصوت مفخم هو الصاد. وفي الثالثة بالسين وهو صوت مرقق. أما في المثال الثاني فهي واقعة بعد القاف[2]، وهو صوت بين بين أي بين التفخيم والترقيق.

وكذلك الحال في الفتحة الطويلة (ألف المد)؛ حيث لا تتصف في ذاتها بهذه الظاهرة بدرجاتها المختلفة. قارن بين: **صاد، قاد، ساد.** فألف المد أو الفتحة الطويلة مفخمة في الكلمة الأولى ومرققة في الثالثة، ولكنها بين الدرجتين في المثال الثاني. وسبب هذا الاختلاف إنما هو السياق نفسه[3].

ومن الجدير بالذكر أن من المتقدمين من لحظ هذه الحقيقة، وهي أن ما تخضع له الألف = الفتحة الطويلة من تفخيم أو ترقيق بطبيعة الحال إنما سببه السياق، أما هي ذاتها فلا توصف بتفخيم أو ترقيق. يقول ابن الجزري: «ومن الحروف؛ الحروف المستفلة وضدها المستعلية. والاستعلاء من صفات القوة. وهي سبعة يجمعها قولك: قظ خص ضغط، وهي حروف التفخيم على الصواب. وأعلاها الطاء، كما أن أسفل المستفلة الياء. وقيل: حروف التفخيم هي حروف الإطباق، ولا شك أنها أقواها تفخيما، وزاد مكي عليها الألف. وهو وَهْمٌ، فإن الألف تتبع ما قبلها فلا توصف بترقيق أو تفخيم»[4].

فابن الجزري هنا ينفي كون الألف مفخمة أو مرققة بذاتها، وهذا قول سليم بلا شك، غير أن د. كمال بشر ينتقد ابن الجزري قصره خضوع الألف لهذه الظاهرة على الحالات التي تكون فيها تالية للأصوات التي تؤثر فيها. وكان الأوفق به - في نظره - أن يعمم الأمر فيرجعها إلى الموقع أو السياق بعامة، لندخل الحالات الأخرى التي يحدث لها التأثر بالأصوات التالية لها أيضا، كما يظهر مثلا في نحو: (فاض، باض) حيث تأثرت الألف بتفخيم الأصوات التالية لها لا السابقة عليها، وكان مقتضى كلامه أن تكون مرققة في مثل هذه الحالات لسبقها بأصوات مرققة[5]. لكن الدكتور كمال بشر لم ينتبه إلى أن ابن الجزري إنما قصد بكلامه ذاك القراءات

(1) علم اللغة العام (قسم الأصوات) 192.

(2) لأن القاف وإن كانت من أصوات التفخيم إلا أنها لا تدخل في جملة الأصوات المطبقة (ص، ض، ط، ظ).

(3) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 90.

(4) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ1، ص (202-203).

(5) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص (90-91).

القراءات القرآنية فقط، ولم يتوسع بالشريحة إلى اللهجات العربية الأخرى خاصة بعد فشو اللحن في اللسان العربي.

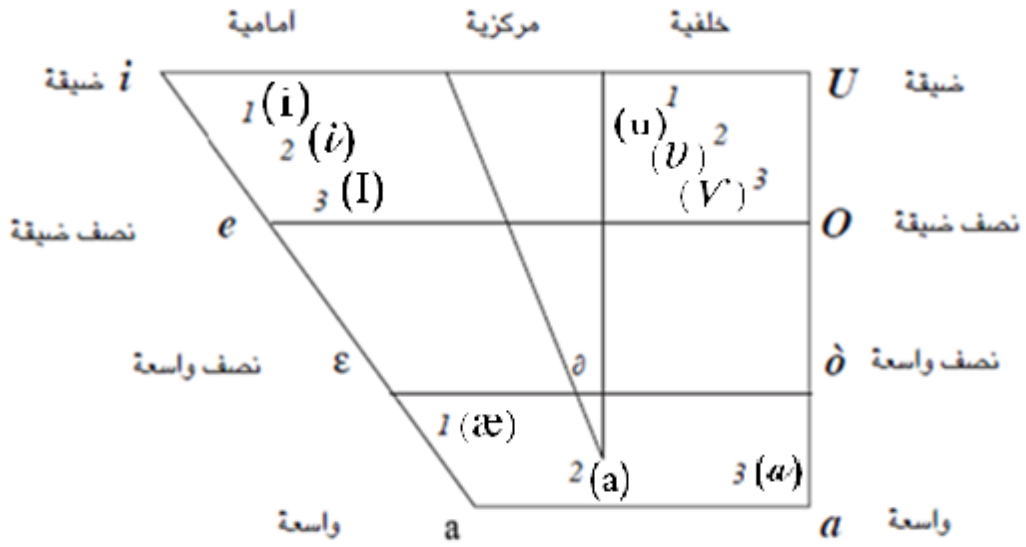

الحركات الثلاث ومراتبها الثلاثة: التفخيم والترقيق والتوسط عند كمال بشر[1]

والمصوتات الفرعية عند علماء اللغة هي:

1 - ألف الإمالة: « وتدخل معها الفتحة القصيرة الممالة، وهي صوت طليق [مصوت] يحدث من ارتفاع مقدم اللسان نحو منطقة الغار ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المرققة، ويقل عن ارتفاعه مع الكسرة، ويكون وضع الشفتين مع الإمالة وضع انفراج، إلا أنه دون الانفراج الذي يكون مع الكسرة»[2]، ومثالها من القرآن قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَيهَا وَمُرْسَاهَا﴾ (هود: من الآية41). وقد اقترح الدكتور حسام سعيد النعيمي أن يكون رمزها في الكتابة الصوتية هو /ـِـ/[3]، بعد أن كان رمزها في الكتابة الصوتية الدولية هو /e/ أو /e'/[4]، واقترح الدكتور غانم قدوري الحمد أن يكون رمزها بهذه الصورة (ى)[5].

(1) علم الأصوات ص 467.

(2) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها 42/1، وينظر: العربية الفصحى 35.

(3) ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات 105.

(4) ينظر: العربية الفصحى 34.

(5) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية 36.

2 ـ ألف التفخيم: و« تدخل معها الفتحة المفخمة، وهي صوت طليق [مصوت] يحدث من ارتفاع مؤخر اللسان نحو مؤخر الحنك ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المفخمة التي تلي أصوات الاستعلاء، ويقل عن ارتفاعه مع الضمة، ويكون وضع الشفتين مع ألف التفخيم وضع انضمام لا يبلغ الاستدارة التامة كما هو الشأن مع الضمة »[1]، والتفخيم عرف أهل الحجاز[2]، ومن هنا جاءت كتابة الألفات المفخمة « كلها بالواو إشارة إلى إمالتها نحو الضم، مثل: الصلوة، والزكوة، والحيوة»[3]. ورمز الدكتور حسام سعيد النعيمي لألف التفخيم بهذه الصورة / ۘا/[4]، ووافقه عليها الدكتور غانم قدوري الحمد[5].

3 ـ الياء المشمَّة بالضم: وهي ياء تتخذ معها الشفتان وضع الضم بدلاً من وضع الانفراج والتراجع إلى الخلف، فهي في الحقيقة [مصوت] مختلط، فاللسان معها في وضع الكسرة أما الشفتان ففي وضع الضمة ... وأكثر ما يوجد هذا الصوت في العربية في الثلاثي الأجوف المبني على ما لم يسمّ فاعله نحو: (قِيْلَ)[6].

4ـ الضمة المشمة بالكسر وهي: « طليق مختلط، اللسان معه في وضع الضم، والشفتان في وضع انفراج قليل إلى الخلف، وورود هذا الصوت قليل نادر في العربية، مثل: مررت بمذعور، وهذا ابن بور»[7].

وهذه الأخيرة لم يذكرها الدكتور إبراهيم أنيس في الأصوات الفرعية، واكتفى بذكر الأنواع الثلاثة الأولى مع إبراز نوعين للألف الممالة هي: الفتحة المشوبة بالكسرة، وألف المد حين تمال، قال: « ولا فرق بين هذا النوع والنوع الأول إلا في الكمية»[8]. ويمكن تمثيل المصوتات الفرعية[9] على النحو الآتي[10]:

(1) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها 43/1.
(2) ينظر: العربية الفصحى 35.
(3) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها 43/1.
(4) ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات 105.
(5) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية 36.
(6) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها 46 ـ 47، وينظر: الأصوات اللغوية 40، الوجيز في فقه اللغة 225 ـ 226.
(7) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها 47/1، وينظر: الوجيز في فقه اللغة 226.
(8) الأصوات اللغوية 39.
(9) سنرجئ الحديث عن هذه الصوائت الفرعية إلى باب الظواهر الصوتية.
(10) هذا الشكل مستوحى من كتاب الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 30.

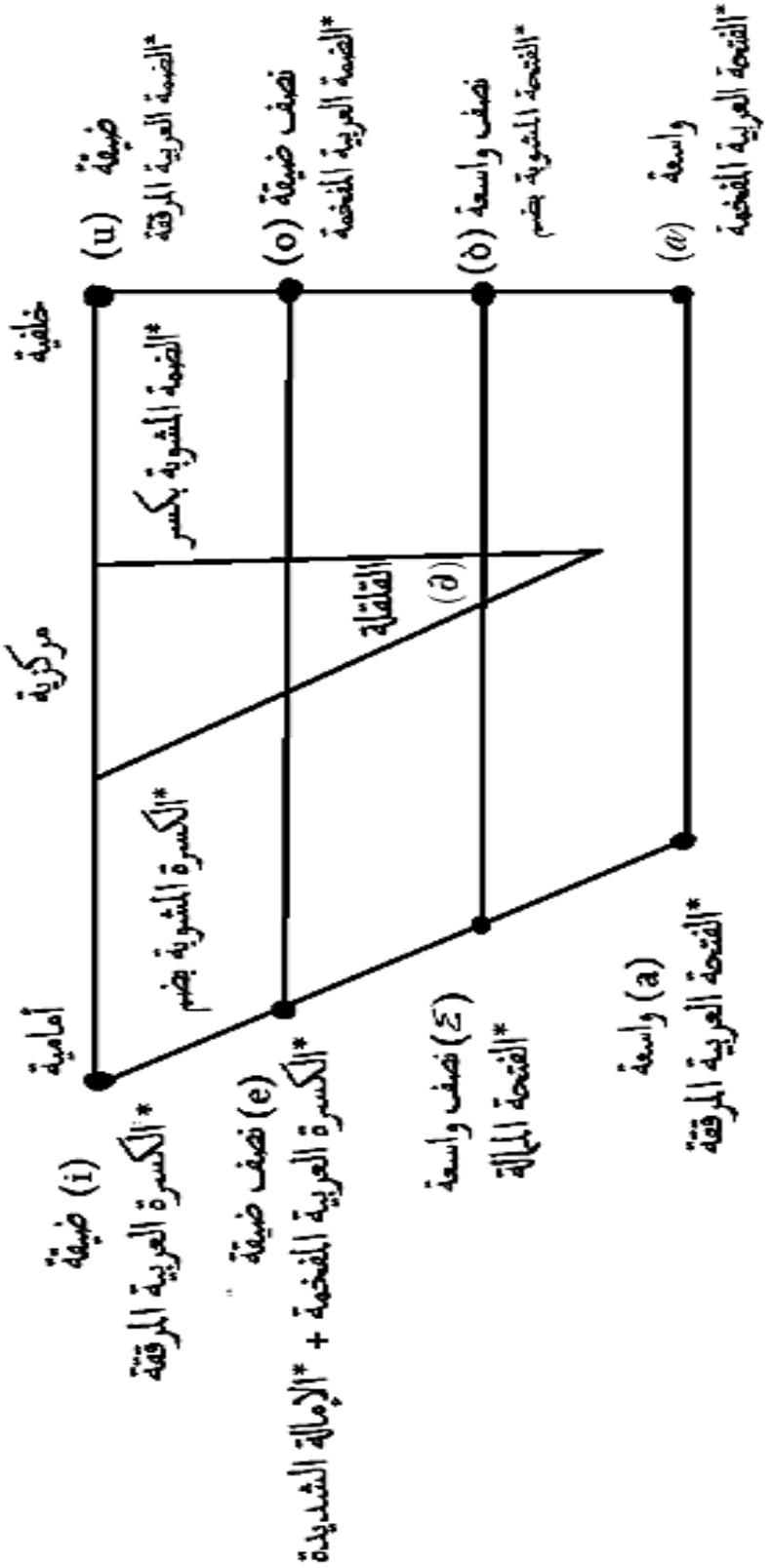
أمامية
مركزية
خلفية
ضيقة (u)
*الضمة العربية المرققة
نصف ضيقة (o)
*الضمة العربية المفخمة
نصف واسعة (ɔ)
*الفتحة المشوبة بضم
واسعة (ɑ)
*الفتحة العربية المفخمة
*الضمة المشوبة بكسر
القلقلة
(ə)
(i) ضيقة
*الكسرة العربية المرققة
(e) نصف ضيقة
*الكسرة العربية المفخمة + *الإمالة الشديدة
(ɛ) نصف واسعة
*الفتحة المالة
(a) واسعة
*الفتحة العربية المرققة
*الكسرة المشوبة بضم

المبحث الثامن: الصوائت العربية الطويلة

1 - مفهوم الصوائت الطويلة:

من الطبيعي أن يعتمد تحديد هذه الحركات الطويلة على تحديد الحركات القصيرة المعروفة بالفتحة والضمة والكسرة في التراث العربي التي وضعوا لها الرمز التقليدي المعروف (ـَ، ـُ، ـِ) للدلالة عليها. وسبب هذا الاعتماد هو اتفاق الحركتين في كل الخواص النطقية، فيما عدا خاصة الكمية[1]. إلاَّ أن هناك ملاحظة مهمة؛ وهي: أن أصوات المد الطويلة وإن كانت تمثل ضعف الزمن المستغرق في نطق أصوات المد القصيرة أو يزيدُ، لكنه يجب علينا ألاَّ نعتبر الصوائت الطويلة الثلاثة تتابعا حركيا لمجموع فتحات أو ضمات أو كسرات، فهي لا تعتبر صوائت مركبة، بل هي صوائت بسيطة لا يغير اللسان فيها موضعه أثناء النطق بها، حتى لو طال امتدادها[2].

أ - مفهوم الفتحة الطويلة:

أما الفتحة الطويلة فعرفوها بأنها صوت طليق يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين: مع ارتفاع طفيف جدا في مقدم اللسان، وتراجع طفيف جدا في الشفتين، وهي لا تختلف عن الفتحة القصيرة إلا في الطول[3].

ب - مفهوم الكسرة الطويلة:

والكسرة الطويلة صوت طليق يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين: مع تكتل مقدم اللسان وارتفاعه إلى أقصى درجة ممكنة نحو مقدم الفم (الغار)[4]. وهي لا تختلف عن الكسرة القصيرة إلا في الطول[5].

ج - مفهوم الضمة الطويلة:

والضمة الطويلة صوت طليق يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين: مع تكتل مؤخر اللسان وارتفاعه إلى أقصى درجة ممكنة نحو مؤخر الحنك الأعلى من غير انسداد للنفس[6].وهي لا تختلف عن الضمة القصيرة إلا في الطول[7].

---

(1) بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 84.

(2) ظ: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 355.

(3) الأنطاكي محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، (دت)، ج01، ص 38.

(4) الأنطاكي محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ج01، ص 35.

(5) المرجع السابق، ج01، ص 37.

(6) نفسه، ج01، ص 36.

(7) نفسه،ج01، ص 37.

2 - المصطلحات الخاصة بالصوائت الطويلة:

اتسعت دائرة الخلاف بين علماء اللغة المحدثين بشأن المصطلح المناسب لترجمة المصطلح الفرنسي **voyelle** أو الإنجليزي **Vowel**، حيث عُرفت مع غالب فاضل المطلبي بمصطلح **أصوات المدّ**[1]، وكذلك عند مهدي المخزومي[2]، وسمّاها محمد الأنطاكي **طليقة** وجعلها قسيمة للحبيسة[3]، أما **الصوائت** فمصطلح استعمله أول مرة حسب اطلاع الباحث برجشتراسر في محاضراته بالجامعة المصرية، تلك التي طبعت سنة 1929 بعنوان التطور النحوي للغة العربية، وفيها ورد هذا المصطلح بصيغة الحروف الصائتة[4]، ثم استعمله محمود السعران في عدة مواضع[5]، وعبده الراجحي[6]، وعبد الصبور شاهين[7]. ورمزي منير بعلبكي[8]، وغيرهم من بعدهم. واصطلح إبراهيم أنيس عليها **بأصوات اللّين** في مقابل الأصوات السّاكنة[9]، وكذلك الأنطاكي[10]، وعلي عبد الواحد وافي[11]، ثم آخرون. وعُرفت **بالعلل** في مقابل الصّحاح لدى تمام حسان[12]، أمّا أحمد مختار عمر فأطلق عليها اسم العلل أيضاً ولكن في مقابل السّواكن[13]،واستخدمه رمضان عبد التواب[14] وغيرهم. أما **الحركات** فهو المصطلح المتعارف عليه عند أكثر الدارسين المحدثين، اختاره كمال بشر[15] لشهرته الواسعة ووضوح مدلوله تاركا المصطلحين صائت ومصوّت، كما ظهر تحت مصطلح الحركات

(1) في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، د غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة العراقية، (بغداد)، العراق، 1984م، (د.ر.ط)، ص: 17. ظ: علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2004م، ص161.

(2) سباتينو موسكاتي، مدخل الى نحو اللغات السامية، ترجمة مهدي المخزومي، بغداد، 1985م،ص84.

(3)المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، (بيروت)، لبنان، ط4، ص:14/1. ظ: محمد الانطاكي، الوجيز في فقه اللغة، دار الشرق، ط2، 1969م، ص 227- 228.

(4) برجشتراسر، جوتهلف-: التطور النحوي للغة العربية، ط. المركز العربي للبحوث...، القاهرة، 1981، ص33.

(5) السعران، د. محمود-: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ط.د.النهضة العربية، بيروت [مصورة عن ط.د.المعارف، 1962].

(6) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص96.

(7) ينظر: في التطور اللغوي ص30.

(8)رمزي منير بعلبكي، فقه العربية المقارن، دار العلم للملايين، ج 1، بيروت، 1999م، ص43.

(9) الأصوات اللغوية، ص: 26.

(10) محمد الانطاكي، الوجيز في فقه اللغة، دار الشرق، ط2، 1969م، ص 227- 228.

(11) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط01، في أكثر من موضع.

(12) مناهج البحث في اللغة، د تمام حسان، دار الثقافة، (الدار البيضاء)، المغرب، (د.ر.ط)، 1986م، ص: 139. ظ: واللغة العربية معناها ومبناها: 68.

(13) دراسة الصوت اللغوي، ص: 135.

(14) ينظر: لحن العامة والتطور اللغوي 37 0

(15) ظ:علم اللغة العام (قسم الأصوات):73.

ولكنّه يشمل القصيرة والطويلة في مقابل الصّوامت مع سمير شريف استيتية[1]، واستخدمه عبد الرحمن أيوب[2]، وعبد الصبور شاهين[3]، والعاني[4]. واختار عبد الصبور شاهين مصطلح **المصوتات** بعد مناقشة مناقشة بشأنه مع هنري فليش برّر فيها اختياره لهذا المصطلح في مقدمة ترجمته لكتاب هذا الأخير العربية الفصحى[5]، وكذلك في كتابه في التطور اللغوي أيضا[6]، ولكن سبقه إلى تبنيه واستعماله الدكتور عبد الرحمان بدوي في ترجمته لكتاب أرسطو فن الشعر[7]، واستعمله محمود السعران[8]وعبده الراجحي[9]، وغانم وغانم الحمد[10] وغيرهم. وحاول غانم قدوري الحمد الدفاع عن مصطلح **الذائب** الذي أخذه عن بعض علماء التجويد[11].

3 - مناقشة المصطلحات:

أصر الدكتور غالب فاضل المطلبي على إبراز مصطلح أصوات المد واختار مصطلحه المذكور لأسباب منها أنه في نظره «يكاد يكون أكثر المصطلحات العربية في هذا المجال تعبيرا عن الطبيعة الصوتية لهذه الطائفة من الأصوات اللغوية»، تاركا مصطلحات العلة واللين والحركة والمصوّت[12].

إن تمسك الدكتور المطلبي بمصطلح أصوات المد ما هو في نظرنا المتواضع إلا مظهر من مظاهر فُشوّ النزعة الفردية عند الباحثين العرب، تلك النزعة التي تكتسي طابع الاجتهاد أحيانا وطابع المحلية أحيانا أخرى، وفي كل الحالات هي نزعة ما تزال تغرق اللسانيات العربية المعاصرة في فوضى المصطلح العلمي رغم كل جهود المؤسسات العلمية الرسمية وغير الرسمية لتوحيد المصطلح ووضع خطة موحدة للترجمة العربية، ففي تقديم

(1) الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، أ د سمير شريف استيتية، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2003م، ص: 203. 203.

(2) ينظر: محاضرات في اللغة 115 0

(3) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث 17.

(4) ينظر: التشكيل الصوتي 38 .

(5) فليش، هنري-: العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، تر. د.ع.ص.شاهين، ط. د.المشرق، بيروت، 1983.

(6) ينظر: في التطور اللغوي 30 0

(7) أرسطوطاليس، فن الشعر، مع الترجمة العربية القديمة وشرح الفارابي وابن سينا وابن رشد، تر.د.عبد الرحمان بدوي، ط.د.الثقافة ط.د.الثقافة بيروت، د.ت [مصورة عن ط.1952].

(8) ينظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) 124.

(9) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية 96.

(10) ظ: الحمد،د. غانم قدوري-: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط.1، وزارة الأوقاف، بغداد، 1986.

(11) الحمد،د. غانم قدوري-: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط.1، وزارة الأوقاف، بغداد، 1986.

(12) المطلبي، د.غالب فاضل-: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، ط.وزارة الثقافة، بغداد، 1984، ص 15.

المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات مثلا حدد مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أسس اختيار المقابل العربي للمصطلح اللساني الأجنبي على النحو التالي:

1 - تفضيل الكلمة العربية على المعرّبة.

2 - مراعاة شيوع اللفظة.

3 - أحادية تركيبها.

4 - سهولة النطق بها.

5 - طواعيتها للتثنية والجمع والتصغير والنسبة.

وهي أسس واضحة مستقاة من توصيات الندوات المهتمة بالمصطلح، وتتفق مع قوانين تطور اللغة ونموها[1]. ويتضح من تبريرات هؤلاء الباحثين أنهم يولون أهمية كبرى لعنصر الدلالة في المصطلح، فكأنهم يريدون خلق مصطلح من العدم لمفهوم بكر، في حين أن المطلوب هنا هو البحث عن مقابل عربي لمفهوم متداول ورثته اللسانيات الغربية عن اليونان والهنود؛ ففي مثل هذه الحالة لا يطلب من الباحث إلا ترجمة المصطلح بلفظ مقابل من لغته يتركه بعد ذلك للاستعمال حتى يشيعه أو يغيره. ويبدو لنا أن مقاييس مكتب تنسيق التعريب المنوه بها قبل قليل مناسبة تماما للاحتكام إليها، وفيها يلاحظ أن مقياس الدلالة ليس منها، بل إن النظر إليه يؤدي بنا إلى استبعاد مصطلحات أخذت من التراث اللغوي العربي، مثل **الحركة واللين والمد والعلة**، لما تحمله في ذلك التراث من دلالات راسخة يصعب تخليصها منها عندما يراد تحميلها معنى اصطلاحيا جديدا؛ فـ**الحركة** مصطلح ظل في العربية موضع أخذ ورد، حيث نجد بعض المحدثين يرفضون استعماله بحجة أنه لم يستعمل في الدراسات اللغوية القديمة شاملاً لكل ما هو حركة؛ بل استُعمل للدلالة على الصوائت القصيرة فقط. في حين نجد الدكتور إستيتية يدافع عن هذا المصطلح بقوله: «والذي نراه أن مصطلح الحركة تسمية تتمشى مع الحقيقة العلمية للحركات والتي يمكن أن ينظر إليها من خلال حركة اللسان، تلك الحركة التي يمكن أن تعد أساساً لبناء معيار مضطرد لتمييز الحركات من الصوامت.. على الرغم من أن المصطلح مازال موضع حوار وموضوع مناقشات بين العلماء في العربية والانجليزية»[1].

أما مصطلح **اللين** فعلى العكس؛ كان يطلق على الألف وعلى الواو والياء سواء أكانا صائتين أو شبه صائتين، و**المد** يطلق على هذه الثلاثة أيضا ولكن في حالتها الصائتية فقط، أما **العلة** فهو مصطلح صرفي يشمل -إضافة إلى هذه الثلاثة- الهمزة أيضا عند بعض القدماء ولا يشمل الصوائت القصيرة. وهكذا نرى أن عنصر الدلالة في المصطلح سيجعلنا نستبعد أربعة من المصطلحات المقترحة، ومع ذلك سنعرض كل المصطلحات العشرة على مقاييس مكتب تنسيق التعريب الخمسة:

---

(1) المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي-فرنسي-عربي)، ط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1989، ص8.

(1) ينظر: الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية: 127.

فالمقياسان الأول والثالث **(العروبة والأحادية)** تتساوى بالنظر إليهما جميع المصطلحات السابقة عدا مصطلح المطلبي**(أصوات المد)**، ولذلك يجب الانتقال مباشرة إلى المقاييس الثلاثة الأخرى، فالمقياس الثاني **(الشيوع)** يصعب تطبيقه بكل دقة، لأنه لا تتحكم فيه الكتب والأبحاث المطبوعة فقط، بل إن للمحاضرات والدروس والندوات الجامعية أثرا كبيرا في شيوع المصطلحات، ولكن العنصر الجامعي سيؤدي بنا إلى بلبلة الموقف أكثر، لأن الجامعات هي المرتع الخصب للنزعتين الفردية والمحلية المشار إليهما آنفا، فصار الأمر مع هذا المقياس نسبيا يصعب معه ترجيح أحد الكِفف. ولكننا نجد **المصوّت** و**الحركة** و**الصائت** هي أكثر المصطلحات شيوعا. وقد استمرت المنافسة بين المصطلحات هذه، ولكننا نقصي مصطلح الحركة من المنافسة لو احتكمنا إلى مقياس **الدلالة**. وتبقى بعد هذا نسبة شيوع مصطلحنا (صائت)كافية لإقصاء المصطلح الآخر (مصوّت)، ومع ذلك فلنعرضه مع مصطلحنا على المقياسين الرابع والخامس **(سهولة النطق، وطواعية الاشتقاق)**، فبالنظر إلى هذين المقياسين نجد أن مصطلحنا (صائت، صائتان، صوائت، صائتي..) أخف نطقا من مصطلح (مصوّت، مصوّتان، مصوّتات، مصوّتي..) لأن الأول يتألف -في حال الإفراد- من مقطعين أو ثلاثة (حسب الحالة الإعرابية)، بينما يتألف الثاني من ثلاثة مقاطع أو أربعة؛ ومن البدهي أن اللفظ يكون أسهل نطقا كلما كان قليل المقاطع خفيفها.

وهكذا نستنتج أن المصطلح الذي اخترناه مقابلا عربيا لمفهوم **Voyelle** -وهو **صائت**- أكثر المصطلحات المقترحة تلاؤما مع مقاييس اختيار المصطلح العربي التي تبناها مكتب تنسيق التعريب في إطار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فهو مصطلح: عربي، شائع، أحادي التركيب، خفيف النطق، طيّع للاشتقاق، واضح الدلالة الاصطلاحية مشتمل لمدلولاتها[1]. فالصائت يدل على علو الصوت وعلى (الصياح)، فالصائت بمعنى الصائح [2]. ولا أدل على ذلك من قول عبد الوهاب القرطبي في أصوات المد واللين بتعبير القدماء: «وانما سميت **مصوّتة** لأن النطق بهن يصوّت أكثر من تصويته بغيرهن، لاتساع مخارجهن وامتداد الصوت بهن»[3]. فاتساع المخرج وامتداد الصوت هو السبب في أن النطق بهن يصوت أكثر من تصويته بغيرهن.

(1) أمنزوي، محمد، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى (دراسة صوتية إحصائية)، دار وليلي للطباعة والنشر - مراكش، ط الأولى، 2000 م، ص(34-40)، بتصرف.

(2) ظ: لسان العرب:57/2، مادة (ص و ت).

(3) القرطبي عبد الوهاب، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان – الأردن، ط01، 1421هـ،2000م، ص (97- 98).

4 - مخارج الصوائت الطويلة:

أ - تعريف المخرج:

تختلف نظرة علمُ الأصوات الحديث عما ذهب إليه علماء العربية المتقدمون في طريقة نطق الأصوات؛ فالدرس الحديث يعمد إلى نطق الصوت خالصا من كل لصيق؛ ودون إلحاق للهمزة -كما دأب عليه المتقدمون من علماء العربية والتجويد-، لأن ذلك يؤدي إلى خلط خصائص الصوتين، فلا يمكن الوقوف بدقة على أي منهما. كما أن اجتماع صوتين حال النطق بهما سيؤدي إلى عدم معرفة خصائص أحدهما وتمييزه من الآخر[1].

وإذا خالف المحدثون القدماءَ في كيفية تعيين مخرج الصوت وتعيين طريقة نطق الأصوات، فإنهم اتفقوا مع القدماء في تعريف المخرج، حيث تتطابق تعريفات المتقدمين مع وجهة نظر علماء الأصوات المحدثين؛ يقول برجستراسر: «والمخرج أو المخرج هو الموضع من الفم ونواحيه الذي يخرج أو يخرج منه الحرف»[2]. ويقول ماريوباي: « وكلمة المخرج تشير إلى النقطة المحددة في الجهاز النطقي التي يتم عندها تعديل وضعه» [3]. وعرفوه بأنه: الموضع الذي يتكون فيه الصوت، أو هو مكان نطق الأصوات[4].

ومن المُحدَثين من يركّز في تعريفه على موضع الإعتراض أو الانسداد ثم حدوث الصوت بعد ذلك، ومن هؤلاء محمد الأنطاكي الذي يعرّف المخرج بأنّه: (النقطة التي يجري عندها الانسداد لإحداث صوتٍ ما)[5]، ومحمود فهمـي حجازي الذي يعرّفه بقوله: (وتوصف النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء التي يصدر منها مصطلح المخرج (Point of Articulation)[4].

كما اعترضَ المستشرق الألماني أرتور شادِه على سيبويه استعمالَه لمصطلح المخرج كمصطلح للموضع الذي يولدُ فيه الصوتُ اللغويُّ، وجعل ذلك مجانبًا للتوفيق، ويرى شاده أنَّ (المخرج) هو الطريقُ الذي يتسرب منهُ النَفَسُ إلى الخارج، أمّا مكانُ اتصال العضوين فيسمى (الموضِع) [6]، لكن الدكتور إبراهيم أنيس لم يَرَ في تغيير شاده لمعنى المصطلح الذي استعمله سيبويه لمكان التقاء العضوين (أي المخرج) مبرراً، فقد اشتهر بين الدارسين بهذا المعنى[7] قائلا: (أمّا الذي يحلّ الإشكال فهو ماجرينا عليه في هذا الكتاب (أي كتاب الأصوات

---

(1) علم اللغة العام – قسم الأصوات -، ص113.

(2) التطور النحوي للغة العربية 11، وينظر: أسس علم اللغة 78، معجم المصطلحات العربية 88، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص122.

(3) أسس علم اللغة ص 78، ظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: 108).

(4) المصطلح الصوتي، ص25.

(5) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: 18. ظ: المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص 26.

(4) مدخل الى علم اللغة، د. محمود فهمي مجازي: 43. و ظ: أبحاث ونصوص في فقه اللغة: 194 و 218. وفي الأصوات اللغوية: 70. ظ: الاصوات الحلقية عند سيبويه و الاخفش الاوسط: 111. و ظ: المظهر الصوتي و الاملاء: 74.

(6) ينظر: علم الاصوات عند سيبويه وعندنا: 39 – 40.

(7) ينظر الدراسات الصوتية: 175، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: 52.

الأصوات اللغوية) من استعمال مصطلح جديدٍ لطريق النّفَس سميناه (المجرى) أي طريق النّفَس من الرئتين حتى الخارج،ويكون مخرج الصوت حينئذ هو نقطة معينة في هذا المجرى كما أراد سيبويه) [1].

أما مصطلح المحابس في الدراسات الأصواتية الحديثة فنجده عند محمد الأنطاكي[2]. وإلى جانب هذه المصطلحات سابقة الذكر، استعمل المحدثون مصطلحات أخرى نحو (مكان النطق) [3] و(موضع النطق) [4] و(نقطة النطق) [5] وغيرها.

ب - مخارج الصوائت الطويلة العربية:

تقل كُلفة الصّوائت على جهاز النّطق بسبب وضعها الحرّ أثناء إنتاج الصّوت لاتّساع المخرج وعدم وجود التّعويق، ولكنّ المشقّة تكمن في القرب الشّديد بينها إذ يؤدّي أيُّ انحراف إلى سوء الفهم، خاصّة مع كثرة دورانها ووضوحها السّمعي الذي تمتلكه قياساً بالأصوات الصّامتة ما يجعل الانحراف في نطقها واضحاً ومستكرَهاً. وما يزيد من صعوبة الصّوائت هو عدم ارتكازها على موضع محدّد(مخرج) أثناء صدورها، ما يجعلها كثيرة التّغير مع مرور الزّمن واختلاف البيئات والعادات[6].

والعربية الفصحى تجنّبت هذه التّعقيدات باختيار ثلاثة صوائت فقط اثنان متقابلان أحدهما في مقدّمة اللسان والآخر في أقصاه والثّالث في الوسط، وتضاف لها ثلاثة أخرى إذا أُخذ الطول والقصر في الحسبان[7].

وكلّ ما عدا هذه الصّوائت لا يدخل إلا ضمن التغيرات التّركيبية التي تفرزها التوازنات الصّوتية داخل التّشكيل، أو التنوّع اللهجي، وقد تؤدّي هذه الانحرافات إلى معرفة لكنة المتكلّم أو بيئته ومدى أصالته في اللغة ولكن لا تصل إلى سوء الفهم والإخلال بالمعنى، ولعلّ هذه القلّة العددية للصّوائت العربية هي التي أسهمت في ثباتها واستقرارها، وضمنت بقاء لغتها محتفظةً بخواصّها الصّوتية الأساسية على مرّ الزمن.

ومما يدل على أهمية دراسة مخرج الصوائت هو أنّ أغلب التّعريفات التي فرّقت بين الصّوامت والصّوائت بُنيت على الأساس الفسيولوجي. حيث استطاع دارسوا الأصوات من المحدثين ضبط مخارج الصوائت

(1) الأصوات اللغوية: 112 .

(2) ينظر: المحيط في اصوات العربية ونحوها وصرفها: 18.

(3) ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص 84.

(4) ينظر: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي: 90.

(5) ينظر: مدخل الى علم اللغة: 47.

(6) المدخل إلى علم أصوات العربية،الدكتور غانم قدوري الحمد،مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد،الطبعة الأولى 1423هـ-2002م 146.

(7) خواص صوتية تمتاز بها اللغة العربية، ص: 39.

وذلك بالنظر إلى وضع اللسان والشفتين أثناء النطق بها[1]، حيث لوحظ أنَّ حجم تجويف الفم وشكله عند نطق صائت معين يختلفان عنهما عند نطق صائت آخر، وهذا الاختلاف يعود في حقيقته إلى الوضع الذي يتخذه اللسان في تجويف الفم، ومن ثمّ عُدَّ اللسان الجزءَ الفعّال في تنوّع الصوائت « فإذا كانت الصفة الأساسية لهذه الأصوات هي مرور الهواء في اثناء نطقها إلى خارج الفم مروراً حرّاً من غير أن يحدث احتكاك أو إعاقة، فإنّ اختلافها فيما بينها يرجع إلى وضع اللسان في اثناء ذلك، إذ إنَّ الاختلاف في هذا الوضع يؤدي إلى تغيّر في حجرة الرنين، فتختلف من أجل ذلك الصوائت الصادرة عنها تبعاً لتلك التغيّرات»[2].

ولولا هذه الاختلافات في أوضاعها لأشبهت الصوت المجرد [3]. فالوتران الصوتيان وأعضاءُ النطق يحدثان للصوت كبحا وضغطا وتعويقا، فالصوت معها أشبه بأنين الرياح بين التلال والصخور، أو بالآلات الموسيقية الهوائية[4]. تحدث حينها الصوائتُ عن طريق تعديل معين في طريق الهواء، فالصوت ينتج أساسا أساسا من اندفاع هواء الرئتين، بضغط الحجاب الحاجز، فيمر في طريقه بالحنجرة والفم إلى الخارج، وهو ما يسمى بعملية الزفير[5]. يكون ذلك عن طريق تحكم مفتوح لا يسمع معه ضجيج أو احتكاك[6]. يأخذ الوتران فيه وضع التذبذب **vibration** وهو وضع الجهر، وفيه « تُجذَب الحبال الصوتية في وضع تلامس، ثم يباعِد بينهما بقوة من الأسفل إلى الأعلى التيار الهوائي المتدفق خلال فتحة المزمار، وتتكرر عملية الغلق والفتح أو ذبذبة الأوتار الصوتية، فينتج ما يسمى فنيا بالجهر، ويسمى الصوت حينئذ مجهورا»[7]. يصحب ذلك تزامنا عمليةُ تأنيفٍ يتسرب معها الهواء جزئيا من الأنف أيضا[8]، أضف إلى ذلك عمل الشفتين استدارةً أو حيادا[9]، وإذا تعلق الأمر بالصوائت الطويلة فإن ذلك يرافق تطويلا للصائت على حسب السياق ما بين

(1) انظر التفاصيل عند إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 209. ظ: كمال محمد بشر: الأصوات ص 179.

(2) في الأصوات اللغوية: 27

(3) التحليل النطقي والوظيفي ص 660.

(4) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 112، ظ: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها 1/ 34، ظ: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص92.

(5) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1980، ص ص 27.

(6) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 122.

(7) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 128. ظ: السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 114-115.

(8) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 123.

(9) المرجع نفسه ص 125.

موالاة همز أو سكون أو في حالة الإدغام[1]. كما أن ثبات اللسان في موضعه أثناء النطق مشروط للتفريق بين الصوائت الأصلية والفرعية أو العلل البسيطة والمركبة[2].

لم يُعن المحدثون بوضع أقيسة عامة للأصوات الساكنة في اللغات البشرية، كما عنوا بها في بحث أصوات اللين[3]. ونظرا للعملية المعقدة التي تمر عليها الصوائت عبر جهاز النطق تواضع علماء اللغة المحدثون على نقاط معينة حددوها لحركة اللسان داخل تجويف الفم، كلّ نقطة من هذه النقاط تمثل مخرجا لنطق صائت معين، وقد أطلق على مجموع الصوائت المحددة بهذه الطريقة **الصوائت المعيارية** أو الحركات المعيارية (**Cardinal Vowels**) « وهي صوائت ليست مأخوذة من لغة معينة، ولا يُفترض وجودها في لغة معينة، بل هي معايير عامة، تنسب إليها وتُقاس عليها حركات أيّ لغة يُراد دراستها أو تعلّمها» [4]. كان ذلك مبادرة من دانيال جونز في جامعة لندن؛ الذي ابتكر تصنيفه الشهير للحركات المعيارية وسجلها فوق أسطوانات هي إلى الآن في متناول كل من يبغي تعلمها، وأشهر هذه الأسطوانات رقم **B.804**، في أكسفورد لندن[5]. وقد سبق وأن فصلنا في هذا الموضوع عند مبحث **تصنيف الصوائت اللغوية** من هذا الفصل فليُرجع إليه.

ج - دور اللسان والشفتين في تكوين الصوائت:

أولا: دور اللسان

تبين أن عضلة اللسان هي الجزء الفعال في عملية تنوع أصوات المد فإذا كانت الصفة الأساسية لهذه الأصوات هي مرور الهواء في أثناء ادائها إلى خارج الفم مرورا حرا من غير أن يحدث احتكاك أو اعاقة، فان اختلافها فيما بينها يرجع إلى وضع اللسان في أثناء ذلك، إذ أن اختلاف هذا الموضع من وضع إلى آخر يؤدي إلى تغير حجرة الرنين، فتختلف من أجل ذلك أصوات المد الصادرة عنها تبعا لتلك التغيرات.

وتبين من خلال استعمال أشعة (إكس) في تصوير أوضاع اللسان في أثناء أداء أصوات المد، أنه - أي اللسان- يتخذ في أثناء أداء كل صوت مد وضعا بعينه، من حيث ارتفاعه في داخل جوف الفم، بشرط أن ذلك الوضع لا يؤدي إلى ما يعوق الهواء الخارج من الفم، ثم من حيث موضع الارتفاع منه، إذا كان يقع في الجزء الأمامي من عضلة اللسان، أو الجزء الخلفي منها ثم تبين أن ارتفاع الجزء الأمامي من اللسان نحو الجزء الأمامي من الحنك أو ما يطلق عليه الطبق الصلب (hard palate) مرتبط بأداء مجموعة **"الكسرات "** وأن ارتفاع الجزء الخلفي من اللسان نحو الجزء الخفي من الحنك أو ما يطلق عليه الطبق اللين (soft

(1) نفسه ص 126.

(2) نفسه ص 155.

(3) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص 31.

(4) علم اللغة العام، الأصوات: 139

(5) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص 32، وصفحة 36.

(palate مرتبط بأداء مجموعة **"الضمات"** أما انخفاض اللسان في قاع الفم فيؤدي إلى تكون **"الفتحات"**. وهكذا نجد أنه من الممكن أن تكون هناك أعداد كبيرة من النقاط على طول المحورين، هذه النقاط تمثل أيضا عدد أصوات المد التي يمكن جهاز النطق أن يحققها[1].

وما يدل على بروز دور اللسان في تكوين وتنويع الصوائت أن اللسان إذا تجاوز في ارتفاعه نقطة من نقاط الحركات المعيارية نتج عن ذلك صوت آخر يختلف عنه في الحالة الأولى، وهذا راجع إلى ضيق ممر الهواء، حتى أنه قد يُحدِث حفيفاً مسموعاً يخرج معه الصوت من حَيِّز الصوائت إلى حيز الصوامت (فإذا فتح الناطق فمه، وكان اللسان مستلقياً في قاع الفم مع ارتفاعٍ يسير في وسطه أو جزئهِ الأخير كان الصوت الناتج ... صوتاً مصوتاً نسميه في العربية **بالفتحة** ... وإذا ارتفع مقدم اللسان نحو سقف الفم، وكانت الفرجة بينهما أوسع قليلاً من الفرجة الحاصلة بينهما عند نطق الصوت الصامت المسمى في العربية باسم الياء في نحو (بيت)كان الصوت الناتج صوتاً مصوتاً نسميه في العربية **بالكسرة** ... ويكون شكل الشفتين مع الكسرة منفرجاً ... وإذا ارتفع اقصى اللسان باتجاه سقف الفم، واتخذت الشفتان شكلاً مستديراً كان الصوت الناتج ... صوتاً مصوتاً، نسميه في العربية باسم **الضمة**)[2]. ومن هنا يتكون الفرق بين الصوائت والصوامت في هيئات جهاز النطق عند إنتاج أي منها؛ فهو على ما رأيناه في انتاج الصوائت[3].

ثانيا: دور الشفتين

ولا شك أن الشفتين لهما أثر في إحداث كل حركة من هذه الحركات جميعها، لا يمكن إغفاله، فهما منفرجتان مع بعض هذه الحركات، ومستديرتان مع بعضها الآخر. وتختلف درجة الانفراج والاستدارة في صوت عن الآخر[4]. ومن الممكن هنا أن نحدد أوضاعا ثلاثة هي:

1- وضع الاستدارة: عندما تكون زاويتا الشفتين متقدمتين إلى الأمام وغالبا ما تتخذ الشفتان هذا الوضع في أثناء نطق الضمات.

2- وضع الانفراج: عندما تكون زاويتا الشفتين مسحوبتين إلى الوراء وغالبا ما تتخذ الشفتان هذا الوضع في أثناء نطق الكسرات.

3- وضع الاستواء: عندما تتخذ الشفتان وضعا محايدا، وغالبا ما يتم ذلك في أثناء نطق الفتحات[5].

---

(1) المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص 27-29.

(2) المصوتات عند علماء العربية 22-23.

(3) ينظر: الأصوات اللغوية 42، علم اللغة العام (قسم الأصوات) 170، محاضرات في اللسانيات 199.

(4) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ص: 93).

(5) المطلبي ص34، ظ: دراسات في علم اللغة (ص: 88).

وهنا ينبغي التنبيه على مسألة مهمة وهي دور الشفتين في تكوين الذوائب المعيارية، حيث يقول الدكتور فوزي الشايب: « والحركات من (1) إلى (5) كلها غير مستديرة تؤدى بحركات معينة للسان ولا عمل فيها للشفاه، وأما الحركات من (6) إلى (8) فمستديرة، أي تؤدى بحركات معينة للسان مصحوبة بأوضاع معينة للشفاه »[1]، وقوله في الأولى (ولا عمل فيها للشفاه) يعترضه القول الذي عليه معظم دارسي الأصوات في أنَّ لوضع الشفتين في انفراجهما وانفتاحهما واستدارتهما دوراً كبيراً في تحديد نطق الصائت المعياري الذي يصحب كل شكل. يقول الدكتور محمود السعران: (وللشفتين دخل كبير في تكوين الأصوات الصائتة بالإضافة إلى اللسان، قد تنضم الشفتان او تكسران أو تتخذان وضعاً محايداً، تنضم الشفتان كما يحدث في نطق (الضمة) و (الضمة الطويلة)، وتكسران في نطق (الكسرة) و(الكسرة الطويلة)، وتفتحان بصورة محايدة في نطق الفتحتين)[2]، وقوله: تكسران، يعني به الشفة السفلى، فهي التي تقوم بذلك مما يؤدي الى انجرار الفم معها وحركة الشفة العليا.

د - كيف تحدث الصوائت العربية؟

اعتمد المحدثون في تصنيفهم النطقي للصوائت العربية على النظر إلى أوضاع اللسان المختلفة في تجويف الفم؛ إضافة إلى أوضاع الشفتين، وذلك في حدود مقاييس تصنيف الصوائت المعيارية، وبما أن عملية إنتاج كل صائت تحدث بأكثرَ من عضو من أعضاء الجهاز النطقي؛ فإنهم رصدوا حركة جهاز النطق مع الصوائت العربية الأساسية على النحو الآتي[3]:

أولا- الفتحة:

يكون إنتاجها بانخفاض اللسان في قاع الفم مع ارتفاع طفيف في وسطه نحو الموضع الذي يلتقي فيه الحنك الصلب بالحنك اللين، فالفتحة إذن صائت وسطي متّسع[4]. ويوضح الحمد أكثر فيقول: «فإذا فتح الناطق فمه، وكان اللسان مستلقياً في قاع الفم مع ارتفاعٍ يسير في وسطه أو جزئهِ الأخير كان الصوت الناتج ... صوتاً مصوتاً نسميه في العربية بالفتحة»[5]. وفي موضع آخر يقول: « أما الألف فيستلقي اللسان معه في قاع الفم، وإنتاج الشفتين بشكل اعتيادي»[6].

---

(1) محاضرات في اللسانيات 232.

(2) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي 153. وينظر: الأصوات اللغوية 35. ظ: في الأصوات اللغوية، دراسة في اصوات المد 34.

(3) ظ: علم اللغة العام، الأصوات: 151 – 152، ودراسة الصوت اللغوي: 271

(4) ظ: علم اللغة العام: 132.

(5) المصوتات عند علماء العربية 22-23.

(6) ظ: المصوتات عند علماء العربية: 412-413.

ويرى الدكتور كمال بشر أن اللسان مع الفتحة العربية يكاد يكون مستويا flat في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه، وربما ينحو هذا الارتفاع نحو الخلف قليلا، لكنه استدرك ذلك بقوله: « ومن الجدير بالذكر أن هذا الوصف إنما ينطبق على الفتحة بوصفها نمطا أو جنسا **a type or a class of sounds** ينضم تحته عدد من الفتحات التي قد يأخذ اللسان معها أوضاعا مختلفة من حيث درجة ارتفاعه وانخفاضه، ومن حيث جزؤه المرتفع أو المنخفض: أهو الجزء الأمامي أم الخلفي»[1]. وهي القضية التي فسرها بعضهم بأن للِّسان هيئاتٍ تتحدد بحسب الموضع الذي تساق فيه الفتحة؛ فهو يرتفع ارتفاعا طفيفا جدا بمقدمته إذا ورد بعد الفتحة صامت مستفل، أما إذا وليَه صامت مستعلٍ أو مفخَّم فإن الارتفاع الطفيف يكون بمؤخرة اللسان لا بمقدمته[2].

والملاحَظ أن الشفاه حال النطق بالفتحة تكون في وضع محايد neutral أي: غير مضمومة not rounded، وغير منفرجة not spread. باعتبار أن ضم الشفتين يكون مع الضمة، وانفراجهما مع الكسرة، أو بعبارة أخرى تكون الشفاه معها مفتوحة، ومن هنا كانت تسميتها **بالفتحة**[3].كما نجد إضافة إلى ذلك عملا آخر مزامنا لكل ما سبق؛ وهو انطلاق الهواء من الرئتين، وهزُّ الوترين الصوتيين حين المرور بهما[4].

أما الأستاذ فرغلي فقد جمع عمل آلة النطق مع الفتحة كما يلي[5]:

1 - هو صوت يبدأ ظهوره من أقصي الحلق ثم يجري على المجري الجوفي، بحيث يسمح بمرور هواء الصوت من غير أن يعترضه شيء.

2 - يقترب الوتران الصوتيان بعضهما من بعض في أثناء مرور هواء الزفير، فيضيق الفراغ بينهما بحيث يسمح بمرور الهواء ولكن مع إحداث اهتزازات وذبذبات منتظمة في هذه الأوتار.

3 - ارتفاع غار الحنك الأعلى اللحمي " الطبق " نحو الجدار الخلفي للحلق فيسد التجويف الأنفي وينفتح التجويف الفموي ويخرج هواء الألف عبر فتحة الفم.

4 - انخفاض مؤخرة اللسان بعيدا عن الطبق، ويستقر في قاع مؤخرة الفم فتتسع غرفة رنين الصوت ويخرج الصوت منفتحا رقيقا[6].

---

(1) بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 88.

(2) الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية، ص 38.

(3) بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 88.

(4) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ص: 93-92).

(5) نبه الأستاذ على أن هذه الأعمال تحدث في زمن واحد.

(6) ظ: فرغلي سيد عرباوي، باحث في علم صوتيات التجويدوالقراءات،**Fargh22@yahoo.com**،**Fargh22@hotmail.com**، التجويدوالقراءات،**Fargh22@yahoo.com**،**Fargh22@hotmail.com**، رابط الموقع: http://www.ammar-ca.com/fargali/. ظ: الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ص 36.

ثانيا- الضمة:

يكون مؤخر اللسان حال النطق بها أقرب ما يمكن إلى الحنك اللين مع ترك فراغ يسمح بمرور الهواء من دون حدوث احتكاك مسموع، أما فيما يخصّ أوضاع الشفتين عند النطق بها فذكروا أنهما ينضمّان ويستديران[1] حين النطق بها[2].

فإذا ارتفع مؤخر اللسان إلى الحنك الأعلى وأحدث تضيقا، فإذا أحدث احتكاكا ولدت الواو غير المدية، وإذا انخفض اللسان قليلا مع اهتزاز الوترين من غير احتكاك ولدت الضمة، فإذا طال الصوت صارت واوا مدية[3]، وتسهم الشفتان في تكوين الضمة وذلك بأن تتخذ شكلاً مستديراً[4]. وعن هيئة الشفتين يقول الأنطاكي: « ووضع الشفتين مع الضمة وضع استدارة كاملة، مع بقاء فرجة بينهما تسمح بمرور الهواء مرورا حرا طليقا لا يؤدي إلى احتكاك بالشفتين، فإن ضاقت الفرجة عن هذا الحد المرسوم حدث الاحتكاك ونتج عنه صوت الواو الشبيهة بالطليق.»[5].

كما أن هناك عملا آخر يقوم به جهاز النطق وهو ارتفاع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك، وسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين، ويتذبذب الوتران الصوتيان تزامنا مع كل هذا[6]. ويقول رمضان عبد التواب: « أما إذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، بحيث لا يحدث للهواء المار بهذه المنطقة، أي نوع من الحفيف، مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، فإن الصوت الذي ينتج عن ذلك هو صوت الضمة الخالصة: "u"، فإذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، أكثر من هذا، بحيث يسمح للهواء الخارج بالاحتكاك، وإحداث نوع من الحفيف، نتج عن ذلك صوت: "الواو"، ولذلك يعد علماء الأصوات صوت "الواو" من الأصوات الشبيهة بالحركات "Semivowel" كذلك لأن الفرق بينه وبين الضمة الخالصة، في قرب أقصى اللسان من سقف الحنك مع الواو، أكثر منه مع الضمة»[7].

ويختصر لنا الأستاذ فرغلي عمل آلة النطق التزامُني مع صوت الضمة على النحو التالي:

1 - هو صوت يبدأ في ظهوره من بين الشفتين ثم يجري في المجري الجوفي من غير أن يعترضه شيء.

---

(1) لا ينتج صوت الواو – كما يرى الأستاذ الدكتور صباح السالم- إلا في مجرى صوتي طويل مستدير شبيه بالأنبوب، ولذلك نجد صوت الحيوان*ات طويلة الخطم كالكلاب والذئاب وبنات آوى يغلب عليها صوت الواو في نباحها وعوائها.

(2) ظ: التصريف العريف: 47

(3) الواو في اللغة العربية، سهيل نجمان، أطروحة دكتوراه ـ جامعة بغداد، 1989، ص33.

(4) المصوتات عند علماء العربية 22-23.

(5) الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية، ص 37.

(6) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (ص: 150).

(7) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ص: 93-92).

2 - يقترب الوتران الصوتيان بعضهما من بعض في أثناء مرور هواء الزفير، فيضيق الفراغ بينهما يسمح بمرور الهواء، ولكن مع إحداث اهتزازات وذبذبات منتظمة بهذه الأوتار.

3 - ارتفاع غار الحنك الأعلى اللحمي " الطبق" نحو الجدار الخلفي للحلق فينسد التجويف الأنفي، وينفتح التجويف الفموي ويخرج هواء الواو الجوفية عبر فتحة الفم.

4 - انخفاض مؤخرة اللسان بعيدا عن الطبق ويستقر في قاع مؤخرة الفم فتتسع غرفة رنين الصوت فيخرج الصوت رقيقا منفتحا[1].

ثالثا- الكسرة:

يكون مقدَّم اللسان لدى النطق بها أقرب ما يمكن إلى الحنك الصلب، مع ترك فراغ يسمح لمرور الهواء من دون حدوث احتكاك مسموع [2]. فإذا ارتفع من بداية منطقة المصوتات باتجاه سقف الفم إلى أن يصل إلى نقطة يحدث فيها الهواء المار بينه وبين الحنك الأعلى احتكاكا مسموعا، ولدت الياء غير المدية، وهي حينئذ صوت صامت، وليست مصوتا فإذا هبط اللسان عن هذه النقطة بدرجة لم يعد الهواء المار بينه، وبين الحنك يحدث احتكاكا مسموعا مع اهتزاز الوترين ولدت الكسرة فإذا مددنا الصوت كانت الياء المدية[3].

المدية[3]. ومن هذا نفهم أن الفرق بين الكسرة والياء المدية هو فرق زمني مما شجع القول بأن الياء المدية لا يمكن أن تكون كسرتين، والفرق بين الكسرة والياء المدية من جهة والياء غير المدية هو **وجود الاحتكاك** في غير المدية وانعدامه مع الكسرة والياء المدية أولا، **وانخفاض اللسان** وارتفاعه ثانيا. ويكون شكل الشفتين مع الكسرة منفرجاً[4].

فالياء الصائت الطويل تكون بارتفاع وسط اللسان إلى أقصى حالة ممكنة من الارتفاع من غير أن يزيد ذلك الارتفاع إلى درجة الاحتكاك، ومعه تنسحب الشفتان إلى الخلف[5]. ويقول محمود السعران: «ونستطيع «ونستطيع أن نصف بدء هذا الصوت بأن نقول إن وسط اللسان يرفع عاليا تجاه الحنك الصلب (وسط الحنك)، وتكسر الشفتان، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين، ويتذبذب الوتران الصوتيان»[6].

---

(1) ظ: فرغلي سيد عرباوي، باحث في علم صوتيات التجويد والقراءات، **Fargh22@yahoo.com**، **Fargh22@hotmail.com**، رابط الموقع: http://www.ammar-ca.com/fargali/. ظ: الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ص 36.

(2) ظ: التصريف العريف: 47.

(3) الواو في اللغة العربية، سهيل نجمان، أطروحة دكتوراه ـ جامعة بغداد، 1989، ص33.

(4) المصوتات عند علماء العربية 22ـ23.

(5) ظ: مناهج البحث في اللغة: 138. وأصوات العربية بين التحول والثبات: 20.

(6) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (ص: 150).

ويفصل رمضان عبد التواب بقوله: « فإذا تركت مقدمة اللسان تصعد نحو وسط الحنك الأعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافيا لمرور الهواء، دون أن يحدث في مروره بهذا الوضع أي نحو من الاحتكاك والحفيف، وجعلت الأوتار الصوتية تهتز مع ذلك، نتج صوت الكسرة الخالصة "i"، ولو صعدت مقدمة اللسان أكثر من ذلك، نحو وسط الحنك، بحيث يحدث احتكاك للهواء المار بهذا الموضع، نتج عن ذلك صوت "الياء"، ولذلك يعد علماء الأصوات "الياء" صوتا شبيها بالحركة "Semivowel"، وذلك لأن وضع مقدمة اللسان مع "الياء" أقرب إلى سقف الحنك، من وضعها مع الكسرة، والفراغ بينهما أقل، بحيث يسمح للهواء المار بالاحتكاك، فيحدث الحفيف الذي يسمع مع صوت "الياء" ولا يسمع مع صوت الكسرة»[1].

أما الأستاذ فرغلي فكعادته يلخص لنا عمل آلة النطق مع الكسرة كالآتي:

1 - هو حرف يبدأ في بداية ظهوره من وسط اللسان ثم يهوي في المجري الجوفي من غير أن يعترضه شيء.

2 - يقترب الوتران الصوتيان من بعضهما في أثناء مرور هواء الزفير عن النطق بالياء، فيضيق الفراغ بينهما، بحيث يسمح بمرور الهواء ولكن مع إحداث اهتزازات وذبذبات منتظمة بهذه الأوتار.

3 - ارتفاع غار الحنك الأعلى اللحمي " الطبق " نحو الجدار الخلفي للحلق فينغلق التجويف الأنفي، وينفتح التجويف الفموي، ويخرج هواء الياء عبر فتحة الفم.

4 - انخفاض مؤخرة اللسان بعيدا عن الطبق ويستقر في قاع مؤخرة الفم فتتسع غرفة الرنين الصوت فيخرج الصوت رقيقا منفتحا.

5 - انخفاض الفك السفلي به لأسفل عند التصويت به[2].

ولعل هذا قريب من عبارة الأنطاكي التي يقول فيها: « وتخرج الكسرة القصيرة بسبب اهتزاز الوترين الصوتيين: مع تكتل مقدم اللسان وارتفاعه إلى أقصى درجة ممكنة نحو مقدم الفم (الغار)، مع تراجع من الشفتين إلى الخلف في وضع يشبه وضع التبسم، كما أن الهواء يتخذ مجراه في الفم وحده مع انسداد مجرى الأنف »[3].

5 - صفات الصوائت الطويلة العربية:

1 - الجهر والهمس: إن أهم صفة تتميز بها الصوائت هي صفة الجهر، وهي " اقتراب الوترين الصوتيين بعضهما من بعض أثناء مرور الهواء وأثناء النطق، فيضيق الفراغ بينهما بحيث يسمح بمرور الهواء ولكن مع

(1) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ص: 93-92).

(2) ظ: فرغلي سيد عرباوي، باحث في علم صوتيات التجويد والقراءات، Fargh22@yahoo.com، Fargh22@hotmail.com، رابط الموقع: http://www.ammar-ca.com/fargali/.

(3) الأنطاكي محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، (د.ت)، ج01، ص 34 وما بعدها.

إحداث اهتزازات وذبذبات منتظمة لهذه الأوتار"[1].فالصوت المجهور هو الصوت الذي يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به. وعلى هذه الصفة يعتمد تعريف الصائت[2].

ويتضح أن الصوائت جميعا مجهورة[3]، وهو تقرير عبد الصبور شاهين[4]، وفيه رد على من زعم أن عبد الصبور يقول بهمس الصوائت، حيث قرر أن الصوائت جميعها مجهورة.

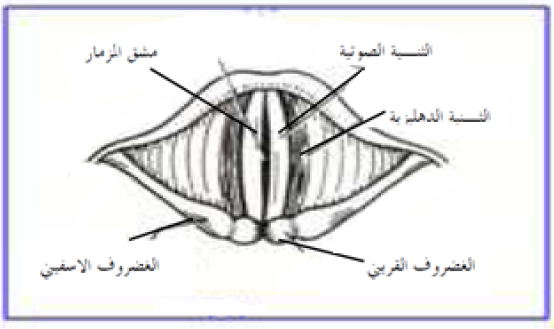

حالة تضام الوترين

حالة تباعد الوترين (5)

ويرجع الأنطاكي السبب في جهرية الصوائت إلى أن " الطليقات قد فقدت الانسداد الكامل الذي ينشأ عنه صوت الانفجار، والانسداد الجزئي الذي ينشأ عنه صوت الاحتكاك، ولم يبق لها إلا الوتران الصوتيان لتعتمد عليها في تصويتها، فهي لذلك أصوات أحادية التصويت وترية"[6].

فإذا نظرنا إلى الحركات في اللغات الإنسانية وجدناها مجهورة من الناحية الفونيتيكية، أي من الناحية النطقية المجردة، وقد تفقد بعض الحركات خصيصة الجهر في مواقع وسياقات فونولوجية، وتكون الحركة في هذه المواقع ألوفونات لا فونيمات؛ يحدث مثل ذلك نتيجة لتأثر الحركة بأصوات مهموسة مجاورة لها، كما هو الحال في العربية[7].

(1) كمال بشر، علم اللغة العام، ص88. ظ: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، ص21.

(2) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ص: 42).

(3) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (ص: 125).

(4) المنهج الصوتي للبنية العربية، ص172.

(5) مأخوذ من كتاب فكرة الصوت الساذج وأثرها في الدرس الصوتي العربي، غانم قدوري الحمد، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الرابع، ذو الحجة 1428هـ.

(6) محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، دار الشرق، ط2، 1969م، ص 227- 228.

(7) إستيتية، سمير شريف، الأصوات اللغوية (رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية)، دار وائل للنشر، ط1، عمان، 2003م، ص 285.

2 - الوضوح السمعي والخفاء: تتصف الصوائت بالوضوح السمعي[1]، حيث تسمع من مسافة تختفي عندها الأصوات الساكنة، أو يخطأ في تميزها وبهذا تكون أصوات العلة أوضح من أنصاف العلة في السمع[2]،و" الوضوح السمعي الذي بنيت عليه التفرقة بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين هو تلك الصفة الطبيعية في الصوت لا المكتسبة من طول أو نبرة "[3]. و«ليست كل أصوات اللين ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي؛ بل منها الأوضح. فأصوات اللين المتسعة أوضح من الضيقة، أي أن الفتحة أوضح من الضمة والكسرة» [4].

ولعل ما زاد في قدرة هذه الأصوات على قوة الاستماع والانتظام الموسيقي أيضا أنها أصوات مجهورة بوجه عام، ذلك أن الوترين الصوتيين يهتزان عادة في أثناء نطقها[5]. ولمّا كانت الصوائت أكثر الأصوات اللغوية وضوحاً في إسماعها ناسب ذلك أن تكون علامات على تلكم المعاني النحوية المختلفة.

3 - اتساع المخرج وضيقه: وهذه هي الصفة التي تجمع بين كل أصوات اللين "vowels" فهي عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه[6]. فالصوائت يميزها كيفية مرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من العوارض. لكن الصوائت نفسها تختلف فيما بينها في هذه الحرية، فقد لوحظ ان الحركة (a) وتقع الفتحة العربية في إطارها هي ذات النصيب الأوفى من هذه الحرية[7].

ولا يعد ما نص عليه علماء الأصوات من مرور الهواء عند الصوائت حراً طليقاً دون وجود عائق؛ وما وضعوه من معايير في دراسة المصوتات المعيارية تناقضاً في عملهم، فقد أشرنا إلى أن ارتفاع اللسان وانخفاضه عند نطق المصوتات يتحدد بمنطقةٍ لا يتجاوزها إلى أعلى فيكون مرور الهواء حرّاً طليقاً في الفراغ الذي يتركه بينه وبين الحنكِ الأعلى. وما ورد من ضم الشفتين في الواو ورفع وسط اللسان إلى جهة الحنك في الياء المدية وما فيها من اعتراض على الصوت أمر لا يلتفت إليه لأن ذينك الاعتراضين قليلان لا يمنعان جريان

(1) ينظر: دراسة الصوت اللغوي 283، 284.

(2) اشتقاق حروف العلة (بحث) للدكتور ابراهيم انيس مجلة كلية الآداب جامعة فاروق الاول القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر م2 1944م صفحة 103. ظ: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص27 -28.

(3) الأصوات اللغوية 27.

(4) الأصوات اللغوية، ص 27-28. ظ: كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص430، ص 217-218.

(5) المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص25.

(6) أنيس، الأصوات اللغوية، ص 27.

(7) كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص430، ص 217-218.

الصوت بالكلية[1]، ومن ثم فاتساع المجرى مع الألف أكثر من أختيها ويتبع ذلك القول بأن مخرج الفتحة أوسع من مجرى أختيها وترتيبها على النحو التالي: الفتحة، فالكسرة، فالضمة[2].

وعلى هذا فَهِم بعض المحدثين مدلولَ الهاوي، قال الدكتور حسام النعيمي: « فكأن اتساع مجرى الصوت فيه وامتداده في الفم جعلهم يرونه كالذي يهوي في الفضاء لا يستند اللسان معه أي شيء ولا يتمرن نحو شيء ولا يحتك الهواء معه بشيء وهو يختلف عن الواو والياء في ذلك لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع لسانك قبل الحنك»[3]، وعليه سار بعض المحدثين [4].

غير أن هذا المفهوم لا يخلو من التعليق؛ لأن هذه الفكرة تصدق على كلام الخليل وسيبويه ومتابعيهما، ولا تصدق على ما يراه المبرد لأن الهاوي عنده هو صوتا الواو والياء، وهو بمعنى الهبوط من أعلى إلى أسفل. بل إن من علماء التجويد من يجعل الصوائت الطوال كلَّها هاوية كأبي العلاء الهمذاني العطار[5]. وفي هذا مخالفة للمستشرق كانتينو الذي يرى أن الهاوي هو الذي فيه هواء وهو نعت ينعت به الألف الجرسي أي (الألف الذي يحدث صوتاً) للمقابلة بينه وبين الألف إذا كان عماد الهمزة[6].

4 - **الخفة والثقل:** وخفة الحركات وحروف المدّ قضية يؤيدها الدرس الصوتي الحديث ؛ لأنّ هذه الأصوات تمثل الصوائت في تصنيف المحدثين للأصوات اللغوية، وأهم ما يميّز الصوائت عندهم، أنّها ذات نطق حرّ، وحرية النطق هذه هي سرّ خفتها.

وتقسيم أصوات المد إلى خفيفة وثقيلة تبدو قيمته لو رجعنا إلى الإعلال، فإنّ التعامل بين الألف والياء أكثر منه بين الألف والواو ، وذلك لأنّ الياء أقرب إلى الألف منها إلى الواو ، والواو والياء تشتركان في العلو والثقل.

ويكون الترتيب من حيث الخفة كالتالي: الألف ، فالياء ، فالواو. فالألف خفيفة والياء ثقيلة ولكنها أقل ثقلاً من الواو فهي أقرب إلى الألف. وكذلك الحال مع الصوائت القصيرة حيث نجد الفتحة أخفَّها تليها الياء فالضمة أثقلها. يقول إبراهيم أنيس: «على أنّه حين نتساءل عن أيِّ الصّوتين أيسر في النّطق أو أيّهما الذي يحتاج إلى جهد عضليّ أكثر، نجد الضمّة هي التي تحتاج إلى جهد عضلي أكثر، لأنّها تتكون بتحرّك أقصى

(1) التحليل النطقي والوظيفي 660.

(2) إبراز المعاني 752، شرح الشافية 261/3، مناهج البحث في اللغة 77، التجويد والأصوات 36.

(3) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 324.

(4) ظ: في البحث الصوتي عند العرب: 60-61.وفي الفكر اللغوي: 145.والمصطلح الصوتي، د. عبد القادر: 125. وموقف الأزهري من كتاب العين: 307.

(5) ظ: التمهيد، للعطار: 147، نقلاً عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: 366.

(6) دروس في علم أصوات العربية: 38.

اللسان، في حين أنّ الكسرة تتكوّن بتحرّك أدنى اللسان، و تحرّك أدنى اللسان أيسر من تحرّك أقصاه»[1]، فيقتضي ترتيب الصّوائت وفق معيار الجهد العضلي أن توضع الضمّة في المقدّمة لثقلها في النّطق فالكسرة ثمّ الفتحة التي تعدّ أقلّ الصّوائت كلفةً، وأكثرها شيوعاً في أبنية الكلام وتراكيبه لخفّتها وسهولةِ لفظها.

ولهذا أثره الواضح في شيوع هذه الحركات وكثرة ورودها من عدمه؛ حيث نجد أنّ الفتحة وهي أخف هذه الحركات أكثر ورودا وشيوعا في اللغة العربية من أختيها الكسرة والضمّة، تليها الكسرة، فالضمّة. والفارق كبير بين شيوع الفتحة وشيوع كلّ من الكسرة والضمّة، بينما الفارق بين الكسرة والضمّة ليس كبيرا. ويؤيّد هذا الإحصاءاتُ التي قام بها المحدثون، فقد أُجري إحصاءٌ للصّوائت في سورة الضّحى فكانت نسبة ورود الفتحة (99 مرة) والكسرة (15 مرة) والضمّة (7 مرات)[2]، وهذا يؤكّد صحّة تصوّر القدماء من علماء العربية لنسب ورود هذه الصّوائت في الأبنية والتّراكيب العربية، وكذلك قام الخولي بوضع قائمة تمثّل شيوع الأصوات اللغوية في العربية، وقد احتلّت الفتحة والكسرة الموقعين الأوّلين على التّوالي وتأخّرت الضمّة للمرتبة السّادسة في هذه القائمة[3].

وهذه مسألة انتبه إليها علماء العربية؛ قال سيبويه: " الفتحة أخف على العرب من الكسرة والضمّة... وإنّما خفّت هذه الخفّة لأنّه ليس منها علاج على اللسان والشفة، ولا تحرك أبدا، فإنّما هي بمنزلة النفس "[4]، وقال وقال أيضا: " الكسرة أخف عليهم من الضمة ألا ترى أن فعِل أكثر في الكلام من فعُل والياء أخف عليهم من الواو وأكثر "[5].

5 - الطول والقصر: يذكر lodefoged أن في مقدور صوت المد أن يستمر أية مدة ممكنة لكونه يحدث في حقيقة أمره من اتخاذ اللسان والشفتين وضعا خاصا، ولقد لاحظ العرب هذه الميزة فيه، ولعله من أجل ذلك سموه صوت المد، لأنك تستطيع أن تمد به الصوت.

غير أن أكثر اللغات تميز بين طولين لصوت المد فيكون فيها صوت مد قصير وصوت مد طويل، ثم تغض النظر عن الاختلافات الأخرى في الطول وذلك لأنه قد يكون من الصعب على الأذن العادية أن تميز بين أكثر من درجتين من الطول في السياق الصوتي ومن هذه اللغات العربية، التي تميز بين درجتين اثنين

(1) في اللهجات العربية، د إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة)، مصر، ط3، 2003م، ص: 85.

(2) ينظر: مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، ص: 102 نقلا عن أمنزوي...

(3) ينظر: طلب الخفة في الاستعمال العربي، مخطوط رسالة ماجستير في علم اللغة، ردة الله ردة الطلحي، كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، 1989م، ص: 147.

(4) كتاب سيبويه (4/ 336).

(5) كتاب سيبويه (4/ 37).

من الطول في صوت المد، و اختلاف الطول فيها يؤدي في الأعم الأغلب إلى تغير في المعنى، الصرفي على الأقل، ونلاحظ ذلك واضحا في نحو قولنا قَتل و قَاتل.

غير أن العرب أشاروا إلى درجات أخرى من الطول في بعض السياقات من نحو الإشمام والروم في الاختلاس أو الألف الطويلة في الامتداد؛ إذا وقعت قبل الهمزة المتطرفة غير أن هذه الدرجات المختلفة من الطول لم تكن ذات طبيعة تمييزية أي أنها لا تغير في المعاني اللغوية في العربية[1].

هناك درجات من الطول في صوت المد تمثل فونيمات مستقلة phonèmes بسبب من أن تغير درجة الطول فيها تؤدي إلى تغير في المعنى (المعنى الصرفي على الأقل) لكننا نلاحظ أن ثمة اختلافات في الطول لا تحدث لأغراض معنوية أي أنها لا تمثل فونيمات مستقلة، إذ أن درجة الطول قد نشأت بسبب السياق، ولقد استطاع الباحثون أن يميزوا طائفة من العوامل التي تسبب طولا أو قصرا في أصوات المد، وأهم هذه العوامل:

1- طبيعة الأصوات المجاورة له في السياق.

2- درجة النبر ونوعه.

3- تطرف أصوات المد.

4- بعض الحالات النفسية التي يحاول المتكلم فيها أن يزيد في تأكيد المراد من كلامه أو التقليل من أهمية بعض الأمور، أو القلق، أو الخجل، وما إلى ذلك[2].

ويختلف الزمن الذي يستغرقه نطق كل مصوت طولاً وقصراً، فالفتحة تكون قصيرة كما في (سَيْر ـ قَبْر ـ صَبْر) أو طويلة كما في (كان ـ قال ـ صام) والكسرة تكون قصيرة كما في (بِعْ) أو طويلة كما في (بِيْعَ ـ قِيْل) وكذلك الضمة تكون قصيرة كما في (دُمْ ـ قُمْ ـ صُمْ) أو طويلة كما في (يَدُوم ـ يَقُوم ـ يَصُوم)، وهكذا فإن الحركات الطويلة تبدو ضعف طول الحركة القصيرة[3].وهذه مسألة سنأتي عليها بالتفصيل في باب الظواهر الصوتية.

6 - الانفجار والاحتكاك: لم يخرج المحدثون عن هذا الإطار في تقسيم الأصوات إلا في التسمية إذ أسموا الشديد بالانفجاري والرخو بالاحتكاكي والمتوسط بالمائع[4]. وقد أدى عدم الاحتكاك أيضا إلى أن تكون

(1) المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص 37.

(2) المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص38-41.

(3) التشكيل الصوتي في اللغة العربية، سلمان حسن العاني38، وينظر: 115.

(4) ينظر: الأصوات اللغوية: 24، والدراسات الصوتية عند علماء العربية: 73. ودروس في علم أصوات العربية: 35.

أصوات المد أصواتا موسيقية منتظمة، قابلة للقياس خالية من الضوضاء[1]، لها القدرة على الاستمرار، وهي بهذا تختلف عن الصوامت التي هي عبارة عن ضوضاء noise ناتجة عن احتكاك[2].

لكننا نقف ههنا عند مسألة لفتت الانتباه بشكل خاص؛ وهي هذا الاتفاق الذي يكاد يكون تاما بين القدماء وبعض المحدثين في إدراج حروف المد واللين ضمن الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة؛ فهذا "گليزون" يأخذ بتصنيف الأصوات اللغوية إلى ثلاثة أجناس كبرى: انسدادية، واحتكاكية، ورنانة، وهذه الأخيرة عنده تشمل الصوائت والأنفيات وأشباه الصوائت واللام والراء[3]. والأصوات المتوسطة عند قدمائنا هي الواردة في عبارة «لم يرو عنا»، دون تحديد ما يقصدون بالياء والواو، هل حالتهما الصائتية أو الصامتية.

7 - الاستعلاء والاستفال: والاستعلاء حديثاً: " ارتفاع اللسان إلى الحنك أطبقت أو لم تطبق، والحروف المستعلية هي الحروف المطبقة الأربعة، ثم القاف، والخاء، والعين ويقابل الاستعلاء الانخفاض أو الاستفال "[4].

والاستعلاء نظير الاستفال وهو وضع للسان يكون فيه أسفل في قاع الفم، وذلك في بقية الأصوات المرققة[5]. ومن الواضح أنّ طائفة من المحدثين يفصلون بين الإطباق والاستعلاء ويخصون الاستعلاء: بالقاف، والغين، والخاء. والاستفلال صفة تخص باقي الأصوات. أمّا الطاء، والظاء، والضاد، والصاد، فهي أصوات الإطباق، ويقابلها الانفتاح الذي تتصف به باقي الأصوات [6]. ويبدو أنّ المحدثين قد اختلفوا فيما بينهم بينهم في تحديد صفة الاستعلاء على عكس العلماء القدماء الذين توحدت لديهم أصوات الاستعلاء.

والصوائت بذاتها لا تتصف بتفخيم أو ترقيق، وإنما تعتريها هذه الظاهرة في السياق أي بسبب تأثرها بما يجاورها من الأصوات، فهي إذن ظاهرة سياقية contextuel كما يظهر في نحو: -صبْرٌ- قبْرٌ- سبْرٌ. حيث فخمت الفتحة في المثال الأول، ورققت في الثالث ولكنها بين الحالتين في المثال الثاني. وهذا الاختلاف في الدرجة يرجع إلى الأصوات السابقة عليها في هذه الكلمات. فهي في الكلمة الأولى مسبوقة بصوت مفخم مطبق هو الصاد. وفي الثالثة بالسين وهو صوت مرقق. أما في المثال الثاني فهي واقعة بعد القاف وهو صوت (مستعلٍ)؛ بين بين أي بين التفخيم والترقيق.

---

(1) دراسة الصوت اللغوي.

(2) دراسة الصوت اللغوي ص19، مناهج البحث في اللغة / 51.

(3) نقلا عن أمنزوي.

(4) دروس في علم أصوات العربية 36، 37

(5) علم الأصوات 117، 118.

(6) ينظر: علم الأصوات 115، 116، 117، 118.

وكذلك الحال في الفتحة الطويلة (ألف المد)؛ حيث لا تتصف بذاتها بهذه الظاهرة بدرجاتها المختلفة. قارن:- صاد- قاد- ساد؛ حيث كانت الألف (الفتحة الطويلة) مفخمة في الكلمة الأولى ومرققة في الثالثة، ولكنها بين الدرجتين في المثال الثاني. وسبب هذا الاختلاف إنما هو السياق نفسه[1].

ومن الجدير بالذكر أن المتقدمين كانوا قد لحظوا هذه الحقيقة، وهي أن ما تخضع له الألف (الفتحة الطويلة) من تفخيم أو ترقيق بطبيعة الحال إنما سببه السياق، أما هي ذاتها فلا توصف بتفخيم أو ترقيق. يقول ابن الجزري: ومن الحروفِ الحروفُ المستفلة وضدها المستعلية. والاستعلاء من صفات القوة. وهي سبعة يجمعها قولك: قظ خص ضغط، وهي حروف التفخيم على الصواب. وأعلاها الطاء، كما أن أسفل المستفِلة الياء. وقيل: حروف التفخيم هي حروف الإطباق، ولا شك أنها أقواها تفخيما، وزاد مكي عليها الألف. وهو وهُمٌ، **فإن الألف تتبع ما قبلها فلا توصف بترقيق أو تفخيم**[2].

والسبب في تلبس الصوائت بالدرجات الثلاث مفخمةٍ ومرققةٍ وبين بين، هو أن الإطباق أعلى درجة من الاستعلاء ثم يليه الاستفال. قال في نهاية القول المفيد: « ثم اعلم أن الإطباق أبلغ من الاستعلاء وأخصّ منه إذ لا يلزم من الاستعلاء الإطباق، ويلزم من الإطباق الاستعلاء. ألا ترى أنك إذا نطقت بالغين والخاء المعجمتين والقاف وقلت: (خخ وغغ وقق) استعلى أقصى اللسان إلى الحنك من غير إطباق، يعني من غير إطباق الحنك على وسط اللسان، وإذا نطقت بالصاد وأخواتها وقلت صص وطط استعلى وسط اللسان أيضا، وانطبق الحنك على وسط اللسان فالقاف والخاء والغين مستعلية وليست بمطبقة»[3].

8 - الإطباق والانفتاح: والإطباق والانفتاح يشتملان على جزء من مفهوم التفخيم وانعدام التفخيم عند المحدثين[4]: " فكل مطبق مفخم، وكل منفتح مرقق، والفرق بين الإطباق والتفخيم أنّ الإطباق وصف عضوي للسان في شكله المقعر المطبق على سقف الحنك، وإنّ التفخيم هو الأثر السمعي الناشئ عن هذا الإطباق. فإذا سمع الصوت مرققاً فإنّ معنى ذلك أنّ اللسان في وضع منفتح يتصل فيه بالحنك الأعلى من نقطة واحدة أمامية "[5].

(1) كمال بشر، دراسات في علم اللغة (ص: 90).

(2) النشر في القراءات العشر لابن الجزري جـ1 ص202-203.

(3) نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، الجريسي، محمد مكّي نصر الشافعي المتوفّى نحو سنة 1902هـ، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2003م، ص 52.

(4) ينظر: دروس في علم اصوات العربية 36، وعلم الأصوات 115، 116.

(5) علم الأصوات 117.

وُصِفت الصوائت بالانفتاح، وفيه ينبسط اللسان في قاع الفم دون تقعر في وسطه مما يجعل الهواء الخارج من الرئتين يسير في طريق مستقيم، ويتجافى كل من اللسان والحنك عن الآخر[1].

لكن الصوائت في هذا تابعة لحكم ما قبلها من صوامت، فإذا سبقها مطبق نالها منه ذلك واتصفت بالتفخيم أثرا سمعيا، وإذا سُبقت بالمنفتح نالها من ذلك واتصفت بالترقيق، فمثال الأولى: طائر، وصورة، وضيزى، ومثال الثانية: سائل، نُور، وقِيل[2].

9 - التفخيم والترقيق: وُصِفت الصوائت بالتفخيم حينا وبالترقيق حينا آخر، وذلك حسب الصفة التي تميّز ما قبلها، فإن كان مفخما فخمت، وإن كان مرققا رققت. ويكون تفخيم الألف والفتحة هنا بدخول صوت الواو أو الضمة في الألف أو الفتحة[3].

وسبب تبعية الصوائت لما قبلها هو أنها لا يعمل فيها عضو من أعضاء النطق[4]. وفسر د/ حسن ظاظا التفخيم والترقيق تفسيرا صوتيا حيث قال: « والصوت الإنساني يرن داخل أعضاء النطق، فإذا ضاق حيز الرنين أي صغُر حجم الفراغ الهوائي الذي يرن فيه الصوت، جاء الحرف مرققا أو منخفضا، أما إذا اتسعت التجاويف وكبُر حجم الفراغ الهوائي فإن الحرف يسمع مفخما أو مستعليا. وهذا هو الفرق الصوتي عندما أنطق كلمتين مثل **فذّ** و **فظّ**...وكذلك الأمر عندما أقول **سار** و **صار** أو **نبت** و **نبط** »[5]. ويقول د/ تمام حسان: « فالتفخيم إذاً ظاهرة أصواتية ناتجة عن حركات عضوية، تغير من شكل حجرات الرنين بالقدر، الذي يعطي الصوت هذه القيمة الصوتية المفخمة»[6].

فمراتب التفخيم والترقيق ناشئة عن ارتفاع أو انخفاض اللسان، وتقدم أو تأخر الجزء المرتفع، مع عدم إغفال وضع الشفتين عند نطق كل مرتبة، وهي مراتب تعتري المصوتات بسبب السياق الصوتي الذي تقع فيه؛« فهي مفخمة مع أصوات الإطباق وهي(الصاد والضاد والطاء والظاء)، وهي في الحالة الوسطى بين التفخيم والترقيق مع (القاف والغين والخاء)، ولكنها مرققة في المواقع الصوتية الأخرى»[7]. والرأي نفسه يراه أحمد مختار عمر في مراتب التفخيم إلا أنه يفصل المرتبة الثالثة إلى الأصوات المفخمة أحيانا والمرققة أحيانا أخرى كالراء[8]. لكننا نجد اللام تحمل هذه الميزة أيضا، وأكبر دليل على ذلك لفظ الجلالة (الله) عندما

(1) القرني، علي عبد الله، أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د. سليمان العايد،، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية،2004 م، ص 30.

(2) ينظر: كمال بشر، دراسات في علم اللغة (ص: 90).

(3) التحول والثبات في أصوات العربية، ص 279.

(4) جهد المقل، ص33.

(5) كلام العرب: حسن ظاظا، مطبعة العصري، الاسكندرية، 1971، ص09.

(6) مناهج البحث في اللغة (ص: 90).

(7) علم اللغة العام (قسم الأصوات)، ص 192.

(8) دراسة الصوت اللغوي، ص 325.

تتحرك لامها بالحركات الثلاث؛ فهي مرققةٌ مكسورةً، ومفخمة مع الباقيتين، والذي حمل الدكتور أحمد مختار عمر على إغفالها من التمثيل هو أنه اعتبر اللام المفخمة فونيما مستقلا لا ألوفونا للاَّم المرققة[1].

والصوائت بذاتها لا تتصف بتفخيم أو ترقيق، وإنما تعتريها هذه الظاهرة في السياق أي بسبب تأثرها بما يجاورها من الأصوات، فهي إذن ظاهرة سياقية contextual كما يظهر في نحو: **صبٌّ/ قبٌّ/ سبٌّ.**

حيث فخمت الفتحة في المثال الأول، ورققت في الثالث ولكنها بين الحالتين في المثال الثاني. وهذا الاختلاف في الدرجة يرجع إلى الأصوات السابقة لها في هذه الكلمات. فهي في الكلمة الأولى مسبوقة بصوت مفخم هو الصاد. وفي الثالثة بالسين وهو صوت مرقق. أما في المثال الثاني فهي واقعة بعد القاف[2]، وهو صوت بين بين أي بين التفخيم والترقيق.

وكذلك الحال في الفتحة الطويلة (ألف المد)؛ حيث لا تتصف في ذاتها بهذه الظاهرة بدرجاتها المختلفة، إذ أن تفخيم الألف جائز وإن لم يكن هو الأصل فيها[3]، قارن بين: **صاد، قاد، ساد.** فألف المد أو الفتحة الطويلة مفخمة في الكلمة الأولى ومرققة في الثالثة، ولكنها بين الدرجتين في المثال الثاني. وسبب هذا الاختلاف إنما هو السياق نفسه[4].

ومن الجدير بالذكر أن من المتقدمين من لحظ هذه الحقيقة، وهي أن ما تخضع له الألف = الفتحة الطويلة من تفخيم أو ترقيق بطبيعة الحال إنما سببه السياق، أما هي ذاتها فلا توصف بتفخيم أو ترقيق. يقول ابن الجزري: «ومن الحروف؛ الحروف المستفلة وضدها المستعلية. والاستعلاء من صفات القوة. وهي سبعة يجمعها قولك: قظ خص ضغط، وهي حروف التفخيم على الصواب. وأعلاها الطاء، كما أن أسفل المستفلة الياء. وقيل: حروف التفخيم هي حروف الإطباق، ولا شك أنها أقواها تفخيما، وزاد مكي عليها الألف. وهو وهْمٌ، فإن الألف تتبع ما قبلها فلا توصف بترقيق أو تفخيم»[5].

بقيت لدينا مسألة هامة؛ وهي أن الصوائت العربية ليست على رتبة واحدة في التفخيم، بل هي على أربع مراتب، فأعلاها مرتبة الفتحة الطويلة، ثم الفتحة القصيرة، تليها الضمتان القصيرة والطويلة، ثم تأتي الكسرتان القصيرة والطويلة.

فمثال الأوّل: ما تمكّن أي قوي فيه التفخيم، وهو الفتحة الطويلة؛ نحو {قَال} [البقرة: الآية 30] و{والْقَائِمِين} [الحج: الآية 26].

---

(1) دراسة الصوت اللغوي، ص 331.

(2) لأن القاف وإن كانت من أصوات التفخيم إلا أنها لا تدخل في جملة الأصوات المطبقة (ص، ض، ط، ظ).

(3) دراسات في علم اللغة (ص: 93).

(4) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 90.

(5) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ1، ص (202-203).

ومثال الثاني: ما كان دونه وهو الفتحة القصيرة؛ نحو {لقدْ كان} [يوسف: الآية 7] و {وقدْ خلقَكُمْ} [نوح: الآية 14] و{صدقَكُمُ} [آل عمران: الآية 169].

ومثال الثالث: ما كان دونه وهو المضموم؛ نحو {ولا تحسبن الذين قُتلوا} [آل عمران: الآية169]، و{يقُولُ} [البقرة: الآية 8].

والرابع: ما كان مكسورا نحو {لا قِبل لهُمْ} [النّمل: الآية 37] و {قِيل لهُمْ} [البقرة: الآية 11] [1].

10 - اللين: لا يبتعد الوصف الحديث عن القديم في وصف الصوائت باللين، ويبدو أن هذه السعة في المخرج، وحرية مرور الهواء أعطت الصوتين صفة الليونة في النطق. لذلك أطلق علماء التجويد عليها (الأصوات الذائبة)[2]. وأكد المحدثون أن الصوائت تحمل درجة انفتاح واسعة عند النطق بها[3].

(1) نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، الجريسي، محمد مكّي نصر الشافعي المتوفّى نحو سنة 1902هـ، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2003م، ص 101.

(2) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص62.

(3) علم اللغة العام – الأصوات-، ص78. ظ: الصيغ عبد العزيز، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2000م، ص160.

6 - صفات الصوائت الطويلة العربية من منظور مخطط دانيال جونز:

كذلك نجد أوصافا أخرى للصوائت العربية بناء على المقاييس العالمية المتمثلة في مخطط دانيال جونز، واعتمادا على المخطط نرتبها كالآتي:

أولا: الجزء الذي يرتفع أو ينخفض من اللسان وعلى أساسه توصف الصوائت بما يلي:

1 - صوائت أمامية: نسبة إلى الجزء الأمامي من اللسان، أي أنها تخرج من مقدم اللسان سواء أكان مرتفعا أم منخفضا، وهذه الصوائت هي: الكسرتان القصيرة والطويلة؛ المرققة والمفخمة، والفتحة المرققة؛ القصيرة والطويلة.

2 - صوائت خلفية: نسبة إلى الجزء الخلفي من اللسان سواء أكان مرتفعا أم منخفضا، وهذه الصوائت هي: الفتحة المفخمة؛ القصيرة والطويلة، والضمتان القصيرة والطويلة؛ المفخمتان والمرققتان[1].

ثانيا: درجة ارتفاع اللسان وانخفاضه وما ينتج عن ذلك من اتساع مجرى الهواء أو ضيقه، وعلى هذا توصف بما يلي:

1 - صوائت ضيقة: وهي التي يرتفع فيها اللسان إلى أقصى حد ممكن، وتكون المسافة بينه وبين سقف الحنك أضيق ما تكون بحيث إذا ارتفع اللسان أكثر أحدث نوعا من الحفيف، ويشمل الكسرة والضمة العربيتين المرققتين؛ الطويلتين والقصيرتين.

2 - صوائت متسعة: وهي التي يكون اللسان حين النطق بها منخفضا في قاع الفم إلى أقصى درجة، ويمثل ذلك في: الفتحتين العربيتين القصيرتين والطويلتين؛ المرققتين والمفخمتين.

3 - صوائت نصف ضيقة: وفيها يكون اللسان عند النطق بها في ثلث المسافة من الصوائت الضيقة إلى المتسعة، وهي: الكسرتان العربيتان المفخمتان؛ القصيرة والطويلة، والضمتان العربيتان المفخمتان؛ القصيرة والطويلة[2].

ثالثا: بالنظر إلى وضع الشفتين، وتوصف بالآتي:

أ - صوائت منفرجة: وهي التي تنفرج معها الشفتان عند النطق بها، كما في الكسرتين العربيتين القصيرتين والطويلتين؛ المرققتين والمفخمتين. والانفراج أكثر ما يكون مع الكسرتين العربيتين المرققتين؛ القصيرتين والطويلتين، ثم يقل تدريجيا مع الكسرتين العربيتين المفخمتين؛ القصيرتين والطويلتين.

---

(1) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص38.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 37-38. ظ:الدباس، صادق،الثنائيات الصغرى في الحركات ودورها الدلالي في صياغة البنى الصرفية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات- العدد الخامس والعشرون(2)- أيلول 2011، ص292-293. ظ:الصوائت بين ابن جني ودانيال جونز، 56-58، ظ: كمال بشر، علم اللغة العام، 137 145. ظ: د. عبد الغفار هلال، أصوات اللغة 138 - 139. ظ: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 78.

ب - صوائت مستديرة: وفيها تأخذ الشفتان شكلا دائريا أو شبه دائري، ويكون ذلك مع الضمتين العربيتين القصيرتين والطويلتين؛ المفخمتين والمرققتين، وتختلف درجة الاستدارة؛ فهي أكمل ما تكون مع المرققتين، ثم تقل الاستدارة تدريجيا مع المفخمتين.

ج - صوائت محايدة: وفيها تكون الشفتان في وضع محايد وتشمل الفتحتين العربيتين الطويلتين والقصيرتين؛ المرققتين والمفخمتين، ويلحظ أن الشفتين مع حيادهما أقرب إلى الانفراج مع الفتحتين العربيتين الطويلتين والقصيرتين المرققتين، وإلى الاستدارة مع الفتحتين العربيتين الطويلتين والقصيرتين المفخمتين [1].

وختاما ينبغي علينا - ونحن نصف الصوائت العربية - أن نستحضر الفروق بين نطق عربية اليوم في الأقطار العربية وبين نطقها العربي القديم، تلك الفروق التي لم يصاحبها على كل حال اختلاف وظائفها الفونولوجية (التمييزية) في العربية الفصحى، التي ظلت الوظائف التمييزية للصوائت فيها ثابتة طوال تاريخ العربية إلى اليوم. أما فروق النطق نفسها فلا نملك معطيات صحيحة لوصفها، إلا ما يخص الكيفيات التي تنطق بها اليوم في الأقطار العربية؛ ومع هذا يمكن الاستئناس بما نجده في كتب التراث من أوصاف لبعض الكيفيات التي كانت تنطق بها، للمقارنة التقريبية بين النطقين القديم والحديث للفونيمات الصائتية العربية [2].

أما المحدثون فلم يسلموا هم أنفسهم مما وقع فيه القدماء من وصف الصوائت بألقاب مخرجية، فكما نجد عند المتقدمين **الحلقية واللهوية والشجرية والهاوي**، كذلك نجد عند المحدثين **الأمامية والخلفية والواسعة والضيقة**...وما إلى ذلك.

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص32- 33. ظ:الصوائت بين ابن جني ودانيال جونز، 58، ظ: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات،ص:76-77.

(2) بشر، د.كمال محمد-: علم اللغة العام، الأصوات، ط.د.المعارف بمصر، 1975، ص 146.

المبحث التاسع: أشباه الصوائت

1 - مفهوم شبه الصائت:

يطلق مصطلح شبه الصائت (Semi-voyelle) في اللسانيات المعاصرة على الأصوات اللغوية التي لها بعض خواص الصوائت من جهة وبعض خواص الصوامت من جهة أخرى. ولذلك تقع الواو والياء اللينتان أو المتحركتان موقعاً فريداً في النظام الصوتي العربي، فيصحّ أن نطلق عليهما –لاتساع مخرجهما- أشباه الحركات أو الصوائت أو العلل، وأن نطلق عليهما كذلك أشباه الصحاح أو الصوامت، لشبههما بالصوامت من حيث طبيعتهما النطقية التي تتطلب نوعاً من الاحتكاك، ومن حيث الوظيفة التي تؤديانها في المقطع والجذر والوظائف الصرفية عامة، ولقبولهما الحركة والسكون كالصوامت تماماً[1].

وأكثرها شيوعا في اللغات البشرية الصوتان المرموز لهما في الألفباء الصوتية الدولية (A.P.I.) بالرمزين[W]و[j]. ولكن المصطلح نفسه له تاريخ طويل قبل أن يستقر على هذا المفهوم:

فقد انتقل من اللغة اليونانية القديمة إلى اللغات الأوربية الحديثة عبر اللاتينية عن طريق الترجمة الحرفية، ودخل إلى الفرنسية مثلا هكذا:

=hemi-phônos (اليوناني) ⟵ =semi-vocalis (اللاتيني) ⟵ =semi-voyelle (الفرنسي)[2].

وهذا المصطلح في أصله اليوناني، لم يكن ينطوي على المفهوم الحالي المذكور، بل كان يطلق على نوع آخر من فونيمات اللغة اليونانية القديمة؛ يقول أرسطو: « **ونصف المصوّت** هو الحرف الذي له صوت مسموع مع هذا التقارب، ومثاله حرفا Σ و P»[3].

وسماه أفلاطون في بعض محاوراته **بالمتوسط** (أي بين الصائت والصامت)، حيث يتميز بأن له صوتا مسموعا، وهذا أساس سمعي، وبأن الأعضاء النطقية تتقارب فيما بينها أثناء إنتاجه[4]، وهذا أساس نطقي كما هو واضح.

ويلاحظ أن **نصف المصوّت** عند أرسطو يشارك المصوّت في ميزته الأولى فقط (له صوت مسموع) ويخالفه في الثانية، وبالعكس فهو يشارك الصامت في ميزته الثانية فقط (تقارب الأعضاء) ويخالفه في الأولى؛ فهو إذاً **متوسط** بينهما كما نعته أفلاطون قبل أرسطو.

---

(1) ظ: بشر، د.كمال محمد، علم اللغة العام، الأصوات، ط. د. المعارف بمصر،1975، ص 135.

(2) ظ: أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى، ص104.

(3) أرسطوطاليس: فن الشعر، مع الترجمة العربية القديمة وشرح الفارابي وابن سينا وابن رشد، تر.د.عبد الرحمان بدوي، ط.د.الثقافة بيروت، د.ت [مصورة عن ط.1952]،ص130؛ نقلا عن أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى، ص105.

(4) ظ: أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى، ص106.

ولما انتقل هذا المصطلح - بالطريقة التي سبق ذكرها- إلى اللغات الأوربية الحديثة جُرّد تماما من المفهوم الاصطلاحي الإغريقي-لاختلاف مفهومه مما هو عليه عند الأوروبيين- وحُمِّل مفهوما جديدا، مع الاحتفاظ ببعض المصطلحات الفرعية الأخرى (السائلة، المركبة، الصفيرية...).

أما عن مفهوم شبه الصائت في اللسانيات الحديثة فتؤرخ المصادر اللغوية الغربية ظهور المصطلحين Semi-consonne و Semi-voyelle بسنتي 1845و1893 على التوالي[1]، أما مفهوم المصطلح فلم يحظ عند اللسانيين المحدثين بنفس القدر من الاهتمام الذي حظي به المفهومان الآخران(Voyelle و Consonne)، ولا أدل على ذلك من أن تعريفاتهم لأقسام الأصوات اللغوية قد اكتفت معظمها بالمقارنة بين الصائت والصامت.

فهذا ف.دُ.سوسير مثلا يقارن بين / **i**/ الرنانة في fidelle و/ **i**/ الصماء في pier، فيرى أنه لا فرق بينهما إلا في الوظيفة المقطعية، دون أن يميز هذه الأخيرة بتسمية أخرى من قبيل شبه صائتة، غير أنه كان قد أشار في موضع سابق إلى أن للصوائت الضيقة (**i** و u و ü) ميزة نطقية تبرر إطلاق اسم أشباه الصوائت عليها. أما روسلو ولاكلوط فيصنفان أشباه الصوائت ضمن الصوامت وينعتانها بـ**الصوائت المصمّتة** مع تمييزها تمييزا يعتمد على مقياس صوتياتي نطقي، يتمثل في قصر مدة التحقق النطقي في أشباه الصوائت إذا قيست بالصوائت، فهما يقولان: «تختلف أشباه الصوائت عن الصوائت خصوصا في أن الوضع النطقي فيها يحصل بفجائية أكثر ولا يثبت، بل يترك بمجرد حصوله»[2]، وهذا ما يقصده بعض اللسانيين الآخرين حين يصفون أشباه الصوائت بأنها أصوات **انتقالية** أو **انزلاقية**.

وتعكس المعاجم الاصطلاحية بدورها وجهات النظر المختلفة لأشباه الصوائت، فيعرفها كل معجم تعريفا يختلف عن الآخر، ونكتفي هنا بإيراد تعريف **معجم اللسانيات** الذي أشرف على تأليفه ج.مونان، لما فيه من شمول وتفصيل، فهو يقول: «يقصد بالمصطلحين شبه صائت وشبه صامت المترادفين عند عدد كبير من المؤلفين الإنتاجات الصوتية (خصوصا[j]،[w]،[ɥ]) التي يمكن النظر إليها على أنها صنف وسط بين الصوامت والصوائت، لخصائصها النطقية (الانفتاح) وتوزيعها داخل المقطع »، ثم يذكر أن بعض علماء الأصوات يميزون بين شبه الصائت وشبه الصامت ؛ فهو شبه صامت حين يقع قبل قمة المقطع كما في كلمتي تِبْيَان [**tibja:n**] وأَقْوَال [**aqwa:l**]، وهو شبه صائت حين يقع بعد القمة المقطعية كما في كلمتي بَيْض [**baiḍ**] وحَوْض [**ħaûḍ**]. ويقترح وضع رمزين صوتيين كتابيين للحالتين (كما نشاهد في الكتابة الصوتية

(1) وحسب معجم أكسفورد المختصر ظهر المصطلح Glideسنة 1835، ظ: أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى، ص108.

(2) ظ: أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى، ص 109- 110.

للأمثلة)، ثم يشير إلى أن علماء الأصوات الإنكليز يستعملون مصطلحا عاما هو **الانزلاقي**(Glide) الذي يتميز، على صعيد السمات الفيزيائية، بأنه ليس صائتيا ولا صامتيا[1].

ونلاحظ أن هذا التعريف يجمع في صيغته الأولى بين الأساسين النطقي والوظيفي، دون تحديدهما بالدقة المطلوبة في التعاريف العلمية المتخصصة؛ فأي انفتاح يميز هذه الأصوات التي تسمى تارة بأشباه الصوائت وتارة بأشباه الصوامت؟ وماذا يميزها بالضبط من حيث التوزيع داخل المقطع؟. فإذا كان المقصود هو أن انفتاح أشباه الصوائت أكثر من انفتاح الصوامت وأقل من انفتاح الصوائت الضيقة كما يفهم عادة، فإن بعض الباحثين قد أثبت أن الياء والواو شبه الصائتين [j] و [w] يمكن أن يكون انفتاحهما أكبر من انفتاح نظيريهما الصائتين [i] و[u]، وعلى هذا لا يصلح الانفتاح مقياسا كافيا لتمييز أشباه الصوائت[2].

أما علماء اللغة المحدثون فقد اتفقت كلمتهم على أن العربية الفصحى لم تستعمل في نظامها الفونولوجي من أشباه الصوائت إلا اثنين هما: الواو والياء اللذان تناولهما أغلبهم ضمن النظام الصامتي للعربية تحت عنوان فرعي استدراكي هو أشباه الصوائت أو ما في معناه، أو الواو والياء مباشرة.

ويعد برجشتراسر من أوائل الذين عبروا عن رأي جديد حول الواو والياء العربيين، فقد صرح بمخالفته للقدماء في نظرتهم إلى هذين الصوتين، وذلك بأن عدهما «بين الحركات أو الحروف الصائتة»، غير أنه أثبت فرقا بينهما وبين الضمة والكسرة « من جهة بنية مقطع الكلمة»، وسمى الواو ضمة والياء كسرة إذا كانتا مركزا للمقطع، وسمى الضمة واوا والكسرة ياء إذا كانتا طرفا للمقطع، وقد سمى الواو والياء شبهي الحركات، وقرر أنهما حرفا العلة في حالتهما الأخيرة (طرف المقطع)، وفي كل ذلك يعتبر أن الواو تطابق الضمة والياء تطابق الكسرة من حيث النطق والمخرج[3].

ومنذ وقت مبكر من هذا القرن تناول الدكتور إبراهيم أنيس الواو والياء تحت عنوان أشباه أصوات اللين، فذكر أنهما صوتان «يستحقان أن يعالجا علاجا خاصا، لأن موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه مع أصوات اللين (يقصد الصوائت)؛ ومع هذا فقد دلت التجارب الدقيقة على أننا نسمع لهما نوعا ضعيفا من الحفيف، وهذان الصوتان هما ما اصطلح علماء العربية على تسميتها بالياء والواو في مثل بيت ويوم»[4]، ثم قارن بينهما وبين الضمة والكسرة من حيث موضع النطق ونوعه، فذكر أن موضع نطق الواو والياء هو موضع نطق الضمة والكسرة تقريبا، «غير أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى حين النطق بالياء يكون أضيق منه في حالة النطق بصوت اللين (**i**)...وكذلك الواو لا فرق بينها وبين الضمة (**u**) إلا في أن الفراغ

(1) ظ: أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى، ص 112.

(2) ظ: أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى، ص 113- 115.

(3) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص 29. ظ: أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى، ص 139. ظ: شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص31.

(4)الأصوات اللغوية ص 42.

بين أقصى اللسان وأقصى الحنك في حالة النطق بالواو أضيق منه في حالة النطق بالضمة»، ثم يستخلص أن كلا من الواو والياء صوت انتقالي، لأنهما تتكونان من موضعي الضمة والكسرة على التوالي، ثم تنتقلان إلى مواضع صوائت أخرى، ولهذا ولقصرهما وقلة وضوحهما السمعي قياسا على الصوائت «أمكن أن يعدا من الأصوات الساكنة (يقصد الصوامت) [1]. لكننا -في الأخير- لم نظفر منه بتعريف علمي دقيق لأشباه الصوائت.

ويخالفه ج.كانتينو في أنه تناول الواو والياء العربيتين مرتين باعتبارين مختلفين؛ فقد عالجهما أولا- في بحث له نشر سنة 1946- ضمن الصوائت سائرا في اتجاه سوسير تقريبا، وسماهما بأشباه الصوائت. ثم تناولهما- في كتابه حول علم أصوات العربية سنة 1960- ضمن الصوامت، وسماهما بالرنّانين وشبه الصائتين «لقرابتهما من الصائتين الضيقين الضمة والكسرة»[2]، معتمدا على تداول المصطلحين بين اللسانيين المعاصرين له.

أما عبد الصبور شاهين فيرى أن شبه الصائتين « قد أثارا في اللغة صعوبات صوتية وصرفية لم يثرها صوت آخر غيرهما»[3]. وينقل عن هنري فليش تصوره للقضية المشكلة وصعوبة معالجتها، وذلك لأننا إذا نظرنا إلى الواو والياء من الجهة الوظيفية داخل الأبنية، فإنها ترد أصلا للثلاثي كما في **(ولد/حوَل/ظبي)**، وهذه وظيفة الصوامت. أما إذا نظرنا إلى طبيعتهما النطقية، فإنها تشبه الصوائت في اتساع المخرج، وتقترب من الصوامت بالحفيف الطفيف الذي تحدثه، وهو - هـ.فليش - لذلك يرى أنهما «صامتان ضعيفان، لا شبها صائتين»، ولكنهما (في مثل ثَوْب و بَيْت) «يعتبران صائتين بكل معنى الكلمة»!، لأنهما يعاملان معاملة الحركات الطويلة من تطويل وإدغام كما في **ثوب بَّكر، وجيب بَّكر**[4].

ولم يضف اللسانيون العرب المعاصرون على العموم شيئا جديدا إلى وصف إبراهيم أنيس وج.كانتينو للياء والواو، فهذا تمام حسان مثلا يتناولهما ضمن الصنف الرابع من الصوامت وهو الأصوات المتوسطة، ويصف كلا منهما على حدة من الناحية النطقية، ويقارن بينهما وبين الكسرة والضمة، فيرى أن الواو والياء من بين الصحاح-الصوامت- قد تكونان حرفي لين - شبه صائتين -لهما هذه الوظيفة التي للصحاح، وقد تكونان حرفي مد فتعتبران من العلل ولا تقومان بهذه الوظيفة، ويمثل لشبه الصائت بالواو في **قَوْل** وكذلك الياء في **بَيْع**، وللمدية -الصائت الطويل- بالواو في **غيور** والياء في **قتيل**[5].إلا أنه أضاف أن التفريق بين نصفي العلة

(1)الأصوات اللغوية ص 42.

(2) كانتينو، جان: دروس في علم أصوات العربية، تر. صالح القرمادي، ط. مركز الدراسات والبحوث، تونس، 1966،ص137.

(3) شاهين، عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ص 39.

(4) شاهين، عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ص 44. ظ: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، 1980م، ص 31.

(5) اللغة العربية معناها ومبناها (ص: 68).

وبين الكسرة والضمة يأتي عن طريق التشكيل والتطريز اللغوي «حيث تأتي الواو والياء بعد صائت وقبله، ولا تأتي الضمة والكسرة كذلك...»[1].

ونجد عند الدكتور **محمود السعران** مثلا أن أشباه الصوائت عبارة عن «صوائت انزلاقية يحدث فيها أن تبدأ الأعضاء بتكوين صائت ضيق (كالكسرة مثلا) ثم تنتقل بسرعة إلى صائت آخر أشد بروزا»[2] وفي العربية صوتان ينطبق عليهما هذا الوصف هما الواو، مرادا بها مثل واو **وجد** والياء، مراد بها مثل ياء **يزن**[3].

ويميز الدكتور **كمال بشر** بين نوعين من الواو والياء، أحدهما: الحركتان الخالصتان في ندنو، نرمي nadnuu, narmii، ويعني بهما الضمة والكسرة الطويلتين، وثانيهما: أنصاف الحركات semi-vowels، في مثل وهب، يهب wahaba, yahabu، وقوم، بيت: qawm, bayt.وهما عنده من الناحية النطقية يصنفان مع الصوائت، ولكنهما ينضمان -من وجهة النظر الوظيفية- إلى تلك المجموعة من الأصوات المعروفة بالأصوات الصامتة Consonants[4]. يقول الدكتور كمال محمد بشر: «والحقيقة أن هذه الأصوات من حيث النطق الصرف تقترب من الحركات في صفاتها، ولكنها في التركيب الصوتي للغة تسلك مسلك الأصوات الصامتة، ومن هناك كانت تسميتها بأنصاف حركات»[5].

ثم تحدث عن وجهة المحدثين في التفريق بين حالتي الواو والياء واختلافهم في ذلك فقال: «فالمعروف أن للواو والياء حالتين في العربية، فهما إما حركتان خالصتان، وإما صوتان صامتان أو بعبارة أدق نصفا حركتين. وقد حاول كثير من العلماء التفريق بين هاتين الحالتين على أساس صوتي محض، فهما عندهم من النوع الأول إذا خرجتا من الفم دون أن يقف في طريق الهواء حال النطق بهما أي عائق أو مانع، ولكنهما من النوع الثاني إذا ضاق مجرى الهواء بحيث يبقى مسار ضيق يسمح بمروره ولكن مع شيء من الصعوبة بحيث يحدث هذا الهواء احتكاكا مسموعا...وقد رأينا نحن أن هذا التفريق غير واضح، بل يتضمن شيئا من التكلف والصنعة، ولذا آثرنا أن يكون التفريق بين الحالتين على أساس الوظيفة اللغوية، فقررنا أنهما من الصوامت أو أنصاف حركات فيما لو وقعا في مواقع الأصوات الصامتة، ولخصنا هذه المواقع في خاصة تشترك فيها جميعا، تلك هي وقوعها متلوة بحركة أو ساكنة بعد فتح. كما في نحو: بَيْت و يَوْم. وهما في هاتين الحالتين يقعان في مواقع الأصوات الصامتة الصرفة، ومن ثم أخذا حكمها»[6].

---

(1)حسان، مناهج البحث في اللغة، ص107.

(2)محمود السعران علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (ص: 149).

(3)محمود السعران علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (ص: 149).

(4) دراسات في علم اللغة (ص: 95).

(5) الأصوات ص 171. ويسميها البعض أشباه الحركات. انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 42. ومحمود السعران: علم اللغة ص 197.

(6) الأصوات ص 173. وانظر أيضا ص 105-108، وكذلك: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص 283.

ويعرف **إستيتية** نصف الحركة بأنها مصطلح يطلق على الصوت الذي يكون الفرق بينه وبين الحركة فرقا تقريبيا يتمثل برفع اللسان أو خفضه، برفع اللسان عند نطق نصف الحركة، وخفضه عند نطق الحركة، ويمثل له بمجموعتين؛ الأولى: ولد، قوم، قوس، صوت، وعد، وزر، وصف. والثانية: يترك، يرسم، هيجان، أيس، هيف، قيد، كيف، شيء[1]. وأن نصفي الحركتين: الواوَ والياءَ يشتركان مع الحركات المناظرة لهما في صفة الغائية والتقريب، أي اقتراب اللسان من الحنك الأعلى، فليس غريبا وصفهما بالحركية[2]. وهذا دليل نطقي على تمكن أنصاف الصوائت في الحركية أو الصائتية. في حين نجد عبد الصبور شاهين يسوق دليلا آخر على حركيتها بقوله: « فنصف الحركة لا يفقد صفته الحركية إلا بمقتضى الوظيفة أو الموقعية، أما هو في ذاته فإن له خاصية الحركة من كل وجه، من حيث كان ناشئا عن التقاء المزدوج، ولو كان نصف الحركة هذا ضمن السواكن لما استطعنا أن نُسيغ تطوره إلى حركة في مثل (يَوْم و بَيْت)، فمن المسلم أن (**aw**و**ay**)، وهما (ح + ح) تطورا إلى (ح طويلة)، ولو كانا (ح + س) لما أمكن القول باندماج العنصرين المتضاربين، وتحولهما إلى حركة طويلة. وهذا فيما نرى أقوى دليل على حركية الواو والياء»[3].

وهما عند الطيب البكوش «حركات بسيطة أو مركبة تقوم بدور الحروف أحيانا»[4]. واعتمد سلمان العاني على التجربة والمختبر، فجاء وصفه في معظمه جديدا، إذ كان فيزيائيا (أكوستيا) أكثر منه نطقيا[5].

ويتحدث علماء الأصوات المحدثون عن الحركة المركبة أو المزدوجة، وتعرّف بأنها تتابع مباشر لصوتي علة يوجدان في مقطع واحد فقط[6]. وعرفت بأنها صوتا علة ينطقان في فترة زمنية لا تكفي إلا لنطق صوت واحد، وهذا التعريف وإن كان أقل علمية إلا أنه أكثر وضوحًا وتفهما. وهو تعريف نابع من الإحساس بوحدة هذين الصوتين وحدة تامة[7]. قال بعضهم: «ومثال ذلك في العربية (أو) و (أي) فعند النطق بالكلمة الأولى يتخذ اللسان وضعه في منطقة الحركات للنطق بالفتحة التي تلي الهمزة، ثم لا يلبث أن يتحرك منه لاتخاذ موضع جديد هو موضع الكسرة»[8].

---

(1) استيتية، الأصوات اللغوية، ص226.

(2) استيتية، الأصوات اللغوية، ص230.

(3) شاهين، عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ص 47-48.

(4) البكوش، د. الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ط2، مؤ.عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1987، ص53.

(5) العاني، سلمان حسن، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، تر: د. ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدة- السعودية، ط01، 1983م، ص 59.

(6) أحمد مختار عمر، أسس علم اللغة ص 80.

(7) المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص45.

(8) عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص 172. وانظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 42، وجان كانتينو: دروس ص 137.

ويشترط **سمير شريف إستيتية** نفس الشرط السابق وهو اتفاق كلتا الحركتين في أداء وظيفة فونولوجية واحدة، وهذا الشرط هو الفرق الجوهري بين أشباه الصوائت والصوائت المركبة أو المزدوجة[1]. فالتتابع بين الصوتين في الصوائت المركبة يؤدي وظيفة صوت واحد، أي يكون وحدة واحدة في أثناء التأليف الصوتي، ويقوم بدور فونيم واحد[2].

وعن هذه القضية يحدثنا الدكتور كمال بشر؛ فيقول: «وقد وهم بعض الدارسين فظن أن الواو والياء في (حوض وبيت) جزءان من حركة مركبة. وهو وهم خاطئ ولا شك. إذ الحركة المركبة وحدة واحدة. والموجود في حوض وبيت ليس وحدة واحدة، وإنما هناك وحدتان مستقلتان هما الفتحة +الواو في (حوض). والفتحة +الياء في (بيت)»[3]. ونحن نلمس من خلال هذا الكلام أن الدكتور كمال بشر ينفي وجود حركات مركبة في في اللغة العربية الفصيحة، وهو ما ذهب إليه إستيتية وأحمد مختار عمر أيضا[4]. قال الحَمد: « ولما كان موضوع موضوع وجود الحركة المركبة في اللغة العربية هو موضع جدل بين الدارسين المحدثين وأن علماء العربية وعلماء التجويد اكتفوا بتقسيم الواو والياء إلى حروف مد (أصوات ذائبة) في مثل (نوحيها)، وإلى حروف صحاح (جامدة) في مثل (بيت) و (حوض) فإن صرف النظر عن فكرة الحركة المركبة هنا له ما يسوغه. ويكفي أن علماء العربية وعلماء التجويد قد ميزوا بشكل واضح وكامل تلك الطبيعة الثنائية للواو والياء سواء من الناحية الصوتية أم من ناحية الوظيفة في بنية الكلمة»[5].

وهنا يجب أن نلفت النظر إلى ضرورة اليقظة وعدم الخلط بين ما سميناه علة مزدوجة **diphthong** الذي هو وحدة نطقية، وبين تمثيل صوت واحد(صامت، أو علة بسيطة) برمزين كتابيين وهو وحدة كتابية وهو ما يعرف باسم **digraph** ، وذلك مثل **th** في اللغة الإنجليزية في نحو **this** ، أو **ph** في نحو **philadelphis,** أو **sh** في نحو **shirt** ، أو **ea** في نحو **beat** [6]، وإن طريقة الهجاء الإنجليزية التقليدية غير المرضية أدت إلى تمثيل كثير من الأصوات المفردة **monophthongs** برمزين كتابيين.

وكذلك العكس، ونعني به تمثيل كثير من الأصوات المزدوجة برموز مفردة؛ فالكلمتان **bone** و **fate** مثالان توضيحيان؛ فإن **o** في **bone** تتكون صوتيا من **w+o** ، و **a** في **fate** تتكون من **y+e.** هذا التحليل

(1) استيتية، الأصوات اللغوية، ص230.

(2) المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص44.

(3) كمال محمد بشر: الأصوات ص 180، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص 305303.

(4) كمال محمد بشر: الأصوات ص 180. ظ:أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص 353. ظ: استيتية، الأصوات النطقية، ص 232.

(5) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: 308).

(6) **ea** في **beat** فسرها بعض الأصواتيين الأمريكيين على أنها صوت علة مزدوج مكون من **i** التي في **it** متلوة بـ**y** الانحدارية .ولكن بعضا آخر يتفق مع الأصواتيين الإنجليز في أنها صوت علة طويل.انظر أحمد مختار عمر- عالم الكتب-الطبعة الثامنة 1419هـ-1998م،ص81.

يعترف به معظم الأصواتيين الإنجليز، ولكن الأمريكيين- بوجه عام - ينكرون هذه الازدواجية، وهم- فيما يبدو - قد وقعوا تحت تأثير الهجاء التقليدي للكلمتين[1].

وهذه مسألة تردُّنا إلى مسألة الصوائت الطويلة (ـَا، ـُو، ـِي)؛ أهي عبارة عن حركة طويلة (علة بسيطة) ممثلة في رمزين كتابيين هما (رمز الصائت القصير + رمز الصائت الطويل) كما يراه المحدثون، أم أنها صائت مزدوج أو وحدة نطقية مركبة من (صائت متصف بالسكون + حركة قصيرة) كما هو عند المتقدمين. والحق أن كثيرا من الدارسين وقع في شرَك هذا التصور المفترض بهذا التحليل[2]؛ ولكن الواقع التحليلي لمد القمة لا يؤيد ذلك، لأن حركة اللسان عند إنتاج القمة الطويلة لا تتكرر، ويدلك على هذا قول الدكتور أحمد مختار عمر: « ولا يصح اعتبار العلة الطويلة في اللغة العربية مركبة لأنها علة بسيطة لا يغير اللسان موضعه في أثناء النطق حتى لو طال امتدادها»[3]. وهو مبحث عالجناه في الفصل الأول من هذا البحث[4].

2 - المصطلحات الخاصة بأشباه الصوائت:

ولو نظرنا إلى موقف المحدثين من صوتي الواو والياء الاحتكاكيين لخلصنا إلى نتيجتين؛ إحداهما: اضطرابهم في المصطلح، والأخرى: اضطرابهم في المفهوم، على الرغم من إدراكهم ماهية ذينك الصوتين من حيث الوظيفة و من حيث أوضاع النطق التي تتخذها أعضاء النطق عند إنتاج كل واحد منهما.

ولعلّ أول ما يلاحظ على سبب اضطراب المصطلح هو أنّ المحدثين حاولوا - وما زالوا- أن يوجدوا مرادفاً أو مقابلاً للمصطلحات الغربية التي تطلق على هذين الصوتين. وهذه المصطلحات الغربية ثلاثة هي:

1 - Diphthong: ومعناه بالترجمة الى العربية: حرفا علّة يشكلان صوتاً واحداً بلا فاصل، مثل (oi) في لفظة (hoise)[5].

2 - Semi vowel: ومعنى لفظة (Semi) هو:نصف وشبه وجزء[6]. أما لفظة (Vowel) فتعني: صوت لين[7]. وجاء معنى (Semi Vowel) في المعجم بأنه: شبه صوت لين[8].

---

(1) ظ: أحمد مختار عمر- عالم الكتب-الطبعة الثامنة 1419هـ-1998م، ص81.

(2) ينظر على سبيل المثال الفصل الثالث (العلة الطويلة – علة واحدة أم علتان متواليتان)دراسات في علم أصوات العربية د. داود عبده 33، 39.

(3) دراسة الصوت اللغوي 305

(4) انظر مبحث: أصوات المد ساكنة أم حركات طويلة؟ في الفصل الأول من هذا البحث.

(5) ظ: معجم الرافدين:269.

(6) معجم الرافدين: 828.

(7) ظ. م.ن:1031.

(8) ظ.م.ن:828.

3 - Complex vowel: ومعنى لفظة (Complex) هو: مركب[1]. وبذلك يكون معنى (Complex vowel) هو: صوت لين مركب.

لقد اجتهد المحدثون في ترجمة المصطلحات السابقة إلى العربية ولم يكونوا على مذهب واحد، وإليك عرض المسألة حسب الدارسين لها:

1 - جعل الدكتور إبراهيم أنيس الواو والياء في مثل بَيْت وَيوْم تحتَ مصطلح (أشباه أصوات اللين)[2]. لكنه جعلها في بحث له تحت اصطلاح (أنصاف أصوات اللين) وقد استعمل مصطلح (أشباه الصوائت) في ذلك البحث دلالة على أصوات (ل ن م)[3].

2 - واستعمل الدكتور سلمان حسن العاني (العلّة المركبة) مصطلحاً مرادفاً للمصطلح الإنجليزي (diphthong) ويشمل عنده على صوتي (أيْ / ay /، و أَوْ / aw /)[4].

3 - وللدكتور احمد مختار عمر مصطلحات متعددة لهذا النوع من الأصوات، فهو يرى في اصطلاحات المحدثين انه ليس ثمة توهم، وانما هو مجرد اختلاف في المصطلح، أو في تفسير المصطلح بتعبير أدق[5].

ففي كتاب أسس علم اللغة يترجم مصطلح (diphthong) عند ماريو باي بـ (العلّة المزدوجة)، وعدّ مصطلح (semi vowel) جزءاً منه، أي انّ (dipthong) تشتمل على نوعين من الأصوات، أحدهما: Vowel+Semi vowel وذلك في مثل: ياء (بَيْت) وواو (يوم). والآخر semi vowel+vowel وذلك في مثل: ياء (يَلد) و واو (وَلد)[6].

أما في كتابه (دراسة الصوت اللغوي) فقد أطلق على هذا النوع من الأصوات مصطلح (العلة المركبة)[7]، واستعمل لها في موضع آخر من الكتاب نفسه مصطلح (أنصاف العلل)[8].

4 - ويذهب الدكتور كمال بشر إلى جواز استعمال مصطلح (أنصاف الحركات) أو (أنصاف الصوامت) بالنظر إلى طبيعة انتاج تلك الأصوات[9]. وجوّز استعمال مصطلح (الصوامت) بالنظر إلى وظيفة تلك الأصوات في داخل البنية كوحدات أساسية في جذر الكلمة[10].

---

(1) م.ن:194.

(2) ظ: الأصوات اللغوية:43.

(3) ظ: اشتقاق حروف العلة، ص105-106 و107.

(4) ظ: التشكيل الصوتي: 59.

(5) دراسة الصوت اللغوي:355.

(6) ظ: م.ن:81.

(7) ظ: م.ن:353.

(8) ظ:م.ن:330.

(9) ظ:علم اللغة العام (الأصوات):86 و 132-133. وعلم اللغة العام (القسم الثاني): 130.

(10) ظ:علم اللغة العام (الأصوات):132.

وفضل الدكتور كمال بشر استعمال مصطلح (أنصاف الحركات) وهو مرادف عنده لمصطلح (Semi vowel) والسبب في تفضيله هذا هو شيوع هذا المصطلح وتعارف الدارسين عليه[1].

5 - وجعل الدكتور صالح القرمادي مصطلح (الحركات المزدوجة) في مثل: (يَيْ) و(وَوْ) مرادفاً للمصطلح الفرنسي (diphthong)[2]. وإلى ذلك ذهب الطيب البكوش[3].

6 - وترجم الدكتور عبد الصبور شاهين مصطلح (diphthongue) بمصطلح (الصوت المزدوج)[4]، نظراً إلى الطبيعة الإنتاجية لهذا النوع من الأصوات. واستعمل مصطلح (صوامت) و (صوامت ضعيفة) بالنظر إلى وظيفة تلك الأصوات في البنية[5].

وقد رفض الدكتور عبد الصبور شاهين أن يكون مصطلح هذين الصوتين هو (أنصاف الصوامت) ؛ لأن هذه التسمية لا تصدق على صامت يكون أصلا من أصول الكلمة. ومن ناحية أخرى فإنّ الواو والياء بتأثير الصياغة الصرفية يمكن أن يقعا موقعاً يوصفان فيه بأنهما عنصر ثانٍ من المصوّت المزدوج ومن ثم ينظر إليهما كمصوتين بمعنى الكلمة[6].

7 - واستعمل الدكتور رمضان عبد التواب لهذا النوع من الأصوات مصطلح (الشبيه بالحركة)[7].

8 - واتخذ الدكتور عبد القادر عبد الجليل مصطلح (العلّة المركبة) ترجمة لمصطلح (complex vowel) وهي على نوعين، إما أن تكون ثنائية البنية التركيبية (diphthongs).أو ثلاثية (striphthong) وتقتصر العربية على الأول كما في: (يَيْ Ay (ايْ)، و يَوْ Aw (أو)).وترجم مصطلح (semi vowel) بمصطلح (صائت قصير)[8].

9 - واستعمل الأستاذ بسام بركة مصطلح (أنصاف الصوائت العربية) ؛ و (أنصاف الصوامت)، و (الانزلاقيات) للصوت / W/ في مثل واو (وَلد)، و /j/ في مثل ياء (يَلد).

10 - واصطلح الدكتور محمد فتيح على هذا النوع من الأصوات بـ (نصفا حركة، أو نصفا ساكن)[9].

11 - واختار الدكتور غالب المطلبي مصطلح (نصف المد) ترجمة لد (semi vowel) وذكر أنها الترجمة الحرفية بالضبط[1]. ورجح هذا المصطلح على مصطلح (أنصاف الصوامت) (semi consonants) وعلى

---

(1) ظ:م.ن: 86.

(2) دروس في علم أصوات العربية:169 و 210.

(3) ظ:التصريف العربي:49.

(4) ظ:القراءات القرآنية، د.عبد الصبور شاهين:44. والعربية الفصحى:220 (المعجم).

(5) ظ:القراءات القرآنية، د.عبد الصبور شاهين :44.

(6) م.ن:44.

(7) ظ:المدخل إلى علم اللغة:93.

(8) ظ: الأصوات اللغوية، د. عبد القادر:200 و 202.

(9) ظ: في التفكير اللغوي:144.

مصطلح أصوات المد الصامتة (consonant vowel) ؛ لأن التسمية الأولى اكثر دقة في التعبير عن طبيعة هذه الأصوات ذلك لأنها أساسا من أصوات المد، لكنها تقترب من سلسلة الصوامت بسبب وجود هذا الاحتكاك الخفيف[2]. وترجم مصطلح (diphthong) بـ(صوت مد مركب)[3].

12 - وارتضى الأستاذ محمد الأنطاكي مصطلح (الطليقات المركبة) ترجمة للمصطلح (diphthonge)[4]، وكذلك مصطلح شبه الطليقة[5].

3 - مناقشة المصطلحات:

ومن المناسب في هذا الموضع أن نستفيد من مناقشة الدكتور غانم قدوري الحمد لمصطلحات المحدثين التي أطلقوها على الأصوات الصائتة أو المصوتة. حيث نفى الدكتور مصطلح (العلّة) ومصطلح (الصحيح) لانهما يعبران عن ظاهرة صرفية. ورفض أيضا مصطلح (الساكن) لأنه ينتمي إلى علم النحو، و (المتحرك) لأنه يعبر عن الأثر الكتابي ونفى كذلك مصطلحي (الطليقة) و (الحبيسة) ؛ لانّ من الأصوات ما توصف بالاحتكاك ستدخل ضمن الحبيسات وهي ليست كذلك بل إنها – بصفة الاحتكاك - (أقرب إلى الطليقة)[6]. وبانتفاء تلك المصطلحات تنتفي المصطلحات التي أطلقت على الواو والياء الاحتكاكيتين، والتي اشتملت على أحد تلك المصطلحات.

أما مصطلح نصف فانه يدلُ على الكمية أو الزمن النطقي للأصوات، ولا يشير إلى الصفة التجميعية التي اكتسبها صوتا الواو والياء الاحتكاكيتين، فمن الأصح لهذا المصطلح أن يطلق على الصوائت القصار – إن صحّ القول بأن تلك الأصوات تساوي نصف الزمن النطقي للصوائت الطوال- وهو ما استعمله فعلاً بعض المعاصرين[7]. وبهذا ستنتفي المصطلحات التي تشتمل على كلمة (نصف) لما ذكرنا.

ومصطلح المركبة ذو دلالة تصرف الذهن إلى الأصوات التي ائتلفت في بنية الكلمة أو تركبت. أي ان هذا المصطلح يصح ان يطلق على تعامل الأصوات في داخل التركيب باعتبارها أصوات متجمعة.

تبقى لدينا مصطلح أشباه أصوات المد واللين ومصطلح المزدوج. وهو مصطلح يمتاز بالدقة، بالنظر إلى المصطلحات الأخرى، من حيث وصف صوتي الواو والياء الاحتكاكيين بأنهما شبيهان بأصوات المد واللين

---

(1) ظ: في الأصوات اللغوية:41 (هامش 69).

(2) ظ: م.ن: 42-43.

(3) ظ: م.ن:43-44.

(4) ظ:الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، ص242-243.

(5) الأنطاكي محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، (د.ت)، ج01، ص 36-37.

(6) ظ:المصوتات عند علماء العربية:399-400.

(7) ظ:الأصوات اللغوية، د.عبد القادر:202.

وبذلك سينصرف الذهن إلى انّ تلك الأصوات أشباه الأصوات الصامتة أيضا. ولكنّ الذي يعترض طريقنا في ان نستعمل هذا المصطلح هو إنّ هناك من الأصوات ما يصدق عليه هذا المصطلح هذه الأصوات هي (ر ل م ن) وقد حدث ان وقع الدكتور إبراهيم أنيس في لبسٍ باستعماله لهذا المصطلح كما ذكرنا.

اما مصطلح المزدوج فواضح عند الدكتور عبد الصبور شاهين وجملة من الباحثين أنهم أرادوا به صوتين صائتين ازدوجا أو اجتمعا في نمط واحد، لذلك نجدهم يضعون مع هذا المصطلح مصطلحات متعددة تشير الى وظيفة هذين الصوتين التي تشابه الأصوات الصوامت.

وقام د. أمنزوي بدراسة إحصائية وضعَ فيها جدولا يوضح بعض الترجمات العربية المقترحة لمصطلحات مفهوم شبه الصائت، أو شبه الصامت في اللغات الأجنبية، من خلال 44 مرجعا، والذي تصرَّفْنا فيه كالآتي:

المصطلح	تاريخ ظهوره	المصطلح الأجنبي
شبه حركة	1929(برجشتراسر)	**Semi-voyelle**
شبه صوت لين	1944(إ.أنيس)	
نصف مصوّت	1952(ع.ر.بدوي)	
نصف علة	1955(ت.حسان)	
شبه صائت	1962(م.السعران)	
نصف حركة	1966(ص.القرمادي)	
نصف صائت	1967(ش.عياد)	
شبه طليق	1969(م.الأنطاكي)	
(حرف)لين	1973(ت.حسان)	
شبه علة	1979(د.عبده)	
شبه مصوّت	1979(أ.بتي)	
حركة وسطى	1980(م.الخناش)	
نصف مد	1984(غ.المطلبي)	
نصف حرف	1973(ط.البكوش)	**Semi-consonne**
نصف ساكن	1973(أ.م.عمر)	
نصف صامت	1977(ع.ص.شاهين	
شبه صامت	1981(ص.حسنين)	
انحداري	1973(أ.م.عمر)	**Glide**

انزلاقي	1980(س.مصلوح)	
علة	1987(إ.السغروشني)	
انتقالي	1989(الموحد)	
(صامت) مضيَّق	1980(ت.عنبر)	**Narrow (consonant)**

واستنتج من خلال الجدول الحقائق الآتية[1]:

1- ترجمت أربعة مصطلحات غربية لمفهوم واحد بـ 22 مصطلحا عربيا للمفهوم نفسه؛ 13 منها مقابل Semi– Voyelle(Semi–Vowel)، و4 مقابل Semi-consonne (Semi-consonant)، و4 مقابلGlide، وواحد مقابل (Narrow (consonant.

2- تراوح ورود المصطلحات الغربية المترجمة خلال 44 مرجعا عربيا ما بين مرة واحدة و47 مرة؛ فقد ترجم المصطلح Semi–Voyelle (أو semi-vowel) 47 مرة، يليه المصطلح Semi-Consonne (أو Semi-consonant)بـ 11 مرة، فالمصطلحGlide بـ 9 مرات، وأخيرا (Narrow(consonant بمرة واحدة. أما مقابلاتها العربية فقد تراوح ورودها خلال نفس المراجع ما بين مرة واحدة وإحدى عشرة مرة، وأكثرها ورودا ثلاثة كلها ترجمة للمصطلح الغربي الأول الذي ذكرنا قبلُ (ص 104 أعلاه) شيئا من تاريخه في اللسانيات الغربية. وهذه الثلاثة البارزة هي:

3 - أن أبرز المصطلحات وأكثرها شيوعا هو:

أ - نصف حركة، ورد في 25**%** من المراجع.

ب - شبه صائت، ورد في حوالي 16**%** من المراجع.

ج - نصف صائت، ورد فيما يقارب 14**%** من المراجع.

فهذه الثلاثة هي التي يستحق الوقوف عندها لمناقشتها وتبرير اختيارنا لأوسطها شيوعا (شبه الصائت) مع أن أولها يفوقه بنسبة عالية من حيث الشيوع. وهذه المصطلحات الثلاثة كما نشاهد كلها مركبة من المضاف والمضاف إليه؛ أما المضاف إليه (حركة، صائت) فقد ناقشناه في بحث آخر غير هذا، وأما المضاف (نصف، شبه) الذي هو ترجمة للسابقة اللاتينية **Semi** فهو الذي سنحاول مناقشته هنا، مبررين تفضيلنا لكلمة شبه على منافستها نصف التي يبدو أن أحد مقاييس مكتب تنسيق التعريب لاختيار المصطلح العربي(مقياس الشيوع) يقف في صفها، في المراجع المستقرأة على الأقل، حيث وردت فيها نصف

(1) ظ: أمنزوي، محمد، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى (دراسة صوتية إحصائية)، دار وليلي للطباعة والنشر - مراكش، ط الأولى، 2000 م، ص 127.

39 مرة؛ بينما وردت شبه 24 مرة. ولم نأخذ بهذا المقياس هنا لأنه مبني على إحصائنا الفردي الذي لم ندّع له الشمول، ولأنه شيوع نسبي بأغلبية لا نعتبرها كافية للترجيح[1]. وأخيرا للوقوف في صف **المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات** نفسه الذي تبنى ترجمة السابقة **Semi بشبه** في عدد من مداخله.

ومما قد يؤيد وجهة نظرنا أننا إذا ألقينا نظرة في أي معجم فرنسي أو انجليزي على المداخل التي تشتمل على هذه السابقة **Semi**، ومعظمها مصطلحات علمية وتقنية، وجدنا أن ترجمتها بـ نصف لا تستقيم في أغلب الحالات، إلا إذا أبعدنا عن كلمة نصف معناها الكمي الرياضي وحمّلناها معنى مجازيا، ونحن لسنا في حاجة إلى هذا التأويل مادام بإمكاننا أن نستعمل كلمة شبه التي تعبر مباشرة عما يقصد بتلك المصطلحات، دون تشويش أي معنى رياضي كمي؛ والمعاجم نفسها لا تحصر معنى هذه السابقة في النصف بل إن من معانيها جزئيا وتقريبا وشبه[2].

وقد حاول بعض الباحثين أن يبرر ترجمة هذه السابقة بالنصف فتصور أن علماء الأصوات أطلقوا عليه هذا المصطلح **(semi –vowel)** لأن صوت المد الطويل حين يتحول إلى نصف مد يفقد نصف كميته»[3]. وما كان أغنى هذا الباحث عن هذا التخيل لو نظر إلى السابقة على أنها شبه، وهو نفسه يقول: «بيد أنه قد ينشأ في بعض الحالات شيء قليل من الاحتكاك في أثناء نطق هذه الأصوات (أي أصوات المد) بسبب من ارتفاع اللسان ارتفاعا يمنع تلك الحرية في خروج الهواء وحينذاك تنشأ عنها طائفة من الأصوات نطلق عليها مصطلح أنصاف المد»[4]؛ ومعنى هذا الكلام بصراحة أن هذه الأصوات صوائت قريبة من الصوامت، أو بالعكس هي صوامت قريبة من الصوائت، وهذا ما يبرر تسميتها بأشباه الصوائت اختصارا. وحتى إذا نظرنا إلى قضية الانفتاح في هذه الأصوات، لنقول إن انفتاحها متوسط بين انفتاح الصوائت الضيقة وضيق الصوامت الاحتكاكية، فهذا لا يبرر تسميتها بأنصاف، لأن التوسط هنا نسبي وليس حقيقيا.

---

(1) وقد يضاف إلى هذا أن بعض الباحثين يترددون بين الترجمتين (شبه، نصف) في نفس الكتاب أو المقال، ينظر مثلا:
- شاهين، د.عبد الصبور-: المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980، ص31، 168.
- باي، ماريو-: أسس علم اللغة، تر.د.أحمد مختار عمر، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1983، ص 149، 277، 283.
283).

(2) البعلبكي، د. منير: المورد، قاموس إنجليزي عربي، ط.14، د.العلم للملايين، بيروت، 1980، ص 833.

(3) المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص 41 (الهامش 69).

(4) ظ.م.ن: 42.

وممن ناقش هذه المسألة الدكتور عبد الرحمن أيوب والدكتور محمد محمود غالي، حيث أيد هذا الأخير ترجمة إبراهيم أنيس للسابقة **(semi)** بشبه مستدلا بتعريف قاموس أكسفورد لشبه الصائت[1].

وبهذا الصدد يذكر أبركرومبي أن وجود المصطلح شبه صائت «مظهر للتضارب بين الاستخدامين الصوتي العام والفونولوجي» للمصطلحين الشائعين(صائت وصامت)، وأن هذا التضارب من الصعوبات التي يتحقق حلها «باستخدام مصطلحات جديدة، وإعادة تعريف المصطلحات القديمة...»، ثم يصل إلى اقتراح بايك لاستعمال المصطلح صائتي لامقطعي خروجا من التضارب الحاصل باستعمال المصطلحات الأخرى من قبيل شبه صائت أو نصف صائت أو صامت صائتي[2].

أما الجمعية الصوتية الدولية (A.P.I.) فقد تخلت في جدولها للألفباء الصوتية الدولية في صيغته الأخيرة لسنة 1979 عن كل هذه المصطلحات، وأوردت أشباه الصوائت تحت عنوان **الاحتكاكيات الواسعة**[3].

4 - أقسام أشباه الصوائت:

يتفق جميع الباحثين العرب والمستعربين المعاصرين على أن العربية الفصحى لم تستعمل في نظامها الفونولوجي من أشباه الصوائت إلا اثنين هما الواو والياء، كما سبق بيانه في مفهوم أشباه الصوائت.

ويميل الدكتور أنيس إلى إدخال عنصر آخر في تصور المشكلة، هو عنصر النبر، وذلك حين قال: «والتقاء صوتي لين، أحدهما مقطعي، والآخر غير مقطعي، ينتج عادة ذلك الصوت المركب الذي يسمى (Diphthong)، وإذا كان المقطعي بينهما أوَّلاً سمي هابطا...وأما إذا كان غير المقطعي هو الأول سمي صاعدا. وتشتمل اللغة العربية على النوعين، فالهابط في مثل بيت، والصاعد في مثل يسر. وقد مالت اللغة العربية في تطورها إلى التخلص من النوع الأول، فقد انقلب في معظم اللهجات العربية الحديثة إلى صوت لين طويل، كما في نطق المصريين الآن لكلمتي (**بِيت وحُوض**) »[4].

وعليه فإننا نقسم أشباه الصوائت في اللغة العربية باعتبارات:

1- **باعتبار النوع إلى اثنين**؛ هما: الواو والياء، وهذا هو التقسيم العام.

---

(1) غالي،د.محمد محمود: أصوات اللغة، للدكتور عبد الرحمان أيوب (عرض كتاب)، ط.في (مج.المجلة، 114، ص ص 115-120)، د. أخبار اليوم، القاهرة، 1966، ص 118-119.

(2) أبركرومبي، ديفيد: مبادئ علم الأصوات العام، تر.د.محمد فتيح، ط1، مط.المدينة، [القاهرة]، 1988، ص 122. ظ.ن م: ص 34-36.

(3) ظ: أمنزوي، نظام الصوائت وأشباهها، ص 125.

(4) الأصوات اللغوية، ص89.ظ: عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص47. ظ: دراسة الصوت اللغوي، ص 354.

2 - **باعتبار الوظيفة إلى:**

أ - الواو والياء إذا سبقتا الصوائتَ؛ مثل: وَلد، وَالد، يَهب، يَانع، وِزر، يُسر.

ب - الواو والياء إذا ولِيَتا الصوائتَ؛ مثل الواو في: كَوْن، لَوْن، سَوْط. ومثل الياء في: بَيْت، كَيْف، شَيْء.

3 - باعتبار النبر إلى:

أ- فئة ينطق ثاني عنصريها كما تنطق أشباه الصوائت، ويبقى أولهما صائتا خالصا، ويقع النبر على هذا العنصر، وهي فئة **المزدوج الهابط** (أو المزدوج الحقيقي) مثل:

فتحة + ياء [aj] في بَيْت

فتحة + واو [aw] في كَوْن

ب- وفئة ينطق أول عنصريها كما تنطق أشباه الصوائت ويبقى الثاني صائتا خالصا، وعليه يقع النبر، وهي فئة **المزدوج الصاعد** (أو المزدوج المزيف) مثل:

ياء+ فتحة [ja] في يَذْهَب

ياء + كسرة [ji] في المقطع الأوسط من بُوِيعَ

ياء + ضمة [ju] في يُذْهِب

واو + فتحة [wa] في وَصْل

واو+ كسرة [wi] في وِصَال

واو + ضمة [wu] في وُجُوه[1].

5 - مخارج أشباه الصوائت:

يكمن فرق المخارج بين الصوائت الطويلة وأشباه الصوائت في شكل جهاز النطق عند إنتاج أي منها؛ فهو على ما رأيناه في إنتاج الصوائت[2]، ولو ارتفع اللسان قليلا حتى يصل إلى أن يحدث الهواء حفيفا طفيفا عند مروره لتحول الصائت إلى شبه صائت[3]. فدرجة ارتفاع اللسان مع نطق أشباه الصوائت مرْتبةٌ بين

(1) الأصوات اللغوية، ص89.ظ: استيتية، الأصوات اللغوية رؤية عضوية نطقية فيزيائية، ص233. ظ: المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص44.

(2) راجع مخارج الصوائت الطويلة في هذا البحث.

(3) ينظر: أنيس، الأصوات اللغوية 44، علم اللغة العام (قسم الأصوات) 170، محاضرات في اللسانيات 199.

الصوائت نزولا والصوامت صعودا؛ أو بالأحرى بين الصوائت الطويلة والصوامت. يقول إبراهيم أنيس:« فالياء والواو هما المرحلة التي عندها يمكن أن ينتقل الصوت الساكن إلى صوت لين» [1].

وعن دور الشفتين في إنتاج الواو والياء شبهي الصائتتين يقول الدكتور أحمد مختار عمر: « فإذا أضفنا إلى نطق ألـ (u) بروز الشفتين واستدارتهما فنحن نضيف حجرة رنين ثالثة، وبالتالي نطيل تجويف الفم، وفي نفس الوقت الذي نقلل فيه فتحته، ونحصل بذلك على علة خلفية مستديرة(w)، وكذلك يمكن أن تبسط الشفتان مع العلة الخلفية (i)، فينتج علة أمامية غير مستديرة (y)»[2].

6 -كيف تحدث أشباه الصوائت؟

1- الواو: تبدأ أعضاء النطق في اتخاذ الوضع المناسب لنطق نوع من الضمة (u)، ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى وضع صائت آخر. وتختلف نقطة البدء اختلافا يسيرا فيما بين المتكلمين وحسب الصائت التالي. تنضم الشفتان، ويرفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين، ويتذبذب الوتران الصوتيان[3].

2- الياء: تتكون الياء بأن تأخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق صائت من نوع الكسرة (i) ثم تنتقل منه بسرعة إلى موضع صائت آخر أشد بروزا. وهذا الانتقال السريع من الكسرة (i) هو الذي يكون الصامت المعروف بالياء. ونستطيع أن نصف بدء هذا الصوت بأن نقول إن وسط اللسان يرفع عاليا تجاه الحنك الصلب (وسط الحنك) وتكسر الشفتان، يسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين، يتذبذب الوتران الصوتيان[4].

نفهم من هذا أن نطق نصف الصائت يبدأ من منطقة صائت من الصوائت ثم ينتقل عضوا النطق به من ذلك الموضع بسرعة ملحوظة إلى مخرج صائت آخر، كأن يقال (يَرى) فيُبدأ بمخرج الياء من نطق الكسرة، ثم ينتقل النطق إلى مخرج حركتها وهي هنا الفتحة في زِنة يَفعل المبني للمعلوم. ومن ثم تكون مدة نطق نصف الحركة أقصر من مدة نطق الصائت (الحركة)[5].

يقترب نطق شبه الصائت من نطق الكسرة أو الضمة الطويلتين، ويكون الفرق بين شبه الحركة والحركة الطويلة في مدى ارتفاع اللسان واقترابه من الحنك الأعلى. فالفراغ بين مقدم اللسان والحنك الأعلى

---

(1) ينظر: أنيس، الأصوات اللغوية 44.

(2) دراسة الصوت اللغوي 130. ظ: أنيس، الأصوات اللغوية، ص 45.

(3) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (ص: 150).

(4) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (ص: 150).

(5) ظ: شاهين عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص41. ظ: كمال بشر، علم اللغة العام، ص 132. ظ: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص41.

أضيق مع الياء شبه الصائت منه مع الكسرة الطويلة، وبذلك تُحدث الياء هذا الحفيف (الاحتكاك) الذي لا تحدثه الكسرة الطويلة فيما بين اللسان والحنك، وكذلك يكون الفراغ بين مؤخر اللسان وأقصى الحنك عند نطق الواو وشبه الصائت أضيق منه مع نطق الضمة الطويل. ولعل هذا التقارب الشديد بين الياء والواو شبه الصائتين ونطق الحركتين الطويلتين (صوتي المد) هو السببُ الذي جعل علماء العربية يرمزون لشبهي الصائتين والصائتين الطويلين برمز كتابي واحد، وجعل علماءنا الأوائل يصِفون الواو والياء بصفتي المد واللين على أنهما صفتان تنشآن عن نطق صوت واحد ذي خصائص نطقية واحدة. ففي هذا التصنيف الصوتي ما يدل على دقتهم البالغة في تبيين أصوات لغتهم، حتى وإن كنا اليوم نستبين الفرق بين شبه الصائت والحركة الطويلة بفضل الأجهزة ذات التقنيات الحديثة[1].

7 - صفات أشباه الصوائت:

يختلف شبه الصائتين عن الأصوات الأخرى باتساع مخرجهما، وحرية مرور الهواء حتى وصفت باللينة عند القدماء، وتابعهم في ذلك الوصف المحدثون[2].

كما يصفهما المحدثون بأنهما انزلاقيان أو انحداريان أو انتقاليان، وذلك بالنظر إلى هيئة حركة اللسان حين النطق بهما، حيث ينزلق من موضع صائت إلى موضع صائت آخر[3].

فالواو "**w**" شبه صائت مجهور شفوي حنكي قَصي[4].

والياء "**y**" شبه صائت مجهور مكسور (غير مضموم) حنكي وسيط[5]. وقد ضمها علماء العربية إلى الجيم الجيم والشين، وسموها الأصوات الشجرية لتبينهم أنها من وسط الحنك[6].

---

(1) ظ: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص107-108. ظ: شاهين عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص185. ظ: شاهين عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص47-48. ظ: الفعل الناقص دراسة صوتية صرفية في ضوء نظرية العامل الفونولوجي المقطعي، جامعة أم القرى، رسالة دكتوراه، إعداد: ليلى عبد الله علي باوزير، إشراف: أ.د/ عليان محمد الحازمي، 1426هـ،

ص42-43.

(2) البحث الصوتي عند ابن السراج، ص66. ظ:الفصل الأول من هذا البحث- صفات حرفي اللين. ظ: الفصل الثاني من هذا البحث، صفات الصوائت الطويلة (صفة الجهر، اتساع المخرج...).

(3) ظ: أنيس، الأصوات اللغوية، ص 45.

(4) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (ص: 150)، ظ: بشر، كمال، علم اللغة العام، ص95-133.

(5) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (ص: 150).

(6) بشر، كمال، علم اللغة العام، ص 132-134.

ووصفهما الدكتور عبد الصبور شاهين بأنهما انطلاقيان (لينان)، وأنهما مجهوران، إلا في حالة خاصة، هي حالة الوقف على مثل: العفْو، والسعْي، حيث يمكن أن يتعرضا للهمس في هذا الموقع، وهو ما يقع أحيانا لحركات أواخر الكلمات في حالة ما سماه القدماء بالروم؛ وهي حالة من حالات الوقف[1].

8 - العلاقة بين الصوائت الطويلة وأشباه الصوائت:

يطلق كل من الواو والياء على مدلولين صوتيين مختلفين. فهما اسمان للواو والياء في نحو ندنو، نرمي nadnuu, narmii، وهما كذلك يدلان على الواو والياء، في مثل وهب، يهب: wahaba, yahabu، وقوم، بيت: qawm, bayt.

والواو والياء في الحالة الأولى حركتان خالصتان، ونعني بهما الضمة والكسرة الطويلتين، ومن ثم كانتا عنصرين أو مثالين من أمثلة الحركات اللغة العربية، أما في الحالة الثانية فيعرفان في الدرس الصوتي الحديث "بأنصاف حركات" semi-vowels، ولكنهما ينضمان -من وجهة النظر الوظيفية- إلى تلك المجموعة من الأصوات المعروفة بالأصوات الصامتة Consonants[2].

وقد أدرك علماء الأصوات المحدثون أن للواو والياء طبيعة مزدوجة، فمرة يكونان صائتين ومرة يكونان شبه صائتين. وما ذاك إلا لروابط وفوارق، نلخص أسسها فيما يلي:

1 - نظرا من زاوية فونيتيكية[3]، فإن أشباه الصوائت تقترب من الصوائت في صفاتها من حيث النطق الصرف، ولكنها في التركيب الصوتي للغة تسلك مسلك الأصوات الصامتة، ومن هناك كانت تسميتها بأنصاف حركات[4]. وعن الجانب النطقي يحدثنا الدكتور كمال بشر عن وجهة المحدثين في التفريق بين حالتي الواو والياء واختلافهم في ذلك فقال: «فالمعروف أن للواو والياء حالتين في العربية، فهما إما حركتان خالصتان، وإما صوتان صامتان أو بعبارة أدق نصفا حركتين. وقد حاول كثير من العلماء التفريق بين هاتين الحالتين على أساس صوتي محض، فهما عندهم من النوع الأول إذا خرجتا من الفم دون أن يقف في طريق الهواء حال النطق بهما أي عائق أو مانع، ولكنهما من النوع الثاني إذا ضاق مجرى الهواء بحيث يبقى مسار ضيق يسمح بمروره ولكن مع شيء من الصعوبة بحيث يحدث هذا الهواء احتكاكا مسموعا»[5]. ويفصل

(1) ظ: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص48.

(2) دراسات في علم اللغة (ص: 95).

(3) وتُعنى بالنطق وآثاره المادية والسمعية.

(4) الأصوات ص 171. ويسميها البعض أشباه الحركات. انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 42. ومحمود السعران: علم اللغة ص 197.

(1)الأصوات ص 173. وانظر أيضا ص 105-108. ظ: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص 283.

الأنطاكي فيرى أن الفرق بين الواوين والياءين الطويلتين ونظيرتيهما شبهي الصائتتين هو أن اللسان مع الثانية أكثر ارتفاعا منه مع الأولى، وهذا الارتفاع الزائد يضيق الفرجة في الفم ويؤدي إلى احتكاك الهواء وحدوث حفيف يجعل هذه الياء تسلك زمرة الصوامت لا الصوائت[1].

فالهواء الخارج من الرئتين عند نطقهما - وإن كان يخرج من وسط الفم- يقابله عائق من نوع ما، يضيق مجرى الهواء، بسبب اقتراب مؤخر اللسان من أقصى الحنك مع الواو، ومقدمه من مقدم الحنك عن النطق بالياء. وبذلك فقدنا بعض سمات الحركات الخالصة التي تتمثل في الحرية الكاملة للهواء عند نطقهما، فشابهتا الأصوات الصامتة، وأصبحتا مرشحتين لانضمامهما. ولكن أصحاب هذا الرأي الذي يفرق بين الحالتين على أساس نطقي صرف أدركوا أن مجرى الهواء -وإن ضاق عند نطقهما في هذه الحالة- لم يصل إلى درجة الضيق التي نلاحظها عند نطق الأصوات الصامتة. ومن ثم رأوا في النهاية تسميتهما أنصاف حركات semi-vowels وأجازوا أيضا تسميتهما أنصاف أصوات صامتة semi-consonants، لشبههما نطقا بالفئتين: الحركات والأصوات الصامتة، وإن كان الشائع في الأوساط اللغوية في مجملها إطلاق المصطلح "أنصاف الحركات" على هذين الصوتين[2].

ويتبين الفرق بين الواوين والياءين من حيث المخارج أيضا؛ حيث أن أشباه الصوائت يحتاج نطقها إلى جهد عضلي أكثر من الصوائت»[3]. وحقيقة الأمر أن الأعضاء العاملة في إنتاج أشباه الصوائت هي نفسها العاملةُ في إنتاج الصوائت؛ إلا أن اللسان في نطقه لشبهي الصائتين أكثر ارتفاعا منه مع الصوائت، كما أن الشفتين مع الواو شبه الصائتة أكثر استدارة بالنسبة إلى الواو الصائتة، وهما مع الياء شبه الصائتة أقل انبساطا وأكثر انفراجا منهما مع الصائتة[4]، وهذان الرسمان يوضحان ما سبق:

(1) الأنطاكي محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، (دت)، ج01، ص 36، مع تصرف في المصطلحات المستخدمة.

(2) كمال بشر، دراسات في علم اللغة (ص: 95).

(3) فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، رسالة دكتوراه، عين شمس، مصر، 1983م، ص 424-425.

(4) زيد خليل القرالة، الحركات في اللغة العربية، دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2004، ص 18.

مقارنة هيئة اللسان والشفتين عند نطق الكسرتين:الصائتة وشبه الصائتة

مقارنة هيئة اللسان والشفتين عند نطق الضمتين: الصائتة وشبه الصائتة

/au/ ـَوْ /u:/ ـُو

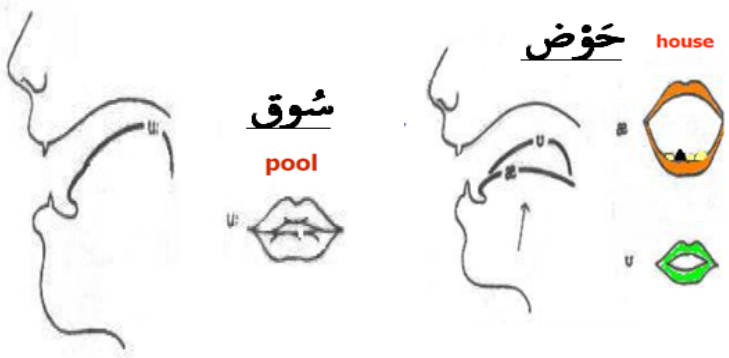

2- أما إذا نظرنا من زاوية فونولوجية توجه اهتمامها نحو: الوظيفة اللغوية لهذه الأصوات في التركيب الصوتي للغة العربية ودورهما في البناء اللغوي الواقعي. فإننا نجد أنهما حركتان خالصتان في نحو: "أدعو، أرمي" لوقوعهما موقع الصوائت، واستحالة ضمهما إلى الأصوات الصامتة، على عكس ما يحدث لهما في نحو "وَعد، يَعِد" إذ جاءتا متلوتين بالحركات الممثلة في الفتحة في المثالين.

والواو والياء صوتان صامتان خالصان في نحو المثالين الأخيرين لوقوعهما موقع الأصوات الصامتة وجواز التبادل معها في كل مواقعها. ففي حال التبادل نقول "نَعد، تَعد" بالنون في الأولى، والتاء في الثانية. ولا يمكن هنا أن نصنفهما صوائت بحال، لأنهما متبوعتان بحركات، ومن المقرر -ويشهد له واقع اللغة- أنه لا يجوز اجتماع حركتين متتاليتين في أي موقع من مواقع الكلمة في اللغة العربية. كما أن وقوعهما في أول الكلمة، وإصابتهما بالتضعيف يمنعان انضمامهما إلى زمرة الصوائت.

ومثل ذلك الواو والياء إذا وقعتا ساكنتين مسبوقتين بفتحة في نحو: "حَوْض و بَيْت"؛ فهما صوتان صامتان وظيفيا، ودليل ذلك ظهورهما في تصرفات الكلمة كما في نحو "أحواض، أبيات" حيث تحققت طبيعتها، وهي كونها أصواتا مستقلة، وهما في هذا الاستقلال رشحتا نفسيهما لحسبانها صوتين صامتين، إذ قد أتبعتا بحركة وهي الفتحة الطويلة "الألف"، كما هو واضح من المثالين المذكورين. ولكن هذا الذي نقول لا يمنعنا من إطلاق الاسم الشائع عليها وهو "أنصاف حركتين"، اتباعا للتقاليد الجارية، ولشبهة التقارب في الأداء النطقي بين حالتيها.

ويرى تمام حسان أن حروف العلة (الصوائت) لا تقبل تحريكًا ولا إسكانًا، وتتفرع عن ذلك أمور:

أ- أن الياء والواو تحتسبان حرفي لين في نظام الأصوات العربية، وهذه الكلمة قريبة الدلالة جدًّا من الاصطلاح الغربي Seme-vowels.

ب- إن هذه التسمية لا تنفي أن اعتبارهما في التحليل قد يختلف بين اللين أحيانًا وبين المد أحيانًا أخرى، فحين تكونان موضع إعلال فتبدوان في صورة الألف أو الواو أو الياء تعتبران لينًا، ولكنهما حين تكونان من زيادات الصيغة كما في واو مفعول، وياء فعيل، فإنهما تعتبران حرفي مد مثلهما في ذلك مثل الألف من كتاب، وهما في هذه الحالة من قبيل الحركات الطويلة[1].

وأخيرا؛ يلخص الدكتور أحمد مختار عمر الفرق بين الواوين والياءين فيما يلي:

1 - قلة وضوح شبه الصائت مقارنة مع الصائت.

2 - ضيق المجرى مع شبه الصائت مقارنة مع الصائت.

3 - اختلاف الخواص الوظيفية لكل منهما؛ فشبْها الصوائت يقومان بدور الصوامت، والصائتان مستقران في أداء وظيفتهما الصائتية[2].

(1) ظ: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها (ص: 70). ظ: دراسة الصوت اللغوي، ص330.

(2) دراسة الصوت اللغوي، ص330.

المبحث العاشر: أهمية الصوائت العربية

وتتجلى أهمية الصوائت إذا تتبعنا الوظائف المسندة إليها، والتي تعتبر في غاية الأهمّية، وهي متعدّدة بحسب المستويات اللغوية، ونحن نأتي عليها كما يلي:

1 - على المستوى الصّوتي:

أ – **تقوم الصّوائت بدور الوصل بين صوامت الكلمة الواحدة**، أو بين صوامت الكلمتين سواء كانت حركة إعراب أو بناء، إذ تقوم بتجميع الصّوامت مع بعضها البعض لتأليف الكلام أولاً، ثم تقوم بإعطائها قوة على الإسماع. يقول الدكتور أحمد مختار عمر: « ويعتمد كل من العلل والسواكن على الآخر، فالسواكن تفصل العلل، والعلل تمكن أجهزة النطق من الانتقال من وضع ساكن للذي يليه، وأكثر من هذا فنحن نعتمد على العلل -إلى حد ما- لنسمع السواكن» [1].

ويؤكد أ. د/ عبد الرحمن الحاج صالح أن للحركة دورين مهمين جدا تنفرد بهما هي وحدها دون الحروف التوامِ (الجامدة منها واللينة) وهو تمكين الناطق من إحداث الحرف أولاً وتمكينه ثانيا من الانتقال من مخرج حرف إلى مخرج حرف آخر.وهذا الذي قاله الروماني مهم جدا لأن النظرية الصوتية العربية بنيت كلها على هذه الرؤية الحركية. وبذلك نستطيع أن نفهم لماذا سميت الحركة حركة ونفهم أيضًا الكثير من الظواهر الصوتية.

إلا أن إبراهيم أنيس أخذ فكرة الوصل -كما فهمها القدماء- ونفى بها الوظائف النّحوية للصّوائت، حيث قصر مجيء الحركة الإعرابية على التخلّص من التقاء السّاكنين، وأنّ صوائت أواخر الكلمة لم تكن تفيد تلك المعاني التي ذكرها النّحاة من فاعلية ومفعولية وغير ذلك، وإنّما هي صوائت دعا إليها نظام المقاطع وتواليها في الكلام الموصول[2]. يقول د/إبراهيم أنيس «لم تكن تلك الحركات الإعرابية تحدد المعاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة بل لا تعدو ان تكون حركات يحتاج اليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها لبعض» [3].

وهي فكرة سبقه إليها قطرب حين قال: « وإنّما أعربت العرب كلامها لأنّ الاسم في حال الوقف يلزمه السّكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسّكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج، فلمّا وصلوا وأمكنهم التّحريك، جعلوا التّحريك معاقباً للإسكان، ليعتدل الكلام... » [4].

ويبدو أنّه لا تعارض في أن تقوم هذه الصّوائت بدور الوصل بين صوامت الكلمة الواحدة، أو بين صوامت الكلمتين سواء كانت حركة إعراب أو بناء، وفي نفس الوقت تتكفّل بالتّفريق بين الأبنية المختلفة،

(1) دراسة الصوت اللغوي، ص 136.

(2) من أسرار اللغة، د إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة)، مصر، ط3، 1966م، ص: 183..

(3) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج 1، بيت الحكمة، 1987م، ص 25.

(4)الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، (بيروت)، لبنان، ط3، 1979م، ص: 70-71.

وتكون علامة إعرابية لها وظائف نحوية في التّركيب، على أن يقدّم الإعراب (المعنى) أولاً؛ لأنّ المتكلم لو كان مخيّراً فيها لأجزأه أيّ صائت يختاره.

ب – كما أن الصوائت موجودة في كلِّ مقطع من المقاطع المؤلفة للكلمة في العربية حيث تمثّل النواة، وأنّ عددها يكفيك لمعرفة عدد المقاطع، إضافة إلى الوظائف الصّرفية والنّحوية التي تضطلع بها، كلّ هذا جعلها أشيع الأصوات اللغوية في العربية. والذي ساعد على هذا الشيوع وتحمّل كلّ هذه الوظائف هو تناسبها مع قانون السهولة واليسر، لأنّ نطق الصّائت أسهل من نطق الصّامت، حيث لا يحتاج الصّائت إلى حبس تيار النّفس أو إعاقته كما لا يحتاج إلى مكان نطق محدّد.

فالصوائت تشارك في تكوين كلِّ مقطع من المقاطع المؤلّفة للكلمة في العربية حيث تمثّل النواة، وعددها يكفيك لمعرفة عدد المقاطع. وهذا ما دعا المحدثين إلى تقسيم الكلمة إلى مقاطع بحسب مواقع أصوات المد فيها، والقول بأن الكتابة بدأت مقطعية قبل أن تكون هجائية، بناءً على إمكانية تحليل الكلام غير المفهوم إلى مقاطع لا إلى كلمات [3]، وتعريف المقطع بأنه: «مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي» [4]، وتقسيمه إلى خمسة أقسام هي:

1 - المقطع القصير المفتوح، وهو ما تكون من صامت ومصوت قصير، ص + م. مثاله: الكاف والحركة التي تعقبه من كلمة (كَتَبَ) وكذلك التاء والحركة والباء والحركة، (ك –َ/ت –َ/ ب –َ).

2 - المقطع الطويل المقفل، وهو ما تكون من صامتين يتوسطها مصوت قصير ص + م + ص. مثاله: كلمة (من) (مـ –ِ ن)، و(بَل)، (بـ –َ ل).

3 - المقطع الطويل المفتوح وهو ما تكون من صامت ومصوت طويل ص + م + م. مثاله: كلمة (ما) (مـ –َ –َ)، و(يا) (يـ –َ –َ).

4 - المقطع المديد المقفل بصامت، وهو ما تكون من صامتين ومصوت طويل وانتهى بأحد الصامتين ص + م + م + ص. مثاله: كلمة (كانْ) (كـ ـَ ـَ نْ)، و(راحْ) (ر ـَ ـَ حْ).

5 - المقطع المديد المقفل بصامتين، وهو ما تكون من ثلاثة صوامت ومصوت قصير واحد ص + م + ص + ص مثاله: كلمة (كرب) (كـ ـَ رْبْ)، و(فَضْلْ)، (فـ ـَ ضْ لْ) [1].

إن الصوائت إن كان لا يبدأ بها المقطع العربي فهي لا شك مركزه؛ حتى لتبدو من خلالها صلات معينة بين الكمية وبين النبر والتنغيم، ومن ثَمَّ تعتبر الصوائت العناصر الضرورية في بناء نظامي النبر في الصرف والتنغيم في النحو [1]. ومن هنا يمثل المقطع مرحلة وسيطة بين الصوت المفرد والكلمة المركبة من عدة أصوات

(3) ينظر: الوجيز في فقه اللغة، ص 240.

(4) المنهج الصوتي للبنية العربية ص38.

(1) ينظر الوجيز في فقه اللغة 242، المنهج الصوتي للبنية العربية 40، فصول في فقه العربية 194.

(1) حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها (ص: 72).

[2] على أن هناك كلمات ذات معنى لا تتعدى في بنيتها المقطع الواحد؛ كما في الأمثلة السابقة. ولعل لهذه النظرة أصولا عند العرب أنفسهم ؛ قال سيبويه: «وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه»[1]. وعليه نلحظ أن نظرة علماء العربية إلى أصوات المد لا تختلف عن نظرة المحدثين، فالفونيمات توجه المعنى وتخصصه، ولا توجد كلمة تخلو منها في بنيتها، سواء تألفت من مقطع واحد أو أكثر.

2 – على المستوى الصّرفي:

نهج علماء اللغة المحدثون في حديثهم عن دور أصوات المد في بناء الكلمة منهجا يتفق في أكثر جوانبه ـ إن لم نقل في جميعها ـ على أن للصوائت – سواء كانت قصيرة أو طويلة – دورا هاما في تحديد وتغيير الدلالة حسب ما تأخذه الكلمة من شكل[2]، وبالتالي تحديد المعنى الذي يعطيه هذه الشكل الجديد، فالصوامت تحمل المعنى الأصلي للكلمة، وأصوات المد تُظهِر هذا المعنى وتبرزه. فالصوامت تمثل الجانب الثابت الذي يؤلف هيكل الكلمة، وتمثل هي الجانب المتغير الذي يحدّد صيغتها ويمنحها معناها، وبذلك تزداد قيمتها باعتبارها العامل الحاسم في إنشاء الكلمة العربية[3].

فالصوائت تتكفّل بالتّفريق بين الأبنية المختلفة التي تدلّ على المعاني النحوية المتنوعة كالفاعلية والمفعولية والإضافة، أو على كون الاسم عمدةً أو فضلةً.

فمادة لغوية مثل (ك. ت. ب) تمثل عنصراً ثابتاً يمكن إجراء التحويرات عليها من خلال (أصوات المد)، للحصول على معان إضافية جديد مثل: (كَتَبَ، كُتِبَ، كِتاب، كُتُب، كاتب، مكتوب، كُتّاب...الخ)، فهي هنا تمثل العامل الحاسم في التفريق بين كل شكل[4].

فالصوائت العربية تؤدي **وظيفة الزوائد في الصيغ** القياسية لاشتقاق الألفاظ من الجذور المعجمية الثلاثية والرباعية والخماسية، والزوائد إما صوائت قصيرة أو طويلة ترد في الميزان الصرفي كما ترد في

---

(2) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية 38.

(1) سيبويه 4،75: 241-242 ؛ السيرافي 83: 586.

(2) راجع للفائدة الكتبَ الآتية على سبيل المثال لا الحصر:

1 - الشكل والدلالة، دراسة نحوية للفظ والمعنى، د. عبد السلام السيد حامد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م.

2 - العلاقة بين المعنى والإعراب في الدرس النحوي، د. محمد سعيد الغامدي، قسم اللغة العربية، جامعة الملك عبد العزيز، نشر مجلة جامعة الطائف للآداب والتربية.

3 - عادل محلّو، الصّوت والدّلالة في شعر الصعاليك، تائية الشّنفرى أنموذجا، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ.د :سعيد هادف، أ.د :عبد القادر دامخي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم اللغة العربيّة وآدابها، 2006-2007.

4 - دلالة الضمة في القرآن الكريم، دراسة وصفية تحليلية، صالح محجوب التنقاري.

(3)ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، د عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، (بيروت)، 1980م، ص: 43.

(4) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، 178 – 179، المنهج الصوتي للبنية العربية 43.

الألفاظ الموزونة، ويقوم بهذه الوظيفة كل صوائت العربية. والتحويلات الداخلية في الكلام لا تتم إلا بوساطة أصوات المد، وهذه التحويلات هي التي تعزى إليها الدلالات، وبعبارة أخرى؛ إذا كانت البنية تتألف من الصوامت وأصوات المد، فإن أصوات المد هي مصدر الدلالة، وأي تغيير فيها يؤدي إلى تغيُّر في الدلالة[1].

- فأصوات المد القصيرة مثلاً تجعل الميزان الصرفي (فعل) مختلفاً من الفعلية إلى الوضعية وإلى الاسمية؛ وذلك في نحو (فَعَلَ، فَعِل، فِعْل)، وأنها أيضاً تغير دلالة اللفظة في كثير من الأحيان. إذ تتغير فاء الكلمة بصورتين أو ثلاث فيتغير معناها تبعاً لذلك كما في (الحَزْن) و (الحُزْن)[2] فالأول ما ارتفع من الأرض، والثاني نقيض السرور، وكما في (البَرّ) و(البِرّ) و(البُرْ)[3]؛ فالأول يعني اليابسة أو ما يقابل البحر، والثاني يعني الإحسان، والثالث يعني الحنطة، وهو ما يعرف عند القدماء بمثلَّث الكلام.

أما أصوات المد الطويلة فتعمل في تغيير الصيغة الصرفية في مثل: فعل، فعال، فعول، فعيل فدخول هذه الأصوات الطويلة ما بين فاء (فعل) وعينها، أحدث تغييراً حرفياً فدخول الألف أدى الى حدوث صيغة اسم الفاعل وهو القائم بالفعل ودخول الواو والياء أدى الى حدوث صيغتي مبالغة لاسم الفاعل.

على أن جمهور المحدثين على إنكار الصلة بين الأصوات ومدلولاتها في أكثر ألفاظ اللغة، والمراد إنكار الصلة الطبيعية لا عموم الصلة، لأن بينهما صلة عرفية، مع التسليم بأن فيها معانيَ تتطلب أصواتا خاصّة[4].

وأما ما يستشعره أهل اللغة من صلة بينهما فأمر مكتسب لا ذاتي، «نشأ بعد معرفة السامع بالمعنى لا قبله، ولذلك يصعب- بل يتعذر- على الأجنبي أن يحسّ بشيء من هذا التناسب الدلالي الصوتي ما لم يكن على معرفة باللغة، على حين أنه إذا عرف من هذه اللغة أو تلك كلمات كثيرة، وألف طريقة تركيبها، وتذوّق أصواتها- أخذ يربط بين جرسها ومعناها، اكتسابا من سيرورة الاستعمال لا استنتاجا من صلات طبيعية بين كلّ حرف وما يدلّ عليه من معان في حال الإفراد والتركيب»[5].

---

(1) ينظر: المستوى الدلالي في كتاب سيبويه، الدكتور نوزاد حسن احمد. مجلة المورد مج 28 – ع3 ـ 1421 هـ – 2000 م، ص 67.

(2) الأصوات اللغوية: 54.

(3) ينظر: فقه اللغة العربية: 49.

(4) ظ: ربيع بن هادي عمير المدخلي، نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم، ص44.ظ: من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 3، 1966 م، ص 129 - 130؛ ودلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 6، 1991 م، ص 68 - 74؛ ودور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة: د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط 12، 1997 م، ص 89 - 90؛ والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: د. النعيمي، 291 - 292.ظ: ربيع بن هادي عمير المدخلي، نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم، ص44.

(5) مدخل إلى فقه اللغة العربية: د. أحمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1999 م، ص 202؛ وانظر دلالة الألفاظ: 71.

3 - على المستوى التركيبي:

أما الوظيفة النحوية لهذه الأصوات فهي بتحويل الكلمات العربية الداخلة في جملة إلى كلام متصل غير منقطع، فضلاً عن تأديتها وظيفة التمييز بين المواقع النحوية أو الفصائل النحوية فهي تمثل علامات الإعراب[1].

نستطيع القول إذاً أن أصوات المد العربية القصيرة تمثل ثلاث علامات أعرابية في دلالتها على المواقع النحوية، فالعرب استعملوا الضمة علامة على فكرة (الإسناد)، والكسرة علامة على فكرة (الإضافة)، والفتحة علامة على أن الموقع ليس موقع أسناد أو أضافة[2]. كذلك استعملت المغايرة عن طريق اختلاف أصوات المد أيضاً للتفريق أو التمييز بين ثلاثة أنواع من ضمير الفاعل المتصل، فـ (تُ): في أكلت: ضمير الفاعل المتكلم (الشخص الأول)، و (تَ): في أكلت: ضمير الفاعل المخاطب المذكر (الشخص الثاني)، و (تِ): في أكلت: ضمير الفاعل المخاطب المؤنث (الشخص الثاني) كذلك نلاحظ ورودها في تحويل الفعل من المبني للمعلوم إلى البناء للمجهول.

كذلك لا يفوتنا ذكر الأصوات الطويلة ووظيفتها في الدلالات النحوية فتتم المغايرة في الجمع والمثنى بين حالتين الأُولى تضم المرفوعات والعلامة الأعرابية فيها هي الواو في الجمع والألف في المثنى والحالة الثانية تضم المنصوبات والمجرورات والعلامة الأعرابية فيها هي الياء في الجمع والمثنى[3].

يشير الأستاذ إبراهيم مصطفى إلى أن الحركات دوالٌّ على المعاني، بل إن من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني[4]. والحركات هي علامات الإعراب، وهي في العربية ثلاث: الرفع والجر والنصب، وقد اعتدت العربية بالأولَيْن اعتداداً خاصاً فجعلت الرفع علماً للإسناد، والجر علماً للإضافة، أما النصب فعلم لما ليس بإسناد ولا إضافة[5]. وتتوزع مهام الصوائت من حيث العلامة الإعرابية على ما يأتي:

– **الرفع:** وله أربع علامات؛ ثلاثة منها صوائت: الضمة والواو والألف؛ **فالضمة** في الاسم المفرد وجمع التكسير وجمع المؤنث السالم والفعل المضارع المجرد من ألف الاثنين وواو الجماعة وياء المخاطبة، **والواو** في جمع المذكر السالم والأسماء الستة، **والألف** في المثنى.

– **النصب:** وله خمس علامات؛ أربعة منها صوائت: الفتحة والكسرة والألف والياء؛ **فالفتحة** في الاسم المفرد وجمع التكسير والمضارع المجرد من الألف والواو والياء، **والكسرة** في جمع المؤنث السالم، **والألف** في الاسماء الستة، **والياء** في المثنى وجمع المذكر السالم.

---

(1) ينظر: فقه اللغة العربية: 38.

(2) ينظر: احياء النحو: 50.

(3) ينظر: الأصوات اللغوية: 56.

(4) إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م، ص 120-123.

(5) مهدي المخزومي، في النحو العربي (نقد وتوجيه) بيروت، بلا ت، ص67.

– **الجرّ**: وله ثلاث علامات كلها صوائت: الكسرة والفتحة والياء ؛ فالكسرة في الاسم المفرد وجمع التكسير وجمع المؤنث السالم، والفتحة في الاسم الممنوع من الصرف، والياء في المثنى وجمع المذكر السالم.

المبحث الحادي عشر: أصوات المد العربية في الكتابة الصوتية الدولية

انتقد علماءُ اللغة المحدثون المتقدمين من علماء اللغة والتجويد تأصيلهم وتقعيدهم للكتابة العربية من وجوه، نذكر منها ما يخص الصوائت:

1 - أن المتقدمين عمدوا إلى تحميل الصامت المسبوق بصائت طويل حركة أخرى قصيرة ؛ كالفتحة على ميم رمَى، وفوق قاف قَال، وعدوا ذلك خلطا لا تقبله الدراسة الصوتية الحديثة، لأن القاف متحركة بالفتحة الطويلة بعدها، وكذلك الميم. لأن الفتحة الطويلة التي أخذت هنا صورة الألف تساوي فتحتين قصيرتين، وليس بمعقول أن تسبقها فتحة ثالثة، لأننا ننطق في الواقع فتحتين لا غير.

2 - ليس بوسع الرموز الكتابية العربية الآن أن تفي بغرض التمثيل الصوتي الكتابي المؤهل للارتقاء إلى درجة الدولية، وذلك نظرا لتماثل رمزي الفتحة والكسرة القصيرتين على صورة خط صغير (َ، ِ)، واتحاد موقع الفتحة والضمة القصيرتين فوق الصامت، مع ملاحظة عدم التوازن في الحجم الصامت وحركته.

3 - استغناء الكتابة العربية الحالية في كثير من الأحيان عن رموز الصوائت القصيرة، مع التزامها بالكتابة المتشابكة.

4 - اشتراك عدد من الأصوات في الرمز الكتابي الواحد؛ كالاشتراك الذي بين الواوين والياءين الصائتتين وشبهي الصائتتين.

5 - تعدد الصور الكتابية للصوت الواحد، كأشكال الفتحات الطويلة ما بين مقصورة وممدودة، ومثبتة ومحذوفة[1].

كل ذلك سلب الكتابة العربية القديمة صلاحيتها لتمثيل أصواتها إلى حد يصل بها إلى حيز الدولية، ولأجل ذلك كله اعتمد المحدثون في التمثيل الصوتي لأصوات العربية على الرموز الصوتية الاستشراقية في كتابة الأمثلة، وإجراء كل تحليل للصيغ، تيسيرا للعمل، وقصدا إلى الإفهام بقدر الإمكان، وتسجيلا لكل العناصر النطقية، كما هي في الواقع[2].

(1) ظ: جهود العلماء في إصلاح الكتابة العربية، د. زهير غازي زاهد، مجلة الذخائر، العدد 09، شتاء- 1422هـ، 2002م، ص38.
(2) ظ: المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، ص37.

وهذه هي رموز الصوائت المقابلة للكتابة العربية[1]:

الصوائت القصيرة	رمزها	الصوائت الطويلة	رمزها	رموز أخرى	
الفتحة	a	الفتحة	aa	a:	ā
الكسرة	i	الكسرة	ii	i:	ī
الضمة	u	الضمة	uu	u:	ū

واقترح مجموعة من الدكاترة[2] نظام ترميز جديد لأصوات اللغة العربية يعتمد على المكونات الآتية:

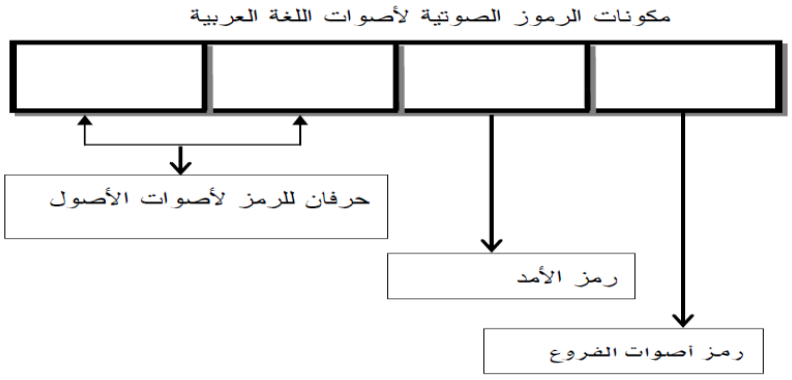

(1) ظ: المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، ص37. ظ: حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، منشورات دار الزهراء، (د. ت)، ص153.

(2) هم: د .منصور بن محمد الغامدي، أ .عبد الله الأنصاري، د .يحيى محمد الحاج، د.محمد بن إبراهيم الكنهل. في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ظ: نظام ترميزي جديد لكتابة أصوات اللغة العربية، وهي ورقة مدعومة من قبل مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. وانظر: الألفبائية الصوتية الدولية و الحرف الروماني، د .منصور بن محمد الغامدي، مركز علوم وتقنية الأصوات، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض، 1424هـ.

واعتمادا على المكونات السابقة خرج تمثيلهم للصوائت العربية على النحو التالي:

رموز الصوائت العربية الأصول القصيرة والطويلة				رموز أشباه الصوائت			
القصيرة		الطويلة		القصيرة		الطويلة	
رمز الكتابة	الرمز الصوتي	رمز الكتابة	الرمز الصوتي	رمز الكتابة	الرمز الصوتي	رمز الكتابة	الرمز الصوتي
ـَ	as10	ـَا	as20	و	ws10	و	ws20
ـِ	is10	ـِي	is20	ي	ys10	ي	ys20
ـُ	us10	ـُو	us20				

هذا من حيث الصوائت العربية الأساسية؛ أما الفروع فهي عندهم كالتالي:

رموز الصوائت العربية الفروع			
الصوت	الكتابة	الخاصية	الرمز
الفتحة	ـَ	مرقق	as11
		مفخم	as12
	ـَا	مستعلي	as13
		ممال	as16
الكسرة	ـِ	مرقق	is11
		مفخم	is12
	ـِي	مستعلي	is13
الضمة	ـُ	مرقق	us11
		مفخم	us12
	ـُو	مستعلي	us13

وهي رموز صوتية مقترحة ضمن مشروع أدلى به الأساتذة، يتمثل في برنامج حاسوبي يسهّل عملية الكتابة الصوتية، وقد وقع ذلك في ظروف يعبر عنها الغامدي بقوله: « وأدق كتابة صوتية للكلام هو ما كان بالألفبائية الصوتية الدولية، **International Phonetic Alphabet (IPA)**،إلا أن هذه الرموز عسيرة على غير المتخصصين في الصوتيات، إضافة إلى كونها لا تتوافق مع كثير من البرمجيات الحاسوبية مما يجعلها قليلة الفائدة لاستخدامها في نظم حاسوبية كالتعرف الآلي على الكلام. وقد تم تصميم رموز أخرى بديلة تسمى **سامبا** / **SAMPA Speech Assessment Methods Phonetic Alphabet**/، وقد استفيد من هذه الرموز في الكتابة الصوتية في عدة قواعد بيانات للغات الأوربية، إلا أنها لا تغطي جميع أصول وفروع أصوات اللغة العربية»[1].

لكن متاهة الخلاف والاختلاف -كعادتها- لا تنتهي، وفي كل مرة تتراءى بوادر اقتراحات لا تسلم حتى هي من الانتقاد، وظلت قضية الكتابة وإصلاحها في أخذ ورد وجدل ومشروعات متضاربة، تُقَدّم في أكثر من دورة من دورات مجمع اللغة في القاهرة. وفي سنة 1941م قدم علي الجارم مشروعه، ومن بعده عبد العزيز فهمي سنة 1943م، لكن المشروعين رُفضا لعدم صلاحها. ثم أعلن المجمع عن مسابقة بهذا الشأن قرر فيها جائزة لأحسن مشروع إصلاح للكتابة العربية، لكن لجنة دراسة المقترحات رفضت ما يقرب من 200 مشروعا لعدم صلاحها[2]. وظلت المحاولات هكذا لكن من غير الوصول إلى نتيجة.

(1) منصور بن محمد الغامدي وآخرون. نظام ترميزي جديد لكتابة أصوات اللغة العربية، وهي ورقة مدعومة من قبل مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. وانظر: الألفبائية الصوتية الدولية و الحرف الروماني، د .منصور بن محمد الغامدي، مركز علوم وتقنية الأصوات، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض، 1424هـ.

(2) ظ: جهود العلماء في إصلاح الكتابة العربية، د. زهير غازي زاهد، مجلة الذخائر، العدد 09، شتاء- 1422هـ، 2002م، ص41-42.

الفصل الثالث

الظّواهر الصوتيّة الكمّيّة الخاصّة بأصوات المد

المبحث الأول: مفهوم الظواهر الصوتية الكمية

1 - مفهوم الظواهر:

أ - الظواهر لغة:

جاء في اللسان: « ظَهَر الشيءُ بِالْفَتْحِ، ظُهُوراً: تَبَيَّن. وأَظْهَرْتُ الشَّيْءَ: بَيَّنْته... والظاهِرُ: خِلَافُ الْبَاطِنِ؛ ظَهَرَ يَظْهَرُ ظُهُوراً، فَهُوَ ظَاهِرٌ وظهِير...وَقَالَ ابْنُ الأَعرابي: قُرَيْشُ **الظواهِرِ** الَّذِينَ نَزَلُوا بظُهور جِبَالِ مَكَّةَ، قَالَ: وقُرَيْشُ البِطاحِ أَكرمُ وأَشرف مِنْ قُرَيْشِ الظَّوَاهِرِ، وَقُرَيْشُ الْبِطَاحِ هُمُ الَّذِينَ نَزَلُوا بِطَاحَ مَكَّةَ»[1].

ولعل معنى الظواهر الصوتية استُلَّ من هذا المعنى ، فهي خروج عن الأصل؛ والفرق بين الظواهر والأصول كالفرق بين قريش البطاح (وهُم الأصل والأكرم) وقريش الظواهر، وكذلك فإن الظواهر الصوتية ظاهرة غير خفية على السامع.

ب - الظواهر اصطلاحا:

والمقصود بالظواهر في اصطلاح اللسانيين هو أشكال التبدلات الصوتية التي تطرأ على الكلام، سواء على مستوى القراءات القرآنية، أو على مستوى لهجة من اللهجات، وهذه الظواهر الصوتية تحدث في القراءات القرآنية على نحو من التأصيل والتقعيد العلمي، أما في اللهجات فهي في الغالب لا شعورية، يأتيها المتكلم منساقا بعاداته النطقية التي اكتسبها من والديه ومن محيطه اللغوي، كما أن هذه الظواهر الصوتية عبارة عن فروق نطقية مختلفة لصوت واحد لا تؤثر على حقيقة الصوت ذاته، فهي تلوينات صوتية ليس لها أية وظيفة لغوية، وأهم من ذلك أن هذه الفروق لا تؤثر في المعنى، لا في الإفراد ولا في التركيب[2].

كما لاحظ علماء اللغة « أن أصوات أي لغة من اللغات لا حد لها في واقع الأمر، وأن ما نسميه صوتاً واحداً قد يتردد هو نفسه في كلمة من الكلمات أكثر من مرة، ولكنه لا ينطق بنفس الصورة في كل مرة»[3].

إن أنظمة اللغة ساكنة صامتة تُنشِد لنفسها الاطِّراد وتسعى إلى الإطلاق، شأنها شأن كل نظام آخر. كما أن الكلام هو التطبيق العملي على نظام اللغة، فهو ديناميكي متحرك، شأنه في ذلك أيضًا شأن كل تطبيق على أي نظام، فهو نظام فرعيّ يؤيد النظام الأصلي ولا يطعن فيه.

والظواهر اللغوية متعددة يمكننا أن نذكر منها: ظاهرة التأليف، وظاهرة الوقف، وظاهرة المناسبة، وظاهرة الإعلال والإبدال، وظاهرة التوصل، وظاهرة الإدغام، وظاهرة التخلص، وظاهرة الحذف، وظاهرة الإسكان، وظاهرة الكمّية، وظاهرة الإشباع والتضعيف، وظاهرة النبر، وظاهرة التنغيم.

---

(1) لسان العرب (4/ 523-524-527).

(2) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، ص54.

(3) المدخل إلى اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب 86.

وهذه الظواهر تُستَجْلَب إما كراهة لتوالي الأضداد، وإما كراهة لتوالي الأمثال. أما كراهية التنافر أو كراهة توالي الأضداد فلأنه ينافي الذوق العربي، وأما كراهية التماثل أو كراهة توالي الأمثال فلأنه يؤدي إلى اللبس. فإذا أحبت اللغة العربية التخالف فذلك لأنه يعين على أمن اللبس بواسطة ما يهيئه من المقابلات أو الفروق بين المتخالفين، أي: بواسطة استخدام القيم الخلافية التي أشرنا إليها من قبل، وإذا أحبت العربية التماثل فلأن ذلك يتماشى مع الذوق العربي[1].

2 - مفهوم الصوت:

أ - الصوت لغة:

والصَّوتُ لغة هو الجَرْسُ...والجمعُ أَصْواتٌ. وَقَدْ صاتَ يَصُوتُ ويَصاتُ صَوتاً، وأَصاتَ، وصَوَّتَ بِهِ: كلُّه نادَى. وَيُقَالُ: صَوَّتَ يُصَوِّتُ تصْويتاً، فَهُوَ مُصَوِّتٌ، وَذَلِكَ إذا صَوَّت بِإنسانٍ فَدَعَاهُ. وَيُقَالُ: صاتَ يَصُوتُ صَوتاً، فَهُوَ صَائِتٌ، مَعْنَاهُ صَائِحٌ. قال ابْنُ السكيت: الصوتُ صوتُ الإنسان وَغَيْرِهِ[2].

ب - الصوت اصطلاحا:

فالصوت « هو ذلك الذي نسمعه ونحسه أما الحرف فهو ذلك الرمز الكتابي الذي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين أو مجموعة من الأصوات لا يؤدى تبادلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى»[3].

ويوضح د. سعد مصلوح مفهوم الصوت بأنه « يسمع ويحس بخلاف الحرف الذي نراه فقط، فهو رمز كتابي وعلى هذا فإن الصوت هو أصغر جزء يمكن أن نقطع إليه الرسالة المنطوقة »[4]. بينما يعرف د. يحي الجندي الصوت بأنه « الوحدة الصغيرة الأساسية في تركيب الكلمة»[5]، وهولا شك تعريف غير محدد، فماذا يقصد بالوحدة الصغيرة، وماذا يقصد بالأساسية؟!

والدكتور تمام حسان يعرف الصوت بأنه «عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية معينة تأتى من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الأذن»[6].

(1) اللغة العربية معناها ومبناها (ص: 262).

(2) لسان العرب (2/ 57).

(3) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب 86.

(4) دراسة السمع والكلام، د. سعد مصلوح 186.

(5) دراسات في أصوات اللغة العربية، د. يحي محمود على الجندي 7.

(6) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان 66.

3 - مفهوم الكمّ:

أ - الكمُّ لغة: جاء في اللسان: « وكَمْ: اسْمٌ، وَهُوَ سؤَال عَنْ عَدَدٍ...وَهِيَ مُغْنِيَةٌ عَنِ الْكَلَامِ الْكَثِيرِ **الْمُتَنَاهِي فِي الْبُعد وَالطُّولِ**، وَذَلِكَ أَنك إِذا قُلْتَ: كَمْ مالُك؟ أَغناك ذَلِكَ عَنْ قَوْلِكَ: أَعَشَرة مالُك أَم عِشرون أَم ثَلَاثُونَ أَم مِائَةٌ أَم أَلف؟ فَلَوْ ذَهَبْتَ تَسْتَوعب الأَعداد لَمْ تَبْلُغْ ذَلِكَ أَبداً لأَنه غَيْرُ مُتَناهٍ، فَلَمَّا قُلْتَ كَمْ، أَغنتك هَذِهِ اللَّفْظَةُ الْوَاحِدَةُ عَنِ الإِطالة غَيْرِ المُحاط بِآخِرِهَا وَلَا المُسْتَدْركة... الْجَوْهَرِيُّ: كَمْ اسْمٌ نَاقِصٌ مُبْهَمٌ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ، وَلَهُ مَوْضِعَانِ: الِاسْتِفْهَامُ **وَالْخَبَرُ**، تَقُولُ إِذا اسْتَفْهَمْتَ: كَمْ رَجُلًا عِنْدَكَ؟ نَصَبْتَ مَا بَعْدَهُ عَلَى التَّمْيِيزِ، **وَتَقُولُ إِذا أَخبرت: كَمْ درهم أَنْفَقْتَ، تُرِيدُ التَّكْثِيرَ**...وإِن جَعَلْتَهُ اسْمًا تَامًّا شَدَّدْتَ آخِرَهُ وَصَرَفْتَهُ، **فَقُلْتَ: أَكثرت مِنَ الكَمِّ، وَهُوَ الكَمِّيَّةُ**»[1].

ب - الكمُّ اصطلاحا: ويقصد بالكم المُدَّةُ التي يَحتَفِظُ فيها شكلُ الفراغات العليا بوضع معين اثناء التصويت؛ أو هو الثبات النسبي لشكل الفراغات العليا أثناء النطق بالصائت[2].

ويرى الدكتور تمام حسان عمر أن مفهوم الكمية مرتبط بالدلالة كما أن مفهوم المدة مرتبط بالتحليل الصوتي المحض، ويفصل ذلك بأن المقصود بالكمية هو اعتبار القيمتين الخلافيتين اللتين تسميان "الطول والقصر"؛ فالطول في الحروف الصحيحة تشديد، والقصر إفراد، والطول في حروف العلة مد، والقصر حركة،...وليس يخفى ما للكمية من صلةٍ في **التفريق بين الصيغة والصيغة، وبين الكلمة والكلمة،** فالفرق بين **فَعَلَ وفَعَّلَ** فرق في الإفراد والتشديد، والفرق بين **فَعَلَ وفَاعَلَ** فرق في الحركة والمد، والفرق بين **لم ولام** فرق في الحركة والمد أيضًا، وبذلك تكون الكمية عظيمة الأهمية في مجال القيم الخلافية في اللغة، ومن ثَمَّ تكون ذات صلة عظيمة بالمعنى.

ومما يتصل بالكمية ما يلاحظ في الكلمات المنتهية بألف أو واو أو ياء، وتتلوها كلمات مبدوءة بالساكن... وذلك نحو: "الفتى العربي" و"القاضي الفاضل" و"يدعو الله" فالألف في المثال الأول تفقد كميتها وتصبح من ناحية المدة في طول الفتحة، والياء في المثال الثاني تفقد الكمية وتصبح في طول الكسرة، والواو في المثال الثالث تفقد طولها وتصبح في مقدار الضمة. ولقد كان النحاة يلاحظون هذه الظاهرة ويعتبرونها جزءًا من **ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين** ويقولون: إن الألف والواو والياء تحذف للتخلص من التقاء الساكنين.

وينبغي أن يكون واضحًا تمامًا أن هناك فرقًا عظيمًا جدًّا بين كمية الحرف وبين المدة التي يستغرقها نطق الصوت، والكمية جزء من النمطية اللغوية فهي جزء من النظام، **والمدة** هي الوقت الذي يستغرقه النطق فهي

(1) لسان العرب (12/ 528).

(2) المدخل إلى علم أصوات العربية، الدكتور غانم قدوري الحمد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، الطبعة الأولى 1423هـ-2002م، ص 154، وينظر: دراسة السمع والكلام. سعد مصلوح 243 و247.

جزء من تحليل الكلام. والكمية مقابلات وقيم خلافية، ولكن المدة تقاس بالثواني والوحدات الزمنية الأكبر من الثواني، والكمية هي الطول والقصر النسبيين غير المرتبطين بمقاييس الزمان الفلسفي، أما المدة فمرتبطة بالزمان الفلسفي، وأخيرًا قد يكون الحرف مفردًا "أي: قصير الكمية"، ولكن مدة نطقه تكون أطول من المشدد "أي: الطويل الكمية" في بعض المواقع، قارن بمدة نطق الكافين في كلمة **"شكَّاك"** أي كثير الشك، فمدة المفردة أطول[1].

وقبل الشروع في هذا المبحث نشير إلى أن عينة البحث التي نرمي إلى دراسة ظواهرها الكمية هي تلك الصوائتُ الطويلة التي قد تتعرض للتقصير أو الإطالة بحسب السياق، ومعنى هذا أننا لسنا بصدد دراسة الصوائت الطويلة التي تتعرض للقِصَر أحيانا حتى تصير قصيرة، كالذي يحدث لها أثناء التقاء الساكنين، فهذه مسائل كلها عالجناها في مظانها أثناء معالجتنا للظواهر الصوتية النوعية.

ولكننا سنعرض إلى الظواهر الصوتية الكمية الزمنية المحضة التي تخضع لها الصوائت الطويلة، وذلك من خلال دراسة الظواهر الصوتية الكمية الخاصة بأحرف المد.

(1) اللغة العربية معناها ومبناها (ص: 300).

المبحث الثاني: الظواهر الصوتية الكمية الخاصة بالصوائت الطويلة

حظي موضوع حروف المد وإطالتها عناية كبيرة من علماء التجويد؛ المتقدمين منهم والمتأخرين على السواء، فوضحوا وعللوا، وقسموا وبالغوا في التقسيم. وكانت عناية علماء التجويد بظاهرة المد أكثر من عنايتهم بظاهرة التقصير، وذلك لتنوع أسبابه وتعّدد درجاته واختلاف القراء فيه[1]. أما الأصواتيون المحدثون فقد عُنوا بتحديد طول الأصوات اللغوية وما يستغرقه نطقها من وقت، في قالب من التقنية وحوسبة المعلومات[2].

إن تعرض أصوات المد في التركيب للتطويل حتى تصل إلى ضعف طولها الأصلي أو أكثر هو ما يعرف عند علماء العربية والتجويد (بظاهرة المد). و نحن سنعمل في هذا الجانب من البحث على التعريف بالظاهرة ومصطلحاتها وما وقع من خلاف في تعليلها، وبيان مواضعها وأسبابها وأقسامها واختلاف العلماء في ذلك.

1 - مفهوم ظاهرة المدّ:

أ - المدّ لغة: جاء في اللسان: **مدد:** المدُّ: الجذْب والمطْلُ. مدّه يمُدُّه مدّاً ومدّ بِهِ فامتدّ ومدّده فتمدّد، وتمدّدناه بيْننا: مددْناه. وفُلانٌ يُمادُّ فُلانًا أي يُماطِلُه ويُجاذِبه. والتّمدُّد: كتمدُّدِ السِّقاء، وكذلِك كُلُّ شيْءٍ تبْقى فِيهِ سعةُ المدِّ. والمادّةُ: الزِّيادةُ الْمُتّصِلةُ. ومدّه فِي غيّه أي أمهله وطوّل لهُ. وشيْءٌ مدِيد: مُمْدُودٌ. ورجُلٌ مدِيد الْجِسْمِ: طوِيلٌ [3].

وقال عبد الدائم الأزهري: «أصل المد في اللغةِ الزيادة، يقال: مددت الشيء إذا زدته، ومنه: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ ﴾ [آل عمران: من الآية125] »[4].

ويقابل المدَّ في اللغة القصرُ؛ والقَصْرُ والقِصَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ: خلافُ الطُّولِ؛ أَنشد ابْنُ الأَعرابي: عادتْ مَحُورَتُه إِلى قَصْرٍ؛ قَالَ: مَعْنَاهُ إِلى قِصَر، وَهُمَا لُغَتَانِ. وقَصُرَ الشيءُ، بِالضَّمِّ، يَقْصُرُ قِصَراً: خِلَافُ طَالَ؛ وقَصَرْتُ مِنَ الصَّلَاةِ أَقْصُر قَصْراً. والقَصِيرُ: خِلَافُ الطَّوِيلِ. وَفِي حَدِيثِ سُبَيْعَةَ: نَزَلَتْ سُورَةُ النِّسَاءِ القُصْرَى بَعْدَ الطُّولى [5].

---

(1) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 521.

(2) ينظر: الأصوات اللغوية 155، المدخل الى علم أصوات العربية 155. ودراسة الصوت اللغوي: 364.

(3) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي /دار صادر - بيروت/الطبعة: الثالثة - 1414 هـ/(3/ 397-396). ظ: معجم العين، الفراهيدي، (16/8).

(4) الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، عبد الدائم الأزهري (870هـ) (رسالة ماجستير) دراسة وتحقيق نزار خورشيد مامه، بإشراف الدكتور غانم قدوري الحمد، جامعة تكريت 1420هـ – 2000 م، ص 150.

(5) لسان العرب (5/ 95).

ب - المدّ اصطلاحا: تكاد تجتمع كلمة المتقدمين على أنّ المد أو الإشباع هو: الإطالة في الزمن الذي يستغرقه النطق بأحرف المد الثلاثة؛ وهي الألف الساكنة ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحا، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها أو بحرفي اللين وهما والواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلها[1]، على تنوُّع في المصطلح المستخدم لعملية المد.

أما سيبويه فقد عقد بابا للإشباع تحدث فيه عن المد بقوله: " فأما الذين يشبعون فيمططون، وعلامتها واوا وياء. وهذا تحكمه لك المشافهة، وذلك قولك: يضربها ... "[2]. وقال في (باب وجوه القوافي في الإنشاء): " أما إذا ترنموا فانهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون وما لا ينون، لانهم أرادوا مد الصوت ... "[3]. وذكر في هذا الباب مجموعة من الشواهد الشعرية التي يعتد بها[4]. وعرف علماء العربية والتجويد من بعد سيبويه المدَّ بأنه الزيادة في كمية الحركة حتى ينشأ عنها حرف من جنسها، فينشأ عن الفتحة ألف وعن الضمة واو وعن الكسرة ياء[5]. قال ابن جني عن هذه الظاهرة: " إنك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها "[6].

وعرف القسطلاني المد بأنه: « زيادة المط في حروف المد على المد الطبيعي، وهو الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به»[7]. وعرفه طاش كبري زاده بأنه: « طول زمان صوت الحرف»[8]. وأما **القصرُ** فعرفه ابن الجزري بأنه: عبارة عن ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله»[9].

وكان علي القاري قد لاحظ ملاحظة ذات معنى بعيد في فهم حقيقة ظاهرة المد فقال: «ولا يخفى أن المد ليس حرفا ولا حركة، بل زيادة على كمية حرف المد»[10]. وهذه إشارة منه إلى أن المد ليس بحرف ولا حركة؛ أي أنه لا يؤدي إلى تغيير المعاني. فالحروف الذائبة في العربية لها درجتان من الطول قصيرة وهي

---

(1) انظر: الحصري، محمود خليل، أحكام قراءه القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية، السعودية، ط4، 1999، ص 208.وانظر:العميد في علم التجويد/ محمود بن علي بسّة المصري/تح: محمد الصادق قمحاوي/ دار العقيدة – الإسكندرية/ط:1425/01 هـ - 2004 م/(82/1).وانظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي المصري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط 02، (266/1)، وانظر: أحكام التلاوة /إعداد: الشيخ عادل نصار رئيس اللجنة العلمية ـ جمعية دار الكتاب والسنة ـ فرع محافظة الوسطى - دير البلح فلسطين /(ص: 6).

(2) الكتاب: 202/4.

(3) المصدر نفسه:204/4.

(4) المصدر نفسه: 204/4-205.

(5) التحديد:97، شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني:138.

(6) سرّ صناعة الإعراب 1 / 18. الخصائص:123/3.

(7) اللآلئ السنية 26.

(8) شرح المقدمة الجزرية 31. وانظر: النابلسي: كفاية المستفيد 12.

(9) النشر في القراءات العشر (1/ 313). ظ: اللآلئ السنية 26.

(10) المنح الفكرية ص 45.

الحركات، وطويلة وهي حروف المد. وكل زيادة في مد الصوت بعد ذلك لا تؤدي إلى درجة ثالثة يكون لها شأن في تغيير المعنى، إنما تكون تلك الزيادة نوعا من التأثر الناتج عن التركيب حين تقع حروف المد في سياقات معينة، وتكون زيادة المد مثل بقية الظواهر التي تلحق الأصوات في التركيب سواء أكانت جامدة أم ذائبة[1].

وهذا هو مراد المطلبي بقوله: « لكننا نلاحظ أن ثمة اختلافات في الطول لا تحدث لأغراض معنوية أي أنها لا تمثل فونيمات مستقلة، إذ أن درجة الطول قد نشأت بسبب السياق »[2].

2 - المصطلحات الخاصة بمعنى المد والكمّيّة:

تصادف القارئ خلال تصفحه لكتب المتقدمين عبارات كثيرة تمتُّ للكَمِّ الزمني المرتبط بالصوائت بصلة وثيقة، فينغلق عليه فهم عباراتهم ما لم يتمكن من حل تلك المصطلحات، ولأجل ذلك اختار الباحث تقصي ما أمكنه منها لأجل النفع والتقريب، وإليك هذه المصطلحات:

1 - الحركة: وهي نصف الألف، وبها تقدّر - عند المتأخرين- مقادير المدود، وهي بمقدار نصف المد الطبيعي، ويقدر زمنها بمعدل قبض الإصبع أو بسطه، من غير سرعة ولا بطء، وُيعبر عنه بـ (فويق) و (فوق)، يقال: قرأ بـ (فويق القصر) و (فوق القصر) أي بمقدار ثلاث حركات، وقرأ بـ (فويق التوسط) و (فوق التوسط) أي بمقدار خمس حركات[3].

2 - القصر: ويطلق على واحد من معنيين؛ أولهما: المدّ بمقدار حركتين إذا كان الحديث عن مقادير المدود، كأن نقول: العِوَضُ عند ورش يُقصَر، أي يمد مقدار حركتين. ويطلق القصر أيضا على عدم المدّ أصلا، إذا كان الحديث عن وجود المدّ وعدمه، كأن نقول: ألف (أَنَا) تمد وقفا، وتقصر وصلا [4]. وهو إثبات إثبات حروف المد أو حرفي اللين فقط من غير زيادة عليهما[5].

(1) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: 440).

(2) في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية - فاضل المطلبي، ص38-41.

(3) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات (ص: 57).

(4) محمد عصام مفلح القضاة، الواضح في أحكام التجويد، ص83.

(5) ظ: مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات (ص: 97). ظ: عبد العلي المسؤول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، دار السلام، مصر، ط1، 2007، ص276.

3 - فُوَيْق القصر: وهو مرتبة دون مرتبة التوسط وفوق القصر، و مقداره: ثلاث حركات[1]. قال في الأنوار البهية: « ويسمي القراء الثلاث حركات فويق القصر، والخمس حركات فويق التوسط، فهذا هو المَعْنِي عندهم بالفويق »[2].

4 - التوسّط: وهو في باب المدود مرتبة وسطى دون مرتبة الإشباع وفوق مرتبة القصر، ومقداره أربع حركات. ويقال لها: (الوسطى)، و (التوسط)[3].

5 - فُوَيْق التوسط: وهو مرتبة دون مرتبة الإشباع وفوق التوسط، ومقداره: خمس حركات[4].

6 - اللين: عبارة عما يجري من الصوت في حرف المد، ممزوجاً بالمد طبيعةً وارتباطاً، لا ينفصلُ أحدُهما في ذلك عن الآخر، وهو أجرى في الياء والواو إذا أنفتح ما قبلها، كما أن المد أجرى فيهما إذا انكسر ما قبل الياء، وانضم ما قبل الواو[5]. وعرفوه أيضا بأنه خروج الحرف من مخرجه من غير كلفة على اللسان[6]، وهو خاص بالمد الذي في الياء والواو الساكنتان المفتوح ما قبلها، نحو (خوف) و (بيت)، وهذا هو المشهور عند أكثر العلماء. ويُطلق بعض العلماء (اللين) على ما يجري من الصوت في حروف المد الثلاثة، وهي الألف والياء الساكنة المكسور ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها؛ لأنها تخرج من اللفظ في لين من غير كلفة.

7 - المدّ: ويطلق عليه **المطل**[7] و**المط**[8] و**الإطالة**[9]، و**الزيادة**[1] والتمطيط[2]؛ وكل هذه التسميات التسميات تصب في معنى واحد، والمراد بها: إطالة الصوت بأحد أحرف المدّ واللين، أو أحد حرفي اللين

---

(1) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات (ص: 57). ظ: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (1/ 303).

(2) الأنوار البهية في حل الجزرية (ص: 57).

(3) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات (ص: 50). ظ: عبد العلي المسؤول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، دار السلام، مصر، ط1، 2007، ص158.

(4) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات (ص: 57-58). ظ: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (1/281-303).

(5) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات ص: 103 ظ. ن. م ص115.

(6) عبد العلي المسؤول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، دار السلام، مصر، ط1، 2007، ص289.

(7) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج 3، ص 126.

(8) السماتي، ابن الطحان، مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، تح: حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط 1، 2007، ص 50.

(9) الأزهري، عبد الدائم، الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، رسالة ماجستير، تح: نزار خورشيد عقراوي، دار عمار، الأردن، ط 1، 1، 2003، ص 150.

زيادة على مقداره الطبيعي الذي يقدر بحركتين [3]. فهو الإطالة المكتسبة في الزمن الذي يستغرقه نطق المصوت الطويل [4].

8 - الإشباع: عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف صيغة حرف المدّ أو اللين لِمنْ له ذلك[117]. وقد اصطلحوا على أنه بمقدار ألفين زيادة على المقدار الطبيعي بحيث يكون مقدار الحرف فيه ست حركات؛ أي بأن تمد صوتك بمقدار ثلاث ألفات، ولا يضبط ذلك إلا المشافهةُ[5].

9 - التمكين: وهو عبارة عن الصيغة أيضاً، وقد يُعَبَّرُ بهِ عن المد العرضي؛ يُقال منه: مكَّن؛ إذا أُريدت الزيادة. وهو يُطلق على جميع المدود الفرعية الزائدة على قدر المد الطبيعي، ومنها المدل المتصل والمنفصل واللازم، وسمي بذلك لأن الكلمة تتمكن به من الاضطراب[6].

10 - الاعتبار: وهو عبارةٌ عن المد أيضاً في بعض القراءات، وذلك أن بعضهم يعتبر حرف المد واللين مع الهمزة، فإن كانا منفصلين لم يزد على الصيغة شيئاً. وذلك في قصر المد المنفصل، حيث تجد بعض القراء يعتبر حرف المد واللين مع الهمزة، فإن كانا منفصلين لم يزد شيئاً على المد الطبيعي. ومثاله المدان في قوله تعالى: {بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ}[7].

---

(1) الصفاقسي، علي بن محمد، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطإ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط1، 1987، ص 99.

(2) عبد العلي المسؤول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، دار السلام، مصر، ط1، 2007، ص152.

(3) محمد عصام مفلح القضاة، الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، (د.ت)، ص83.

(4) محمد سالم محيسن، المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، دار الجيل، لبنان، ط2، 1988، ص102.

(117) مرشد القارئ 50 – 51، وينظر: التمهيد في علم التجويد 68.

(5) الضباع، علي محمد، الإضاءة في بيان أصول القراءة، محمد الحسيني، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر (د.ت)، ص27.

(6) عبد العلي المسؤول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، دار السلام، مصر، ط1، 2007، ص152. ظ: مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات (ص: 108).

(7) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات (ص: 29). ظ: عبد العلي المسؤول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، دار السلام، مصر، ط1، 2007، ص90.

3 - أيُّ أحرف المد أمكن فيه؟

شغلت ظاهرة المد وما يتعلق بها من مسائل علماء التجويد، وكانت موضع رعاية واهتمام بالنسبة لهم أكثر من غيرهم. وكان من المسائل التي ناقشها علماء التجويد حول هذه الظاهرة مسألة أي الحروف الثلاثة أمكن في المد، حيث يرى بعض علماء التجويد أن الألف أمكن حروف المد، بينما يرى بعضهم أن الواو أمكن ثم الياء ثم الألف. ويرى فريق ثالث استواء الثلاثة في المد.

ويرى ابن جني أن الألف أمكن الثلاثة؛ لأنها لا تخرج عن المد وأن الياء والواو تخرجان عنه إذا تحركتا أو سبق كل واحد منهما حركة من غير جنسهما، يقول ابن جني: « وأصل الردف للألف، والياء والواو مشبهتان بها. يدلك على ذلك أن الألف لا تخرج من المد، والواو والياء تخرجان من المد بأن تتحركا، أو تكون قبل كل واحدة منهما حركة من غير جنسها. وهذا باب يطول...» [(1)].

ويقول ابن الباذش: «ولا خلاف في تمكين حروف المد واللين...**وأمكنهن في المد الألف ثم الياء، ثم الواو**. وكان أبو القاسم يحكي لنا عن أبي بكر الصقلي أنه كان يذهب إلى أن **أمكنهن في المد الواو ثم الياء ثم الألف**» [(2)].

وقال المرادي: «والأصل في حروف المد الألف، لأنها حرف مد، ولأنها أوسع مخرجا من الواو والياء. وأمكن حروف المد فيه الألف ثم الياء ثم الواو. وهذا مذهب سيبويه. ولذلك اختار بعض القراء تفضيل الألف على الياء، والياء على الواو في التلاوة. **والذي أخذ به أكثر الأئمة استواء الثلاثة في مقدار المد**، وهو الذي قرأنا به. وما ذهب إليه الصقلي من أن أمكنهن في المد الواو ثم الياء ثم الألف بعيد» [(3)].

ونبّه أبو علي على أن المدّ في الألف أكثر منه في الواو والياء، واستدلّ على ذلك بجواز وقوع الساكن بعدها أو شبهه وهو همزة بين بين، وبامتناعها من الإدغام مع جوازه فيهما. قال: «ومما يدلّك على زيادة المدّ في الألف استجازتهم تخفيف الهمزة بعدها في: هباءة والمسائل وجزاء أمه [(4)]، ولم يفعلوا ذلك بها مع الواو والياء،

---

(1) ظ: المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ص: 224. وللدكتور غالب المطلبي تفصيل عن هذا الكلام، ظ: في الأصوات اللغوية:88-91.

(2) الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر احمد بن علي بن الباذش (540هـ) تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى 1403هـ1983م، 1/ 468.

(3) المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن 1407هـ-1987م، ص 104.

(4) انظر الكتاب: 3/ 547.

ولكن قلبوها إلى لفظها في: مقروّ والنّسيّ[1]، ومن ثمّ استجاز يونس إيقاع الخفيفة بعدها في فعل الاثنين وجماعة النساء...»[2].

ومن المحدثين نجد الدكتور إبراهيم أنيس يرى الألف أمكن الثلاثة؛ وذلك في قوله: « على أنه حين قيست أصوات اللين وجد أن الفتحة أطول من الكسرة والضمة»[3].

4 - أسباب المد:

إن أهم ما تتميز به حروف المد هو قابليتها على الامتداد بعد أن تستوفي نصيبها من المد الذي ينقلها من الحركة إلى الحرف، بخلاف غيرها من الأصوات الجامدة، لا سيما الشديدة (أي الانفجارية) فإنها آنية الحدوث، وكذلك الرخوة (الاحتكاكية) فإنها وإن كانت زمانية يمتد بها الصوت مدة، لكن ذلك الامتداد لا يبلغ مقدار ألف، أي مقدار نطق حرف المد. والسبب في امتداد أحرف المد راجع إلى عدة أسباب تتوزع على أربعة أضرب:

1 - أسباب لفظية.

2 - أسباب موسيقية.

3 - أسباب دلالية.

4 - أسباب اضطرارية.

أولا- الأسباب اللفظية:

وهي اثنان: الهمزة، والسكون. يقول ابن جني: «ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توامّ كوامل قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض. وذلك قولك: يخاف وينام، ويسير ويطير، ويقوم ويسوم، فتجد فيهن امتدادا واستطالة ما. **فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم** ازددن طولا وامتدادا»[4].

وردد علماء التجويد ما ذكره ابن جني من أسباب المد، لكنهم أفاضوا في التقسيم والتمثيل والتعليل. قال مكي، وهو يتحدث عن الألف: «فإذا لاصقته همزة لم يكن بد من تمكين مده. ومده إذا كانت **الهمزة** بعده آكد، نحو جاء، وشاء. وكذلك يمد إذا كان بعده **ساكن مشددا وغير مشدد**. وزيادة تطويل المد ونقصه فيه

(1) تخفيف: مقروء، والنّسيء.

(2) نحو: اضربانّ زيدا، واضربنانّ زيدا وأنكر ذلك سيبويه. انظر الحجة: (90/1)؛ والهداية: 1/ 45، 2/ 296؛ والموضح: 1/ 518. وانظر الكتاب: 3/ 527.

(3) الأصوات اللغوية، ص80.

(4) سر صناعة الإعراب 1/ 19-20.

على حسب ما ذكرناه في غير هذا الكتاب مع اختلاف القراءة عن القراء»[1]. قال أيضا: «وإنما يكون المد في هذه الحروف عند ملاصقتهن لهمزة أو ساكن مشدد أو غير مشدد»[2].

ومثل ذلك قول الداني، وهو يتحدث عن الألف أيضا: «وإن لقي همزة أو حرفا ساكنا، مظهرا أو مدغما، زيد في تمكينه وإشباع مده، بيانا للهمزة لخفائها، وليتميز بذلك الساكنان أحدهما من الآخر ولا يجتمعا. وكذلك حكم الياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها مع الهمزة والساكن ومع غيرهما كحكم الألف سواء»[3].

وقال عبد الوهاب القرطبي: «أما المد فهو حكم يجب لحروف المد واللين إذا كان عقبها همزة أو ساكن مدغم أو مظهر: كالسماء، والبناء، وقائل، وبائع. وكالضالّين، والعادّين، والصاخّة. ونستعين، والأبرار، ويوقنون، ويعلمون، إذا وقفت عليها. وما أشبه ذلك»[4]. وقال المرادي: «وسبب المد أحد شيئين، وهما: الهمزة والسكون»[5].

وجعل ابن الطحان الموجب للمد ثلاثةَ أشياء: الهمز، والشّد، والسكون اللازم، ووضح هذه الأسباب الموجبة للمد وأشار إلى أن الهمزة المحققة هي التي توجب المد، وأما المسهّلة فلا توجب المد، وكذلك التشديد بعد حرف المد يوجب الزيادة فيه، والسكون اللازم بعد حرف المد يوجب الزيادة فيه، وليس كذلك السكون العارض للوقف الذي أختلف أهل الأداء في مدّهِ مدّاً زائِداً. يقول ابن الطحان: « فصل: الموجب للمد أحدُ ثلاثة أشياء: همزٌ سالم، وشدّ، وسكون لازم. أصلٌ أجمعَ عليه القُرّاء، وأحكَمَه العرضُ المتصلُ والإقراء. ومعنى قولنا: سالم، هو إشارة إلى الخلاف في الهمز المسهّل. ومعنى قولنا: لازم، هو إشارة إلى الخلاف في السكون العارض»[6].

ولم يكن حديث ابن الطحان عن المد وأسبابهِ جديداً، فقد سبقه إلى ذلك ابن جني، وعلماء التجويد مكي، والداني، وعبدالوهاب القرطبي، لكنّ ابن الطحان تميّز بطريقة عرضهِ للموضوع، وتوضيح شروط عمل كل سبب، وأغلب السابقين له يحصرون أسباب المد الزائد في أمرين الهمزة والسكون، والسكون قد يكون مشدداً أو قد يكون مخففاً[7].

---

(1) الرعاية ص 134.

(2) الكشف: 1/ 45، وانظر الهداية: 1/ 30. ظ: النشر في القراءات العشر (1/ 313).

(3) التحديد 24.

(4) الموضح 166.

(5) المفيد، ص 104.

(6) الإنباء في تجويد القرآن، أبو الاصبغ بن الطحان (560هـ) تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع61، ع61، السنة الخامسة والعشرون، تموز 2001 م، ص 62 – 64.

(7) ينظر: سر صناعة الاعراب 1/ 19 – 20، الرعاية 160، التحديد 121، الموضح في التجويد 128.

وفرّق بعض علماء التجويد بين ما كان سبب المد فيه همزة وما كان سبب المد فيه التشديد؛ قال السعيدي «**تجعل المدة التي جاءت للتشديد**، نحو: يبلغانّ [الإسراء:23] [1]، و {الصَّاخَّةُ} [عبس: 33]، و {الطَّامَّةُ} [النازعات: 34]، و{أَتُحَاجُّونِّي} [الأنعام:80]، وما أشبهها **دون المدة التي تجيء للهمزة**: نحو قوله: {قَائِماً} [آل عمران: 18]، و {قَائِلُونَ} [الأعراف: 4]، و {نَائِمُونَ} [الأعراف: 97]، و {التَّائِبُونَ} [التوبة: 112] وما أشبهها» [2].

لكن عبد الوهاب القرطبي اعترض الفكرة وفندها برأي الجمهور في قوله: «وسواء كان المد موجودا في كلمة واحدة ك {السَّمَاءِ}[البقرة: 19]، و {بِنَاءً}، و {الْأَخِلَّاءُ} [الزخرف: 67]، و {الضَّالِّينَ} [الفاتحة:7]، و {الْعَادِّينَ} [المؤمنون: 113]، و {الصَّافِنَاتُ} [ص: 31]، أو متركبا من كلمتين كقوله تعالى: {مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة: 278]، و {الزِّنى َ إِنَّهُ كَانَ} [الإسراء:32]، و {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [مريم: 21]، و {ن وَالْقَلَمِ} [القلم: 1] مدغما أو مظهرا فكله في وجوب المد فيه على حد سواء، وإنما يختلف في الطول والقصر باختلاف اللغات ويزيد وينقص بحسب طرق القراءات.

وذكر بعض المتأخرين أن المد فيما مده لأجل الساكنين في مثل قوله تعالى:{الضَّالِّينَ}، و {الظَّانِّينَ} [الفتح: 6]، وما أشبه ذلك **أقصر من المد** فيما مده لأجل الهمز كالسماء، وزكرياء، وما أشبه ذلك. قالوا: من أجل أن المد فيه بدل من حركة. **وأكثر القراء وجمهورهم على التسوية بين البابين في المد؛ وهو الوجه**، لأن المد إنما جعل بدلا من الحركة ليقوى به الساكن، كذلك أيضا ألحق قبل الهمز ليقوى به الحرف الضعيف. فقد استويا في استيجابه من وجه واحد، فلا وجه للفرق» [3].

وأورد مكي للسكون مزية ليست للهمزة في المد، وهي أن المد للسكون لا بد منه ضرورة، في حين أن المد للهمزة يجوز ترك إشباعه في الكلام دون القرآن. يقول مكي: «واعلم أن المد مع الساكن بعد حرف المد واللين، والمشدد بعد حرف المد واللين **أقوى منه مع الهمزة** بعد حرف المد واللين. وعلة ذلك أن حرف المد واللين إذا وقع بعده ساكن مشدد أو غير مشدد، لا بد فيه من المد ضرورةً، ليصل بالمدة إلى اللفظ بالساكن؛ والهمزة إذا وقعت بعد حرف المد واللين لك أن تدع إشباع المد في الكلام، فتقول: صائم وقائم، بغير إشباع، قد تثْبِتُ الألفَ والهمزةَ ولا تُشبِعُ المدَّ، فأما في القرآن فلا بد من إشباع المد اتباعا للرواية، وإلا فترك إشباع المد جائز فيه في الكلام. فما كان المد فيه لازما لا بد منه، أقوى في المد مما يجوز فيه ترك إشباع المد» [4].

وعلَّلَ د. إبراهيم أنيس علة المد، فرأى أنها تكمن في الحرص على ألا يتأثر صوت اللين بمجاورة الهمزة أو الإدغام «لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين، إذ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه

(1) قرأ حمزة والكسائي (يبلغانّ) بألف قبل النون المشددة والباقون بدون ألف (انظر: الداني: التيسير ص 139).

(2) التنبيه 47، ومثله: أحمد بن أبي عمر، الإيضاح 71.

(3) الموضح، ص 16.

(4) الكشف: 1/ 68، وانظر الهداية: 1/ 31.

حرا طليقا وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقا محكما يليه انفراجها فجأة. **فإطالة صوت اللين مع الهمزة** يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضوي كبير، وإلى عملية صوتية تُباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين. **وهذا هو نفس السر في إطالة صوت اللين حين يليه صوت مدغم**، لأن طبيعة اللغة العربية ونسجها تستلزم قصر أصوات اللين الطويلة حين يليها صوتان ساكنان. فحرصا على صوت اللين وإبقاء على ما فيه من طول، بولغ في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللهجات العربية قديمها وحديثها من ميل صوت اللين إلى القصر حين يليه صوتان ساكنان»[1].

أما الأنطاكي فإنه يقرر فقط بأن أصوات المد يتزايد طولها إذا وليها همز أو إدغام؛ كقولك مع الياء: بريء، ويطيب بَّكر، وقولك مع الواو: ينوء، وتُمُودَّ الثوب، وقولك مع الف: دوابَّ، وصحراء[2].

ثانيا- الأسباب التنغيمية (الموسيقية):

نجد من ذلك قوله تعالى: لا تَخافُ دَرَكاً وَلا **تَخْشى** [طه 77]، قرأ حمزة: (لا تخَفْ) بالجزم، ويحتمل إثبات الألف في (تخشى) على هذه القراءة وجهين:

الأول: أن تكون الواو حرف استئناف، و (لا) بمعنى (ليس)، نحو قوله تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى [الأعلى 6].

والآخر: أن «تقدّر أنك حذفت الألف المنقلبة عن اللام ثم أشبعت الفتحة لأنها فاصلة، **فأثبتّ الألف الثانية عن إشباع الفتحة**[3].

- ومثل هذا مما ثبت في الفاصلة القرآنية ما يلي:

1 - لَكِنَّا: من قوله تعالى: ﴿ **لَكِنَّا** هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾ الكهف:(38). ولا خلاف بين القراء في إثبات الألف في الوقف اتباعا للرسم. واختلفوا في إثباتها وصلا؛ فقرأ أبو جعفر وابن عامر ورويس (لكنا)بإثبات الألف بعد النون وصلا، وقرأ الباقون بغير ألف[4].

2 - الظُّنُونَا: من قوله تعالى: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ **الظُّنُونَا** ﴾ الأحزاب:10. قرأها نافع وابن عامر وشعبة وأبو جعفر: بإثبات الألف مطلقا. وقرأ أبو عمرو وحمزة ويعقوب بحذفها مطلقا. والباقون بإثباتها وقفا فقط[1].

---

(1) الأصوات اللغوية: 158 - 159.

(2) المحيط للأنطاكي، ص (36-38)، ظ: الكتاب لسيبويه (3/ 525).

(3) الفارسي، أبو علي، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط 2، 1993 م، 1/ 108.

(4) النشر: (311/2). ظ: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، (ت 370 هـ)، تحقيق وشرح: عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط2، 1397 هـ –1977 م، (ص: 224). ظ: الحجة للقراء السبعة (5/ 144).

3 - الرَّسُولَا: من قوله تعالى: ﴿ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا **الرَّسُولَا** ﴾ الأحزاب: 66.

4 - السَّبِيلَا: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا **السَّبِيلَا** ﴾ الأحزاب: 67. قرأهما نافع وابن عامر وشعبة وأبو جعفر: بإثبات الألف وصلا ووقفا. وقرأ حمزة وأبو عمرو ويعقوب بحذفها وصلا ووقفا، وقرأ الباقون بحذفها وصلا وإثباتها وقفا[2].

5 - سَلَاسِلَا: من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلاَ وَأَغْلاَلاً وَسَعِيراً ﴾ الإنسان:04. قرأ نافع وهشام وشعبة وعلي وأبو جعفر: بالتنوين مع إبداله ألفا وقفا. وقرأ الباقون من غير تنوين، واختلفوا في الوقف عليها؛ فوقف أبو عمرو وروح بالألف، ووقف حمزة وقنبل ورويس وخلف على اللام، والباقون بالوجهين[3].

قال أبو علي: « وإلحاق الألف في سلاسل، وقوارير كإلحاقها في قوله: الظنونا والسبيلا والرسولا، ويشبَّه ذلك بالإطلاق في القوافي من حيث كانت مثلها في أنها كلام تام»[4].

6 - قَوَارِيرَا: من قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ **قَوَارِيرَا** ﴾ الإنسان:15، قرأ نافع وابن كثير وشعبة وعلي وخلف عن نفسه وأبو جعفر: بالتنوين والوقف بالألف، وقرأ الباقون دون تنوين؛ فوقف حمزة ورويس بالراء، ووقف أبو عمرو وابن عامر ورَوْح وحفص بالألف[5].

7 - قَوَارِيرَا: من قوله تعالى: ﴿ **قَوَارِيرَا** مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ الإنسان: 16.قرأ نافع وشعبة وعلي وأبو جعفر: بالتنوين والوقف بالألف، وقرأ الباقون بترك التنوين؛ فوقف هشام بالألف، والباقون على الراء[6].

- وقد جاء إشباع هذه الفتحة في كلامهم، قال سيبويه: « وقد استعملوا في شيء من هذا الألف في الوقف كما استعملوا الهاء، لأن الهاء أقرب المخارج إلى الألف، وهي شبيهة بها. فمن ذلك قول العرب: **حيَّهَلَا**، فإذا وصلوا قالوا: **حيهلَ** بعمر. وإن شئت قلت: **حيهلْ**، كما تقول: بحكمكْ». وقال أبو علي: « ومثل هذه الألف في أنها تثبت في الوقف وتسقط في الإدراج، الألف في **حيَّهلا**، تقول: **حيَّهلْ بعمر**، فتحذفها، فإن وقفت قلت: **حَيَّهلَا** »[7].

---

(1) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 3، (ص: 519).

(2) السبعة في القراءات (ص: 519).

(3) الحجة للقراء السبعة (6/ 348).ظ: الأحرف السبعة للداني (ص: 42). ظ: السبعة في القراءات (ص: 663).

(4) الحجة للقراء السبعة (6/ 351).

(5) الأحرف السبعة للداني (ص: 42). ظ: السبعة في القراءات (ص: 663).

(6) الأحرف السبعة للداني (ص: 42). ظ: السبعة في القراءات (ص: 663).

(7) الحجة للقراء السبعة (5/ 146).

قال أبو حيان الأندلسي: « وحكى أبو علي وابن جني فرقا بين الضمة والفتحة والكسرة، بأن بعض العرب يقول: رأيت الرجلَا بالألف؛ ولا يقول هذا الرجلو، ولا مررت بالرجلي، وعليه جاء (الظنونا) و(الرسولا) و(السبيلا)، بإشباع الفتحة فتولدت منها الألف»[1].

- ومن الشعر قوله[2]: فأنت من الغوائل حين تلقى... ومن ذمّ الرجال بمنتزاح[3]

وحكى أبو علي عن أبي الحسن قوله في المد: «والعرب تفعل هذا في حال التطريب، وإذا أراد أحدهم الرقة والترتيل»[4].

ثالثا- الأسباب الدلالية:

ومن الأسباب الدلالية نجد ما يلي:

1- الدلالة على الحذف:

قال ابن جني: «وعلى هذا قال سيبويه: [5] إنهم يقولون: سير عليه ليل، يريدون: ليل طويل، وهذا إنما يفهم عنهم بتطويل الياء، فيقولون: سير عليه ليل، فقامت المدّة مقام الصفة»[6].

قال أبو سعيد السّيرافي: «يعني أنك إذا قلت: (سير عليه ليل طويل)، فهو إلى الرفع وإقامته مقام الفاعل أقرب، لأنه كلما نعت قرب من الأسماء، وبعد من الظروف. وإذا قلت: (سير عليه ليل) وأنت تريد هذا المعنى رفعت أيضا، إلا أن ذكر النعت أجود، لأنه يبيّن بها قربه من الاسم، وإن نصبت جاز أيضا، فقلت: (سير عليه ليلا طويلا)، كما تقول: (سير عليه الدهر) »[7].

---

(1) ظ: ارتشاف الضرب من لسان العرب، (811/2). ظ:الكتاب لسيبويه (4/ 163).

(2) هو ابن هرمة، والبيت في الحجة لأبي علي: 1/ 80، 120، 5/ 240، 6/ 447؛ والمحتسب: 1/ 166، 340؛ والخصائص: 2/ 316، 3/ 121؛ وسر الصناعة: 1/ 25، 2/ 719؛ وإعراب الشواذ: 1/ 697؛ وشرح الشافية: 4/ 25. وفي أكثر روايات هذا البيت: (ترمى) مكان (تلقى).

(3) الغوائل: جمع غائلة، وهي الداهية. وتلقى أو ترمى: مسند إلى ضمير الغوائل. ومنتزاح: أراد منتزح، فأشبع فتحة الزاي، يقال: أنت بمنتزح من كذا، أي بعيد عنه. ظ: الحجة لأبي علي: 5/ 240، وانظر إعراب السبع: 2/ 46 - 47، والحجة لابن خالويه: 245، والمحتسب: 1/ 258 - 259، والحجة لابن زنجلة: 459، والكشف: 2/ 102، والمفاتيح: 276، والموضح: 2/ 846. وانظر معاني القرآن: الفراء، 1/ 161 - 162.انظر الكتاب: 1/ 220. ظ: المحتسب: 2/ 209، وانظر الخصائص: 2/ 370 - 371.

(4) الحجة لأبي علي: 1/ 108، وانظر الهداية: 1/ 31.

(5) انظر الكتاب: 1/ 220.

(6) المحتسب: 2/ 209، وانظر الخصائص: 2/ 370 - 371.

(7) شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي، تحقيق: د. محمد هاشم عبد الدائم، مراجعة: د. رمضان عبد التواب ود. محمود علي مكي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1998 م، ص 4/ 196.

2 - الدلالة على المبالغة في النفي:

جعل أئمّة القراءة من الأسباب المعنوية قصدَ المبالغة في النفي، وهو سبب قوي مقصور عند العرب، وإن كان أضعف من السبب اللفظي عند القراء، ومنه مد التعظيم في نحو (لا إله إلا الله)، (لا إله إلا هو)، (لا إله إلا أنت)، وهو قد ورد عن أصحاب القصر في المنفصل لهذا المعنى.

ويقال له أيضا: مد المبالغة، قال ابن مهران: إنما سمي مد المبالغة ؛ لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهية سوى الله سبحانه، قال: وهذا معروف عند العرب؛ لأنها تمد عند الدعاء عند الاستغاثة، وعند المبالغة في نفي شيء، ويمدون ما لا أصل له بهذه العلة. قال: والذي له أصل أولى وأحرى[1].

قال ابن الجزري: « وقد استحب العلماء المحققون مد الصوت بلا إله إلا الله إشعارا بما ذكرناه وبغيره. قال الشيخ محيي الدين النووي - رحمه الله - في " الأذكار ": ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله: (لا إله إلا الله) لما ورد من التدبر. قال: وأقوال السلف وأئمة الخلف في مد هذا مشهورة...وقد ورد مد المبالغة للنفي في (لا) التي للتبرئة في نحو (لا ريب فيه)، (لا شية فيها)، (لا مرد له)، (لا جرم) عن حمزة»[2].

3 - الدلالة على التوكيد:

قال ابن جني «... وذلك أن العرب إذا أخبرت عن شيء غير معتمدة ولا معتزمة عليه أسرعت فيه، ولم تتأنّ على اللفظ المعبّر به عنه... ويكفي في ذلك قول الله سبحانه: لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ [البقرة 225]، قالوا في تفسيره: هو كقولك: لا والله، بلى والله[3]. فأين سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من التثبت فيه والإشباع له والمماطلة عليه من قول الهذلي:

فو الله **لا** أنسى قتيلا رزئته... بجانب قُوسَى ما مشيت على الأرض

أفلا ترى إلى تطعّمك هذه اللفظة في النطق هنا بها وتمطّيك لإشباع معنى القسم عليها؟ وكذلك أيضا قد ترى إلى إطالة الصوت بقوله من بعده:

بلى إنها تعفو الكلوم، وإنما... نوكّل بالأدنى، وإن جلّ ما يمضي

أفلا تراه لمّا أكذب نفسه، وتدارك ما كان أفرط فيه لفظه- أطال الإقامة على قوله (بلى)، رجوعا إلى الحق عنده، وانتكاثا عما كان عقد عليه يمينه؟ فأين قوله هنا: (فو الله) وقوله (بلى) منهما في قوله: لا والله، وبلى والله؟»[4].

---

(1) انظر: ابن الجزري: النشر 1/ 344. والطبلاوي: مرشدة المشتغلين 10.

(2) النشر في القراءات العشر (1/ 344).

(3) انظر معاني القرآن: الفراء، 1/ 144؛ ومجاز القرآن: 1/ 73.

(4) المحتسب: 2/ 208 - 209.

4 - التفريق بين المعاني عند فقد القرينة:

قال ابن جني: «وعلى ذكر طول الأصوات وقصرها لقوة المعاني المعبّر بها عنها وضعفها ما يحكى أن رجلا ضرب ابنا له، فقالت له أمه: لا تضربه، ليس هو ابنك.

فرافعها إلى القاضي فقال: هذا ابني عندي، وهذه أمه تذكر أنه ليس مني. فقالت المرأة: ليس الأمر على ما ذكره، وإنما أخذ يضرب ابنه فقلت له: لا تضربه، ليس هو ابنك؟ ومدت فتحة النون جدا. فقال الرجل: والله ما كان فيه هذا الطويل الطويل!» أي أنها قصدت الاستفهام لا الإخبار[1]. وأمثلة هذه المسألة جمَّة تصادف القارئ في أبواب التنغيم في الصوائت.

رابعا- الأسباب الاضطرارية:

ومن تلك الأسباب التذكّر، والخجل، والقلق، والإقفال، والإرتاج، والحصَر، والعيِّ وما إلى ذلك. وإلى هذه الفكرة يُلمّح المطلبي في قوله: « ولقد استطاع الباحثون أن يميزوا طائفة من العوامل التي تسبب طولا أو قصرا في أصوات المد، وأهم هذه العوامل: درجة النبر ونوعه...بعض الحالات النفسية التي يحاول المتكلم فيها أن يزيد في تأكيد المراد من كلامه أو التقليل من أهمية بعض الأمور، أو القلق، أو الخجل، وما إلى ذلك »[2].

ويتم ذلك بمدّ الصوت بالصائت الأخير ريثما يتذكر المتكلم ما نسيه من كلام فينطق به، قال ابن جني: «وحكى صاحب الكتاب[3] أن بعضهم قال في الوقف: قالا، وهو يريد: قال. وحكى أيضا: هذا سيفني، كأنه استذكر بعد التنوين، فاضطر إلى حركته فكسره، فأحدث بعده ياء»[4].

وقال أيضا: «ومن ذلك ما روي عن أبي عمرو: حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا [الأعراف 38]، وروي عنه أيضا: (حَتَّى إذا)، يقف ثم يقول: (تداركوا)، وظهور التاء في "تداركوا" قراءة ابن مسعود والأعمش. وقراءة أخرى: "إذآ ادَّاركوا"، قرأ بها مجاهد وحميد ويحيى وإبراهيم. قال أبو الفتح: قطع أبي عمرو همزة ادَّارَكُوا في الوصل مشكل، وذلك أنه لا مانع من حذف الهمزة، إذ ليست مبتدأة كقراءته الأخرى مع الجماعة. وأمثل ما يصرف إليه هذا أن يكون وقف على ألف (إذا) مميّلا بين هذه القراءة وقراءته الأخرى التي هي (تداركوا)، فلما اطمأن على الألف لذلك القدر من التمييل بين القراءتين لزمه الابتداء بأول الحرف، فأثبت همزة الوصل

(1) ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ - 1999م، 2/ 210.

(2) في الأصوات اللغوية، المطلبي ص38-41.

(3) انظر الكتاب: 4/ 216.

(4) المحتسب: 1/ 55.

مكسورة على ما يجب من ذلك في ابتدائها. **فجرى هذا التمييل في التلوّم عليه وتطاول الصوت به مجرى وقفة التذكر** في نحو قولك: قالوا- وأنت تتذكر- الآن من قول الله سبحانه: قالُوا الْآنَ [البقرة 71]، **فتثبت الواو من (قالوا) لتلوّمك عليها للاستذكار** ثم تثبت همزة (الآن)، وأعني همزة لام التعريف. ومثله اشتروا إذا وقفت مستذكرا لـ الضَّلالَةَ [البقرة 16]، فتضم الواو من (اشتروا) على ما كانت عليه من الضم لالتقاء الساكنين، **ثم تشبع الضمة لإطالة صوت وقفة الاستذكار**، فيحدث هناك واوٌ تنشأ عن ضمة واو الضمير، ثم تبتدئ فتقول: (الضلالة)، فتقطع همزة الوصل لابتدائك بها، فهذا أمثل ما يقال في هذا»[(1)].

ويمثل ابن جني لذلك أيضا بقوله: « وكذلك الحركات **عند التذكر** يمطلن حتى يفين حروفا. فإذا صِرنَها جرين مجرى الحروف المبتدأة توام، فيمطلن أيضًا حينئذ؛ كما تمطل الحروف. وذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة في **قمت: قمتا، أي قمت يوم الجمعة**، ونحو ذلك، ومع الكسرة: **أنتي، أي أنت عاقلة**، ونحو ذلك، ومع الضمة: **قمتو، في قمت إلى زيد**، ونحو ذلك»[(2)].

5 - تعليل ظاهرة المد مع الهمزة ومع السكون:

إن تفسير الظواهر الصوتية جزء من مهمات دارس الأصوات، وذلك لاكتشاف الأسباب التي تكمن وراء الظواهر، ولا يتأتى ذلك دائما. وكان لعلماء التجويد محاولات في تعليل الظواهر الصوتية، ومعظمها مبني على أسس صوتية.

ومن ذلك معالجة علة ظاهرة المد مع الهمزة ومع السكون؛ حيث علل علماء اللغة والتجويد ظاهرة إطالة حرف المد قبل الهمزة **بأنه لأجل المحافظة على الهمزة في النطق**، قال سيبويه: « واعلم أن ناساً من العرب كثيراً ما يلقون على الساكن الذي قبل الهمزة حركة الهمزة، سمعنا ذلك من تميم وأسدٍ، يريدون بذلك بيان الهمزة، وهو أبين لها إذا وليت صوتاً، والساكن لا ترفع لسانك عنه بصوت لو رفعت بصوتٍ حركته، **فلما كانت الهمزة أبعد الحروف وأخفاها في الوقف حركوا ما قبلها ليكون أبين لها**. وذلك قولهم: هو الوُثُؤْ، ومن الوِثِيءْ، ورأيت الوَثَأْ. وهو البُطُؤْ، ومن البُطِيءْ، ورأيت البُطَأْ. وهو الرِّدُؤْ؛ وتقديرها الرِّدُعْ، ومن الرِّدِيءْ، ورأيت الرِّدَأْ. يعني بالرِّدْءِ الصاحبَ»[(3)].

وقال سيبويه في علة المد قبل الساكن: « وإن كانت قبل المسكنة ألفٌ لم تغير الألف، واحتملت ذلك الألف لأنها حرف مدٍّ، وذلك قولك: رادوا ومادوا، والجادة، فصارت بمنزلة متحرك »[(4)].

---

(1) المحتسب: 1/ 247، وانظر الخصائص: 3/ 125، 128 - 133؛ وسر الصناعة: 2/ 650، 720، 775.

(2) الخصائص (3/ 131).

(3) الكتاب لسيبويه (4/ 177).

(4) الكتاب لسيبويه (4/ 419).

وكان ابن جني قد حاول تعليل المد قبل الهمزة والمشدد، فقال في تعليل زيادة المد قبل الهمزة: «إنما تمكن المد فيهن مع الهمزة أن الهمزة حرف نأى منشؤه، وتراخى مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تماديت بهن نحو طلن وشعن في الصوت، **فوفين له وزدن في بيانه ومكانه**، وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها وغير المشدد. ألا تراك إذا قلت: كتاب، وحساب، وسعيد، وعمود، وضروب، وركوب، لم تجدهن لدنات ولا ناعمات، ولا وافيات مستطيلات، كما تجدهن إذا تلاهن الهمزة أو الحرف المشدد»[(1)].

وقال ابن جني أيضا في تعليل المد قبل المشدد: «وأما سبب نعمتهن ووفائهن وتماديهن إذا وقع المشدد بعدهن فلأنهن كما ترى سواكن وأول المثلين مع التشديد ساكن، فيجفو عليهم أن يلتقي ساكنان حشوا في كلامهم، فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضا مما كان يجب لالتقاء الساكنين: من تحريكها، إذا لم يجدوا عليه تطرّقا، ولا بالاستراحة إليه تعلقا. وذلك نحو شابّة ودابّة»[(2)].

ومثل ذلك قول الداني، وهو يتحدث عن الألف أيضا: «وإن لقي همزة أو حرفا ساكنا، مظهرا أو مدغما، زيد في تمكينه وإشباع مده، بيانا للهمزة لخفائها، وليتميز بذلك الساكنان أحدهما من الآخر ولا يجتمعا. وكذلك حكم الياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها مع الهمزة والساكن ومع غيرهما كحكم الألف سواء»[(3)].

وعلل عبد الوهاب القرطبي المد ببيان الهمزة لئلا تتأثر بخفاء أصوات المد، ولأجل الفرق بين الساكنين. ولولا ما في كلامه من الوضوح والعمق وبعد النظرة لاكتفيت بالنصوص السابقة. قال القرطبي: «العلة في وجوب المد تختلف. فعلة وجوبه فيما إذا كان بعد حرف المد همزة **أن حرف المد في غاية الخفاء والخفة، والهمزة في غاية الظهور والثقل**، فهما ضدان، **فجاء المد مقرّبا لهذه الحروف ومظهرا لخفائها**، لتحصل هناك مناسبة ما تحصن الهمزة وتحرسها، ولولا ذلك لم يؤمن من أن يغلب خفاؤها على الهمزة فتضعف وتتلاشى... فأما إذا كان بعدها حرف ساكن مظهر أو مدغم **فإنما وجب فيه المد للفرق بين الساكنين** لما التقيا، لأن الممدود نظير المتحرك، من حيث إن زمان النطق بالحرف الممدود أطول من زمان النطق بغيره، كما أن زمان النطق بالحرف المتحرك أطول من زمان النطق بالحرف الساكن، فصار المد في كونه فاصلا كالحركة. وهو معنى قول سيبويه: إن الإدغام حسن لأن حرف المد بمنزلة المتحرك في الإدغام[(4)]. يعني أن الممدود صار بزيادته وطوله كالمتحرك، ولهذا لو أردنا تطويل الحرف أيّ زمان شئنا لم يمكن إلا في حروف المد، والمدغم في مثله ينحى

(1) الخصائص 3/ 125. وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:527.

(2) الخصائص 3/ 126. وانظر: السيوطي: الأشباه والنظائر 1/ 166.

(3) التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد مطبعة الخلود، بغداد، الطبعة الأولى 1407 هـ – 1988م، ص 24.

(4) انظر الكتاب: 4/ 419، 437؛ والمقتضب: 1/ 298؛ والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: 529.

بالحرفين فيه نحو الحرف الواحد، فاجتمع فيه مد الحرف الذي هو قائم مقام الحركة وكون الحرفين كالحرف الواحد، وفي الثاني حركة، فحسن الإدغام لذلك. فصار كأنه لم يلتق ساكنان»[1].

وقال القرطبي: « لأن المد إنما جعل بدلا من الحركة ليقوى به الساكن، كذلك أيضا ألحق قبل الهمز ليقوى به الحرف الضعيف. فقد استويا في استيجابه من وجه واحد، فلا وجه للفرق»[2].

لكن مكيّاً خالف العلماء في تعليل هذه الظاهرة، فهو يرى العكس تماما، فالمد في رأيه حفاظا على حرف المد لخفائه، لا حفاظ على الهمزة؛ يقول مكي: « إن هذه الحروف خفية، والهمزة حرف جلد، بعيد المخرج، صعب في اللفظ، فلما لاصقت حرفا خفيا خيف عليه أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاء، فبين بالمد ليظهر»[3].

وعلل مكي المد قبل الحرف المشدد بقوله: «فلما وقع بعد حروف المد واللين وحرفي اللين[4] حرف مشدد وأوله ساكن، وحروف المد واللين وحرفا اللين سواكن لم يمكن أن يوصل إلى اللفظ بالمشدد بساكن قبله، فاجتلبت مدة تقوم مقام الحركة، يوصل بها إلى اللفظ بالمشدد. وكانت المدة أولى لأن الحرف الذي قبل المشدد حرف مد، فزيد في مده، لتقوم المدة مقام الحركة، فيتوصل بذلك إلى اللفظ بالمشدد، وهذا إجماع من العرب ومن النحويين.

والعلة في المد للساكن غير المشدد يقع بعد حروف المد واللين كالعلة في المد للمشدد، لأن بالمدة يوصل إلى اللفظ بالساكن بعد حرف المد واللين، فليس في كلام العرب ساكن يلفظ به إلا وقبله حرف متحرك، أو مده على حرف مد، تقوم مقام الحركة»[5].

والذي يبدو هو أن تعليل مكي أقرب القولين إلى الصواب، لأن ما في الهمزة من صفات القوة قد تجعله متمكنا من ذاته، بل قد يطغى على صوت المد لولا الإطالة، على العكس مع أصوات المد الخفية التي قويت بالمد عند مجاوزتها للهمزة أو السكون.

أما الدكتور إبراهيم أنيس فقد وافق مذهب مكي في ذلك، وكان تعليله لهذه الظاهرة مبنيا على الملاحظة الذاتية، حيث قال: «أما السر في هذه الإطالة فهو كما يبدو لي الحرص على صوت اللين وطوله، **لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام** لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين، إذا الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرا طليقا، وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أن النطق

---

(1) الموضح 166.

(2) الموضح 168.

(3) الكشف: 1/ 46، وانظر الهداية: 1/ 30 - 31. وذهب الأزهري وابن خالويه وأبو علي إلى أن المد هنا جيء به بيانا للهمزة لخفائها. انظر المعاني: 1/ 468، وإعراب السبع: 1/ 58، والحجة لابن خالويه: 65، والحجة لأبي علي: 1/ 391 - 392. وانظر التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني، 121.

(4) يريد الياء والواو شبه الصائتين إذا انفتح ما قبلهما.

(5) الكشف 1/ 60.

بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقا محكما يليه انفراجها فجأة، فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضوي كبير وإلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين.

وهذا هو نفس السر في إطالة صوت اللين حين يليه **صوت مدغم**، لأن طبيعة اللغة العربية ونسجها تستلزم قصر أصوات اللين الطويلة (أي حروف المد) حين يليها صوتان ساكنان، **فحرصا على صوت اللين وإبقاء على ما فيه من طول** بولغ في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللهجات العربية قديمها وحديثها، من ميل صوت اللين إلى القصر حين يليه صوتان ساكنان»[1].

يتلخص من ذلك أن علماء العربية وعلماء التجويد يجعلون علة المد قبل الهمزة لبيانها الهمزة، وقبل المشدد للفصل بين الساكنين، إلا أن مكيا جعل المد قبل الهمزة من أجل المحافظة على حرف المد لخفائه لا لبيان الهمزة، وهو خلاف ما أجمعوا عليه، وقد نقل علم الدين السخاوي أنه: «قال الزجاج وابن قتيبة موجب تمكين المد بيان الهمزة لا بيان الممدود، لأن الهمزة خفية، ومع خفائها ففي إخراجها كلفة، لأنها تخرج من الصدر كالسعلة لشدتها وبعد مخرجها، **فقويت بتمكين المد في حرف المد قبلها. وأما زيادة تمكين المد مع الساكن فلأجل التقاء الساكنين**، فكان المدُّ كالحركة، لأنه يتميز به أحد هما عن الآخر»[2].

ولا يعني الاختلافُ في تعليل ظاهرة ما الشكَّ في وجودها، فسواء ثبتت صحة ما قاله جمهور علماء التجويد في تعليل ظاهرة المد أو ما قاله غيرهم، فإن ذلك لا يغير شيئا من أصالة المد في العربية عموما وقراءة القرآن خصوصا، فقد ذكر المد علماءُ العربية، ورواه علماء القراءة مشافهة، وأكدوا ذلك بأحاديث مرفوعة إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم تتضمن وصف قراءته بالمد[3].

ونحن اليوم إذا أصغينا إلى قراء القرآن المتقنين وهم يطبقون المدود في مواضعها ويعطون كل حرف حقه من المد وجدنا ذلك لطيفا سائغا لا تكلف فيه ولا اضطراب، وإذا سمعنا قارئا يمد في غير مواضع المد بدا ذلك نابيا معيبا ثقيلا على الآذان، مما يدل على أن أحكام المد إنما بنيت على أساس صوتي صحيح.

ومن المناسب هنا أن نشير إلى قضية قلَّ من تعرض لها من علماء التجويد، وهي أن مراعاة أحكام المد ليس لازمة في كل أشكال النطق العربي، وأنها تلزم في قراءة القرآن فحسب؛ قال مكي بن أبي طالب: «والهمزة إذا وقعت بعد حرف المد واللين لك أن تدع إشباع المد **في الكلام**، فتقول: صائم وقائم بغير إشباع، قد ثبتت الألف والهمزة ولا تشبع، **فأما في القرآن** فلا بد من إشباع المد اتباعا للرواية»[4].

(1) الأصوات اللغوية ص (158-160).

(2) جمال القراء 188.

(3) انظر: الداني: التحديد 4، والعطار: التمهيد 61، 70. والسيوطي: الإتقان 1/ 271.

(4) الكشف 1/ 68.

فالمد ثابت في كلام العرب، وكل ما في الأمر أن قراءة القرآن يجب أن تتوفر فيها كل مظاهر العناية والإتقان في توفية الحروف حقوقها من الأحكام الخاصة بها، بينما تتفاوت درجة عناية المتكلم بنطقه فيما عدا القرآن الكريم[1].

6 - أقسام المدود:

إن تقسيم المدود من القضايا التي شغلت علماء التجويد دون علماء اللغة، حيث اختلف القراء في تقسيم المدود إلى مذاهبَ عدة، وغلب على كثير من المتأخرين منهم الحرص على تنويع تلك الأقسام حتى خرج الأمر إلى ما لا فائدة منه. حتى أنّ بعضهم أنهاها إلى أربعة وثلاثين قسما[2]. وعن هذه التقاسيم يقول علم الدين السخاوي: «ما أرى لها كبير فائدة »[3]، وقال المرعشي: « والاشتغال بمعرفة تلك الأسامي قليل الجدوى»[4]. ولا بأس أن نذَكِّر أن اختلاف القراء في تقسيم المدود اتخذ عدة مذاهب؛ نذكر منها ما يلي:

1 - تقسيم المد إلى طبيعي ومتكلف: وهو تقسيم أبي عمرو الداني، حيث قال: " وأما الممدود فعلى ضربين طبيعي ومتكلف ... "[5]، وقسمها ابن الطحان إلى طبيعي وعرضي[6]، وتابعه ابن الجزري[7]، وعبد وعبد الدائم الأزهري إلى طبيعي وفرعي[8]، وتابعه في هذه التسمية كثير من علماء التجويد[9].

2 - تقسيم المد إلى عشرة أقسام: وهي مد الحجز، ومد العدل، ومد التمكين، ومد الفصل، ومد الروم، ومد الفرق، ومد البنية، ومد المبالغة، ومد البدل، ومد الأصل. وهو تقسيم ابن مهران، وذكر ذلك السيوطي[10]. كما ذكره علم الدين السخاوي[1]، وقال عنه: " فهذه عشرة أسماء ما أرى لها كبير فائدة"[2]، ونسبه الشيخ زكريا الأنصاري إلى ابن القاصح [3].

---

(1) ظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: 447).

(2) الضباع، علي محمد، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص 27.

(3) المرجع السابق 523.

(4) محمد بن أبي بكر المرعشي، بيان جهد المقل، ص 223.

(5) التحديد:100.

(6) ينظر: مرشد القارئ: 50.

(7) ينظر: التمهيد في علم التجويد:68.

(8) ينظر: الطرازات المعلمة في شرح المقدمة:150.

(9) ينظر: شرح المقدمة الجزرية بهامش المنح الفكرية:55، تحفة نجباء العصر:62، اتحاف فضلاء البشر:157/1، وينظر: جهد المقل:213-214.

(10) ينظر: الاتقان:98/1.

3 - تقسيمه إلى أربعة عشر قسما: وهو مذهب الشيخ خالد الأزهري[4]. وزاد بعضهم على هذا التقسيم، فقد ذهب السمرقندي على انه ستة عشر قسما[5]. وذهب أبو الفتوح الوفائي إلى أنه تسعة وعشرون قسما[6]. قال الملا علي القاري: " وأما ما ذكره خالد من أن أقسام المد أربعة عشر، وكذا عد غيره تسعة وعشرين، فكلها مندرجة فيما ذكر أجمالا وإنما اختلف باختلاف الأسماء"[7]. وقال المرعشي: « والاشتغال بمعرفة تلك الأسامي قليل الجدوى»[8]. وقال الوفائي بعد أن ذكر التسعة والعشرين لقبا: «وإذا تأملت وجدت أكثر هذه الألقاب متداخلا، وأكثر التعاليل غير ناهض، ومرجع ما عد منها زيادة على المد الطبيعي إلى الهمزة والسكون»[9].

4 - تقسيم المدود باعتبار السبب: وكان بعض المتأخرين أكثر اعتدالا ممن ذكرنا في موضوع ألقاب المدود، فقسموا المدود باعتبار السبب، فما كان بسبب الهمزة قسموه إلى متصل ومنفصل وصلة كبرى وبدل ولين مهموز، وما كان بسبب السكون قسموه إلى لازم وعارض[10].

ويبدو لي أن تقسيم المد باعتبار السبب، هو اقرب التقسيمات إلى الدرس الصوتي و أيسرها في معرفة أقسام المدود، وهو المعتمد عند كثير من علماء التجويد؛ قال ابن الطحان في مرشد القارئ:" وهو نوعان: طبيعي وعرضي. **فالطبيعي:** هو الذي لا يقومُ ذاتُ حرف المد دُونَهُ. **والعَرَضي:** هو الذي يعرضُ زيادة على الطبيعي، لموجبٍ يُوجِبُهُ"[11].

---

(1) ينظر: جمال القراء وكمال الاقراء:523/2.

(2) المصدر نفسه: 523/2.

(3) ينظر: تحفة نجباء العصر: 67.

(4) ينظر: الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية: 36-37.

(5) ينظر: روح المريد:187-197.

(6) ينظر: الجواهر المضية: 80.

(7) المنح الفكرية ص 50.

(8) محمد بن أبي بكر المرعشي، بيان جهد المقل، ص 223.

(9) الجواهر المضية 82.

(10) المرادي: المفيد 104. ظ: زكريا الأنصاري: تحفة نجباء العصر ص5. والوفائي: الجواهر المضية 80. ظ: النشر في القراءات العشر:313/1، الطرازات المعلمة:150-151، الحواشي الازهرية:38. إتحاف فضلاء البشر:158/1-159. تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين:101-103

(11) مرشد القارئ 50 – 51، وينظر: التمهيد في علم التجويد 68.

وقال في كتابهِ (الإنباء): « **المد نوعان:** أصل، وفرعٌ، وفرعٌ أثبته النقل لموجب مراعاة الكُلّ. **فالمد الأصلي:** هو الذي لا تقوم ذاتُ حرف المد واللين إلاّ بهِ، ويُعبَّرُ عنه بالصيغة أيضاً، وهو السكون المشروح بما قدّمنا. **والمد الفرعي:** وهو المد المزيدُ لموجبهِ، وهو المقصود في هذا الباب. فإذا رأيت حرف المد لم يقترن به موجبٌ الزيادة فاقرأهُ على أصلهِ وصيغتهِ، وإن رأيت الموجِب قد أقترن به فمُدَّ حرف المد حيثُ أُمِرتَ بمدّهِ. ومعنى قولِنا: مُدّ: زدْ مدّاً على المد الأصلي، لأن المد الأصلي حاصلٌ مصحوبٌ، والمد الفرعي فاضِلٌ مجلوب»[(1)].

ولخص المرادي مذاهب القراء في تقسيم المد واعتبار الزيادة فيه وعدم اعتبارها في قوله: « وسبب المد أحد شيئين، وهما الهمز والسكون. أما الهمز فقسمان: لاحق وسابق. فالسابق نحو (آمنوا). وهذا لم يعتبره من القراء إلا ورش في بعض طرقه. واللاحق نوعان: متصل مثل (جاء)، ومنفصل مثل (يا أيها). والمتصل معتبر عند جميع القراء، والمنفصل معتبر عند أكثرهم، ولم يعتبره ابن كثير والسوسي. واختلف في ذلك عن قالون، والدوري[(2)]. ومنهم من أجرى في المتصل الخلاف المذكور في المنفصل[(3)]. وأما السكون فقسمان لازم وعارض وعارض للوقف. فاللازم معتبر عند الجميع، والعارض للوقف يجوز اعتباره وعدم اعتباره، وتفصيل ذلك في كتب القراءات»[(4)].

القسم الأول: المدّ الأصلي

تعريف المد الأصلي:

ويسمى المدّ الطّبيعيّ [(5)] والمدّ الذاتيّ [(6)]؛ وهو: الذي لا تقوم ذات حرف المدّ إلاّ به، ولا يتصوّر تحققها تحققها إلاّ مع وجوده، ولا يتوقّف على سبب من سببيْ المدّ الفرعي الآتي بيانهما [(7)]. أو هو أن لا يسبق حرف المدّ همزٌ، ولا يليه همزٌ ولا سكون؛ فالألف التي ليس قبلها همز وليس بعدها همز ولا سكون يقال لها: مدّ أصلي، وكذلك الواو والياء. وقد اجتمعت أحرف المدّ الثلاثة التي يقال لكل منها: مدّ أصلي في

(1) الإنباء 62 – 64.

(2) السوسي يروي قراءة أبي عمرو بن العلاء، وقالون يروي قراءة نافع، والدوري يروي قراءة الكسائي.(انظر: الداني: التيسير ص 74).

(3) أنكر ابن الجزري أن يكون هناك خلاف في اعتبار المد المتصل (انظر: النشر 1/ 315).

(4) المفيد 104.

(5) لأن صاحب الطبيعة السليمة لا يزيده عن حده المقرر له، ولا ينقصه عنه.

(6) لأن ذات الحرف لا تتحقّق إلاّ به؛ فحرف المدّ لا يتحقق إلا بإطالة الصوت بمقدار حركتين، فإن نقص عن ذلك ذَهَب.

(7) الحصري، محمود خليل، أحكام قراءه القرآن الكريم، ص208.

﴿أَتُجَادِلُونَنِي﴾ سورة الأعراف: الآية 71؛ لأن كل حرف مدّ ولين منها لم يُسْبَق بهمزٍ ولم يُلْحَق بهمزٍ ولا سكون.

وللمدّ الأصلي ثلاثة أحوال؛ باعتبار الوقف والوصل. فهو إما ثابت وصلا ووقفا كما في الياء بعد الفاء من قوله تعالى ﴿فِي سَبْعٍ﴾ سورة يوسف: الآية 46. وإما ثابت وصلا، محذوف وقفا، كما في الياء بعد الهاء من قوله تعالى: ﴿ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ ﴾ سورة المؤمنون، الآية ٨٨. وإما ثابت وقفا، محذوف وصلا، كما في الألف بعد الميم من قوله ﴿رَحِيما﴾ سورة النساء، الآية ١١؛ فإن التنوين هنا يمدّ ألفا عند الوقف، ويحذَف عند الوصل.[1]

أنواع المد الأصلي:

المد الأصلي أربعة أنواع؛ مد العِوض، ومد الصِّلة الصغرى، ومد التمكين، ومد التعظيم.

أ- مدُّ العِوض: وهو التعويض عن تنوين الفتح حالة الوقف بألف تمد حركتين، نحو ﴿ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ سورة محمد، الآية ٤ ويستثنى من مد العوض التاء المربوطة المنونة، وتكون في الوقف هاء و في الوصل تاء، و مثاله: ﴿ وَصِيَّةً﴾ النساء: 12، ويستثنى أيضا الأحرفُ الخمسة: **حا يا طا ها را** في فواتح بعض السور والمجموعة في «حَيٌّ طُهْرٍ».

ب - مد الصِّلة الصغرى: هو صلة هاء الضمير بحرف مد من جنس حركتها؛ بشرط وقوعها في حال الوصل بين متحركين غير متبوعةٍ بهمز. وعلامة هذا المدّ واوٌ صغيرة إذا كانت الهاء مضمومة كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾ سورة الكهف، الآية ٤١، وياءٌ صغيرة إذا كانت مكسورة[2] كما في: ﴿ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ الكهف:45.

ج - مدُّ التمكين: وهو مدة لطيفة يؤتى بها وجوبا للفصل بين الواوين في نحو: ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾ سورة العصر: الآية ٣، أو الياءين في نحو: ﴿ فِي يَوْمٍ﴾ سورة إبراهيم: الآية ١٨، وذلك حذرا من الإدغام أو الإسقاط.

---

(1) المراد هو المدّ الذي يتولد من إشباع حركة هاء الضمير حالة الوصل، أما إذا وقفت عليها فإنك تقف بالسكون، نحو: (لَهْ، بِيَدِهْ، يَأْتِهْ). وفي رسم المصحف يكتبون بعد هاء الصلة صورة حرف المدّ، بشكل مصغّر.

(2) ويستثنى في قوله تعالى (وَإِنْ تَشْكُرُوا **يَرْضَهُ** لَكُمْ) الزمر: ٧ كلمة يرضه؛ تقرأ بضم الهاء عند الوصل بدون مد، مع أن شرطها متحقق، وهو وقوعها بين متحركين.

د - مد التعظيم: ويسمى المدّ المعنويَّ، ويكون مبالغة لنفي الألوهية عمّا سوى الله سبحانه[1]؛كقوله تعالى ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ سورة البقرة، الآية ٢٥٥، و قوله سبحانه:﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ﴾ سورة الأنبياء، الآية.

ويَلحَق بالمدّ الأصلي الوقفُ على أنا ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ﴾ سورة المائدة، الآية ٢٨، والوقف على (لكنَّا) في: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ سورة الكهف: الآية ٣٨. وحكمها الحذف وصلا، والقصر (حركتان) وقفا. ويلحق به كذلك **مد الصلة الصغرى**، وهي عبارة عن النطق بهاء الضمير المكنى بها عن المفرد الغائب موصولة بحرف مد لفظي يناسب حركتها فيوصل ضمها بواو ويوصل كسرها بياء أو بميم الجمع كذلك عند من قرأ بضمها وصلتها وصلا إذا لم يلها همزة قطع نحو: عليهمو غير، عليهمو ولا[2].

القسم الثاني: المدّ الفرعي

تعريف المد الفرعي:

هو الذي يتوقف على سبب من همز - سواء أكان قبله أم بعده-، أو سكون - سواء كان أصليا أم عارضا -. فالهمز والسكون سببان لزيادة مقدار المدّ الفرعي على مقداره في المدّ الأصلي، سواء كانت تلك الزيادة واجبة، وذلك في المدّ المتصل واللازم، أم جائزة، وذلك في المدّ المنفصل والبَدَلَ [3] والعارض للسكون[4].

أنواع المد الفرعي:

كذالك يتفرع المد الفرعيُّ إلى ثمانية أنواع؛ خمسة منها بسبب الهمز، وثلاثة بسبب السكون.

- فالهمز سببٌ لخمسة أنواع من المدود هي: البَدَل، والمتَّصِل، والصلة الكبرى، والمُنْفَصِل، واللّين المهموز. وذلك أنّ الهمز إمَّا أن يكون سابقا لحرف المدّ أو لاحقا له، فإن كان سابقا فهو مدّ البَدَل، وإن كان لاحقا؛ فإن كان معه في كلمة واحدة فهو المتّصل أو اللين المهموز، وإن كان في كلمتَين فهو المنفصل، أو الصلة الكبرى.

---

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 389.

(2) كتاب الإضاءة في بيان أصول القراءة (ص: 9).

(3) مدّ البدل وتوسّطه عند ورش عن نافع لا غير، أما بقية القراء فيمدّونه مدّا طبيعيا بمقدار حركتين.

(4) المرادي، المفيد 104.

- والسكونُ سبب لثلاثة أنواع؛ هي: اللازم، والعارض للسكون، واللّين غير المهموز. ولا يكون السكون إلاّ لاحقا لحرف المدّ، فإن كان ثابتا في الحالتين فهو اللازم، وإن كان في الوقف فقط فهو العارض، أو اللين غير المهموز[1].

أوّلاً: أنواع المدّ الفرعيّ بسبب الهمز

1 - المدّ المتّصل الواجب:

وهو أن يليَ حرفَ المدّ همزٌ متصل به في كلمة واحدة، سواءٌ توسّط الهمزُ الكلمة كما في: ﴿المَلَآئِكَة﴾ سورة البقرة، الآية ٣١، و﴿لِيَسُوءُوا﴾ سورة الإسراء، الآية ٧، و﴿ هَنِيئا مَرِيئا﴾ سورة النساء، الآية ٤، أم كان في آخرها نحو: ﴿يَشَآءُ﴾ سورة البقرة، الآية ١٠٥، و ﴿ قُروءٍ﴾ سورة البقرة، الآية ٢٢٨، ﴿تَفِيءَ﴾ سورة الحجرات، الآية ٩.

وسمي بذلك لاتصال حرف المدّ بسببه وهو الهمز، ويسمى **مدَّ البنية** لأن الكلمة بنيت على المد، **والمدّ الواجب** لإجماع القراء على مده وإن تفاوتوا في قدره، قال ابن الجزري: «تتبعت قصر المتصل فلم أجده في قراءة صحيحة ولا شاذة» [2]. وحكمة وجوب مدّه أنّ حرف المدّ ضعيف خفي، والهمزَ صعبٌ قوي، فزيد في المدّ تقويةً للضعيف عند مجاورة القوي، و« ليستعان به على النطق بالهمزة، وليكون صَوْنا لحرف المدّ عن أن يسقط عند الإسراع في القراءة، لخفائه وصعوبةِ النطق بالهمزة » [3].

2 - المدّ المنفصل الجائز:

هو أن يليَ حرفَ المدّ آخرَ الكلمة همزٌ في أول الكلمة التي تليها، وسُمي منفصلاً لانفصال حرف المدّ عن سببه [4]، وجائزا لجواز قصره. ومثاله: ﴿يَآ ءادَمُ ﴾ سورة البقرة، الآية ٣٣ ﴿قُوا أنفُسَكُم ﴾ سورة التحريم، الآية ٦، ﴿ أَنظِرنِي إلى﴾ سورة الأعراف، الآية ١٤.

---

(1) المرادي، المفيد 104.

(2) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 315.

(3) الحصري، محمود خليل، أحكام قراءة القرآن الكريم، ص208.

(4) ويسمى مد البسط؛ لأنه يَبسط بين الكلمتين بساطا فيُفصل به بينهما. ويسمى أيضا مد الفصل؛ لأنه يفصل بين الكلمتين، سواء كان الانفصال حقيقيا بأن كان حرف المدّ ثابتا لفظا لا رسما نحو: يأيها، أمره إلى، هأنتم، ونحو: عليكم أنفسكم عند من وصل الميم، كما هو عند ورش. أو كان حرف المدّ ثابتا لفظا ورسما نحو﴿بِمَآ أُنزِلَ﴾ البقرة: ٤، ﴿قُولُوا ءَامَنَّا﴾ البقرة: ١٣٦، ﴿فِي أُمِّهَا﴾ القصص: ٥٩، ويقال له: الاعتبار؛ لاعتبار الكلمتين من كلمة، ويقال: مد حرف لحرف، أي: مد كلمة لكلمة، يقال: المد الجائز من أجل الخلاف في مده وقصره.انظر: النشر في القراءات العشر (1/ 319)، الحصري، محمود خليل، أحكام قراءة القرآن الكريم، ص 209.

3 – مد الصِّلة الكبرى:

وهو جعلُ ضمة هاء الضمير واواً، وكسرتِه ياءً إذا وقع بين المتحرك وهمزة القطع؛ وزيادة واوٍ بعد ميم الجمع قبل همزة القطع، وأمثلة ذلك: ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ سورة البقرة، الآية ٢٧٥، ﴿عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ﴾ سورة المؤمنون، الآية ١١٧، ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [1].

ويلحق بالصلة هاءُ الضمير، وهي الهاء الزائدة التي تتّصل بالاسم والفعل والحرف، وتقع بين ساكنين، أو بين حركة وسكون، أو بين سكون وحركة، أوبين متحركين؛ كما هو موضح في الرسم التوضيحيّ أدناه. و الحالاتُ الثلاثة الأُولى بحذف الصلة، والأخيرةُ بإثباتها. انظر الشكل الآتي:

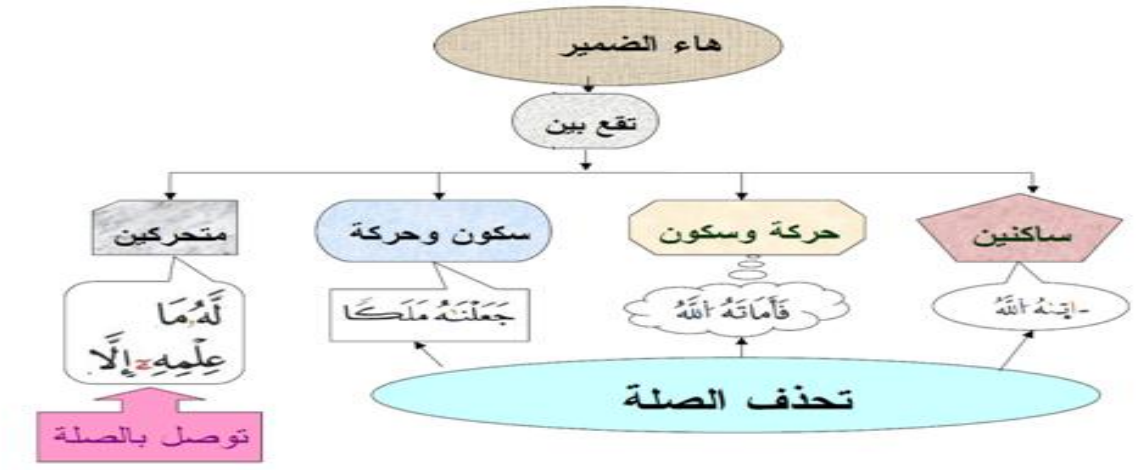

4 - مدُّ البدل:

وهو ما اجتمع فيه الهمز وحرف المدّ في كلمة، وتقدم الهمز نحو: ﴿ءَادَمَ ﴾ سورة البقرة، الآية 31، ﴿أُوتُوا ﴾ سورة البقرة، الآية 136، ﴿إِيمَانا ﴾ سورة الأحزاب، الآية 22، وسمي **مدَّ البدل** لأن حرف المدّ فيه بدلٌ من الهمزة الساكنة، أو لإبدال همزته الثانية حرفَ مدّ [2].

---

(1) سورة المائدة، الآية 107.

(2) وذلك أن أصل: ﴿ءَادَمَ ﴾: «أَأْدَمَ» بهمزتين، الأولى مفتوحة والثانية ساكنة، فأبدلت الهمزة الثانية الساكنة حرف مد ألفا، لأنها من جنس حركة ما قبلها. وأصل: ﴿أُوتُوا ﴾: «أُؤْتِيَ» بهمزتين، الأولى مضمومة والساكنة، فأبدلت الثانية واوا مديّة، لأنها من جنس حركة ما قبلها. وأصل: ﴿إِيمَانا ﴾: «إِئْمَاناً» بهمزتين، الأولى مكسورة والثانية، فأبدلت الثانية ياء مدّية، لكونها مجانسة لحركة ما قبلها.والحالات الثلاثة تسمى بالبدل المنطوق أو المحقق، أما غير المنطوق هو البدل المغيَّر؛ إما: بالنقل نحو: وَبِالآخِرَةِ : البقرة: 3، أو بالتسهيل نحو: ءَأَلِهَتُنَا:الزخرف: 58، أو بالإبدال نحو: مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً : الشعراء: 3.

5 – مدّ اللّين المهموز:

وهو الواو والياء الساكنتان بعد فتح إذا وليَتْهما همزة. نحو: ﴿كَهَيْئَةِ﴾ سورة المائدة، الآية 110، ﴿سَوْءَةَ﴾ سورة المائدة، الآية 31، ﴿شَيْءٍ﴾ سورة عبس، الآية 18، ﴿السَّوْءِ﴾ سورة الفرقان، الآية 40.

ثانيا: أنواع المدّ الفرعيّ بسبب السكون.

وهو قسمان: مد سكونه عارض، ومد سكونه أصلي.

النوع الأول: المد الذي سكونه عارض

وهو نوعان: مد عارض للسكون، ومد لين.

أ - المدّ العارض للسكون العارض:

هو أن يقع بعد حرف المدّ ساكن عارض لأجل الوقف[1]؛ كياء ﴿الضَّالِّين﴾ سورة الفاتحة، الآية: 7، ومثاله مع الألف ﴿عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ سورة الرحمن، الآية 4ٰ ومثاله مع الواو ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ سورة الصف، الآية 3ٰ ومثاله مع الياء ﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الزخرف: 9ٰ

ويندرج تحت هذا النوع: **المدُّ المتصل العارض للسكون؛** وهو المد الواجب المتصل قبل آخر الكلمة الموقوف عليها بالسكون، وسُمّي متصلاً لوجود الهمزة بعد حرف المد في كلمة واحدة، وسمي عارضا لعروض سكون الهمزة لدى الوقف. ويوقف عليه بالإشباع ست حركات، ولا يجوز قصره حركتين ولا أربع لقوة الهمز بعده، هذا عند الأزرق؛ أما الأصبهاني فله فيه التوسط، وسيأتي هذا الكلام في مراتب المدود. ومن أمثلة المد المتصل العارض قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ سورة البقرة، الآية 228، وقوله سبحانه: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ﴾ سورة الأحزاب، الآية 32، ﴿وَأَنا بَرِيءٌ﴾ سورة هود، الآية 35.

ب - مد اللين العارض للسكون:

وهو الواو والياء الساكنتان قبل آخر الكلمة، المفتوحُ ما قبلها الموقوف عليها[1] بالسكون العارض، شريطة ألا يكون آخر الكلمة همزة، وأمثلته: ﴿اثْنَتَيْنِ﴾ سورة النساء: 11، ﴿ضَيْفِ﴾ سورة الحجر: 51، ﴿يَوْمِ﴾ سورة الفاتحة، الآية 4، ﴿خَوْفٍ﴾ سورة قريش: 4ٰ

(1) الحصري، محمود خليل، أحكام قراءه القرآن الكريم، ص 224.

النوع الثاني: المد الذي سكونه أصلي

وهو المد اللاّزم، وحدُّه: أن يأتي بعد حرف المدّ حرفٌ ساكن سكونُه لازمٌ وصلا ووقفا؛ على أن يكون حرف المدّ والحرف الساكن في كلمة واحدة، نحو: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾ سورة آل عمران، الآية 61ٰ ﴿الطَّآمَّةُ﴾ سورة النازعات، الآية 34، ﴿ص﴾ سورة ص، الآية 1، ﴿ق﴾ سورة ق، الآية 1، ﴿ن﴾ سورة القلم، ، الآية 1ٰ فإذا كان حرف المدّ في كلمة، والحرف الساكن في كلمة أخرى فإن حرف المدّ يتعين حذفه حينئذ نحو: ﴿وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ سورة النمل، الآية 15، ﴿وَقَالوا اتَّخَذَ﴾ سورة مريم، الآية 88، ﴿والمُقِيمِي الصَّلاةِ﴾ سورة الحج، الآية 35.

وسُمّي هذا النوع لازماً للزوم سببه - وهو السكون - حالَي الوصل والوقف، أو للزوم مدّه بمقدار ست حركات عند جميع القراء. وابن الجزري يسمي هذا النوع **المدَّ للساكن اللازم**، قال: «وأما المدّ للساكن اللازم في قسمين – ويقال له أيضا: المدّ اللازم، إما على تقدير حذف مضاف أي اللازمُ سكونُه، فحذف المضاف واتصل الضمير، فيكون من باب الحذف والإيصال، أو لكونه يلزم في كل قراءة على قدر واحد. ويقال له أيضا، **مد العِدْل**، لأنه يعدل حركة تفصل بين الساكنَين، فإن القراء مجمعون على مده مشبعا قدرا واحدا من غير إفراط، لا أعلم بينهم في ذلك خلافا سلفا ولا خلفا»[2].

أقسام المدّ اللازم:

ينقسم المد اللاّزم إلى كَلِمي وحَرفي؛ وينقسم كل من الكَلِمي والحَرفي إلى مثقل ومخفف.

أوّلا: المدّ اللازم الكلمي

وهو أن يأتي حرف المدّ الطبيعي، ويأتي بعده حرف ساكن أصلي في كلمة، وسمي كَلِمياً لاجتماع حرف المدّ مع السكون في كلمة. وهو قسمان:

1 - المدّ اللازم الكلمي المخفف:

وهو الذي يلي فيه حرفَ المدّ حرفٌ ساكن سكونا لازما في كلمة، من غير إدغام هذا الحرف في غيره. ومثاله: وَمَحۡيَايَ [3]. وسمّي كلميّا لما تقدم في القسم الأول، ومخففا لانتفاء الإدغام فيه.

---

(1) أي الكلمة.

(2) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص 318.

(3) سورة الأنعام، الآية 162.

2 - المدّ اللازم الكلمي المثقّل:

وهو ما ولي فيه حرفَ المدّ حرفٌ ساكن، سكونا لازما في كلمة، مع إدغام ذلك الحرف الساكن في غيره فيصيرُ حرفا مشددا. ومثاله: ﴿وَالصَّآفَّاتِ﴾ سورة الصّافّات، الآية 1، ﴿الحَآقَّةُ﴾ سورة الحاقّة، الآية 1، ﴿وَحَآجَّهُ﴾ سورة الأنعام، الآية 80، ﴿الصَّآخَّةُ﴾ سورة عبس، الآية 33، ﴿الضَّآلِّين﴾ سورة الواقعة، الآية 92 [1]، وسمّي مثقّلا لكونه مدغما.

ثانيا: المدّ اللازم الحرفي

سمّي حرفيا لاجتماع المدّ والسكون في حرف، وهو قسمان:

1 - المد اللازم الحرفي المثقّل:

وهو الذي يكون فيه بعد حرف المدّ حرف ساكن سكونا لازما في حرف مع الإدغام. قال ابن غازي: « وضابط هذا القسم أن يوجد حرف في فواتح بعض السور هجاؤه ثلاثة أحرف، أوسطها حرف مد، والثالث ساكن مدغم في غيره » [2]، نحو: لام من ﴿الٓمٓ﴾ [3]، وسين من ﴿طسٓمٓ﴾ [4]، والسين من ﴿يٰسٓ وَالْقُرْءَانِ﴾ [5] والنون من ﴿نٓ وَالْقَلَمِ﴾ [6] على وجه الإدغام [7]. وسمي مثقّلا لكونه مدغما.

2 - المد اللازم الحرفي المخفف:

وهو الذي يكون فيه بعد حرف المدّ حرف ساكن سكونا لازما في حرف من غير إدغام، وضابطه أن يوجد حرف في فواتح بعض السور هجاؤه ثلاثة أحرف، أوسطها حرف مد، والثالث ساكن دون أن يدغم في غيره، وذلك نحو: ميم من ﴿الٓمٓ﴾ ، و ﴿طسٓمٓ﴾، و ﴿حمٓ﴾ [8]، وسين من ﴿يٰسٓ وَالْقُرْءَانِ﴾، ونون من ﴿نٓ وَالْقَلَمِ﴾، على وجه الإظهار، و ﴿صٓ﴾ و ﴿قٓ﴾. وسمّي مخففا لانتفاء الإدغام فيه.

---

(1) سورة الواقعة، الآية 92.

(1) الجريسي، محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد. ص138.

(3) سورة البقرة، الآية 1.

(4) سورة القصص، الآية 1.

(5) سورة يس، الآية 1.

(6) سورة القلم، الآية 1.

(7) أي إدغام نون (ياسين) في الواو من (والقرآن). وإدغام النون من (نون) في الواو من (والقلم) وبه يظهر معنى الإظهار فيهما فيما سيأتي.

(8) سورة غافر، الآية 1.

واللاَّزم الحَرْفيُّ بقسميه لا يكون إلاّ في أوائل السور، وأحرفه ثمانية جمعت في قول بعضهم: " **سَنُقُصّ عِلْمَكَ** "، أو " **نُقُصَ عَسَلُكُم** "، وهي السين والنون والقاف والصاد والعين واللام والميم والكاف. وما عدا هذه الأحرف الثمانية مما وقع في فواتح السور يُمَد مدّاً طبيعيا، وذلك في خمسة أحرف مجموعةٍ في قول بعضهم: "**حَيٌّ طَهُرَ**" أو "**حيٌّ طُهْر**"، وهي الحاء والياء والطاء والهاء والراء [1].

7 - أحكام المد ومقاديره:

أما أحكام المد فثلاثة: الوجوب، والجواز، واللزوم. **فالوجوب:** وله نوع واحد وهو المد المتصل. **والجواز:** ويشمل المد الجائز المنفصل، والمد العارض للسكون، ومنه مد اللين، ومد البدل[2]. **واللزوم:** ويشمل المد اللازم بقسميه: الكَلِمي والحرفي، والكل منهما مثقل أو مخفف[3].

وأما مقادير المد فقد عني الباحث على تتبعها في مظانّها لمعرفة ما للقراء العشرة فيها، لكني أشير إلى أن مقادير المدود هذه ليس مقطوعا بها من غير خلاف لدى القراء، فتحقيق الأمر فيها من الصعوبة بمكان، وهي كما قال ابن الجزري: « وقد اختلفت العبارات في مقدار مده اختلافا لا يمكن ضبطه ولا يصح جمعه. فقلّ من ذكر مرتبة لقارئ إلا وذكر غيره لذلك القارئ ما فوقها أو ما دونها»[4]. ومهما يكن فليس هذا محل تحريره، إنما هو كتب القراءات المتخصصة، ولا يعدوا مقصدنا في هذا البحث سوى التعريج على ما لأصوات المد من مقدرة على الاتساع الكمي الذي لا يقدر عليه غيرها، وهذا تفصيل ما سبق:

أولا: المدّ الأصلي؛ وهذا المد مما لا خلاف في تقديره، فمقداره أَلِفٌ اتفاقا؛أي حركتان[5].

(1) وجه مدها مدا طبيعيا هو كون هجائها على حرفين فقط، ولم يقع بعد حرف المدّ سكون لازم.

(2) الموسوعة على البحث المفيد في التجويد، محمد أحمد، ص118- 119، المكتبة الأزهرية للتراث 1996م.

(3) ظ: أبو الوفا، عبد الله بن علي، القول السديد في علم التجويد، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، (ص: 97). ظ: أحمد راغب أحمد، فونولوجيا القرآن الكريم، دراسة لأحكام التجويد في ضوء علم الأصوات الحديث، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د/ محمد الدسوقي الزغبي، أ.د/ محسن عبد الرزاق رشوان، جامعة عين شمس، كلية الآداب، مصر، (د.ت).

(4) النشر في القراءات العشر (1/ 319).

(5) الضباع، علي محمد، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص 65. ظ: الإنباء 62 – 64.

ثانيا: المدّ الفرعي؛ وتفصيله كالآتي:

1 - المدُّ المتصل: وقد أجمع الأئمة من أهل العراق إلا القليل منهم وكثير من المغاربة على مد المتصل قدرا واحدا مشبعا من غير إفحاش ولا خروج عن منهاج العربية، وإن اختلفت آراء أهل الأداء، أو آراء بعضهم في قدر ذلك المد، مع إجماعهم على أنه لا يجوز فيه القصر. قال ابن الجزري: «تتبعت قصر المتصل فلم أجده في قراءة صحيحة ولا شاذة»[(1)].

وعن ابن مسعود[(2)] - رضي الله عنه - أنه كان يقرئ رجلا، فقرأ الرجل: إنما الصدقات للفقراء والمساكين مرسلة، فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: أقرأنيها " إنما الصدقات **للفقرآء** والمساكين " فمددوها[(3)].

2 - المد المنفصل: واختلف القراء في مراتب المنفصل؛ **فذهب بعض القراء** إلى أنها أربع مراتب: إشباع[(4)]، ثم دون ذلك، ثم دونه، ثم دونه، وليس بعد هذه المرتبة إلا القصر، وهو ترك المد العرضي. وذهب غيرهم إلى أن مراتبه ثلاثة: وسطى، وفوقها، ودونها. فأسقطوا المرتبة العليا. وبعضهم إلى أنه على مرتبتين: طولى، ووسطى، فأسقطوا الدنيا وما فوق الوسطى.

وقد اختلفت العبارات في مقدار مد المنفصل اختلافا لا يمكن ضبطه ولا يصح جمعه. فقل من ذكر مرتبة لقارئ إلا وذكر غيره لذلك القارئ ما فوقها أو ما دونها، ونحن نلخص مذاهب الأئمة القراء كالتالي:

1 - القصر، والتوسط، والطول.

2 - القصر، والتوسط، وفوق التوسط، والطول.

3 - القصر، وفوق القصر، والتوسط، وفوق التوسط.

4 - القصر، وفوق القصر، والتوسط، وفوق التوسط، والإشباع؛ وهو مذهب أكثر المغاربة وبعض المشارقة.

5 - القصر، وفوق القصر، والتوسط، وفوق التوسط، والإشباع، وفوق الطول.

6 - القصر، وفوق القصر، والتوسط، وفوق التوسط، والإشباع، وفوق الطول، والإفراط.

---

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 315.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير:ج9/ص137، ح8677، ورجاله ثقات. ظ: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- دار الكتب العلمية (7/ 155).

(3) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 315.

(4) تتردد في هذا المبحث الكثير من المصطلحات كالإشباع والقصر والتوسط وفوق وفويق وغيرها، والتي يدل كل منها على مقدار كمي زمني للمد، وقد عرضناها في بيان مفهوم المد، نرجو الرجوع إليها في مبحث: المصطلحات الخاصة بمعنى المد.

7 - دون القصر وهي البتر، والقصر، وفوق القصر، والتوسط، وفوق التوسط، والإشباع، وفوق الطول، والإفراط[1].

فالمرتبة الأولى: وهي قصر المنفصل، وتكون بحذف المد العرضي وإبقاء ذات حرف المد على ما فيها من غير زيادة، وهي القصر المحض، نسبها القراء لأبي جعفر، وابن كثير، واختلف عن: قالون، والأصبهاني عن ورش، وعن أبي عمرو من روايتيه، وعن يعقوب، وعن هشام من طريق الحلواني، وعن حفص من طريق عمرو بن الصباح.

والمرتبة الثانية: أي فوق القصر قليلا، نسبت للدوري، والسوسي، ويعقوب، وهشام، وحفص من طريق عمرو، ولأبي عمرو، وأبي جعفر والحلواني، وخلف، وللكسائي، ولابن كثير، ولقالون عن نافع من طريق الحلواني وأبي نشيط على خلاف عنهم.

والمرتبة الثالثة: وهي التوسط عند الجميع، نسبت لابن عامر، والكسائي، ولعاصم، ولأبي نشيط عن قالون، وللأصبهاني عن ورش، ولأبي عمرو.

والمرتبة الرابعة: فوق التوسط قليلا، نسبت لعاصم، ولابن عامر، ولحمزة، ولورش، وللدوري عن الكسائي.

والمرتبة الخامسة: وهو الإشباع، ونسب لحمزة، ولورش من طريق الأزرق، ولقتيبة عن الكسائي، وابن ذكوان عن ابن عامر.

والمرتبة السادسة: فوق الإشباع، وهو مروي عن حمزة، والكسائي، وحفص.

والمرتبة السابعة: فوق ذلك؛ وهي الإفراط، وانفرد ورش بهذه المرتبة، وشذ عن إجماع أهل الأداء.

ولا شك أن تقدير مراتب المد المنفصل من الصعوبة بمكان؛ الأمر الذي دفع بابن الجزري إلى قوله معلقا عن هذه المراتب: « واعلم أن هذا الاختلاف في تقدير المراتب بالألفات لا تحقيق وراءه، بل يرجع إلى أن يكون لفظيا، وذلك أن المرتبة الدنيا وهي القصر، إذا زيد عليها أدنى زيادة صارت ثانية، ثم كذلك حتى تنتهي إلى القصوى، وهذه الزيادة بعينها إن قدرت بألف أو بنصف ألف هي واحدة، فالمقدر غير محقق، **والمحقق إنما هو الزيادة، وهذا مما تحكمه المشافهة**»[2].

(1) النشر في القراءات العشر (1/ 319-323).

(2) النشر في القراءات العشر (1/ 327).

3 - مد البدل:

وحكم البدل القصرُ عند جميع القراء وكذلك عند الأصبهاني عن ورش، ووجه القصر: أن الهمز في البدل متقدم على حرف المدّ فلا حاجة للمد [1]، واختص ورش من طريق الأزرق بجواز الأوجه الثلاثة، واستوت عنده الهمزة في أحوالها التالية:

1 - همزة ثابتة: نحو (آمنوا) و (نأى)، و (سوآت)، و (لإيلاف)، و (دعائي)، و (المستهزئين)، (والنبيئين)، (وآتوا)، و (يئوسا)، و (النبيئون).

2 - همزة مغيرة، وهي أنواع:

أ - همزة مغيرة بينَ بينَ، وذلك في (أأمنتم) في الأعراف وطه والشعراء و (ءألهتنا، جاء آل) في الحجر. (جاء آل فرعون) في القمر.

ب - أو همزة مغيرة بالبدل، في (هؤلاء آلهة) في الأنبياء. و (من السماء آية) في الشعراء

ج - أو همزة مغيرة بالنقل نحو (الآخرة، الآن جئت، الإيمان الأولى، من آمن بني آدم ألفوا آباءهم قل إي وربي قد أوتيت) وشبه ذلك.

فإن ورشا من طريق الأزرق مدَّ ذلك كله زيادة على القصر، على اختلاف بين أهل الأداء في قدر هذه الزيادة: فبعضهم قدرها بالإشباع المفرط، وذهب الجمهور إلى أنه الإشباع من غير إفراط، وذهب الداني إلى التوسط[2]. ووجه توسّطه ومدّه، القياس على المدّين المتصل والمنفصل، بجامع أن كُلاًّ حرفُ مد مجاورٌ للهمز، سواء تقدم الهمز أم تأخر[3].

واستثنى ورش من البدل مواضعَ مخصوصةً؛ وهي:

1 - أصلان مطردان وكلمة: فالأصلان هما: الألف المبدلة من التنوين وقفا، كما في نحو: ﴿**دعاءً ونداءً** ﴾ البقرة:١٧١؛فحكمها القصر إجماعا، لأن الألف غير لازمة. والثاني: أن يكون قبل الهمزة ساكن صحيح متصل نحو « قُرْآنا، الظَّمْآن، مذءوما، مسئولا»، فحكمها القصر إجماعا، لحذف صورة الهمزة رسما. وأما الكلمة فهي «يؤاخذ» كيف وقعت نحو« لَا تُؤَاخِذْنَآ »:البقرة: 285 و « لَا يُؤَاخِذُكُمُ »:البقرة: 223، فحكمها القصر إجماعا، وذلك لأنها عندهم من «وخذت» وهو غير مهموز.

---

(1) لأن علة المدّ في المنفصل والمتصل هي: التمكن من النطق بالهمز، وهي في البدل منتفية.

(2) النشر في القراءات العشر (1/ 338-340).

(3) الحصري، محمود خليل، أحكام قراءه القرآن الكريم، ص208.

2 - أصل مطرد وثلاث كلمات؛ وهذه المواضع محل خلاف. المختلف فيه هو حرف المدّ الواقع بعد همز الوصل في الإبتداء نحو« يَقُولُ ٱيذَن لَّ » التوبة: 49 وَ« ٱلذِّكَرَيۡنِ ءَٱلۡـَٰٔنَ» البقرة: 282. وأما الكلمات؛ فهي «پ»حيث وقعت، وذلك لكثرة المدود لأنها دائما مركبة مع كلمة «بني». وكلمة « ءَٱلۡـَٰٔنَ » يونس:51، 91، وهما من المغيَّر بالنقل، والمراد الألف الأخيرة لأن الأولى من باب المدّ اللازم. وكلمة «عَادًا ٱلۡأُولَىٰ» النجم: 49، وهي من المغير بالنقل أيضا.

4 - مد اللّين المهموز:

أما مد اللين المهموز فللأزرق فيه التوسط والإشباع إلحاقا له بأحرف المدّ لما فيه من خفاء، سوى كلمتين، هما ﴿ مَوۡئِلا﴾ سورة الكهف، الآية 58، و﴿الۡمَوۡءُودَةُ﴾ سورة التكوير، الآية 8، وذلك لعُروض سكونهما، لأنهما من وأل ووأد، أمَّا الأصبهانيّ عن ورش فليس له فيه سوى القصر- أي عدم المدّ أصلا - كباقي القراء[1].

واختُلف أيضا عن الأزرق في واو ﴿سَوۡءَاتُهُمَا﴾ سورة الأعراف، الآية 22، فنص على استثنائها الجمهور، وعلى هذا لا يتأتى فيها لورش سوى أربعة أوجه، وهي قصر الواو مع الثلاثة في الهمزة، والرابع التوسط فيهما. قال ابن الجزري: « لا أعلم أحدا روى إشباع اللين إلا وهو يستثني﴿سَوۡءَات﴾ فعلى هذا يكون الخلاف دائرا بين التوسط والقصر »[2]. وذهب بعض أهل الأداء إلى قصر المدّ في حرفي اللين عن الأزرق عدا لفظ « شيء »، فقط كيف أتى مرفوعا، أو منصوبا، أو مخفوضا، وقصرِ باقي الباب، والمراد بالمدّ له التوسط، والإشباع[3]. أما إذا وقع الهمز بعد حرف اللين منفصلا، فأجمعوا على ترك الزيادة نحو (خلوا إلى، و ابني آدم)[4].

5 - المد العارض للسكون العارض:

وفيه لأهل الأداء من أئمة القراء ثلاثة مذاهب:

1 - **الإشباع:** وهو مذهب القدماء من مشيخة المصريين، وهو اختيار الشاطبي لجميع القراء.

2 - **التوسط:** واختاره بعضهم لأصحاب التوسط وتدوير القراءة كالكسائي وخلف في اختياره، وابن عامر في مشهور طرقه، وعاصم في عامة رواياته.

---

(1) الإضاءة (15/1).

(2) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر. ج1، ص 347.

(3) محمد سالم المحيسن، المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1997، ص41.

(4) النشر في القراءات العشر (1/ 345-346).

3 - القصر: لأن السكون عارض فلا يعتد به، ولأن الجمع بين الساكنين مما يختص بالوقف نحو: (القدر) (والفجر)، قال ابن الجزري: « الصحيح جواز كل من الثلاثة لجميع القراء؛ لعموم قاعدة الاعتداد بالعارض وعدمه عن الجميع»[1]. فالقصر يناسب الحدْرَ، والتوسط يناسب التدويرَ، والإشباع يُناسب التحقيقَ.

6 - مد اللين غير المهموز:

وهو على أقسام؛ لازم مشدد وغير مشدد، وعارض مشدد وغير مشدد.

1 - **أمّا مد اللين غير المهموز اللازم غير المشدد** ففي حرف واحد:، وهو (عَيْنْ) من فاتحة مريم والشورى، واختلف أهل الأداء في إشباعها وفي توسطها، وفي قصرها لكل من القراء. **فمنهم من أجراها مجرى حرف المد**، فأشبع مدها لالتقاء الساكنين، وقال: هو قياس قول من روى عن ورش المد في مد اللين المهموز في (شيء، والسوء) وشبههما عن ورش وحده من طريق الأزرق. **ومنهم من أخذ بالتوسط** نظرا لفتح ما قبل، ورعاية للجمع بين الساكنين، وجعله قياس من روى عن ورش التوسط في (شيء) وبابه. وهذان الوجهان مختاران لجميع القراء عند المصريين، والمغاربة، ومن تبعهم، وأخذ بطريقهم. **ومنهم من أجراها مجرى الحروف الصحيحة** فلم يزد في تمكينها على ما فيها.

2 - **وأما مد اللين غير المهموز اللازم المشدد** ففي حرفين: (هاتيْنِّ) في القصص (واللذَيْنِّ) في فصلت، وهو في قراءة ابن كثير بتشديد النون فيجري له فيهما الثلاثة الأوجه المتقدمة، والقصر فيهما مذهب الجمهور.

3 - وأما مد اللين غير المهموز العارض غير المشدد فنحو: (الليل، و الميل، و الميت، و الحسنيين، و الخوف، و الموت، و الطول) حالة الوقف، ففيه عن أئمة الأداء المذاهب الثلاثة، وهي الإشباع والتوسط والقصر،

فالإشباع مذهب بعض المصريين، والتوسط مذهب أكثر المحققين، وهو اختيار أبي عمرو الداني، والقصر هو مذهب الحذاق، وقد نص على الثلاثة جميعا الإمام أبو القاسم الشاطبي.

4 - وأما مد اللين غير المهموز العارض المشدد فنحو: (الليل لباسا. كيف فعل. الليل رأى. بالخير لِقضي) عند أبي عمرو في الإدغام الكبير، و فيها الإشباع والتوسط والقصر، والجمهور على القصر[1].

(1) النشر في القراءات العشر (1/ 336).

7 - المد اللازم:

وقد أجمع الأئمّة على مده، وإن اختلفت آراء أهل الأداء، أو آراء بعضهم في قدر ذلك المد، مع إجماعهم على أنه لا يجوز فيهما ولا في واحد منهما القصر. قال ابن الجزري: « القراء يجمعون على مده مشبعا قدرا واحدا من غير إفراط، لا أعلم بينهم في ذلك خلافا سلفا ولا خلفا »[2]. ثم اختلفوا أيضا في تفاضل ذلك على بعض:

- فذهب كثير إلى أن مد المدغم منه أشبع تمكينا من المظهر من أجل الإدغام، لاتصال الصوت فيه وانقطاعه في المظهر، فعلى هذا يزاد إشباع لام على إشباع ميم من أجل الإدغام في (ألم)، وكذلك (دابّة) بالنسبة إلى (محيايْ) عند من أسكن.

- وذهب بعضهم إلى عكس ذلك، وهو أن المد في غير المدغم فوق المدغم، وقال: لأن المدغم يتحصن ويقوى بالحرف المدغم فيه بحركته. فكأن الحركة في المدغم فيه حاصلة في المدغم، فقوي بتلك الحركة وإن كان الإدغام يخفي الحرف.

- وذهب الجمهور إلى التسوية بين مد المدغم والمظهر في ذلك كله؛ إذ الموجب للمد هو التقاء الساكنين، والتقاؤهما موجود[3].

- أما مقادير المد اللازم الحرفي فخلاصة الأمر فيه أن مجموع الأحرف [4] التي تمد مدا لازما حرفيا في أوائل السور أربعة عشرة حرفا، وهي على أربعة أقسام:

القسم الأول: يُمد مدا لازما بمقدار ست حركات، وهو أحرف "**سَنَقُصّ عِلْمَكَ**" ما عدا عين منها. ويُنطَق كل منها على ثلاثة أحرف أوسطها حرف مد [5].

القسم الثاني: يجوز فيه الإشباع والتوسط والقصر، وهو "**عَيْن** " في فاتحَتَيْ مريمَ والشورى، وقد اختلف أهل الأداء في إشباعها وتوسّطها وقصرها. فمنهم من أجراها مَجرى حرف المدّ فأشبع مدّها لالتقاء الساكنين. ومنهم من أخذ بالمتوسط نظرا لفتح ما قبل الياء – فجعلها مد لِين - ورعاية للجمع بين الساكنين. قال ابن الجزري: «وهذان الوجهان هما المختاران لجميع القراء »، ثم قال:« ومنهم من أجراها مَجرى الأحرف الصحيحة فلم يزد في تمكينها على ما فيها » [6].

---

(1) النشر في القراءات العشر (1/ 348).

(2) النشر في القراءات العشر (1/ 317).

(3) النشر في القراءات العشر (1/ 317).

(4) وقد وقعت هذه الأحرف في فواتح تسع وعشرين سورة.

(5) أي أنها تنطق باسمها، هكذا: سين نون قاف وهكذا بقية الأحرف.

(6) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر. ج 1 ص 348.

والخلاصة: أن **وجهَ إشباع عَيْن** هو القياسُ على نظائرها في القسم الأوَّل، **ووجهُ توسُّطها:** انحطاطُ رتبة حرف اللين عن حرف المد، تفرقةً بين ما قبله حركةٌ من جنسه، وما قبله حركة من غير جنسه، ليكون لحرف المدّ مَزِيَّةٌ على حرف اللين، ولأن حرف المدّ واللين أمكنُ في المدّ من حرف اللين فقط. **ووجه القَصْر:** أن زيادة المطّ من خواص حرف المد، فإذا انتفى حرف المدّ انتفت الزيادة على أن القَصْر هو الأصل.

وفضَّل العلماء الإشباعَ؛ لأنه قياسُ مذهب أهل الأداء في الفصل بين الساكنين، وأن فيه مجانسةً لما جاوره من المدّ وهو"**صاد**" في أول مريم و"**سِين**" في أول الشورى[1].

القسم الثالث: ويمد مدا طبيعيا، وتنطق حروفه كل منها على حرفين ثانيهما حرف مد، وهي أحرف: "**حَيٌّ طَهُرَ** "[2].

القسم الرابع: لا يُمدّ أصلا وهو "**أَلِف**"، لأن وضعها على ثلاثة أحرف، وليس وسطَها حرفُ مد ساكن.

وقد لخص عبد الوهاب القرطبي أحوال تلك الحروف في المد حيث قال: « فالحاصل أن هذه الحروف على ستة أضرب: **ضرب** لا مد فيه ولا تمكين، وهو ألف، **وضرب** دون الممكن المقصور وفوق الحركة، وهو العين، **وضرب** ممكن مقصور، وهو الطاء والحاء والهاء، وما أشبه ذلك، **وضرب** فوق ذلك بأدنى مد، وهو الكاف والقاف وصاد ونون في قراءة من أظهر، ونستعين في حال الوقف بغير روم، **وضرب** ممدود أتم المد في (لم) و (صاد ذكر) و (نون والقلم) في قراءة من أمحض الإدغام. وكذلك (زكرياء) و (السماء) و (الضالين) وما أشبهه، **وضرب** ممدود مدا وسطا بين مد القاف والكاف، وبين مد (لم) و (صاد ذكر) في قراءة من أدغم، وهو النون إذا أدغمت بغنة في (نون والقلم) وفي (نستعين) إذا وقف عليها بروم أو إشمام»[3].

إن هذا التفاوت الدقيق والمتعدد بين مراتب أزمنة المد يصعب على القارئ المبتدئ أو المطالع المارِّ تداركه بل ربما استيعابه، ولا يمكن احتواء الأمر إلا بالمشافهة، أو بتوزيع كل ما سبق في ثلاث مراتب: قصر وتوسط وطول؛ يقول ابن الجزري: « ولا يخفى ما فيها من الاختلاف الشديد في تفاوت المراتب، وإنه ما من مرتبة ذكرت لشخص من القراء إلا وذُكر له ما يليها، وكل ذلك يدل على شدة قرب كل مرتبة مما يليها، وإن مثل هذا التفاوت لا يكاد ينضبط، والمنضبط من ذلك غالبا هو القصر المحض والمد المشبع من غير إفراط عرفا، والتوسط بين ذلك»[4].

(2) الحصري، محمود خليل، أحكام قراءه القرآن الكريم. ص221.

(2) وتنطق بلفظها، هكذا: حا – يا – طا – ها – را

(3) الموضح 169.

(4) النشر 1/ 328.

8 - ضبط أزمنة المدود:

إن المعيار في ضبط أزمنة المدود هو القياس بالحركة ، والحركةُ: هي الفترة الزمنية اللاّزمة للنطق بصائت قصير مفتوح أو مضموم أو مكسور. وقدَّرها بعض علماء القراءات بزمن قبض الإصبع، أو بسطه. أما الحركتان فالمراد بهما الفترة الزمنية اللازمة للنطق بصائتين قصيرين متتاليين.

وكان ابن الطحان قد أكّد ذلك في أثناء حديثهِ عن الحركات وحروف المد بقوله « ووزن الحركة في التحقيق نصف الحرف المتولد عنها، ولذلك سمّوا الفتحة الألف الصغرى، والضمة والواو الصغرى »[1]. وتابع المارديني ابنَ الطحان فقال عن مقدار الحركة: « مقدار الفتحة ثلث ألف، والضمة ثلث واو، والكسرة ثلث ياء. والأصح عند الشيخ أنه نصف »[2]. قال علي القاري: «اعلم أن الألف مركب من فتحتين، والواو مركب من ضمتين، والياء مركب من كسرتين. فإذا أشبعت الفتحة يتولد منها ألف، وإذا أشبعت الضمة يتولد منها الواو، وإذا أشبعت الكسرة يتولد منها الياء»[3].

لكنَّ ثمَةَ مسألةً هامّة لابد من التنبُّه إليها؛ **وهي أن تقدير المدود قَصْرا وتوسطا وإشباعا وغيرَ ذلك إجراء نسبيٌّ** غيرُ محصور ولا تحكمه إلا المشافهةُ، وأن تقديره بالألفات ليس على الحقيقة؛ إنما هو تقريب على المبتدئين، ويعلل مكي ابن أبي طالب القيسي ذلك بقوله: « لأن المدّ إنما هو فتح الفم بخروج النفس مع امتداد الصوت، وذلك قدر لا يعلمه إلا الله... وقد وقع في كتب القراء التقدير بالأَلِف والأَلِفَيْن والثلاثة- على التقريب- للمتعلمين، ألا ترى أنهم حين أرادوا التحقيق للمدّ ذكروا أنه لا يحكمه إلا بالمشافهة، وقسمه بعضهم على خمس رتب، وعلى أربع رتب وعلى ثلاث رتب. ولم يقل أحد من القراء النحويين: إنّ المدّ يحصر في قدر أَلِف وقدْر أَلِفين، ولا يكون أكثر ولا أقل، هذا ما لم يقله أحد، ألا ترى أن أبا إسحاق الزّجاج قال: لو مددت صوتك يوما وليلة لم يكن إلا أَلِفا واحدا؟ »[4].

ويفصل مكي القول في مقادير المدود على اختلاف أنواعها ، وأن ما كان حقه التوسط لا يعني بالتدقيق ضعف ما قدرُه القصر، أو أن المُشبَعَ لا يعني بالضرورة ضعف المتوسَّط ونصفا وهكذا، يقول مكّي:« ويقال لمن ادعى أن المدّ على أَلِف وقدر أَلِفين حقيقة، لو حَلَفَ رجل بِصَدَقَة مالِهِ أو بعتق عبْدِهِ، أو بطلاق امرأته أنه يَقْدِر أن يَمُدَّ "**دابة**" مثل "**حاميم**"، أو أنه يقدر أن يمدّ "**آمن**" نصف مدِّه "**جاء**" حقيقة، أو حَلَفَ أنه يقدر أن يمدّ "**آدم**" ثُلُثَ مَدِّه لقوله تعالى:" وقالوا **آلهتنا** خير أم هو"، أو حَلَفَ أنه يمد "آلهتنا" بثلاثة أمثال

(1) الإنباء 58 – 59. ظ: القسطلاني، لطائف الإشارات 1/ 178.

(2) المارديني (شمس الدين محمد بن قيصر النحوي ت 721هـ): الدر النضيد في معرفة التجويد (نظم)، مخطوط في مكتبة جستربتي (الرقم 3653/ 4)، الأوراق 75 - 60. ص63. نقلا عن كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص280.

(3) المنح الفكرية على متن الجزرية ص 50، وانظر: الدركزلي: خلاصة العجالة 181.

(4) القيسي، مكي بن أبي طالب، تمكين المد في «آتى» و«آمن» و«آدم» وشبهه، تح: أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، ط 1، 1984، ص 36.

مدّه لـ" **آدم** " **و** " **آتى** " هل هو حانث أم لا؟ فلا بد أن يحنث **لأنه حلف على علم لا يصل إليه حقيقةً البتة**... وكيف يَعْلَمُ الزمان الذي كان في حين لِفظه لـ " **آدم** " فيجعل ثلاثة أمثاله في مدّه لـ "آلهتنا"؟... هذا جهل عظيم !!. وإنّما جعلنا في "آلهتنا" مدّة قدر ثلاث أَلِفات –على التقريب- لأن أصله ثلاث همزات. وكذلك ذكر ابن مجاهد رحمه الله تعالى»[1]. فهذا التفصيل من مكي بن أبي طالب القيسي يفيد أنه لا ضابط زمنيَّ لأنواع المد؛ إنما هو نسبيٌّ، كما أنَّه من باب التيسير على المبتدئين.

ويشير علماء التجويد من بعده إلى أن ضبط تلك المقادير إنما هو من باب التقريب لا التحديد؛ قال السمرقندي: «وذلك يكون تقريبا لا تحديدا، فمن يحقق القراءة ويمكنها فمده على قدر تحقيقه، ومن يحدر مده على قدر حدره، وذلك يفهم من أفواه الرجال مشافهة وعيانا»[2]. وقال أحمد بن الجزري: «وهذا كله تقريب لا تحديد، ولا يضبطه إلا المشافهة والإدمان»[3].

وحاول بعض علماء التجويد المتأخرين ابتكار وسائل لقياس مقادير المد وضبطها، فالقول إن مقدار المد ألف أو ألفان مثلا لا يكفي لبيان الزمن الذي يحتاجه نطق المد، فلا بد من إيجاد وسيلة تساعد في ضبط زمن نطق الوحدة المستعملة في قياس طول المد وهي الألف، أي زمن نطق صوت الألف.يقول الدكتور غانم قدوري الحمد: « ولدينا نصان حول الموضوع، لاثنين من شراح المقدمة الجزرية، وليس لديّ دليل الآن على وجود محاولة أقدم منهما»[4].

قال طاش كبرى زاده: «ويعرَف مقدار المدات: إما بقولك (آ) مرة أو مرتين، إلى غير ذلك. أو تعد عددا، وتمد صوتك بقدر ذلك. أو تعقد الأصابع وتمد بقدر ذلك. لكن هذا كله تقريب، ولا يضبطه إلا المشافهة من لفظ المشايخ والسماع من فم الأستاذ الراسخ. ثم الإدمان على ذلك»[5]. وفي هذا النص ثلاث طرق لقياس زمن نطق الألف.

وقال علي القاري: «وأما معرفة مقدار المدات المقدرة بالألفات **فأن تقول (آ) مرة أو مرتين أو زيادة**. وتمد صوتك بقدر قولك: ألف ألف، **أو كتابتها، أو بقدر عقد أصابعك في امتداد صوتها**. وهذا كله تقريب لا تحديد للشأن. إذ لا يضبطه إلا المشافهة والإدمان»[6]. ويتحصل من الجمع بين النصين أربع طرق لقياس زمن نطق الألف الذي اتخذه علماء التجويد أساسا لقياس مقادير المدود وتلك الطرق هي:

1 - أن تقول (آ) مرة أو مرتين أو أكثر، كل مرة تساوي نطق ألف.

---

(1) القيسي، مكي بن أبي طالب، تمكين المد في «آتى» و«آمن» و«آدم» وشبهه، ص37.

(2) روح المريد 138.

(3) الحواشي المفهمة 53.

(4) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: 454).

(5) شرح المقدمة الجزرية 33.

(6) المنح الفكرية ص 48.

2 - العقد بالأصابع، ولعل معناه الطرق بأي من الأصابع على الإبهام، كل طرقةٍ تقابل نطق ألف. أو أن معناه طي الإصبع أو بسطه.

3 - أن تعد عددا، فتقول في قرارة نفسك: واحد، اثنان، ثلاثة... الخ. وقد انفرد بذكر هذه الطريقة طاش كبري زاده. وبهذا يتم عد طيات الإصبع أو عد بسطاته.

4 - أو كتابة صوت المد، أي كتابة (ا)، وليس كتابة (ألف).

لكننا نقف ههنا على ثلاث ملاحظات:

أولا: إذا كان استخدام أجهزة القياس الدقيقة في ضبط مقادير المدود غير متيسر الآن[1]، فإن الطرق السابقة التي ذكرها علماء التجويد تظل صالحة للاستخدام حتى يتيسر استخدام طرق أكثر دقة وتحديدا لقياس مقادير المدود.

ثانيا: لم يكن في وسع القراء أن يضبطوا المد بغير ما تلقوه على مشايخهم من طرق حديثا عن قديم، لأنّ منهج القراء لا يعتمد على القياس في بيان أصوله وأحكامه وقواعده؛ وإنما يعتمد الرواية والنقل، ثم العرض والأداء، فالقراءة سنة يأخذها وينقلها جيل عن جيل، وعلم الرواية يؤدى دون دخل من الراوي، دون نظر إلى قياس لغة، وبهذا يختلف منهج القراء عن منهج النحويين الذين يعتمدون القياس أساسا لهم في بناء أحكامهم، وجاء تصريح "الشاطبي" في لاميته بأن منهج علماء القراءات والتجويد النقل فقط فقال:

جزى الله بالخيرات عنا أئمة لنا نقلوا القرآن عذبا وسلسلا

ثالثا: من خلال هذا العرض لتلك النصوص يمكن القول بأن زعم الدكتور هنري فليش وغيره في حق علماء العربية " أنهم لم يتصوروا الجانب الكمي منها" [2] رأي قد جانب الصواب، ولا ردَّ عليه أقوى من تلك النصوص التي بثثناها في كل ناحية من نواحي البحث، والتي دللنا بها اختصارا على مسائل البحث، وإلا فهي أوسع وأكثر من ذلك بكثير.

أما زمن نطق الصوائت عند المحدثين؛ فالصوائت الطويلة عندهم تختلف من ناحية طول المدة التي تستغرقها الحركة القصيرة[3]، حيث أن هذه الحركات الطويلة تستغرق زمنا يعادل نصف الزمن الذي

(1) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 159.

(2) التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الاعراب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج23، ص87، تقلا عن كتاب الجبوري، أحمد عطية علو، الخلاف الصوتي عند القدماء والمحدثين، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور سالم قدوري الحمد، كلية التربية، جامعة تكريت، 1424هـ- 2004م، ص293.

(3) ينظر: الأصوات اللغوية: 38. ظ: دراسة الصوت اللغوي: 364.

يستغرقه الصوت القصير. بشرط نطق المصوت القصير كاملا (درجة الكمال= حركة)، ونطق الصائت الطويل بقدره الطبيعي (حركتان).

وقد أثبتت الكتابة الصوتية أن وجود حركة قبل حرف المد يؤدي إلى ثلاث حركات، وهو الاتفاق الذي قامت عليه كلمة المحدثين عليها حيث نص كثير منهم بأن الصوت الطويل يقع في ضعف الحركة من حيث الزمن المستغرق في النطق[1].

وينقل المطلبي عن lodefoged « أن في مقدور صوت المد أن يستمر أية مدة ممكنة، لكونه يحدث في حقيقة أمره من اتخاذ اللسان والشفتين وضعا خاصا، ولقد لاحظ العرب هذه الميزة فيه، ولعله من أجل ذلك سموه صوت المد، لأنك تستطيع أن تمد به الصوت. غير أن أكثر اللغات **تميز بين طولين لصوت المد**، فيكون فيها صوت مد قصير وصوت مد طويل، ثم تغض النظر عن الاختلافات الأخرى في الطول وذلك لأنه قد يكون من الصعب على الأذن العادية أن تميز بين أكثر من درجتين من الطول في السياق الصوتي **ومن هذه اللغات العربية، التي تميز بين درجتين اثنين من الطول في صوت المد**»[2].

وهكذا فإن الحركات الطويلة « تبدو ضعف طول الحركة القصيرة»[3]. لكنه من غير المسلَّم به أن نجعل الصوائت الطويلة ضعفَ القصيرة دائما كما ذُكِر؛ يقول كانتينو في المدى الذي يستغرقه طول الحركة: «يطلق اسم حركات طويلة، على الحركات التي يمتد فيها إخراج النفس امتدادا، يصير معه مدى النطق بها مساويا لمدى النطق بحركتين بسيطتين، وقد يتعدى ذلك»[4]. والذي يحدد الطول والقصر هنا، هو العرف اللغوي عند أصحاب اللغة[5].

ولا يزال ضبط الزمن الذي يستغرقه نطق الأصوات الذائبة (أحرف المد والحركات) وكذلك الأصوات الجامدة، بواسطة تقديره بأجزاء الثانية أمرا غير متحقق لدى المحدثين، وهو يحتاج إلى استخدام آلات القياس الحديثة[6]. وما توصل إليه علماء التجويد من تقدير كميات الحركات وحروف المد عن طريق نسبة الصوت إلى نظيره، فالفتحة نصف الألف، والألف ضعف الفتحة، أي فتحتان، والروم النطق بثلث الحركة، والاختلاس النطق بثلثيها، يعد إنجازا عظيما في الدرس الصوتي العربي، ولم يبق إلا أن يخطو دارسو الأصوات العربية المحدثون الخطوة الأخيرة نحو قياس زمن تلك الأصوات بالثانية وأجزائها[7].

---

(1) ينظر: التشكيل الصوتي للغة العربية:38.

(2) المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص 37.

(3)العاني، سلمان حسن، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص38، ظ.ص 115.

(4) دروس في علم أصوات العربية، ص 145.

(5) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ص: 96).

(6) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص(155-160).

(7) ظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: 301).

9 - درجة المدّ:

وينبغي أن يؤخذ بالحسبان عند محاولة قياس زمن نطق الأصوات أن هناك عدة أشكال من النطق، مثل **النطق المتأني** الذي يأخذ وقتا أطول من **النطق السريع**، وهناك **نطق وسط بين البطيء والسريع**، وقد لاحظ هذه الظاهرة عبد الوهاب القرطبي حيث قال: «ولا يدخل على ما أصّلناه إشباع من أشبع الحركات والسكنات من أئمة القراءة زيادة على غيره في الإشباع، لأن من أشبع الحركات منهم أشبع الحروف التي أخذت منها أيضا، فتصير نسبة الحركة المشبعة عنده إلى الحروف المشبعة كنسبة الحركات إلى الحروف بغير إشباع عند غيره»[(1)].

وكان واضحا لدى علماء التجويد أن مقادير المدود تختلف باختلاف أسلوب القراءة، فالقراءة بالتحقيق تحتاج إلى وقت أطول من القراءة بالحدر، وهو ما ينعكس على زمن نطق المدات. حيث ترتبط درجة المد بنوع القراءة: بُطئًا (كما في التحقيق)، أو توسُّطا (كما في التدوير)، أو سرعة (كما في الحدْر)[(2)]، قال مكي:«... فإن أنسا سئل عن قراءة النبي عليه السلام، فقال: كان يمدّ صوته مدا... وقوله تعالى: وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا [المزمل 4] يدلّ على التمهل، والتمهل يعطي المدّ، وهو الاختيار، لإجماع أكثر القراء على ذلك، ولما فيه من البيان، ولما ذكرنا من الحديث...**والقراء في إشباع المد وتطويله على قدر قراءتهم وتمهلهم أو حدرهم**، فليس مدٌّ من يتمهل ويرتل كمدّ من يحدر ويسرع»[(3)].

فطول الحركة أو قصرها، ليس محدودا بزمن معين في أية لغة من اللغات، وإنما هو أمر نسبي مرهون بسرعة الأداء وبطئه، ومن الطبيعي أن يقل طول الأصوات عندما تزيد سرعة الأداء، وأن تزيد طول الأصوات القصيرة عندما تقل، ومع ذلك لا بد من الاحتفاظ بالفرق بين الأصوات الطويلة والقصيرة، مهما زادت السرعة أو قلت. يقول برتيل مالمبرج: «فأول ما يجب أن نلاحظه هو أن كمية كل صوت تتوقف على سرعة الإلقاء، وأنه كلما ازدادت سرعة الكلام ازداد كل صوت في القصر، والعكس صحيح»[(4)].

وبهذا المعنى يمكن أن نقول: إن طول الصوت أمر نسبي لا أمر مطلق، فالصوت الطويل هو الذي يكون أطول من غيره في نفس اللغة، ولو كان هذا الصوت الطويل، ينطق أقصر منه أحيانا أخرى. وعلى ذلك فكل صوت من أصوات الحركة السابقة، يمكن أن يطول معه الزمن، فيصير طويلا، فإذا طال الزمن مع

(1) الموضح 183، ظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: 302).

(2) الجريسي، محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، ص132.

(3) الكشف: 1/ 57 - 58.

(4) مالمبرج، برتيل: (الصوتيات)، ترجمة: د. محمد حلمي هليّل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخرطوم، 1985 م، ص 100، نقلا عن كتاب: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ص 206.

صوت الفتحة مثلا، نتج عنه ما يسمى بألف المد "a"، وإذا طال مع الكسرة الخالصة، نتج عن ذلك ما يسمى بياء المد "i"، وإذا طال مع الضمة الخالصة، نتج عنها ما يسمى بواو المد "u"[1].

10 - مراتب المدود:

تتفاوت مراتب المدود تبعا لتفاوت أسبابها قوَّةً وضَعفا؛ فإذا قَوِيَ سبب المدّ قَوِيَ به المدّ، وإذا كان السبب ضعيفا ضعُف المد. والمُعوَّل عليه في بيان القوة هو طول الكم الزمني في نطق الصوائت، فكلّما كان المدّ أطول في الوصل والوقف كان المدّ أقوى، ولذلك اللازم أقواها، لأنه لا يجوز فيه أقل من ست حركات لا وقفا ولا وصلا، وأضعفها البدل، لأنه لا يمد أكثر من حركتين، لا وقفا ولا وصلا، ما لم يكن معه سبب آخر، والحكم بضعفه نظرا لأحكامه عند جميع القراء إلاّ ورشا من طريق الأزرق.

وأقوى أسباب المدود كلّها سببُ المدّ اللازم؛ وهو السكونُ لثبوته وصْلا ووقفا، واجتماعِهِ مع حرف المدّ في كلمة واحدة، ولإجماع القراء على مدّه بمقدار واحد[2]. ويليه في القوة سببُ المدّ المتصل؛ وهو الهمزُ لثبوته وصْلا ووقفا واجتماعِهِ مع حرف المدّ في كلمة واحدة، وإجماعهم على مدّه وإن كان مختَلَفاً في مقداره[3]. ويليه سببُ المدّ العارض؛ وهو السكون لاجتماعه مع حرف المدّ في كلمة واحدة، وإن كان عارضا ومختَلَفاً في مقداره. ويليه سبب المدّ المنفَصِل؛ وهو الهمز لانفصاله عن حرف المدّ، واختلافهم في مدّه ومقداره. ويليه سبب مد البدل؛ وهو الهمز، وهو أضعف الأسباب.

فأقوى المدود اللاَّزمُ، يليه المتصل فالعارض للسكون فالمنفصل فالبَدَل. وإنما كان مدّ البَدَل أضعفَ المدود، لتقدّم سببه عليه، ولكون حرف المدّ مبدَلا من غيره غالبا، ولإجماع القراء على قصره، إلا ورشا من طريق الأزرق[4]. والأصل هو القصر لعدم احتياجه إلى سبب، والمدّ والتوسط فرعان عنه لاحتياجهما إليه[5].

قال مكي: «واعلم أن المد مع الساكن بعد حرف المد واللين، والمشدد بعد حرف المد واللين أقوى منه مع الهمزة بعد حرف المد واللين. وعلة ذلك أن حرف المد واللين إذا وقع بعده ساكن مشدد أو غير مشدد، لا بد فيه من المد ضرورة، ليصل بالمدة إلى اللفظ بالساكن؛ والهمزة إذا وقعت بعد حرف المد واللين لك أن تدع إشباع المد في الكلام، فتقول: صائم وقائم، بغير إشباع، قد تثبت الألف والهمزة ولا تشبع المد، فأما في

(1) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ص: 97).

(2) وهو ست حركات إشباعا.

(3) الاختلاف فيه بين التوسط والإشباع، ولم يَقْصُره أحد، كما سبق، ص214.

(4) المرعشي، محمد بن أبي بكر، بيان جهد المقل، ص213.

(5) الضباع، علي محمد، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص17.

القرآن فلا بد من إشباع المد اتباعا للرواية، وإلا فترك إشباع المد جائز فيه في الكلام. فما كان المد فيه لازما لا بد منه، أقوى في المد مما يجوز فيه ترك إشباع المد»[1].

وإذا اجتمع في كلمة أو كلمتين سببان لمدّين، وكان أحد السببين أقوى من الآخر أو كان أحدهما قويا والآخرُ ضعيفا، عُمِل بمُقتضى السبب الأقوى أو القوي، فيَستقل بالمدّ أقوى السببين[2]. كما في كلمة **آمِّينَ** من قوله تعالى ﴿ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾سورة المائدة، الآية 02؛ اجتمع فيها تقدّم الهمز على حرف المدّ، وموالاةُ السكونِ اللاَّزم بعد حرف المدّ وصلا ووقفا؛ فالسبب الأول يقتضي اعتبار المدّ مد بَدَل، أما الثاني فمقتضاه أن يكون المدّ لازما. وهذا السبب هو المقدم لكونه أقوى الأسباب.

كذلك في **يَشَآءُ** عند الوقف عليه، كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ سورة الحج، الآية 18؛ اجتمع فيه سببان: أولُهما تقدّمُ حرف المدّ على الهمز في كلمة؛ وهذا يقتضي اعتبارَ المدّ متّصلا، والثاني وجودُ سكون عارض للوقف بعد حرف المدّ، وهذا يقتضي اعتبارَ المدّ من قبيل العارض للسُّكون. والسبب الأول أقوى فيُعمل به ويكون المدّ متصلا يتعيّن مده، ويُلغى السبب الآخر فيمتنع القصرُ حينئذ.

وكذلك إذا اجتمع في كلمة واحدة مدان متفقان في السبب، فإنه يقدم أحدهما على الآخر على حسب المقام، ومن ذلك ما ذكره عبد الوهاب القرطبي يؤكد فيه أولوية المد اللازم على العارض للسكون رغم اتفاق السبب وهو السكون، فقال «أن المد يقصر في حروف المد واللين، إذا كان بعدها ساكن يوقف عليه في مثل قوله تعالى: {يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: 4]، {نَسْتَعِينُ}[الفاتحة: 5]، {الظَّالِمُونَ} [البقرة: 229]، {الْخَاسِرُونَ} [البقرة: 27]، (القنطار) (2)، {وَالْكُفَّارَ} [المائدة: 57]، {الْأَبْرَارِ} [آل عمران: 193]، وما أشبه ذلك عن المد في {دَابَّةٍ} [البقرة: 164]، و {الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7]، وإن كان المراد به الفصل بين الساكنين. وإنما قصر عنه وإن استويا في السبب من أجل أن الساكن هاهنا موقوف عليه، والجمع بين الساكنين في الوقف غير ممتنع، فلم تمس الحاجة إلى الفصل بينهما بالمد في الموضع الذي يجوز فيه الجمع بين الساكنين، وهو الوقف، كما مست إلى الفصل به في الموضع الذي لا يجوز فيه الجمع، وهو الوسط. **فجعل المد في حرف المد واللين إذا كان الساكن بعده وسطا أتم منه إذا كان بعد حرف المد واللين حرف ساكن يوقف عليه** للمعنى الذي أشرنا إليه، وهو لطيف جدا، فتدبره إن شاء الله»[3].

والمد إذا كان حرف المد قبل الهمزة وهما في كلمة واحدة، آكد منه إذا كانا في كلمتين؛ قال المهدوي: «وبقي أن يفرق بين إجماعهم على المد إذا كان الحرف والهمزة في كلمة نحو: شاءَ [البقرة 20]، واختلافهم فيما

(1) الكشف: 1/ 68، وانظر الهداية: 1/ 31.

(2) محمد عصام مفلح القضاة، الواضح في أحكام التجويد، ص97.

(3) الموضح 167. وانظر: ابن الجزري: النشر 1/ 318.

كانت المدة فيه من كلمة والهمزة من كلمة أخرى نحو: بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ [البقرة 4]. فعلة إجماع القراء على مد المتصل نحو: شاء وجاءَ [النساء 43] ونظائرهما أن الهمزة قد لزمت الكلمة، وصار اجتماعها مع الحرف الممدود لازما لا يفارقها، إذ لا يمكن الوقوف على حرف المد واللين فينفصل من الهمزة فلزم المد لذلك، وأجمعوا عليه. **فإذا انفصلت المدة من الهمزة** وكان حرف المد واللين في آخر الكلمة والهمزة في أول الأخرى، **ضعف المد ولم يلزم لزومه في المتصل**، إذ ليس بلازم في الوصل والوقف كما كان في المتصل؛ ألا ترى أنك تقف على قالُوا [البقرة 14] فتنفصل الواو من همزة آمَنَّا [البقرة 14] فيزول المد، وكذلك ما أشبهه»[1].

وينبّه مكي على **أن زيادة المد للمشدد أقوى منها للساكن غير المشدد**، قال: «وزيادة المد للمشدد أقوى، وذلك أن الذي أجمع على جوازه من التقاء الساكنين هو أن يكون الأول حرف مد ولين، والثاني حرفا مشددا، فهو الأصل، ثم قيس عليه في الجواز فرع الساكن غير المشدد بعد حرف المد واللين. وسيبويه لا يجيزه[2]، وكثير من أصحابه على منع جوازه إلا مع المشدد، والمشدد هو الأصل، والأصل له مزية على الفرع، والمشبّه بالشيء ليس كمثل ذلك الشيء في قوته وتمكنه»[3].

11 - مراتب الأئمّة القراء في مقادير المد:

وأما مذاهب القرّاء في مقادير المد، فقد جعلها علماء القراءات خمس مراتب؛ قال الداني: « وأطولهم مدّاً في الضربين جميعاً ورش وحمزة، ودونهما عاصم، ودونه ابن عامر والكسائي، ودونهما أبو عمرو من طريق العراق وقالون من طريق أبي نشيط بخلاف عنه »[4].

وقال ابن الطحان: «وللأئمّة في المد المزيد مقادير معلومة ومراتب مرسومة: **فأعلاهم** مرتبة فيه ورش[5]، وحمزة[6]، يزيدان على المد الأصلي مثله. **ثم يليهما** عاصم[7] في المرتبة الرابعة. **ثم يليه** ابن عامر[8]، والكسائي[9] والكسائي[9] في المرتبة الثالثة. **ثم يليهما** قالون[10]، والدُّوري[1] عن أبي عمرو[2] في المرتبة الثانية. **ثم يليهما** ابنُ

(1) الهداية: 1/ 35، وانظر إعراب السبع: 1/ 58؛ والحجة لابن خالويه: 65، 76؛ والحجة لابن زنجلة:85؛ والكشف: 1/ 56 - 57.
(2) انظر الكتاب: 3/ 527.
(3) انظر الكشف: 1/ 67. ظ: النشر في القراءات العشر (1/ 317).
(4) التيسير 30 – 31، وينظر: الإقناع 1/ 469 – 470، النشر 1/ 328.
(5) وَرْشٌ عُثْمَانُ بنُ سَعِيْدِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو القِبْطِيُّ، راوي الإمام نافع، (ت 197هـ)، ظ: سير أعلام النبلاء 296/9.
(6) حمزة بن حبيب الزيّات، من القرّاء السبعة، (ت 156 هـ).ينظر: غاية النهاية 1/ 261.
(7) عاصم بن أبي النجود، من القرّاء السبعة، (ت 128 هـ). ينظر: غاية النهاية 1/ 346.
(8) عبدالله بن عامر الشامي، من القرّاء السبعة، (ت 118 هـ). ينظر: غاية النهاية 1/ 423.
(9) علي بن حمزة، من القرّاء السبعة، (ت 189 هـ). ينظر: غاية النهاية 1/ 535.
(10) عيسى بن مينا، راوية نافع، لُقِّبَ بقالون لجودة قراءته، وقالون لفظة رومية معناها جيّد، (ت 220 هـ). ينظر: غاية النهاية 1/ 615.

ابنُ كثير[3]، ونافع[4] في المرتبة الأُولى. فهذه مراتبهم في المد الفرعي، لأن الأصلي لا خلاف بينهم أنّه بلفظ واحدٍ سوي»[5].

لكنّ ثمة ملاحظة على كلام ابن الطحان، وهي أنه ذكر مقدار المد في المرتبة العليا التي جعلها الخامسة، وقال بأن ورشاً وحمزة « يزيدان على المد الأصلي مثله»، والظاهر هو أن كلمة (مثله) هنا غير مناسبة للمعنى؛ لأنّ المراتب الأربعة الأُخرى أقلّ في المد من المرتبة الخامسة وهي العليا، والزيادة على المد الأصلي مثله يجعله بمقدارِ أربع حركات. والذي يبدوا أن الصواب أن تكون الكلمة (مثليه) حتى يبلغ المرتبة الخامسة العليا للمد مقدار ست حركات، ثم تندرج المراتب الأخرى ضمن الحركات الأربع التي تزاد على المد الطبيعي[6].

12 - محاذير المدود:

تتصف أصوات المد بأنها تقبل التمطيط والزيادة ما أسعف التّفَسُ في ذلك؛ هذا من الناحية النطقية، لكنّ المد عند علماء الأداء له حد إذا تجاوزه أُخِلَّ بالقراءة، وصار ذلك لحنا[7]، قال ابن الجزري: « فليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفك، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشد، ولا بتقطيع المد، ولا بتطنين الغنات، ولا بحصرمة الراءات، قراءة تنفر عنها الطباع، وتمجها القلوب والأسماع، بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة، التي لا مضغ فيها ولا لوك، ولا تعسف ولا تكلف، ولا تصنع ولا تنطع، لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء»[8]. وقد درس علماء التجويد ما يمكن أن يعرض للمد من محاذير وعيوب. ويمكن أن نلخص ما قالوه في النقاط الآتية:

---

(1) حفص بن عمر، راوية أبي عمرو بن العلاء، والكسائي، (ت 246 هـ). ينظر: غاية النهاية 1/ 255.

(2) أبو عمرو بن العلاء البصري، من القرّاء السبعة، (ت 154 هـ). ينظر: غاية النهاية 1/ 288.

(3) عبدالله بن كثير المكي، من القرّاء السبعة، (ت 120 هـ). ينظر: غاية النهاية 1/ 443.

(4) نافع بن عبد الرحمن المدني، من القرّاء السبعة، (ت 169 هـ). ينظر: غاية النهاية 2/ 330.

(5) الإبناء 62 – 64.

(6) سوسن غانم قدوري الحمد، ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية، ، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور سالم قدوري الحمد، جامعة تكريت، شعبان 1423هـ - تشرين الأول 2002، ص 141.

(7) اللحن لغة الخطأ، وهو ترك الصواب في القراءة. ينظر: لسان العرب مادة (لحن) 17/ 263، وفي الاصطلاح ترك إعطاء الحروف حقها من المخرج والصفات وينقسم اللحن إلى جلي وخفي؛ فالجلي هو الخطأ في المبنى والحركة والسكون، والخفي هو الخطأ في صفات الحروف. ينظر: الإيضاح في القراءات 68 ظ، وأبحاث في علم التجويد 172. ظ: جهد المقل، تحقيق سالم الحمد، ص111.

(8) النشر في القراءات العشر (1/ 213).

1 - الإفراط في المد:

قال ابن البناء في كتابه (بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء): «وكذلك يَحذَر من زيادة الممدود الذي يخرجه عن حده، فيَعتقد أنه تجويد، وأنه فيه من المحسنين، ولا يعلم أنه من المسيئين»[1].

والتحذير من الزيادة في المد مسألة قديمة؛ فقد روى السعيدي أن عبد الله بن صالح العجلي (ت في حدود 220هـ) قال: «قرأ أخ لي أكبر مني على حمزة فجعل يمد، فقال له حمزة: لا تفعل، أما علمت أن ما كان فوق الجعودة فهو قطط، وما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة»[2].

وتحدث الحسن بن قاسم المرادي عن ذلك فقال: «الإفراط في مد حروف المد، وهو تجاوز الحد. يقال أفرط في الأمر، أي جاوز فيه الحد، وليس من التجويد في شيء، بل هو من اللحن الخفي، **وربما خرج إلى الجلي**. وللمد حد يوقف عنده ومقدار لا يصح تجاوزه»[3].

وقال علي القاري: «والحاصل أنه لا يجوز الزيادة على مقدار خمس ألفات إجماعا، فما يفعله بعض الأئمة، وأكثر المؤذنين فمن أقبح البدع، وأشد الكراهة» [4]. ويقصد علي القاري إطالتهم المدود فوق ما هو مقرر لذلك.

وقال المرعشي وهو يعلق على كلام لابن الجزري في الترقيق والتفخيم: «تبين من كلام ابن الجزري في النشر[5] أن أكثر غلطات قراء الزمان في تفخيم الحروف المرققة، أقول (المرعشي): ينبغي أن يزاد ويقال أكثر غلطاتهم أيضا في زيادة المد الطبيعي في غير محل زيادة، وترك الزيادة في محلها، وإحداث مد فيما ليس فيه مد أصلا»[6]. ولا يزال كلام المرعشي ينطبق بدرجة كبيرة على قراء زماننا، وإن كانت النسبة تتفاوت بين بلد وآخر وقارئ وآخر.

بل ومِن مَدِّ ما ليس بمد أو زيادة مفرطة فيه ما يصل إلى اللحن الجلي، كإطالة بعض المؤذنين الصائت القصير على صوت الباء من كلمة (الله أكبَر) ليصير بعد اللحن إلى (أكْبار)، فيخرجوا كلمة أكبر من معني التفضيل إلى معنى الأكبار وهي الطُّبول والدُّفوف، وفيها من الإساءة اللفظية لذات الله سبحانه وتعالى، قال أبو العباس الفيومي: « وَمِنْهُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ اللَّهُ أَكْبَرُ أَيْ الْكَبِيرُ وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ كَبِيرٍ...وَالْكَبَرُ بِفَتْحَتَيْنِ الطَّبْلُ لَهُ وَجْهٌ وَاحِدٌ وَجَمْعُهُ كِبَارٌ مِثْلُ جَبَلٍ وَجِبَالٍ وَهُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ... وَقَدْ يُجْمَعُ عَلَى **أَكْبَارٍ** مِثْلُ

(1) بيان العيوب 175.
(2) التنبيه 46.
(3) المفيد 103.
(4) المنح الفكرية ص 50.
(5) النشر (1/215-222).
(6) جهد المقل 57.

سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ، وَلِهَذَا قَالَ الْفُقَهَاءُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُمَدَّ التَّكْبِيرُ فِي التَّحَرُّمِ عَلَى الْبَاءِ لِئَلَّا يَخْرُجَ عَنْ مَوْضُوعِ التَّكْبِيرِ إِلَى لَفْظِ الْأَكْبَارِ الَّتِي هِيَ جَمْعُ الطَّبْلِ»[1].

2 - الترعيد:

من عيوب المد ترعيد الصوت بالمدات، وهو مكروه منهي عنه، وقد وضح ابن البناء الترعيد بقوله: « ومن العيوب الترعيد، وصفته تعليق الصوت بترديد الحنجرة، كأنه يروم منزلة من التطريب والحدر في إفساد الحروف»[2].

وقال عبد الوهاب القرطبي: «أما الترعيد في القراءة فهو أن يأتي بالصوت إذا قرأ مضطربا كأنه يرتعد من برد أو ألم»[3]. وقال القرطبي بعد أن تحدث عن أحكام المد: «وقد بقي الآن أن نبين ما يستكره في المد وننبه عليه ليتجنب، ونمثله في مواضع قريبة ليستدل بالأقل على الأكثر. فنقول: ينبغي أن يكون الصوت في حال المد سليما من ترعيد وتمطيط. خالصا من اضطراب وتهزيز، صافيا في إجراء النفس معه وتكدير رونقه به»[4].

به»[4].

وقد حذر من ذلك السعيدي بقوله: «ومما يحفظ أيضا ترعيد المدات في مثل قوله {بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} [البقرة: 4] وكذلك {السُّفَهَآءُ} [البقرة: 13]، و {وَالشُّعَرَآءُ} [الشعراء: 224]، و {وَالْفَحْشَآءِ} [البقرة: 169]، و {مَا يَشَآءُ} [آل عمران:40]، و {جَآءَ} [النساء: 43] وما أشبه هذه الحروف، تمد مدّا حسنا مستويا مستقيما، بلا ترعيد ولا تهزيز ولا اضطراب عند إخراجهن»[5].

(1) ظ: أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (المتوفى: نحو 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت، (523/2).

(2) بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء، ابو علي الحسن بن عبد الله بن البناء (471 هـ) تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، مستلة من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 31 - ج1 - 1407 هـ –1987 م، ص175.

(3) الموضح 188، وانظر: ابن الباذش: الإقناع 1/ 556.

(4) الموضح 168.

(5) التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي (410 هـ)، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، فرزة فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي، ج2 مج 36 شوال 1405 هـ – حزيران 1985م، ص 52.

3 - إشراب المد الغنة:

يحدث في بعض الأحيان أن يجري نفَس من الألف أثناء نطق حروف المد، فيؤدي ذلك إلى سماع غنة خفيفة تلابس أصوات حروف المد: وهذا هو معنى إشراب المد غنّة. وقد حذر علماء التجويد من ذلك وعدوه لحنا يجب أن تبرأ القراءة منه. فقال أحمد بن أبي عمر: «فإن سكنت الياء وانكسر ما قبلها أو سكنت الواو وانضم ما قبلها أشبعتهما من غير غنة نحو يؤمنون، والمؤمنون، والمؤمنين»[1]. وقال الحسن بن شجاع التوني: «ويحترز من إدغام حرف المد، نحو {فِي يُوسُفَ}[يوسف: 7] و {قَالُوا وَهُمْ} [الشعراء: 96]. وإذا وقفت على مثل (يعلمون، ويؤمنون) فاحذر من الغنة فيها»[2].

وكان المرعشي أكثر علماء التجويد عناية بهذه الظاهرة والتحذير منها، فقال: «وليحذر من إعطاء الغنة لغير حروفها، كما يفعله بعض الناس في الياء المدية والواو المدية، في مثل: نستعين، وطس، ويستهزءون، تبعا لغنة النون»[3].

وقال في مكان آخر: «إن الغنة لما أشبهت المد يلائم إحداث الغنة مع تلفظ المد، ولذا يلفظ بعض الناس المد مصحوبا بالغنة. في مثل (نستعين) وهو لا يشعر بذلك، وهو لحن. وطريق معرفة حدوثها في مثل ذلك أن تلفظه مرة مع الإمساك على أنفك، ومرة بدونه، فإن اختلف صوت المد في الحالين فاعلم أنه مصحوب بها. وطريق الحذر عنها منع النفس الجاري مع المد من التجاوز إلى الخيشوم، وامتحان صوته بالإمساك على الأنف وتركه إلى أن يتعود تخليص المد عنها»[4].

إن كلام المرعشي عن ظاهرة إشراب المد صوت الغنة يدل على فقه عميق بإنتاج الأصوات وما لها من صفات، وما يلحقها في التركيب من شوائب وانحرافات. فالمد قد يتشرب الغنة، لأن الغنة قابلة للإطالة الزمنية أيضا، ولكن الفارق بينهما هو أن تصويت المد من الجوف، أما إطالة الغنة فمن الخياشيم، ولأجل ذلك وضع المرعشي ضابط الإمساك بالأنف، لمعرفة ما إذا كان صوت المد جوفيا خالصا، أم أنه حول مجراه إلى الخياشيم، وهو إجراء دقيق بلا شك.

وما يتصل بما نحن بصدده من إشراب المدود غنة ما قاله أحمد بن أبي عمر عما يلحق الألفات في اللحن: «ويختلف اللحن في الألفات عند الوقف عليها، كقوله: لشتى، اليسرى، والعسرى، وقديرا، عليما، ونحو ذلك.

---

(1) الإيضاح في القراءات، احمد بن أبي عمر الاندرابي (500هـ) (أطروحة دكتوراه) دراسة وتحقيق منى عدنان، بإشراف الدكتور غانم قدوري الحمد، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت 1423هـ – 2002 م، ص 71.

(2) المفيد في علم التجويد 10.

(3) جهد المقل 61.

(4) جهد المقل 62.

فمن الناس من يقف عليها وعلى أمثالها بنبرة الألف. ومنهم من يقف عليها بالغنة، ومنهم من يقف عليهم بالهاء، وكلها لحن»[1].

4 - مدّ ما لا يُمَدُّ قراءةً:

يشير بعض علماء التجويد إلى أن الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما وكانتا ساكنتين أو متحركتين خرجتا عن مضارعة الألف ودخلتا في شبه الحروف الصحاح في خلو المد[2]. يقول المرعشي معلقا على كلام ابن الجزري في مظاهر اللحن في القراءة: «ينبغي أن يزاد ويقال: أكثر غلطاتهم أيضا في زيادة المد الطبيعي في غير محل زيادة، وترك الزيادة في محلها، **وإحداث مد فيما ليس فيه مد أصلا**»[3].

وقال المرعشي أيضا: «إن حرفي اللين لما اشتركا مع حروف المد في عدم الصلابة وضعف المخرج، وهذا معنى اللين، سهُل فيهما إحداث المد وإن لم يكن لهما مد أصلي، فقد يسبق اللسان إلى إحداث المد معهما **بدون سبب يدعو إليه**؛ وهذا لحن. ولذا يلفظ بعض الناس الياء في **الشيطان وعليهم**، والواو في **يوم**[4] وأمثالها كالمد الطبيعي. وبعض من أراد الحدر يسكت على الواو والياء، وذلك لا يجوز»[5].

ويشترط لحصول المد في الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما أن تقعا قبل ساكن عارض للوقف مثل: (الصَيْف) و(خَوْف)، أو قبل همزة نحو: (شَيْء) و(سَوْء) بفتح السين. والقراء مختلفون في مقدار مده على تفصيل يمكن الوصول إليه في كتب القراءات[6]. قال أبو شامة: « فقد بان لك أن حرف اللين وهو الياء والواو المفتوح ما قبلهما لا مد فيه؛ إلا إذا كان بعده همز أو ساكن عند من رأى ذلك، فإن خلا من واحد منهما لم يجز مده، فمن مد (عليهم) و (إليهم) و (لديهم) ونحو ذلك **وقفا أو وصلا**، أو مد نحو (والصيف) و(البيت) و (الموت) و (الخوف) **في الوصل فهو مخطئ**»[7]. وهذا بالنظر إلى أصول الأداء، أما في غير القرآن الكريم فالناطق بهما يمد صوته بهما خاصة في مجال التطريب والترنم.

---

(1) الإيضاح 72.

(2) على تفصيل في القضية سبق أن تعرضنا له في أبواب مد اللين. انظر: الداني: التحديد 43. والعطار: التمهيد 148، وابن بلبان: بغية المستفيد 57.

(3) جهد المقل 57.

(4) وهو في هذا السياق يعني عدم مدها حالة الوصل، أما وقفا فالواو تمد مدا لينا عارضا للسكون.

(5) جهد المقل 62-63.

(6) انظر: مكي: الكشف 1/ 45، والسمرقندي: روح المريد 137و. وابن الجزري: النشر 1/ 348 - 350، والمرعشي: جهد المقل 37-38-37.

(7) أبو شامة، عبد الرحمن بن سليمان، إبراز المعاني من حرز الأماني، القاهرة: 1349هـ (1/ 125).

الفصل الرّابع

الظّواهر الصوتيّة النوعيّة الخاصّة بأصوات المد

المبحث الأول: ظاهرة الإمالة - flexion

لقي البحث في موضوع الإمالة اهتماما واسعا لدى كثير من علماء العربية قديما وحديثا، لكونها أوسع الظواهر النوعية[1] ورودا على مستوى القراءات واللهجات، فخصصوا لها فصولا ومباحث، بل إن بعض العلماء قد تجاوز ذلك إلى وضع كتاب مستقل في هذا الموضوع؛ كما فعل عبد المنعم بن غلبون (389 هـ) الذي ألف كتاب (الاستكمال في التفخيم والإمالة وأبو عمرو الداني الذي ألف كتاب (الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة) وابن القاصح الذي ألف كتاب (قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين)[2]، ومن المحدثين الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي الذي ألف كتاب (الإمالة في القراءات واللهجات العربية) فضلاً عن البحوث الكبيرة في كتب الاحتجاج وكتب الدراسات اللغوية الحديثة في القراءات القرآنية والبحوث الصغيرة التي تناولت الظاهرة من خلال مقارنتها ببعض اللهجات.

1 - مفهوم الإمالة:

أ - الإمالة لغة: هي في اللغة: مصدر أملت الشيء إمالة، إذا عدلت به إلى الجهة التي هو فيها؛ من مال الشيء، إذا انحرف عن القصد[3]. والإمالة العدول إلى الشيء والإقبال عليه، وكذلك الميلان. ومَالَ الشيءُ يَميلُ مَيْلًا ومَالًا ومَمِيلًا وتَمْيالًا[4].

ب- الإمالة اصطلاحا: تعددت تعريفات الإمالة عند المتقدمين من علماء العربية وعلماء التجويد، لكنها تصب في معظمها في معنى النحو بالألف نحو الياء[1]. ولا بأس في أن نعرض لتعريف مفصل ورد في شرح

---

(1) **النّوع في اللغة** أَخَصُّ مِنَ الجِنس، وَهُوَ أَيضاً الضرْبُ مِنَ الشَّيْءِ...وَالْجَمْعُ أَنواعٌ، قَلَّ أَو كثُر. قَالَ اللَّيْثُ: النوْعُ والأَنواعُ جَمَاعَةٌ، وَهُوَ كُلُّ ضَرْبٍ مِنَ الشَّيْءِ وَكُلُّ صِنْفٍ مِنَ الثِّيَابِ وَالتِّمَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ **حَتَّى الْكَلَامُ**؛ وَقَدْ تَنَوَّعَ الشَّيْءُ أَنواعاً. ظ: لسان العرب (8/ 364). **والنوع في الاصطلاح** اسم دال على أشياء كثيرة مختلفة بالأشخاص، أو هو ما صدق في جواب ما هو على كثيرين متفقين بالحقيقة، وإنما الاختلاف بينهم بالتشخيص الذاتي، فقولك ما هو زيد، وما هو عمرو، وما هو بكر، وما هو خالد، وما هي هند. فالكلمة التي تحمل على الجميع **هي النوع** فجواب ذلك أن تقول (الإنسان) لأنه القدر المشترك بين الأفراد فالإنسان نوع. وإن شئت قلت في تعريف النوع: هو الكُلِّيُّ الذي هو تمام ماهية أفراده. ومن هذه التعريفات المنطقية يتضح لنا معنى الظواهر الصوتية النوعية، بأنها مجموع الأنظمة الكلامية الخارجة على أصل اللغة غير الطاعنة فيه، والتي تجمع أشكالا متعددة من النطقيات التي تشكل الكُلَّ اللغوي من الناحية الصوتية. ظ: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م، (ص: 247). ظ: فن المنطق للشنقيطي (ص: 28).

(2) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 371 (هامش 5).

(3) ضياء السالك إلى أوضح المسالك (4/ 304).

(4) لسان العرب (11/ 636).

المفصل، والإمالة عنده عدول بالألف عن استوائه، أو جنوح به إلى الياء فيصير بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة[2] مع اختلاف ذلك الميل قليلا أو كثيرا ويعني ذلك تقريب صوت الألف من صوت الياء، والفتحة من الكسرة، لأن الفتحة من الألف وشبه الفتحة من الكسرة كشبه الألف بالياء[3].

- والإمالة عند كانتينو: نطق الفتحة (قصيرة كانت أو طويلة) نطقا أماميا[4]. وكذلك عرفها الدكتور عبد العزيز الصيغ[5]. وهي صوت مد يحدث من ارتفاع مقدم اللسان نحو منطقة الغار ارتفاعا يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المرققة، ويقل عن ارتفاعه مع الكسرة، ويكون وضع الشفتين مع الإمالة وضع انفراج إلا أنه دون الانفراج الذي يكون مع الكسرة[6].

وليس هناك خلاف بين القدماء في عبارات مفهوم الإمالة، إلا أننا نجد بعض المحدثين خطَّأَ القائلين بأن الإمالة (أن تنحو بالألف نحو الياء وبالفتحة التي قبلها نحو الكسرة). ووافقوا القائلين بأنها (أن تنحو بالألف نحو الياء) أو أنها (أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة)[7].

وسبب ذلك راجع إلى الخلاف بين القدماء والمحدثين في ما يتعلق بالصوائت قصيرها وطويلها. إذ أن الفكرة التي قام عليها الدرس الصوتي القديم للصوائت هي جعل الألف والواو والياء المدية حروفا كبقية الحروف الصامتة من حيث الحركة والسكون، فالألف عندهم لا تكون إلا ساكنة، والواو المدية ساكنة مضموم ما قبلها، والياء المدية أيضا ساكنة مكسور ما قبلها[8]. وهذه الأصوات ما هي إلا حركات طويلة عند المحدثين. يقول محمد عبد العزيز النجار: « هذا؛ ويرى بعض النحاة أن الممال هو الفتحة وحدها؛ سواء كان بعدها ألف أم لا؛ لأن الألف ليست إلا فتحة؛ غير أنها طويلة في نحو: الفتى، وقصيرة في مثل "نعمة وسحر".»[9].

---

(1) ينظر: المقتضب:42/3، وشرح المفصل:25/9، أسرار العربية:406 .

(2) شرح المفصل، ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت642هـ)، عالم الكتب – بيروت (د.ت)، 54/9.

(3) ينظر: قول ابن الحاجب في شرح الشافية للأستر باذي:4/3 . التعريفات (ص: 37).

(4) دروس في علم أصوات العربية: 156.

(5) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية 254.

(6) المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص 163. ظ: المحيط للأنطاكي، (42/1).

(7) ينظر: الإمالة في القراءات واللهجات العربية:ص75 .

(8) راجع مبحث: أصوات المد ساكنة أم حركات طويلة، في الفصل الأول من هذا البحث.

(9)ضياء السالك إلى أوضح المسالك (4/ 304).

كما أن قول القدماء بسكون هذه الأصوات الثلاث أوجب عليهم القول بأنها مسبوقة بحركة من جنسها، وذلك ما يتنافى مع ما أقره الدرس الصوتي الحديث من أن ليس ثمة فرق بين الحركات وهذه الحروف إلا في الكمية، ولا فرق إذن بين أن تمال الفتحة أو تمال ألف المد، لأن العملية العضلية في الحالتين واحدة [1].

واختلف العلماء في الإمالة والفتح بين الأصلية والفرعية؛ قال ابن الجزري: « وقد اختلف أئمتنا في كون الإمالة فرعاً عن الفتح، أو أنَّ كلاً منهما أصلٌ برأسهِ، مع اتفاقهم على أنهما لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن»[2]. وساق ابن الجزري آراء العلماء في هذه القضية، وأدلة كل فريق منهم حيث قال: " ذهب جماعة إلى أصالة كل منهما وعدم تقدمه على الآخر،... وقال آخرون إن الفتح هو الأصل وأن الإمالة فرع، بدليل أن الإمالة لا تكون إلا عند وجود سبب من الأسباب فإن فقد سبب منها لزم الفتح وإن وجد شيء منها جاز الفتح والإمالة فما من كلمة تمال إلا وفى العرب من يفتحها ولا يقال كل كلمة تفتح ففى العرب من يميلها قالوا: فاستدللنا باطراد الفتح وتوقف الإمالة على أصالة الفتح وفرعية الإمالة، قالوا: وأيضا فإن الإمالة تصير الحرف بين حرفين بمعنى أن الألف الممالة بين الألف الخالصة أو الياء وكذلك الفتحة الممالة بين الفتحة الخالصة والكسرة والفتح يبقى الألف والفتحة على أصلها قالوا: فلزم أن الفتح هو الأصل والإمالة فرع "[3].

لكن د. إبراهيم أنيس رأى أن الإمالة تكون أصلا في حالات، وفرعا في حالات أخرى؛ فقال: «نستطيع أن نرجح أن بعض الكلمات التي اشتملت على ياء أصلية قد تطورت أولا إلى الإمالة ثم إلى الفتح، فالأصل إذا في مثل هذه الكلمات هو الإمالة، وقد تفرع الفتح عنها. أما حين تعرض الإمالة لغير أصل من أصول الكلمة كإمالة الفتحة أو إمالة ألف المد غير المنقلبة عن أصل، فليس هذا إلا نوعا من الانسجام بين أصوات اللين. ومتى سلّمنا بنظرية السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي، استطعنا أن نتصور أن الكلمة التي تشتمل على أصوات لين منسجمة أحدث من نظيرتها التي خلت أصوات لينها من الانسجام»[4].

وردّ د. حسام سعيد النعيمي هذا القول بأن « ظاهرة صوتية واحدة لا ينبغي أن يتجزّأ تفسيرها، ومن الصعب أن نقتنع بأن الحجازيين كانت لغتهم متقدمة متطورة في مثل لفظة (سار) بغير إمالة، وأن التميميين قد

(1) ينظر: اللهجات العربية: 44. وانظر: مبحث العلاقة بين الصوائت لقصيرة والطويلة من هذا البحث.

(2) النشر في القراءات العشر 2/31 ـ 32.

(3) النشر، 2/32. ظ: الكشف: 1/ 168، وانظر إعراب السبع: 1/ 71، والحجة (خ): 66، والحجة (ع): 1/ 52 - 53، والحجة (ز): 88، والكشف: 2/ 378، والهداية: 1/ 92، والموضح: 1/ 210، 250.

(4) في اللهجات العربية: 66 - 68 باختصار، وانظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية: د. عبده الراجحي، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، 1999 م، ص 163.

تخلفت لغتهم لبقاء الإمالة فيها، ثم تكون لهجة الحجاز متخلفة عن التطور في لفظة (كتاب) بغير إمالة، بينما تكون لهجة البادية أحدث في تطورها، لأنها أمالت الألف فيها»[1].

ومن المصطلحات التي تلبس معنى الإمالة الإجناحُ[2]،والكسر[3]، والروم[4]، والإشمام[5]، والترخيم[6]، و المضارعة[7]، والتجانس[8]، وبين اللفظين[9] – في الإمالة الصغرى-، وبين بين[10]، والبطح والإضجاع[11]- في الإمالة الكبرى-[12]. والمعوج[13]. والإشباع[14]. والتلطيف[15]. والتقليل[16].

وللإمالة درجتان:

1- إمالة شديدة: وهي الخالية من القلب الخالص والاشباع المبالغ، وهي التي تسمى الشديدة او المحضة او الإضجاع والبطح والكسر، وتسمى الإمالة الكبرى. فهي - إذن - تقريب الفتحة من الكسرة والالف من الياء من غير قلب خالص، ولا اشباع مبالغ فيه[17].

(1) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 204.
(2) ينظر: الكتاب:278/3. ظ: أبو علي الفارسي، الحجة، (406/1).
(3) الكتاب: 120/4. ظ: أبو علي الفارسي، الحجة (146/2). النشر في القراءات العشر (2/ 30).
(4) الكتاب: 131/3.
(5) ظ: الكتاب (271/2). ظ: شرح شافية ابن الحاجب - الرضي الأستراباذي (3/ 29).
(6) ينظر: شرح الشافية ابن الحاجب:255/3.
(7) سر الصناعة:52/1.
(8) المصدر نفسه:52/1.
(9) ابن الطحان، مرشد القارئ:52، وينظر: التمهيد في علم التجويد:72.
(10) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت642هـ)، عالم الكتب – بيروت (د.ت)، ابن يعيش (54/9). ظ: النشر في القراءات العشر (2/ 30).
(11) انظر إعراب السبع: 1/ 71، والموضح: 1/ 322، 367، 478، 2/ 576، 606 - 607، 617، 668، 763، 766، 3/ 1068، 1136، 1139، 1349. ظ: الحجة: (321/1).
(12) مرشد القارئ:52، وينظر: التمهيد في علم التجويد:72.
(13) شرح حرز الاماني:120، نقلا عن الإمالة في القراءات اللهجات العربية:34.
(14) الحجة (399/1).
(15) النشر (30/2).
(16) النشر في القراءات العشر (2/ 30).
(17) إتحاف فضلاء البشر: ج1، ص47. النشر: ج2،ص30، إبراز المعاني، ص151.

2-**إمالة متوسطة:** وهي بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة، وهي التي تسمى بين اللفظين والتلطيف والتقليل، وتسمى الإمالة الصغرى. فالإمالة المتوسطة هي الاتيان بالصوت بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة[1].

قال د. إبراهيم أنيس: «واللسان مع الفتح يكاد يكون مستويا في قاع الفم. فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى، بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يسمّى بالإمالة. وأقصى ما يصل إليه أول اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى هو ذلك المقياس الذي يسمّى عادة بالكسرة، طويلة كانت أو قصيرة. فهناك إذا مراحل بين الفتح والكسر، لا مرحلة واحدة. من أجل ذلك كان القدماء يقسمون الإمالة إلى نوعين: إمالة خفيفة، وإمالة شديدة»[2]. فالإمالة حركة أمامية، وقد تكون هذه الحركة نصف ضيقة، وقد تكون نصف واسعة، فإن كانت كانت الأولى فهي اقرب إلى الياء وان كانت الثانية فهي أقرب إلى الألف.

وقسم المحدثون الإمالة إلى قسمين:

1 - إمالة قصيرة: نشأت نتيجة النحو بالفتحة القصيرة نحو الكسرة القصيرة، مثل: الكبِرِ، والصغِرِ. ومن الممكن أن نرمز لها بالرمز: (e).

2 - إمالة طويلة: نشأت نتيجة النحو بالفتحة الطويلة نحو الكسرة الطويلة، مثل: عِاذِل، وكِاتِب. ومن الممكن أن نرمز لها بالرمز: (é)[3].

والشكل التالي يوضح درجات الإمالة على جدول الحركات المعيارية:

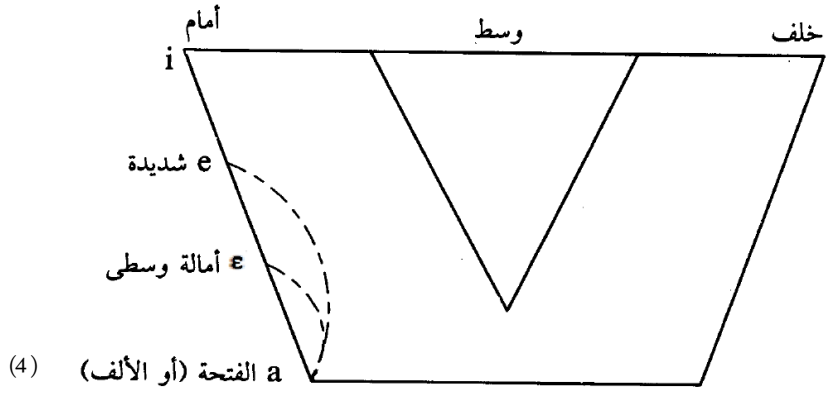

(4)

(1) النشر، ج2، ص30. إتحاف فضلاء البشر: ج1، ص47. إبراز المعاني، ص151.

(2) في اللهجات العربية: 64 - 65.

(3) المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص163.

(4) ظ: سفر، د. عبد العزيز علي، الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، ص249.

أما عن حكم الإمالة؛ **فالمتقدمون من النحاة يوجبونها** عند من لغته الإمالة، ومن هؤلاء سيبويه، والمبرد[1]، وأبو علي الفارسي. قال سيبويه « واعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل، ولكنه قد يخالف كل واحدٍ من الفريقين صاحبه، فينصب بعض ما يميل صاحبه، وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب، ولكنْ أمرهُ وأمر صاحبه كأمر الأولين في الكسر فإن رأيت عربياً كذلك، فلا ترينه خلط في لغته، ولكن هذا من أمرهم »[2].

وقال في موضعٍ آخر: « فأما تاب ومال وباع، فإنه من يميل يلزمها الإمالة على كل حال »[3]. وقال أبو علي الفارسي: « الإمالة في ألف فاعل إذا كانت الراء عيناً، أقوى من الإمالة في الألف إذا كانت الراء لاماً؛ لأن الكسرة في العين لازمة غير مفارقة، وكسرة اللام قد تنقل عنها للرفع والنصب، وبحسب لزوم ما يوجب الإمالة تحسن الإمالة، ولا يكون غير اللازم كاللازم»[4].

ولم يقف الأمر عند المتقدمين من النحاة، وإنما تبعهم في ذلك المتقدمون من علماء القراءات، ومن هؤلاء مكي بن أبي طالب الذي يقول: « اعلم أن العلل التي توجب الإمالة ثلاث ... »[5]، وفي حديثه عن الألف قال: « وقد يكون أصلها الواو، ولكنها أميلت لرجوعها إلى الياء في نحو (أزكى)، ولكسرةٍ مقدرةٍ نحو (خاف) التي توجب الإمالة» [6].

وهذا الذي قاله متقدمو اللغويين هو ما ذهب إليه المحدثون؛ يقول الدكتور إبراهيم أنيس: « ولا نستطيع أن نتصور كيف جعل النحاة الإمالة من الأمور الجائزة ... فقد قرروا أنَّ كل ممال يجوز فتحه، ولو صح هذا القول لأمكن أن نتصور أن من القبائل من كانوا يميلون ويفتحون كما تشاء لهم أهواؤهم، وهذا الأمر لا يقبله اللغوي الحديث »[7]. إذن فالإمالة كما يقول: « لا تعدو أن تكون عادة ككل العادات اللغوية يتوارثها الخلف عن السلف دون شعورٍ بها»[8].

(1) ينظر: المقتضب 49/3 ـ 50.

(2) الكتاب 125/4. ظ: النشر في القراءات العشر (2/ 34). ظ: سفر، د. عبد العزيز علي، الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، ص112.

(3) المصدر نفسه 131/4.

(4) الحجة في علل القراءات السبع 377/1.

(5) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها 168/1.

(6) المصدر نفسه 168/1 ـ 169.

(7) في اللهجات العربية 60.

(8) المصدر نفسه 61.

أما الاتجاه الثاني؛ وهو الذي يرى جواز الإمالة فقد تبناه المتأخرون من علماء اللغة والتجويد، ومنهم ابن يعيش، وابن مالك (672هـ)[1]، والرضيّ، وابن القاصح[2]، وابن الجزري [3]، وجلال الدين السيوطي[4] وغيرهم.

قال ابن يعيش: « وأسباب الإمالة مجوزة لا موجبة، أولا ترى أنه ليس في العربية سبب يوجب إمالة لابد منها؛ بل كل ممال لعلةٍ فلك أن لا تميله مع وجودها فيه»[5].

وقال الرضي: « اعلم أنَّ أسباب الإمالة ليست بموجبة لها، بل هي المجوزة لها عند من هي لغته، وكل موضع يحصل فيه سبب الإمالة جاز لك الفتح »[6].

فالإمالة عند هذا الاتجاه جائزة لا واجبة، وكل ما يمال يجوز عدم إمالته والرجوع إلى أصله. وليس هنالك كلمة تمال إلا وفي العرب من يفتحها وهي تكون في الأسماء المتمكنة والأفعال غالبًا، وقد شاعت بين تميم ومن جاورهم من سائر أهل نجد؛ كأسد، وقيس أما أهل الحجاز فيفخمون بالفتح ولا يميلون إلا قليلا[7]. قليلا[7].

غير أن هذا الخلاف وجد من يقرب وجهة النظر بين طرفيه، وهو الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي الذي قال بعد أن عرض أقوال الفريقين، ورجح الرأي الأول: « والحق أننا لا يجوز أن نرمي النحاة المتأخرين بالخطأ في قولهم بجواز الإمالة، فعباراتهم ـ ماعدا الرضي ـ ... لا تحدد الفهم الذي نؤاخذهم به، ونلومهم عليه، فهم يريدون بجواز الإمالة جوازها كما يقول السيوطي (بالنظر إلى لسان العرب)، بعد أن أصبحت لغتهم لغة عامة لا قبلية، فنحن الآن يجوز لنا أن ننطق بإمالة (طاب) مثلاً على لغة أهل نجد من تميم وقيس وأسد كما يقول الفراء، كما يجوز أن ننطق بها مفتوحة على لغة قريش. أما العربي الأول، فما كان له أن ينطق بها على غير لهجته مفتوحة أو ممالة»[8].

وحدد العلماء أسباب الإمالة في اثني عشر سببا، تعود في معظمها لشيئين هما: الياء والكسرة، وهذه الأسباب هي:

---

(1) ينظر: شرح الكافية الشافية 1974/4 ـ 1975.

(2) ينظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي 119.

(3) ينظر: النشر في القراءات العشر 32/2.

(4) ينظر: همع الهوامع 375/3.

(5) شرح المفصل 55/9، وينظر: 54.

(6) شرح شافية ابن الحاجب 5/3.

(7) محمد عبد العزيز النجار، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2001م، (304/4).

(8) الإمالة في القراءات واللهجات العربية : د. عبد الفتاح أسماعيل شلبي دار الشروق بيروت –الطبعة الثالثة، 1983م،ص 101 ـ 102.

1 - الإمالة لأجل كسرة متقدمة: فَصَل بينها وبين الممال حرف واحد نحو كتاب وحساب وقد يكون الفاصل بين الألف والكسرة حرفين بشرط أن يكون، أولهما ساكنا، أو يكونا مفتوحين والثاني هاء نحو إنسان ويضربها[1].

2 - الإمالة من أجل الكسرة المتأخرة: نحو: عابد وعالم ومسافر، ونحو درهمان[2]. وقد تكون الكسرة عارضة نحو من الناس، وفي النار لأن حركة الإعراب غير لازمة.

3 - الإمالة من أجل الياء المتقدمة: نحو إمالة: أياما، والحياة، وقد يفصل بينهما بحرف نحو: شيبان و عيلان. وقد يفصل بحرفين أحدهما الهاء نحو: يدها. وقد يكون الفاصل غير ذلك نحو رأيت يدنا[3].

4 - الإمالة لأجل الياء المتأخرة بعد الألف الممالة: نحو: مبايع[4].

5 - الإمالة لأجل الكسرة المقدرة في المحل الممال: نحو: خاف. أصله: خوف بكسر عين الكلمة وهي الواو فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها[5].

6 - الإمالة لأجل الياء المقدرة في المحل الممال: نحو: يخشى، و الهدى، و أتى، و الثرى. فتحركت الياء في ذلك وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا[6].

7 - الإمالة لأجل كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة: نحو: طاب، وجاء، وشاء، وزاد. لأن الفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث فتقول: طبت، وجئت، وشئت، وزدت [7].

8 - الإمالة لأجل ياء تعرض في بعض الأحوال: نحو: تلا وغزا، وذلك لأن الألف فيهما منقلبة عن واو التلاوة والغزو، وإنما أميلت في لغة من أمالها لأنك تقول إذا بنيت الفعل للمفعول: تلي وغزي مع بقاء عدة الحروف كما كانت حين بنيت الفعل للفاعل[8].

9 - الإمالة لأجل الإمالة: نحو إمالة: (تراءى) أمالوا الألف الأولى من أجل إمالة الألف الثانية المنقلبة عن الياء. وقالوا: رأيت عمادا فأمالوا الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة. وقيل في إمالة والضحى و القوى وضحاها و تلاها إنها بسبب إمالة رءوس الآي قبل، وبعد فكانت من الإمالة

(1) انظر الموضح: 1/ 210. انظر الكتاب: 4/ 117.

(2) انظر الموضح: 1/ 210. انظر الكتاب: 4/ 117.

(3) انظر الموضح: 1/ 210.انظر الكتاب: 4/ 121 - 122..

(4) انظر الموضح: 1/ 210.

(5) انظر الكشف: 1/ 175.

(6) انظر الكشف: 1/ 177، والهداية: 1/ 93، والموضح: 1/ 210. انظر الكتاب: 4/ 118.

(7) انظر الحجة لابن خالويه، 68، والحجة لابن زنجلة، 88، والكشف: 1/ 175، والهداية: 1/ 114، والموضح: 1/ 212. انظر الكتاب: 4/ 120 - 121.

(8) انظر الكشف: 1/ 189، والهداية: 1/ 93، والموضح: 1/ 210. انظر الكتاب: 4/ 119.

للإمالة. ومن ذلك إمالة قتيبة عن الكسائي الألف بعد النون من: إنا لله لإمالة الألف من الله ولم يمل وإنا إليه راجعون لعدم ذلك بعده[1].

10 - الإمالة لأجل الشبه: كإمالة ألف التأنيث في نحو الحسنى وألف الإلحاق في نحو:: معزى وقصارى، وبلى ومتى وأرطى ؛ في قول من قال: مأرط لشبه ألفيها بألف الهدى المنقلبة عن الياء ويمكن أن يقال: بأن الألف تنقلب ياء في بعض الأحوال، وذلك إذا ثنيت قلت: الحسنيان والأرطيان، ويكون الشبه أيضا بالمشبه بالمنقلب عن الياء كإمالتهم: موسى وعيسى، فإنه ألحق بألف التأنيث المشبهة بألف الهدى[2].

11 - الإمالة لأجل كثرة الاستعمال: كإمالتهم الحجاج علما لكثرته في كلامهم. ومن ذلك إمالة الناس في الأحوال الثلاث، وهو موجود في لغتهم لكثرة دوره. ويمكن أن يقال: إن ألف الناس منقلبة عن ياء كما ذكره بعضهم[3].

12 - الإمالة لأجل الفرق بين الاسم والحرف: قال: سيبويه، وقالوا: باء وتاء في حروف المعجم يعني بالإمالة لأنها أسماء ما يلفظ به فليست مثل ما ولا، وغيرها من الحروف المبنية على السكون، وإنما جاءت كسائر الأسماء. قال ابن الجزري: وبهذا السبب أميل ما أميل من حروف الهجاء في الفواتح، والله أعلم[4].

وأما الغرض من الإمالة فهو: " تناسب الأصوات وتقاربها، وصيرورتها من نمط واحد؛ وذلك أنك إذا نطقت بكلمة "ساجد" مثلا، كان في نطقك بالفتحة والألف تصعد واستعلاء، وبالكسرة بعد انحدار وتسفل، فيكون في الصوت شيء من الاختلاف والتنافر، فإن أميلت الألف قربت من الياء وامتزج بالفتحة طرف من الكسرة، فتقرب منها، وتصبح الأصوات من نمط واحد تقريبًا"[5].

فالتماس الخفة هو القصد من الإمالة، لأن اللسان سوف تتجاذبه عملية الصعود إلى الأعلى في حالة النطق بالألف والفتحة وعملية النزول إلى الأسفل في حالة النطق بالياء والكسرة، والإمالة هنا هي محاولة توحيد عملية النطق وجعل اللسان يستقر على حالة واحدة. فمالوا بالألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة[6].

فالقصد من الإمالة هو **الميل إلى السهولة**، وذلك بتوفير أكبر قدر ممكن من المماثلة الصوتية أو الانسجام

---

(1) الموضح: 1/ 211، وانظر الكشف: 1/ 191، والهداية: 1/ 93. انظر الكتاب: 4/ 123.

(2) انظر الكشف: 1/ 168، والهداية: 1/ 93. انظر الكتاب: 4/ 120.

(3) الحجة لأبي علي: 6/ 467، وانظر الموضح: 3/ 1418. انظر الكتاب: 4/ 127 - 128.

(4) النشر في القراءات العشر (2/ 35). ظ: الكشف: 1/ 188، وانظر المصدر نفسه: 1/ 186 - 187. انظر الكتاب: 4/ 135

(5) شرح التصريح على التوضيح 2 / 346، وينظر: شرح المفصل 9 / 59، و شرح الشافية 3 / 14. ضياء السالك إلى أوضح المسالك (4/ 304).

(6) ينظر: الكتاب 4: 117، شرح المفصل 9: 55.

الصوتي[1]، وليكون عمل اللسان ـ كما يقول سيبويه ـ:« من وجهٍ واحد »[2].فضلا عن الاقتصاد في الجهد العضلي للمتكلم[3]، وسهولة اللفظ[4].

ومن أغراضها أيضاً " الإعلام بأن أصل الألف الياء أو التنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء"[5].

وقد شاع ظهور الإمالة في اللهجات العربية وبعض القراءات القرآنية؛ سواء قلت نسبة شيوعها أو كثرت. وهي مسألة ناقشها الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، وأتى بالأدلة من كلام العرب وأقوال علماء العربية[6]، وانتهى إلى نتيجةٍ مفادها أنَّ « الإمالة لم تكن مقصورة على تلك القبائل التي أشار إليها الأقدمون في كتبهم، وإنما كانت ظاهرة أكثر شيوعاً مما ذكروه، فقد كانت تنتظم معظم القبائل العربية وإن تفاوتت قلة وكثرة، فهي إذن صفة كثيرة الشيوع جداً عن العربِ في نطقهم»[7]، فاليمن وبعض الحجاز فيها إمالة، كما أن مِن تميم من لا يميل[8]، والذي جعل العلماء يهتمون بلغة عامة أهل الحجاز، وبلغة تميم وأسد وقيس، هو كون الأولى هي اللغةَ التي نزل بها القرآن الكريم، أما الثلاثة الأخرى فلكونها المصدر الذي أخذ عنه علماء العربية اللغة بشكل رئيس لقرب مواطنهم من العراق الذي كان منطلق العلماء كالخليل ويونس (183هـ)، والكسائي (189هـ) وغيرهم[9]، والشيء نفسه قام به الدكتور أحمد علم الدين الجندي وانتهى إلى النتيجة نفسها التي انتهى إليها الدكتور عبد الفتاح إسماعيل[10].

أشار القدماء إلى الناطقين بالإمالة؛ فرأوا أن الإمالة « ليست لغة جميع العرب، وأهل الحجاز لا يميلون، وأشدهم حرصا عليها بنو تميم »[11]، كذلك نجدها « لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس»[12].

---

(1) ظ: المطلبي، في الأصوات اللغوية 165.

(2) الكتاب 129/4.

(3) ينظر: الإقناع 323:1، شرح المفصل 63:9.

(4) النشر في القراءات العشر 35/2.

(5) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري 30/2. ظ: ضياء السالك إلى أوضح المسالك (4/ 304).

(6) ينظر: الإمالة في القراءات واللهجات العربية 69 ـ 96.

(7) المصدر نفسه 95.

(8) ينظر: الكتاب 118/4 ـ 121.

(9) ينظر: الإمالة في القراءات اللهجات العربية 95.

(10) ينظر: اللهجات العربية في التراث، الدكتور أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا 1392هـ ـ 1978م، 279/1 ـ 281.

(11) شرح الشافية، 4/3.

(12) النشر في القراءات العشر، 30/2.

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن الإمالة كانت الصفة الشائعة بين قبائل وسط الجزيرة وشرقيها وأنها شاعت بعد الإسلام في اللهجات العربية ببلاد العراق، في حين نسب الفتح إلى جميع القبائل التي كانت مساكنها غربي الجزيرة.

ويعود انتشار الإمالة في أمصار العراق إلى ما بعد الفتح الإسلامي بسبب القبائل التي كثر انتشارها في تلك الأصقاع أو تعودت النزوح إليها[1]. لذلك فإن الحال في الإمالة انقسمت على شعبتين: الأولى تؤثر الفتح أو بعبارة أخرى لا تستقيم ألسنتها بغيره، والشعبة الأخرى قد شاعت فيها الإمالة[2].

يضاف إلى ذلك أن ظاهرة الإمالة غير مستقرة بصورة محددة في قبائل معينة، فبعض القبائل تميل وبعضها الآخر لا يميل، ومن ثم التي تميل لم تمل في مواضع آخر مما دعا سيبويه إلى أن يقول إن جميع ما يمال ترك إمالته جائز، وليس كل من أمال شيئا وافق الآخر فيه من العرب، فاذا رأيت عربيا قد أمال شيئا واقتنع منه الآخر فلا ترينه انه خلط في لغته[3]، ومعنى ذلك أنها غير مشروطة بسياقات محدودة يجب التقيد بها مما مما يدفعنا إلى القول: إن الذي يسرع في نطقه يميل سواء أكان حجازيا أم نجديا، والذي يتأنى في نطقه لا يميل سواء أكان حجازيا أم نجديا. وبما أن البيئة الحجازية اشتهر عنها الميل إلى التأني في النطق وتحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها على العكس من غيرها من القبائل الأخرى، فليس من الغريب أن ينتشر فيها الفتح[4].

2 - مواضع الإمالة:

كان مكيُّ بن أبي طالب القيسي ممن تناول هذا الموضوع من علماء القراءات والتجويد، وذلك من خلال تناوله لأسباب الإمالة التي حصرها في ثلاث علل تُصَبُّ فيها جميعُ مواضع الإمالة. قال مكي« اعلم أن العلل التي توجب الإمالة ثلاثة: وهي الكسرة، وما أميل ليدل على أصله، والإمالة للإمالة»[5]. لأجل ذلك رأى الباحث أن يبني على هذه العلل موضوع المبحث لما في ذلك من اختزال وجمعٍ محكمَيْن. وعلى ذلك يترتب ما يلي:

أوّلاً: ما أميل لأجل الكسرة؛ ويندرج تحت هذه العلة ما يأتي:

(1) أنيس، د. إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، 2003، ص 60 - 63.

(2) في اللهجات العربية، 60.

(3) ينظر: كتاب سيبويه 4:125.

(4) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1973م، ص 60.

(5) ظ: القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محيي الدين رمضان، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ص170.

1 - **الألف التي أميلت لأجل الراء المكسورة بعدها؛** نحو: **الدار، الغار، القهار، الغفار، النهار، الديار، الكفار، الفجار، الإكار، بدينار، بقنطار، بمقدار، أنصار، أوبارها، أشعارها، آثارها، آثارهم، أبصارهم، ديارهم.** أمال ذلك أبو عمرو من روايتيه والكسائي من رواية الدوري، روى الصوري عن ابن ذكوان إمالة ذلك كله، وروى الأزرق عن ورش جميع الباب بين بين، وقرأ الباقون الباب كله بالفتح وخرج من الباب تسعة أحرف، وهي **الجار** في موضعي النساء و**حمارك** في البقرة و **الحمار** في الجمعة، و**الغار** في التوبة، و**هار** فيها أيضا و**البوار** في إبرهيم، و **القهار** حيث وقع، و**جبارين** في المائدة والشعراء، و **أنصاري** في آل عمران والصف فخالف بعض القراء فيها أصولهم المذكورة: **أما الجار** فأمالها الدوري عن الكسائي، والأزرق عن ورش. وأما **حمارك، الحمار** فعن ابن ذكوان. وأما **الغار** فعن الدوري عن الكسائي، وعن أبي نشيط عن قالون بإمالته بين بين. وأما **هار** فعن أبي عمرو، والكسائي، وأبي بكر، وقالون من طريق أبي نشيط، والصوري عن ابن ذكوان، وأماله الأزرق عن ورش بين بين وحمزة. وأما **البوار والقهار** فعن حمزة والأزرق عن ورش. وأما **جبارين** فعن الكسائي من رواية الدوري، والأزرق عن ورش. وأما **أنصاري** فعن الدوري عن الكسائي. ومما لا راء فيه **آذانهم وآذاننا.**

فأما ما وقعت فيه الراء مكررة من هذا الباب نحو **الأبرار، الأشرار، قرار** فأماله أبو عمرو والكسائي، وخلف، ورواه ورش من طريق الأزرق بين بين، وحمزة، وابن ذكوان[1].

2 - ومما أميل للكسرة أيضا ما تفرد به هشام من إمالته الخمسةالمواضع؛ وذلك في **مشارِب وآنية وعِابد وعِابدون**[2].

3 - ومن ذلك ما تفرد به ابن ذكوان من إمالة **المحرابِ** للكسرة التي بعد الألف[3].

4 - ومن ذلك **الكافرين** إذا كان بالياء، أماله أبو عمر الدوري، والكسائي، وابن ذكوان، وورش من طريق الأزرق[4].

5 - ومن ذلك إمالة حمزة والكسائي لألف **أو كلاهما** لأجل الكسرة التي على الكاف ولم يعتدا بفاصل اللام، لأن الحرف الواحد لا يمنع، والعرب تميل الألف للكسرة قبلها ولو حال بينهما حرفان؛ نحو قولهم: **لن تضرِبها، وتريد أن تنزِعها**[5].

---

(1) النشر في القراءات العشر (2/ 54). ظ: القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محيي الدين رمضان، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ص170. ظ: الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية، (107- 114).

(2) ظ: المصادر السابقة.

(3) النشر في القراءات العشر(64/2). ظ: الكشف عن وجوه القراءات السبع ص172.

(4) النشر في القراءات العشر(62/2). ظ: الكشف عن وجوه القراءات السبع ص173.

(5) ظ: الكشف ص173.

6 - ومن ذلك ما تفرد بإمالته حمزة من قوله تعالى: **أنا آتيك - النمل**، أمال الألف على أنها فاعل لآجل كسرة التاء. ومثله إمالة خلَف العينَ من **ضِعافا - النساء** لكسرة الضاد. ومثله ما روي عن أبي عمرو إمالة **النّاسِ** لكسرة السين، وروي عن أبي عمرو أن الإمالة في الناس في موضع الخفض لغة أهل الحجاز [1].

7 - ومن ذلك إمالة حمزة للألف التي هي عين من الفعل الثلاثي الماضي، وذلك في عشرة أفعال؛ وهي: **زاد، شاء، جاء، خاب، ران، خاف، زاغ، طاب، ضاق، حاق** حيث وقعت وكيف جاءت نحو: فزادهم، زادهم، جاءتهم رسلهم، جاءوا أباهم، جاءت سيارة إلا زاغت فقط، وهي في الأحزاب وص. ووافقه خلف وابن ذكوان في **جاء، شاء** كيف وقعا، ووافقه ابن ذكوان وحده في **فزادهم الله مرضا**، أول البقرة خاصة[2]. وعلة الإمالة هنا لأن فاء الفعل تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث فتقول: طِبت، وجِئت، وشِئت، وزِدت[3].

8 - ومن ذلك إمالة **عِابد، وعِالم ومسِاجد، ومفِاتيح، وعذِافر، وهِابيل**. وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها[4].

9 - وكذلك إمالة الألف إذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الألف حرف متحرك، والأول مكسور نحو: **عِماد**، أملت الألف، لأنه لا يتفاوت ما بينهما بحرف. ألا تراهم قالوا: **صبقت**، فجعلوها صادا لمكان القاف، كما قالوا: **صقت**[5].

10 - ومن ذلك أيضا إمالة الألف إن كان بينه وبين الألف حرفان الأولُ ساكن، لأن الساكن ليس بحاجز قوي، وإنما يرفع لسانه عن الحرف المتحرك رفعة واحدة كما رفعه في الأول، فلم يتفاوت لهذا كما لم يتفاوت الحرفان حيث قلت: صويق. ومن ذلك قولهم: سِربال، وشِملال[6].

ثانيا: ما أميل لتدل إمالته على أصله، وسمى ابن الجزري هذه العلة بالإشعار، وقسمها إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: الإشعار بالأصل، وذلك إذا كانت الألف الممالة منقلبة عن ياء، أو عن واو مكسورة.

الثاني: الإشعار بما يعرض في الكلمة في بعض المواضع من ظهور كسرة، أو ياء حسبما تقتضيه التصاريف دون الأصل.

---

(1) النشر في القراءات العشر(63/2). ظ: الكشف ص173.

(2) النشر في القراءات العشر(59/2). ظ: الكشف 174.

(3) النشر في القراءات العشر(59/2). انظر ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع، تح: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت، الطبعة الرابعة، 1401 هـ، ص 68، والكشف: 1/ 175. انظر الكتاب: 4/ 120 - 121.

(4) الكتاب لسيبويه (4/ 117).

(5) الكتاب لسيبويه (4/ 117).

(6) المصدر السابق.

الثالث: الإشعار بالشبه المشعر بالأصل، وذلك كإمالة ألف التأنيث والملحق بها والمشبه أيضا.

وعلى هذه العلة تجري أكثر الإمالات[1]، ويندرج تحت هذه العلة ما يأتي:

1 - أمال حمزة والكسائي وخلف وورش من طريق الأزرق كلَّ ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن سواء كانت في اسم أو فعل: فَالْأَسْمَاءُ نَحْوَ: **الْهُدَى وَالْهَوَى، وَالْعَمَى، وَالزِّنَا، وَمَأْوَاهُ، وَمَأْوَاكُمُ، وَمَثْوَاهُ، وَمَثْوَاكُمْ وَنَحْوَالْأَدْنَى، وَالْأَزْكَى، وَالْأَعْلَى، وَالْأَشْقَى، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَيَحْيَى.** وَالْأَفْعَالُ نَحْوُ: **أَتَى وَأَبَى، وَسَعَى، وَيَخْشَى، وَيَرْضَى، وَفَسَوَّى، وَاجْتَبَى، وَاسْتَعْلَى**[2].

2 - وَمن ذَلِكَ إمالةُ من تقدم كُلَّ أَلِفٍ تَأْنِيثٍ جَاءَتْ مِنْ فَعْلَى مَفْتُوحِ الْفَاءِ، أَوْ مَضْمُومِهَا، أَوْ مَكْسُورِهَا نَحْوَ: **الْمَوْتَى، وَمَرْضَى، وَالسَّلْوَى، وَطُوبَى، وَبُشْرَى، وَقُصْوَى، وَإِحْدَى، وَذِكْرَى، وَضِيزَى**، وَأَلْحَقُوا بِذَلِكَ **يَحْيَى، وَمُوسَى، وَعِيسَى.**

3 - وَكَذَلِكَ يُمِيلُونَ مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ فُعَالَى مَضْمُومَ الْفَاءِ، أَوْ مَفْتُوحَهَا نَحْوَ: **أُسَارَى، وَكُسَالَى، وَيَتَامَى، وَنَصَارَى.**

4 - وَكَذَلِكَ أَمَالُوا مَا رُسِمَ فِي الْمَصَاحِفِ بِالْيَاءِ نَحْوَ: **مَتَى، وَبَلَى، وَيَا أَسَفَى وَيَا وَيْلَتَى، وَيَا حَسْرَتَى، وَأَنَّى**(وَهِيَ لِلِاسْتِفْهَامِ نَحْوُ أَنَّى شِئْتُمْ، أَنَّى ذَلِكَ). وَاسْتَثْنَوْا مِنْ ذَلِكَ: حَتَّى وَإِلَى وَعَلَى وَلَدَى وَمَا زَكَى مِنْكُمْ فَلَمْ يُمِيلُوهُ[3].

5 - وَكَذَلِكَ أَمَالُوا أَيْضًا مِنَ الْوَاوِيِّ مَا كَانَ مَكْسُورَ الْأَوَّلِ، أَوْ مَضْمُومَهُ وَهُوَالرِّبَا كَيْفَ وَقَعَ، وَالضُّحَى كَيْفَ جَاءَ، وَالْقُوَى وَالْعُلَى. قِيلَ لِأَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يُثَنِّي مَا كَانَ كَذَلِكَ بِالْيَاءِ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ فَيَقُولُ: رِبَيَانِ وَضُحَيَانِ، فِرَارًا مِنَ الْوَاوِ إِلَى الْيَاءِ لِأَنَّهَا أَخَفُّ حَيْثُ ثَقُلَتِ الْحَرَكَاتُ بِخِلَافِ الْمَفْتُوحِ الْأَوَّلِ. قال ابن الجزري: « وَقَوَّى هَذَا السَّبَبَ سَبَبٌ آخَرُ وَهُوَالْكَسْرَةُ قَبْلَ الْأَلِفِ فِي الرِّبَا وَكَوْنُ وَالضُّحَى، وَضُحَاهَا، وَالْقُوَى وَالْعُلَى رَأْسَ آيَةٍ. فَأُمِيلَ لِلتَّنَاسُبِ وَالسُّوَرُ الْمُمَالُ رُءُوسُ آيِهَا بِالْأَسْبَابِ الْمَذْكُورَةِ لِلْبِنَاءِ عَلَى نَسَقٍ هِيَ

---

(1) ينظر: الكشف 1/ 177.

(2) وتعرف ذوات الياء من الأسماء بالتثنية، ومن الأفعال برد الفعل إليك فإذا ظهرت الياء فهي أصل الألف وإن ظهرت الواو فهي الأصل أيضا. فتقول في **اليائيّ من الأسماء**: كالْمَوْلَى وَالْفَتَى وَالْهُدَى - مَوْلَيَانِ وَفَتَيَانِ وَهُدَيَانِ. **وَفِي الْوَاوِيِّ**؛ مِنْهَا كالصَّفَا وَشَفَا وَسَنَا - صَفَوَانِ وَشَفَوَانِ وَسَنَوَانِ. وتقول في **اليائي من الأفعال** في نحو: أَتَى وَرَمَى وَسَعَى - أَتَيْتُ وَرَمَيْتُ وَسَعَيْتُ. **وَفِي الْوَاوِيِّ** مِنْهَا فِي نَحْوِ: دَعَا وَدَنَا وَعَفَا - دَعَوْتُ وَدَنَوْتُ وَعَفَوْتُ. إلا إذا زاد الواوي على ثلاثة أحرف فإنه يصير بتلك الزيادة يائياً، وذلك كالزيادة في الفعل بحروف المضارعة وآلة التعدية وغيره؛ نحو: (تَرْضَى، وَ تُدْعَى، وَزَكَّاهَا وَ تَزَكَّى، وَ نَجَّانَا، فَأَنْجَاهُ، فَمَنِ اعْتَدَى، فَتَعَالَى اللَّهُ، مَنِ اسْتَعْلَى). ومن ذلك أفعل في الأسماء نحو: (أَدْنَى، وَ أَرْبَى، وَ أَزْكَى، وَ الْأَعْلَى) لأن لفظ الماضي من ذلك كله تظهر فيه الياء إذا رددت الفعل إلى نفسك نحو (زَكَّيْتُ، وَأَنْجَيْتُ، وَابْتَلَيْتُ). وأما فيما لم يسم فاعله نحو: يدعى؛ فلظهور الياء في (دُعِيتُ، وَيُدْعَيَانِ). انظر: النشر في القراءات العشر (2/ 36).

(3) ظ: إدريس علي الأمين، الإمالة الصغرى لدوري أبي عمرو، منقول عن مجلة القرآن الكريم، العدد الأول – 1427هـ /2006م.

إِحْدَى عَشْرَةَ سُورَةً وَهِيَ (طه وَالنَّجْمِ، وَسَأَلَ سَائِلٌ، وَالْقِيَامَةِ، وَالنَّازِعَاتِ، وَعَبَسَ، وَالْأَعْلَى، وَالشَّمْسِ، وَاللَّيْلِ، وَالضُّحَى، وَالْعَلَقِ) »[1].

6 - وَمن ذلك إمالة الْكِسَائِيّ وورش من طريق الأزرق(**أَحْيَا وخَطَايَا**).

7 - وَأمال الكسائي وورش من طريق الأزرق أيضا **حَقَّ تُقَاتِهِ** فِي الْكَهْفِ **وَآتَانِيَ الْكِتَابَ** فِي مَرْيَمَ **وَأَوْصَانِي** بِالصَّلَاةِ فِيهَا وَ**آتَانِيَ اللَّهُ** فِي النَّمْلِ وَ**مَحْيَايَ** فِي الْجَاثِيَةِ وَ**دَحَاهَا** فِي النَّازِعَاتِ وَ**تَلَاهَا وَطَحَاهَا** فِي الشَّمْسِ وَ**سَجَى** فِي وَالضُّحَى.

8 - وَاتَّفَقَ الكسائي مَعَ حَمْزَةَ وَخَلَفٍ وورش من طريق الأزرق، عَلَى إِمَالَةِ **وَأَحْيَى** فِي سُورَةِ النَّجْمِ لِكَوْنِهِ مَنْسُوقًا بِالْوَاوِ. وعَنْ حَمْزَةَ بِإِجْرَاءِ **يَحْيَى** مُجْرَى **أَحْيَا** فَفَتَحَهُ عَنْهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَنْسُوقًا بِوَاوٍ فِي **وَلَا يَحْيَا** فِي طه وَسَبِّحِ.

9 - وَاتَّفَقَ الْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ وورش من طريق الأزرق، عَلَى إِمَالَةِ **(الرُّؤْيَا)**.

10 - وَأمال الْكِسَائِيُّ وورش من طريق الأزرق(**رُؤْيَايَ** و**رُؤْيَاكَ**).

11 - وَاخْتَصَّ الْكِسَائِيُّ بِإِمَالَةِ **مَثْوَايَ** وَ**مَحْيَايَ** وَ**آذَانِهِمْ وَآذَانِنَا وَطُغْيَانِهِمْ** حَيْثُ وَقَعَ وَ**بَارِئِكُمْ** فِي الْمَوْضِعَيْنِ مِنَ الْبَقَرَةِ **وَسَارِعُوا وَيُسَارِعُونَ، وَنُسَارِعُ** حَيْثُ وَقَعَ، **وَالْجَوَارِ** فِي الشُّورَى وَالرَّحْمَنِ وَكُوِّرَتْ وَ**كَمِشْكَاةٍ** فِي النُّورِ.

12 - ورويت عن الكسائي الإمالة فِي: **الْبَارِئُ** مِنْ سُورَةِ الْحَشْرِ.

13 - ورويت عن الكسائي الإمالة فِي **يُوَارِي وَفَأُوَارِيَ** فِي الْمَائِدَةِ وَ**فَلَا تُمَارِ** فِي الْكَهْفِ.

14 - ووَافَقَ أَبُو عَمْرٍو وابْن ذَكْوَانَ الكسائيَّ وحمزة وورشا من طريق الأزرق في جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ عَلَى مَا كَانَ فِيهِ رَاءٌ بَعْدَهَا أَلِفٌ مُمَالَةٌ بِأَيِّ وَزْنٍ كَانَ، نَحْوَ: **ذِكْرَى وَبُشْرَى، وَأَسْرَى، وَالْقُرَى، وَالنَّصَارَى، وَأُسَارَى، وَسُكَارَى، وَفَأَرَاهُ، وَاشْتَرَى، وَوَرَأَى، وَيَرَى وبُشْرَايَ.**

15 - ومن ذلك إمالةُ **أَدْرَاكَ، وَأَدْرَاكُمْ.** أمالها أبو عمرو وابن ذكوان وحمزة والكسائي وورش من طريق الأزرق[2].

16 - ومن ذلك إمالة وَرْش جَمِيع مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ ذَوَاتِ الرَّاءِ حَيْثُ وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ. رَوى ذلك عنه الْأَزْرَقُ بِالْإِمَالَةِ بَيْنَ بَيْنَ. ورويت عنه من طريق الأزرق الإمالةُ فِي **أَرَاكَهُمْ** فِي الْأَنْفَالِ.

17 - وذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنْهُمْ إِلَى الإِمَالَةِ بَيْنَ بَيْنَ أَلِفِ التَّأْنِيثِ مِنْ فَعْلَى كَيْفَ أَتَتْ مِمَّا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ آيَةٍ وَلَيْسَ مِنْ ذَوَاتِ الرَّاءِ. ووجه إمالتها هو الإشعار بالشبه المشعر بالأصل[1].

---

(1) النشر في القراءات العشر (2/ 37).

(2) ظ: سفر، د. عبد العزيز علي، الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، ص 110.

18 - ومن ذلك إمالة **التوراة** عند أبي عمرو والكسائي وخلف وابن ذكوان وحمزة ونافع.

ثالثا: الإمالة للإمالة:

وتكون الإمالة من أجل الإمالة على ضربين:

الأول: أنْ تُمال فتحة في كلمة؛ لإمالة فتحة أخرى فيها.

الثاني: أنْ تُمال فتحة في كلمة؛ لإمالة مثل تلك الفتحة في نظير تلك الكلمة في الفواصل[2].

- فمن أمثلة الضرب الأول ما يلي:

1 - إمالة **رِأى، ورِءاهُ**؛ حيث أُميلت الألف التي بعد الهمزة، لتقرب من أصلها وهو الياء، وأُميلت فتحة الراء لأجل إمالة الألف بعدها.

2 - ومن ذلك **تَرِاءِا الْجَمْعَانِ** في حالة الوقف؛ حيث تمال الألف التي بعد الهمزة من أجل الألف المنقلبة عن الياء، فتمال لأجل إمالتها فتحةُ الراء قبلها. أمَّا حالة الوصل فلا إمالةَ. ورد ذلك عند حمزة وخلف ورش من طريق الأزرق ومعهم الكسائي في الهمزة فقط. وأمال حمزة وخلف الراءَ دون الهمزة حال الوصل[3].

3 - ومن هذا الباب أيضا: **رأيت عِمادِا** فأمالوا للإمالة كما أمالوا للكسرة؛ فتميل الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة[4].

- ومن أمثلة الضرب الثاني ما يلي:

1 - إمالةُ وَرْش مِنْ طَرِيقِ الْأَزْرَقِ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ رُؤُوسِ الْآيِ فِي السُّوَرِ الْإِحْدَى عَشَرَ الْمَذْكُورَةِ[5] بَيْنَ بَيْنَ كَإِمَالَتِهِ ذَوَاتِ الرَّاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ سَوَاءً، وَسَوَاءٌ كَانَتْ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ نَحْوَ: **الضُّحَى، سَجَى، الْقُوَى**، أَوْ مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ نَحْوَ: **هُدى، الْهَوَى، يَغْشَى**.

قال المهدوي في قراءة أبي عمرو ما توالى في رءوس الآي من ذوات الياء بإمالة متوسطة: «... فإن رءوس الآي مشبّهة بالقوافي، والإمالة وما قرب منها تغيير، ورؤوس الآي والقوافي مواضع التغيير، لأنهن مواضع الوقف، والوقف يقع فيه التغيير؛ ألا ترى أنهم قالوا في الوقف على أفعى: أفعو، وقال بعضهم: أفعي، فغيّروا الألف بالقلب، وهم لا يفعلون ذلك في الوصل إلا على الشذوذ من بعضهم ممن حمل الوصل على

---

(1)النشر في القراءات العشر (2/ 35). ظ ن م (52/2). ظ: سفر، د. عبد العزيز علي، الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، ص 110.

(2) شرح شافية ابن الحاجب - الرضي الأستراباذي (3/ 13).

(3) النشر في القراءات العشر (2/ 66).

(4) الكتاب لسيبويه (4/ 123).

(5) رؤوس الآي هي التي ختمت بألف سواء كان أصلها واواً أو ألفاً، اتصلت بها هاء الضمير أو لم تتصل، وموضعها إحدى عشرة سورة وهي: **طه، النجم، الشمس، الأعلى، الليل، الضحى، العلق، النازعات، عبس، القيامة ، المعارج.**

الوقف[1]. فإذا كان الوقف موضع التغيير والإعلال، وكانت رءوس الآي مواضع الوقف كما أن القوافي مواضع الوقف- حسنت الإمالة، والقراءة بين اللفظين ضرب من الإمالة، لأنه تقريب منها»[2].

2 - وعن ورش إمالة مَا كَانَ مِنْ رُؤوسِ الْآيِ عَلَى لَفْظِ (هَا)، وَذَلِكَ فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ وَالشَّمْسِ نَحْوَ: **بَنَاهَا، ضُحَاهَا، سَوَّاهَا، دَحَاهَا، مُرْسَاهَا، جَلَّاهَا**، سَوَاءٌ كَانَ وَاوِيًّا أَوْ يَائِيًّا.

3 - وَإِنَّمَا أُمِيلَ مَا أُمِيلَ مِنَ الْوَاوِيِّ **كالربا والضُّحَى وَالْقُوَى** مِنْ أَجْلِ كَوْنِهِ رَأْسَ آيَةٍ فَأُمِيلَ **لِلْمُنَاسِبَةِ وَالْمُجَاوِرَةِ**. أي بسبب إمالة رءوس الآي قبلُ وبعدُ، فكانت من الإمالة للإمالة.

4 - ومن ذلك إمالة قتيبة عن الكسائي الألف بعد النون من: **إِنَّا لله** لإمالة الألف من **اللهِ**. ولم يمل **وإِنَّا إليه راجعون** لعدم ذلك بعده[3].

رابعا: إمالة أحرف الهجاء في أوائل السور:

وهي خمسة ألفات:

1 - أولها الألف من هجاء الراء؛ وذلك في: (الر) أول يونس وهود ويوسف وإبراهيم، والحجر؛ وفي (المر) أول الرعد. ورد ذلك عن أبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبي بكر وقالون، ورواها الأزرق عن ورش بين اللفظين.

2 - الألف من هجاء الهاء؛ وذلك في فاتحة (كهيعص) و (طه). فأما الهاء من (كهيعص) فأمالها أبو عمرو والكسائي وأبو بكر وقالون وورش من طريق الأزرق. وأما الهاء من (طه) فأمالها أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر، والأزرق عن ورش بإمالتها عنه محضاً ولم يمل الأزرق محضاً سوى هذا الحرف.

3 - الألف من هجاء الياء؛ من (كهيعص) و(يس). فأماء الياء من (كهيعص) فأمالها ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ونافع وأبو عمرو من رواية الدوري والسوسي. وأما الياء من (يس) فأمالها حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ورَوح؛ ونافع.

4 - الألف من هجاء الطاء؛ في (طه)، ومن (طسم) الشعراء وفي القصص، ومن (طس) النمل. روي ذلك عن حمزة والكسائي وخلف وأبي بكر.

5 - الألف من هجاء الحاء؛ في (حم) في السبع السور، أمالها محضاً حمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان وأبو بكر، وأمالها بين بين ورش من طريق الأزرق، وأبو عمرو[1].

(1) انظر الكتاب: 4/ 181 - 182.

(2) الهداية: 1/ 106، وانظر الحجة لأبي علي: 1/ 381 - 382، 405؛ والموضح: 1/ 253. ظ: عبد البديع النيرباني، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثانى - دمشق، الطبعة الأولى، 1427هـ - 2006م، (195/1).

(3) الموضح: 1/ 211، وانظر الكشف: 1/ 191، والهداية: 1/ 93. انظر الكتاب: 4/ 123.

خامسا: إمالة الفتحة قبل هاء التأنيث في الوقف:

وهي الهاء التي تكون في الوصل تاء آخر الاسم نحو: **نعمة ورحمة** فتبدل في الوقف هاء، وقد أمالها بعض العرب كما أمالوا الألف. وقيل للكسائي إنك تميل ما قبل هاء التأنيث فقال: هذا طباع العربية. قال الحافظ أبو عمرو الداني يعني بذلك أن الإمالة هنا لغة أهل الكوفة، وهي باقية فيهم إلى الآن وهم بقية أبناء العرب يقولون أخذته أخذة وضربته ضربة[2].

قال مكي: «اعلم أن هاء التأنيث أشبهت الألف التي للتأنيث من خمس جهات: إحداها: قرب المخرج من الألف. والثانية: أنها زائدة كألف التأنيث. والثالثة: أنها تدلّ على التأنيث كالألف. والرابعة: أنها تسكن في الوقف كالألف. والخامسة: أن ما قبلها لا يكون إلا مفتوحا كالألف...فلما تمكّن الشبه في الوقف بالسكون أجراها الكسائي مجرى الألف في الوقف خاصة، فأمال ما قبلها من الفتح، فقرّبه من الكسر كما يفعل بألف التأنيث، إلا أن ألف التأنيث تقرّب في الإمالة نحو الياء، وليست كذلك الهاء. فإن وصل فتح، لأنها تصير تاء، فلا تشبه حينئذ الألف، فلذلك حسن الوقف بالإمالة، وذلك نحو: حَبَّةٍ [البقرة 261] ودَابَّةٍ [البقرة 164] وشبهه»[3]. فإن وقع قبل هاء التأنيث ألف منقلبة عن واو، فلا سبيل إلى الإمالة، نحو: الزَّكَاةَ [البقرة 43]، والصَّلاةَ [البقرة 3]. وعلة ذلك أنك لو أملت ما قبل هاء التأنيث في هذا لأملت الألف... وهذا غير جائز[4].

قال ابن الجزري: « والإمالة في هاء التأنيث وما شابهها من نحو **همزة، لمزة، خليفة بصيرة** هي لغة الناس اليوم والجارية على ألسنتهم في أكثر البلاد شرقا وغربا وشاما ومصرا لا يحسنون غيرها، ولا ينطقون بسواها يرون ذلك أخف على لسانهم وأسهل في طباعهم، وقد حكاها سيبويه عن العرب ثم قال: شبه الهاء بالألف فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف»[5].

وقد اختص الكسائي بإمالة ما قبل هاء التأنيث في حروف مخصوصة بشروط معروفة باتفاق واختلاف وتأتي على ثلاثة أقسام، نذكر منها قسمان لاشتمالها على ظاهرة الإمالة؛ وهما:

---

(1) ظ: النشر (66/2). ظ: سفر، د. عبد العزيز علي، الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، ص 124. ظ: القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محيي الدين رمضان، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ص186.

(2) النشر في القراءات العشر (2/ 82)، ظ: الكتاب: 4/ 140.

(3) القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محيي الدين رمضان، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ص 1/ 203، والحجة لأبي علي: 6/ 417، والموضح: 1/ 214.

(4) الكشف: 1/ 206.

(5) النشر في القراءات العشر (2/ 82).

القسم الأول: وهو المتفق على إمالته قبل هاء التأنيث وما أشبهها، ويجمعها خمسة عشر حرفا يجمعها قولك: **فجثت زينب لذود شمس**.

فالفاء ورد في أحد وعشرين اسما نحو خليفة، رأفة، الخطفة، خيفة.

والجيم في ثمانية أسماء، وهي وليجة، حاجة، بهجة، لجة، نعجة، حجة، درجة، زجاجة.

والثاء في أربعة أسماء، وهي ثلاثة، ورثة، خبيثة، مبثوثة.

والتاء في أربعة أسماء أيضا الميتة، بغتة، الموتة، ستة.

والزاي في ستة أسماء أعز، العزة، بارزة، بمفازة، همزة، لمزة.

والياء وردت في أربعة وستين اسما نحو شية، دية، حية، خشية، زانية.

والنون في سبعة وثلاثين اسما نحو: سنة، سنة، الجنة، الجنة، لعنة، زيتونة.

والباء في ثمانية وعشرين اسما نحو حبة، التوبة، الكعبة، وشيبة، الإربة، غيابة.

واللام في خمسة وأربعين اسما نحو ليلة، غفلة، عيلة، النخلة، ثلة، الضلالة.

والذال في اسمين لذة، والموقوذة.

والواو في سبعة عشر اسما نحو: قسوة، والمروة، نجوى، أسوة.

والدال في ثمانية وعشرين اسما نحو: بلدة، جلدة، عدة، قردة، أفئدة.

والشين في أربعة أسماء البطشة فاحشة، عيشة، معيشة.

والميم في اثنين وثلاثين اسما نحو رحمة، نعمة، أمة، قائمة، الطامة.

والسين في ثلاثة أسماء، وهي خمسة، والخامسة، المقدسة.

والقسم الثاني: الذي فيه التفصيل فيمال في حال ويفتح في أخرى، وذلك إذا كان قبل الهاء حرف من أربعة أحرف، وهي (أكهر) فمتى كان قبل حرف من هذه الأربعة ياء ساكنة أو كسرة أميلت؛ وإلا فتحت، وهذا مذهب الجمهور، وهو المختار كما سيأتي فإن فصل بين الكسرة والهاء ساكن لم يمنع الإمالة.

فالهمزة وردت في أحد عشر اسما:

- منها اسمان بعد الياء وهما: كهيئة، و خطيئة.
- وخمسة بعد الكسرة، وهي: مئة، و فئة، و ناشئة، و سيئة، و خاطئة.
- وأربعة سوى ذلك هي: النشأة، و سوأة، وامرأة، و براءة.

والكاف وردت أيضا في خمسة عشر اسما:

- واحد بعد الياء، وهو: الأيكة.

- وأربعة بعد الكسرة، وهي: ضاحكة، و مشركة، والملائكة، والمؤتفكة.
- وستة سوى ما تقدم، وهي: بكة، ودكة، والشوكة، و التهلكة، و مباركة.

والهاء وردت في أربعة أسماء:
- اثنان بعد الكسرة المتصلة، وهي: آلهة، وفاكهة.
- وواحد بعد المنفصلة، وهو: وجمة.
- والآخر بعد الألف، وهو: سفاهة.

والراء وردت في ثمانية وثمانين اسما:
- ستة بعد الياء، وهي: كبيرة، و كثيرة، و صغيرة، و الظهيرة، و بحيرة، و بصيرة.
- وثلاثون بعد الكسرة المتصلة، أو المفصولة بالساكن نحو: الآخرة، و فنظرة، و حاضرة، و كافرة، والمغفرة، وعبرة، و سدرة، و فطرة، و مرة.
- وفي اثنين وخمسين سوى ما تقدم نحو: جهرة، و حسرة، و كرة، والعمرة، والحجارة، و سفرة، و بررة، وميسرة، معرة[1].

وأما هاء السكت نحو كتابيَهْ و حسابيَهْ، و ماليَهْ و يتسنَّهْ، فلا تجوز فيها الإمالة، لأنه لا نسب بينها وبين ألف التأنيث، ولا شبه لها بها، وإنما هي زائدة لبيان الحركة وهي الفتحة قبلها، ففي إمالتها مخالفة للحكمة التي من أجلها اجتلبت. وقال الهذلي: الإمالة فيها بشعة[2].

ولا تجوز الإمالة في نحو: الصلاة، والزكاة وبابه مما قبله ألف، لأن هذه الألف لو أميلت لزم إمالة ما قبلها، ولم يمكن الاقتصار على إمالة الألف مع الهاء دون إمالة ما قبل الألف والأصل في هذا الباب هو الاقتصار على إمالة الهاء والحرف الذي قبلها فقط، فلهذا أميلت الألف في نحو: التوراة، و مزجاة. وبابه مما تقدم، لأنها منقلبة عن الياء لا من أجل أنها للتأنيث.

(1) النشر في القراءات العشر (2/82-87).
(2) الكشف: 1/ 206. ظ: النشر في القراءات العشر (2/ 88).

وفي قوله تعالى: **(آنية)** في سورة الغاشية يميل منها هشام فتحة الهمزة والألف بعدها خاصة ويفتح الياء والهاء. والكسائي من طرقنا يعكس ذلك فيميل فتحة الياء والهاء في الوقف ويفتح الهمزة والألف، ولا يميل الجميع إلا قتيبة في روايته[1].

(1) ظ: النشر في القراءات العشر (2/ 88).

المبحث الثاني: ظاهرة التفخيم، Emphatisation - EMPHASE:

ومن الظواهر النوعية التي تلحق المصوتات التفخيمُ ، وهي ظاهرة تكاد تنحصر في الفتحتين القصيرة والطويلة، أما الواو والياء وأختاهما الضمة والكسرة، فإنهما أقل تأثراً به.

وترتبط هذه الظاهرة ارتباطا وثيقا بصفة الاستعلاء، من حيث أن التفخيم ظاهرة سمعية ناتجة بسبب ارتفاع أقصى اللسان ورجوعه إلى الحلق وفي بعض الأحيان ارتفاع طرفه معه.

ولا بد من الإشارة إلى أن الشاطبي ذكر في قصيدته (حرز الأماني) ضوابط تفخيم وترقيق الراء واللام بعد موضوع الإمالة[1]. والذي يلفت النظر في صنيع المتقدمين هو أنهم ذكروا ضوابط تفخيم اللاَّم و الراء بعد الإمالة، وهذا يدل على إدراك تام لعلاقة الإمالة بالتفخيم الذي يعتري اللام و الراء. من حيث أن الظاهرتين تغيران نوعيان يغيران طبيعة الصوت السمعية الناتجة من حصول عمل زائد لأعضاء النطق في إنتاج ذينك الصوتين.

بقي لنا أن نشير إلى أن من ذكر صفة التفخيم وعرف بها لم يذكرها في موضع الصفات المتقابلة، وهو عمل دقيق بلا شك.

1 - مفهوم التفخيم:

أ - التفخيم في اللغة:

معنى التفخيم في اللغة التعظيم؛ يقال: فَخُم الرجل - بالضم - فخامة أي ضَخُم، والتفخيم: التعظيم. وفخَّم الكلام: عظمه، ومنطق فخم: جزل[2]. وضده الترقيق؛ وهو من (رقَّق)، والرقيق: نقيض الغليظ والثخين[3].

وقد اهمل القدماء ذكر الدلالة اللغوية للتفخيم. ولعل وضوح المعنى اللغوي للمصطلح جعل المتقدمين من علماء العربية يهملون تحديده، قال المرعشي: « ومنهما التفخيم و الترقيق، وهما ضدان، ومعناهما اللغويان ظاهران »[4].

ب- التفخيم في الاصطلاح:

والتفخيم في الاصطلاح: « عبارة عن سِمَنٍ يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه»[1]. ومصطلح التفخيم عند المتقدمين من علماء العربية هو المقابل لمصطلح الإمالة. وأول من يطالعنا بالحديث على التفخيم

(1) ظ: الشاطبي، القاسم بن فيرة بن خلف، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، دار الكتاب النفيس - بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ، 55-58.

(2) اللسان: 447/2 (ف خ م).

(3) المصدر نفسه: 121/10 (ر ق ق).

(4) جهد المقل: 126.

الخليل بن احمد الفراهيدي، حيث قال في سبب تحويل التاء طاء في بناء افتعل اذا جاورت التاء الظاء:" لأَن **الظَّاءَ مِنْ فِخام حُرُوفِ الشجْر** الَّتِي قُلِبَتْ مَخَارِجُهَا مِنَ التَّاءِ، فضَمُّوا إِليها حَرْفًا فَخْماً مِثْلَهَا لِيَكُونَ أَيسر عَلَى اللِّسَانِ **لتَبايُنِ مَدْرجة الْحُرُوفِ الفِخام** مِنْ مَدَارِجِ الْحُرُوفِ الفُخْتِ، وَكَذَلِكَ تَحْوِيلُ تِلْكَ التَّاءِ مَعَ الضَّادِ وَالصَّادِ طَاءً لأَنهما مِنَ الْحُرُوفِ الفِخَام، وَالْقَوْلُ فِيهِ كَالْقَوْلِ فِي اظّلَم "[2]. وقد ذكر أن التفخيم هو التعظيم قائلا:"وتفخيم الكلام: تعظيمه و الرفع في الكلام تفخيم، والف مفخم يضارع الواو "[3].

وذكر سيبويه ألف التفخيم، مشيرا إلى أنها من الأصوات الفرعية، قال: « وألف التفخيم يعني بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة»[4]. فألف التفخيم إذن ظاهرة صوتية تتبع لهجة معينة، وهي لهجة أهل الحجاز، ولذلك عدت من الفروع والحروف المستحسنة في قراءة القرآن والأشعار[5]. وأوضح الأعلم الشنتمري ذلك بقوله: « ومن المستحسنة ألف التفخيم، وهي ضد الممالة لأن الممالة ينحى بها نحو الياء، وهذه ينحى بها نحو الواو، وزعموا أن كتبهم الصلاة والزكاة ونحوه، مما كتبت بالواو، على هذه اللغة »[6]، وهو في هذا يشير إلى رسم هذه الكلمات في المصحف الشريف، وقد عارضه الزجاجي بقوله: «والذي عندي أنها تكتب بالواو على الأصل، لأن الألف فيها منقلبة عن واو»[7].

وتابعه سيبويهَ على ذلك الكثيرُ من علماء العربية؛ من ذلك ما نجده عند ابن جني من توضيح للعلاقة بين ألف التفخيم وبين الحركة التي تمال نحو الضمة، مبينا أن ألف التفخيم هي: « التي تجدها بين الألف وبين الواو، نحو قولهم: سلأم عليك، وقُام زيد، وعلى هذا كتبوا: الصلوة والزكوة والحيوة بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو، كما كتبوا إحداهما وسواهن بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة »[8]. وقال المرادي:" والتفخيم إشباع صوت الحرف. وقيل التفخيم تسمين الحرف"[9]. وقال المرعشي: " و التفخيم في الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه و التفخيم و التجسيم و التغليظ بمعنى واحد"[10].

---

(1) الجريسي، محمد مكّي نصر الشافعي، نهاية القول المفيد في علم التجويد، تح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2003، ص 93. ظ: جهد المقل: 154.

(2) العين: 8/ 167 (ظئر). و النص في اللسان: 4/ 515 (ظئر).

(3) العين: 281/4.(ف خ م).

(4) الكتاب:432/4.

(5) الكتاب: 432/4.

(6) النكت في تفسير كتاب سيبويه، 1243/2 ـ 1244، وينظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي 447/6. لسان العرب. مادة (فخم).

(7) كتاب الخط، تحقيق: د. غانم قدوري حمد، مجلة المورد، مج19 ـ ع2، 1410هـ ـ 1990 م ـ ص152.

(8) سر صناعة الإعراب: (1/ 64). وينظر: شرح المفصل:54/9.وينظر: مرشد القارئ: 52.

(9) شرح الواضحة: 40.

(10) جهد المقل: 127 – 128.

واعتماد المرعشي على (صدى الحرف) في معرفة التفخيم و الترقيق ملمح واضح يبين ادراكه ان تلكما الظاهرتين تتمان في السمع.

إلا إن الداني خالف سيبويه في ألف التفخيم هذه، حين تحدث عن أنواع الألف مبينا ما هو مستخدم منها وما هو متروك، فقال: « وأما المفتوح فحقه أن يؤتى به بين منزلتين، بين التفخيم الشديد الذي يستعمله أهل الحجاز في نحو: الصلاة والزكاة فينحون بالألف نحو الواو، من شدة التفخيم، وهذه اللغة لا تستعمل في القرآن **لأنه لا إمام لها**، وبين الإمالة المحضة التي يستعملها القراء، وهي التي دون الكسر الصحيح»[1].

وقد أطلق الداني على هذا النوع من أنواع الألف، مصطلح الفتح الشديد، وعرفه بأنه « نهاية فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف الذي يأتي بعده الألف»[2]. وقال عنه: «والقراء يعدلون عنه ولا يستعملونه، وأكثر ما يوجد في ألفاظ أهل خراسان ومن قرب منهم، لان طباعهم في العجمة جرت عليه، واستعملوه كذلك في اللغة العربية، وهو في القراءة مكروه معيب»[3].

إن المقارن بين نص سيبويه والداني يلحظ تناقضا بينهما فيما يتعلق بهذا النوع من أنواع الألف، فهو عند سيبويه، مستحسن في القراءة، وعند الداني مكروه معيب. ويمكن أن يحمل ذلك التناقض على احتمالات عدة منها:

أ - ربما كان المقصود بألف التفخيم التي ذكرها سيبويه، والتي نسبها إلى أهل الحجاز، هي الألف التي يمتلئ الفم بصداها، وهي صفة أساسية ثابتة بالنسبة للغة أهل الحجاز، لا تخضع لما يتقدمها من الأصوات المطبقة أو المستعلية. ومما يرجح ذلك أن سيبويه لما وصف هذه الألف لم يصرح بجنوحها نحو الواو. ولم يصفها بالتفخيم الشديد، في حين وصف الألف الممالة نحو الياء، بأنها الألف التي تمال إمالة شديدة. ومما يعضد ذلك أنه جعل مصطلحات التفخيم، وترك الإمالة، والانتصاب تحمل الدلالة نفسها على أنها اللفظ المقابل للإمالة.

وهذا يعني: أن مفهوم التفخيم عند سيبويه ذو دلالتين، **الأولى:** تفيد العموم، وذلك ما يقابل مصطلح الإمالة. **والثانية:** تفيد الخصوص: وذلك ما اتسمت به لغة الحجاز في تفخيم الألف دون قيد أو شرط.

وعلى أساس ذلك فان دلالة التفخيم عند سيبويه بالنسبة للألف، تختلف عن دلالة الفتح الشديد الذي قصده الداني، فقال: « والقراء يعدلون عنه ولا يستعملونه».

ب - قد تكون الألف المفخمة التي وصفها الداني، تنحو نحو الواو نحوا شديدا اكثر من تلك التي وصفها سيبويه، فالألف المفخمة التي ذكرها سيبويه جاءت مروية عن أحد القراء السبعة، وهو نافع، قال مكي: «وهي ألف يخالط لفظها تفخيم، يقربها من لفظ الواو، كما كانت الألف الممالة ألفا يخالط لفظها ترقيق يقربها من

(1) التحديد: 102-103.

(2) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: 372.

(3) المصدر نفسه: 373.

الياء، فهي نقيضة الألف الممالة، وبذلك قرا ورش عن نافع في (الصلاة ومصلى والطلاق وبظلاَّم) وشبهه، وذلك فاش في لغة أهل الحجاز» [1]. ومكي من خلال ذلك، يؤيد ما قاله سيبويه عن ألف التفخيم ويرى أنها الألف التي قرأ بها ورش من طريق الأزرق كما مر في الأمثلة السابقة.

ووصفُ الداني لهذه الألف يشير إلى أنها شديدة الميل نحو الواو. وقد أشار أليها أبو شامة عند حديثه عن أقسام الفتح، قال: « وهو منقسم إلى فتح شديد وفتح متوسط، فالشديد هو نهاية فتح القارئ لفمه بلفظ الحرف الذي بعده الألف، والقراء يعدلون عنه ولا يستعملونه واكثر ما يوجد في ألفاظ أهل خراسان ومن قرب منهم، وهو في القراءة معيب مكروه » [2]. وهو نفسه الذي تحدث عنه ابن الجزري فقال: « ولا يجوز في القران، بل هو معدوم في لغة العرب» [3].

لكن الذي لاحظه الباحث هو أن سيبويه جعل تفخيمَ ألف الزكوة والحيوة من ألفات التفخيم المستحسنة، ولا يوجد -على ما بحثت - في القراء من يفخم ألفها خاصة. لأن حقَّها الترقيق أو الفتح المتوسط أو غير الشديد -كما ذكر الداني-. وتفخيمها إما سمة لأهل الحجاز على ما ذكر، وإما ميزة تميز بها اللسان الأعجمي كما هو معروف عندهم إلى يومنا هذ/ا. أما تفخيم الألفات الموالية للراءات واللاَّمات في بيئات أو أنساق مخصوصة فهو من المستحسن والمسموع في القراءات القرآنية، كتفخيم ألف الصلوة ومصلى والطلاق وبظلاَّم وشبهها. أما الواو المرسومة على الزكوة والحيوة فلعل تعليل الزجاجي بأن الألف فيها منقلبة عن واو هو الملائم لهذا الرأي [4].

وجاء القرطبي ليوضح مراد العلماء بالتفخيم، ويضع درجات له على نحو يوافق إلى حدٍّ كبير ما قاله المحدثون، قال: « وأما ألف التفخيم، فهي ضد ألف الإمالة، لأن الإمالة يؤخذ بالألف فيها نحو الياء، والتفخيم يؤخذ بها فيه نحو الواو، وذلك بأن تنحى بالفتحةِ التي قبلها نحو الضمة، فتخرج هي بين الواو وبين الألف، وزعموا أن كتبهم في المصحف الصلاة، والزكاة ونحو ذلك بالواو على هذه اللغة. فإن قال قائل: فما الألف المفتوحة الأصلية حينئذ ؟ قلنا: الألف المفتوحة الأصلية هي التي يؤتى بها بين منزلتين، بين التفخيم الذي تقدم، وبين الإمالة المشبعة ...» [5].

---

(1) الرعاية:109.

(2) إبراز المعاني من حرز الأماني : عبد الرحمن بن سليمان أبو شامة : (ت 665هـ)، القاهرة : 1349هـ، 151-152.

(3) النشر: 30/2.

(4) كتاب الخط: مجلة المورد، مج19،ع 2،1990م، ص152.

(5) الموضح في التجويد 83 ـ 84.

وقد يقصدون بالتفخيم الفتح المقابل للإمالة؛ كقول أبي البركات بن الأنباري في حديثه عن قوله تعالى: (وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ) (البقرة: من الآية259). قال: « حمارك: يقرأ بالتفخيم والإمالة، فمن قرأه بالتفخيم فعلى الأصل، ومن قرأه بالإمالة فلكسرة الراء بعد الألف ...))[1].

ولم يضف المحدثون في مفهوم التفخيم شيئا مهمّاً على ما ذكره القدماء، بل إن بعضهم اضطرب في استعمال المصطلح، فالمستشرق كانتينو رأى عدم إمكانية التفريق بين التفخيم وبين الإطباق والاستعلاء[1]، على الرغم من إدراكه أن التفخيم مصطلح أطلق على الأصوات التي لها وقع خاص على السمع أي وقع (مفخم) أو (غليظ) أو (سمين) [2]. وعرف التفخيم أو الاستعلاء أو الإطباق بأنه: « توتر عظيم في مختلف أعضاء جهاز التصويت مع تأخير المخرج شيئا ما»[3].

وعدَّ الدكتور تمام حسان التفخيم ظاهرة سمعية ناشئة عن اجتماع أمرين هما (الإطباق) و(التحليق)، وعرف التفخيم بأنه « ظاهرة أصواتية ناتجة عن حركات عضوية، تغير من شكل حجرات الرنين بالقدر، الذي يعطي الصوت هذه القيمة الصوتية المفخمة»[4].

وعرفه بعضهم بأنه « أثر سمعي ناشئ عن تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي عند نطق الصوت»[5]. وهو ما راه الدكتور محمد فتيح وعكسَه بصورة أوضح إذ رأى أن التفخيم يحدث في المخرج الثانوي (غير الأساسي) للصوت المطبق « أي اقصى اللسان المتجه نحو الحنك الأعلى ويلعب هذا المخرج دورا في تحديد هذه الخاصية الصوتية المسماة بالتفخيم بحيث تكون حجرة رنين لها شكل معين ينتج عنها اثر سمعي معين هو الذي نسميه بالتفخيم»[7].

في حين رأى الدكتور عبد الصبور شاهين أن التفخيم هو الأثر السمعي الناشئ عن هذا الإطباق[2] فاللسان مع الإطباق يتخذ شكلا مقعرا « بحيث تكون النقطة الأمامية للسان هي مخرج الصامت المرقق وتكون النقطة الخلفية هي مصدر التفخيم في حالة الإطباق»[3]. أما أصوات (غ ق خ) فرأى أن اللسان

---

(1)البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات بن الأنباري، تحقيق : طه عبد الحميد طه، مراجعة : مصطفى السقا، دار الكتاب العربي، مصر 1389هـ-1969م، 171/1.

(1) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:294.

(2) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، تر. صالح القرمادي، ط. مركز الدراسات والبحوث، تونس، 1966، ص 37.

(3) دروس في علم أصوات العربية، ص 25.

(4) ظ: حسان، د. تمام، مناهج البحث في اللغة، ط. د. الثقافة، الدار البيضاء، 1974، ص90.

(5) المصطلح الصوتي، الصيغ: 115.

(7) في الفكر اللغوي: 145 – 146

(2) ظ: علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تر: عبد الصبور شاهين، مطبعة التقدم، القاهرة، د.ط، 1985، (دراسة المترجم)، ص116.

(3) م. ن: 115.

معها يرتفع «بجزئه الخلفي نحو اللهاة ليخرج صوتا غليظا مفخما، ولكن دون مبالغة في تغليظ النطق، فالمهم هو أن يتوفر للصوت القيمة التي تميزه عن غيره، باعتباره وحدة صوتية مستقلة»[1]. أما الراء واللام عنده فينشأ تفخيمها في اغلب الأحيان من « ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك الأعلى كما في حالة الإطباق فيؤدي ذلك إلى التفخيم ...»[2].

وعلى هذا فالتفخيم « قد يكون أحيانا سمة أساسية تفرق بين وحدة أصواتية وأخرى كما في (س: ص) و (ت: ط) و (ذ: ظ) و (د: ض)، وقد لا تكون كذلك كما في اللام والراء فان اللام المفخمة والمرققة شيء واحد، ووحدة أصواتية واحدة وكذلك الراء المفخمة والمرققة»[3]. فالتفخيم قد يلبسه الصامت بهيئته الفونيمية من شأنها أن تحدث تغييرا في الدلالة. وقد يكون لباس تلوين ألوفوني لا أثر له في الدلالة.

وما ذكره المحدثون عن هذه الألف المفخمة مطابق لما ذكره سيبويه، فهي تحدث نتيجة ارتفاع مؤخر اللسان نحو مؤخر الحنك ارتفاعا يقل على ارتفاعه مع الفتحة المفخمة التي تلي أصوات الاستعلاء، ويكون وضع الشفتين معها وضع انضمام لا يبلغ الاستدارة التامة كما هو الشأن مع الضمة[4].

2 - مواضع التفخيم:

ذهب المتقدمون من علماء اللغة والتجويد إلى أن التفخيم ظاهرة صوتية يحكمها الحرف ونوع الحركة التي عليه، وأن الحركة تتبع الحرف الذي ترافقه. أما الأصوات التي يمكن لأصوات المد - عموما والفتحة بكمّيْها خصوصا- أن تتأثر بتفخيمها أربعة أصوات؛ هي: **أصوات الإطباق**(ص،ض،ط،ظ)، **وأصوات الاستعلاء** عدا أصوات الإطباق(خ،غ،ق)، **والصوت الجانبي**(اللام)، **والصوت المكرر**(الراء). وهو مذهب سائر علماء العربية. وزاد المرعشي على ذلك كله صوتَ الواو، حيث قال: " ولما كان في الياء والواو عمل عضو في الجملة ... لم يكونا تابعين لما قبلهما بل هما مرققان في كل حال، كذا يفهم من اطلاقاتهم، ولعل الحق ان الواو المدية تفخم بعد الحرف المفخم "[5].

(1) المصدر نفسه: 116.

(2) المصدر نفسه: 117.

(3) المصدر نفسه: 117.

(4) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها:43/1.

(5) جهد المقل: 127.

قال أبو حيان: « (ومفخم): هي حروف الاستعلاء السبعة، سميت بذلك لتفخيم اللفظ بها **بأي حركة تحركت** باتفاق. وزاد بعض أصحابنا فيها الراء واللام و الألف، وقد مر القول في الراء و اللام ... وأما الألف فينبغي أن لا تذكر في حروف التفخيم فإنه ليس فيها ما يقتضي التفخيم لا من مخرج و لا صفة»[(1)].

ونصَّ الجريسيُّ على أن حروف التفخيم هي حروفُ الاستعلاء(خص ضغط قظ)، والراءُ واللامُ من حروف الاستفال، وأنها تفخم في بعض الأحيان، **أما الألف فهي تابعة لما قبلها**[(2)].

وعن حروف التفخيم يتحدث مكي بقوله: « حروف التفخيم وهي حروف الإطباق المذكورة، يتفخم اللفظ بها، لانطباق الصوت بها بالريح من الحنك ومثلها في التفخيم في كثير من الكلام: الراء و اللام و الألف »...[(3)]. إلا أنه أخرج الألف من الأصوات المفخمة في كتابه الكشف، إذ قال: " و الحروف المطبقة أربعة ... وهي حروف التفخيم ويكون أيضا في الراء و اللام، في بعض المواضع تفخيم "[(4)]. بل انه اشترط في الخاء والغين والقاف بان تلفظ مفخمة اذا جاءت بعد الف مفخمة مغلظة قال مكي في الخاء: " فيجب على القارئ أن يلفظ بالخاء اذا كان بعدها الف مفخمةً مغلظةً ... بالتفخيم "[(5)]. وقال في الغين: "والغين حرف مجهور فهو اقوى من الخاء وكلاهما من حروف الاستعلاء... فيجب على القارئ أن يلفظ بالغين مفخمة اذا وقع بعدها الف ... "[(6)]. وقال في القاف: "والقاف حرف متمكن قوي لأنه من الحروف المجهورة الشديدة المستعلية، ومن حروف القلقلة.. فيجب على القارئ أن يفخم القاف تفخيما بالغا اذا أتت بعدها الف ..."[(7)].

وقد سار على مذهب مكي في أن أصوات الإطباق مفخمة أبدا بعض علماء التجويد كالمرادي الذي صنف الأصوات بحسب التفخيم والترقيق إلى أربعة أقسام هي:

"1- مفخم مطلقا وهو حروف الإطباق.

2- مرقق مطلقا وهو سائر الحروف إلا الراء واللام.

3- وما اصله التفخيم وقد يرقق، وهو الراء.

---

(1) النكت الحسان: 283.

(2) نهاية القول المفيد، ص 93.

(3) الرعاية: 128.

(4) القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محيي الدين رمضان، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ص 137.

(5) الرعاية: 168.

(6) الرعاية: 169.

(7) الرعاية: 171.

4- وما اصله الترقيق وقد يفخم وهو اللام. "[1]

قال المرعشي نقلا عن التمهيد: لأن اللام والراء المفخمتين يشبهان الحروف المستعلية. وقال المرعشي أيضا: الظاهر أنهما في حالتي تفخيمها من الحروف المستعلية[2]. وسبب تفخيم الراء كما ذكر القرطبي راجع إلى ما فيها من التكرير الذي انفردت به دون سائر الحروف، وإلى أن الراء استطال أيضا بالتكرار واتسع[3]. ولعله قصد بالاستطالة أن اللسان مع الراء المفخمة يستطيل عمله بحيث يشمل ارتفاع أقصاه إلى الحنك الأعلى وهذا مخالف لاستطالة الضاد التي يستطيل اللسان بها إلى الأمام لا إلى الخلف كما حصل مع الراء من حيث اتصال طرف اللسان مع الضاد بالموضع المنتج للطاء.

أما سبب تفخيم اللام فلأنه انحرف واستطال حتى خالط اكثر الحروف[4]. فانحراف اللام سبب أول عند القرطبي واستطالته سبب آخر في تفخيمه، ولعله قصد باستطالته ما قصده باستطالة الراء من حيث ارتفاع اقصى اللسان إلى الحنك الأعلى مع اللام المفخمة.

وذكر الدكتور غانم أن الدركزلي نقل عن الفخر الرازي انه قال: " إن نسبة اللام الرقيقة إلى الغليظة كنسبة الذال إلى الظاء، و كنسبة السين إلى الصاد" [5]. بحيث يتخذ اللسان شكلا مقعرا مع صوتي اللام و و الراء في حالة التفخيم، وهذا ما ذهب إليه بعض المحدثين أيضا [6].

وعلى الرغم من تعدد تحديدات المحدثين التي يجتمع اغلبها في أن التفخيم ظاهرة سمعية من عوامله ارتفاع اقصى اللسان إلى اعلى فقد تعددت آراء المحدثين أيضا في عدد الأصوات المفخمة أيضا.

فالدكتور تمام حسان يحصرها في الأصوات المطبقة[7] مع وجود بعض القيمة التفخيمية في أصوات (ق خ غ)[8]. وذهب الدكتور خليل الحماش إلى أن أصوات التفخيم هي الأصوات المطبقة مع أصوات (ق ب ل ر) في بعض الحالات[9]. ورأى الدكتور رمضان عبد التواب والأستاذ بسام بركة أن التفخيم يحدث في

---

(1) شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، بدر الدين الحسن بن قاسم المرادي (749هـ) تحقيق الدكتور عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت (د.ت)، ص55.

(2) ظ: نهاية القول المفيد في علم التجويد (ص: 101).

(3) الموضح في التجويد: 110.

(4) المصدر نفسه: 110.

(5) خلاصة العجالة: 178، نقلا من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: 295.

(6) ظ: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: 54. و الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: 294.

(7) ظ: مناهج البحث في اللغة: 116 و 120 و122 و 126 و 128.

(8) ظ: المصدر نفسه: 124 و 129 و 130.

(9) ظ: الأفكار الأساسية بعلم الصوت الحديث وتطبيقاتها على دراسة اللغة العربية، د. خليل إبراهيم الحماش، آفاق عربية، بغداد، س ع، ع9، 1979، ص113.

أصوات الإطباق [1]. وزاد الدكتور محمد خضر على الأصوات المطبقة إمكانية حدوث التفخيم مع صوت اللام اللام [2]. وأضاف الدكتور خليل عطية على الأصوات المطبقة أصوات (القاف والراء واللام والألف)[3]. ورأى الأستاذ عبد العزيز الصيغ أن الأصوات المفخمة هي الأصوات المطبقة والمستعلية مع أصوات (الراء واللام والألف)[4]. وذهب الدكتور عبد القادر مرعي إلى أن الأصوات المفخمة هي المطبقة والمستعلية [5].

وذهب الدكتور عبد الرحمن أيوب إلى أن الأصوات الفخام خمسة هي:

أ -الطاء في مثل (طاب) ونظيرها غير المفخم هو التاء في مثل (تاب).

ب- الضاد في النطق المصري في مثل (ضل) ونظيرها غير المفخم هو (الدال) في مثل (دل).

جـ- الظاء في النطق المصري في مثل (ظن) ونظيره غير المفخم وهو الزاي في مثل وزان.

د- الصاد في مثل (صاد)، ونظيره غير المفخم وهو السين في مثل (ساد).

هـ- الظاء في النطق الفصيح و النطق العراقي في مثل (ظل) ونظيره غير المفخم وهو الذال في النطق الفصيح و النطق العراقي في مثل (ذل).

ويرى الدكتور غانم قدوري أن ظاهرة التفخيم ظاهرة سمعية تشترك فيها الأصوات المستعلية - بما فيها المطبقة - وسبب ذلك التفخيم هو ارتفاع اقصى اللسان إلى الحنك مع رجوعه إلى الخلف بحيث يضيق المجرى الحلقي، وتزداد درجة التفخيم في الأصوات المطبقة لأنها مع كل ذلك يرتفع طرف اللسان إلى موضع إنتاج الطاء ملتصقا أو غير ملتصقٍ مع التصاق حافتيه بالأضراس مكونا فراغا واسعا بحصول اثر سمعي مفخم اقوى من التفخيم في الأصوات المستعلية [6].

3 - مراتب التفخيم:

اتفق القدماء على كون التفخيم عبارةً عن سمن يدخل جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه، إلا أنهم اختلفوا في مراتب ذلك السمن أو التعظيم الداخل على جسم الحرف. فمكي بن أبي طالب يجعل أصوات الإطباق ملازمة للتفخيم ويعلل هذا بقوله: (لانطباق الصوت بها بالريح من الحنك)، أي أن حالة الإطباق التي

(1) ظ: المدخل إلى علم اللغة: 38. وعلم الأصوات العام: 122 – 123.

(2) ظ: فقه اللغة، د. محمد خضر: 275.

(3) ظ: في البحث الصوتي عند العرب: 55-56.

(4) ظ: المصطلح الصوتي، الصيغ: 146.

(5) ظ: المصطلح الصوتي، د. عبد القادر: 119.

(6) ظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: 292

تتخذها الأصوات المطبقة هي السبب في تكوين التفخيم، ويمكن أن نعمم هذا المفهوم على كل من ذهب إلى أن أصوات الإطباق هي اللازمة للتفخيم فقط.

أما من عمم حالة التفخيم على الأصوات المستعلية فرأى أن السبب فيها هو انحصار الصوت بين اللسان و الحنك الأعلى، سواء في ذلك أكان اقصى اللسان مرتفعا إلى الحنك فقط، أم كان انحصار الصوت في موضعين، بحيث يتخذ الحنك شكل الغطاء على اللسان، قال عبد الوهاب القرطبي:" فصار التفخيم في كونه انحصار الصوت بين اللسان و الحنك نظير الاستعلاء و الإطباق"[1]. وذكرُ القرطبي (الاستعلاء والإطباق) معا دليلٌ على أن ثمة فرقا بين تفخيم بعض الأصوات المستعلية غير المطبقة وتفخيم الأصوات المطبقة التي هي من المستعلية.

وفصّل الجريسي مراتب تفخيم الحروف على ثلاثة: أعلى، وأوسط، وأدنى. فأعلاها اللام المفخمة. وأوسطها: حروف الإطباق، وأدناها: بقية الحروف. قال المرعشي: ولما كانت الطاء المهملة أقوى في الإطباق من أخواتها، كان تفخيمها أزيد من تفخيم أخواتها. ولما كانت الصاد والضاد متوسطتين في الإطباق كما عرفت، كانتا متوسطتين في التفخيم أيضا. ولما كانت الظاء المعجمة أضعف حروف الإطباق، في الإطباق كان تفخيمها أقلّ من تفخيم أخواتها. وبالجملة فإنّ قدر التفخيم على قدر الاستعلاء والإطباق فالطاء المهملة أفخم الحروف، ولما كانت القاف أبلغ في الاستعلاء من الخاء والغين المعجمتين كما عرفت، كانت أفخم منهما، لكن لا يبلغ تفخيمها إلى مرتبة حروف الإطباق فالمجوّد الماهر يفرّق بين تفخيمي القاف والصاد في قوله: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} [النّحل: الآية 9] وشبهه[2]. وعلى هذا الترتيب يسير مكي في الرعاية[3].

وقول المرعشي: (وبالجملة إن قدر التفخيم على قدر الاستعلاء والإطباق)[4]، يوضح لنا أن مراتب التفخيم كما يلي نزولا: اللام المغلظة-/الطاء/الصاد/الضاد/الظاء/- القاف/الغين/الخاء/- الراء المفخمة.

وتقسيم الأصوات المستعلية إلى مراتب هو ما دأب عليه المحدثون، فهذا الدكتور كمال بشر يرى أن الفتحة في العربية وحدة واحدة، ولكنها قد تكون قصيرة وعلامتها الكتابية (َ) أو طويلة وعلامتها (ا) وهي ما يسمى ألف المد. وتتفق هاتان الصورتان للفتحة في ظاهرة صوتية مهمة، تلك هي ظاهرة التفخيم والترقيق وما بينهما. فالفتحة بذاتها لا تتصف بتفخيم أو ترقيق، وإنما تعتريها هذه الظاهرة في السياق أي بسبب تأثرها بما يجاورها من الأصوات، فهي إذن ظاهرة سياقية contextual كما يظهر في نحو: **صَبٌّ/ قَبٌّ/ سَبٌّ.**

---

(1) الموضح في التجويد: 110.

(2) الجريسي، محمد مكّي نصر الشافعي، نهاية القول المفيد في علم التجويد، تح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2003، ص101.

(3) ظ: 169- 171.

(4) النص في جهد المقل 155.

حيث فخمت الفتحة في المثال الأول، ورققت في الثالث ولكنها بين الحالتين في المثال الثاني. وهذا الاختلاف في الدرجة يرجع إلى الأصوات السابقة لها في هذه الكلمات. فهي في الكلمة الأولى مسبوقة بصوت مفخم هو الصاد. وفي الثالثة بالسين وهو صوت مرقق. أما في المثال الثاني فهي واقعة بعد القاف[1]، وهو صوت بين بين أي بين التفخيم والترقيق.

وكذلك الحال في الفتحة الطويلة (ألف المد)؛ حيث لا تتصف في ذاتها بهذه الظاهرة بدرجاتها المختلفة. قارن بين: **صاد، قاد، ساد.** فألف المد أو الفتحة الطويلة مفخمة في الكلمة الأولى ومرققة في الثالثة، ولكنها بين الدرجتين في المثال الثاني. وسبب هذا الاختلاف إنما هو السياق نفسه[2].

في حين رأى الدكتور عبد الصبور شاهين أن التفخيم هو الأثر السمعي الناشئ عن هذا الإطباق[3] فاللسان مع الإطباق يتخذ شكلا مقعرا « بحيث تكون النقطة الأمامية للسان هي مخرج الصامت المرقق وتكون النقطة الخلفية هي مصدر التفخيم في حالة الإطباق» [4]. أما أصوات (غ ق خ) فرأى أن اللسان معها يرتفع «بجزئه الخلفي نحو اللهاة ليخرج صوتا غليظا مفخما، ولكن دون مبالغة في تغليظ النطق، فالمهم هو أن يتوفر للصوت القيمة التي تميزه عن غيره، باعتباره وحدة صوتية مستقلة»[5].

أما الراء واللام عنده فينشأ تفخيمها في اغلب الأحيان من " ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك الأعلى كما في حالة الإطباق فيؤدي ذلك إلى التفخيم ... " [6] وعلى هذا فالتفخيم " قد يكون أحيانا سمة أساسية تفرق بين وحدة أصواتية وأخرى كما في (س: ص) و (ت: ط) و (ذ: ط) و (د: ض)، وقد لا تكون كذلك كما في اللام والراء فان اللام المفخمة والمرققة شيء واحد، ووحدة أصواتية واحدة وكذلك الراء المفخمة والمرققة " [7].

4 - تأثر أصوات المد بالأصوات المفخمة قبلها:

إذا تبين أن الأصوات المفخمة هي أصوات الإطباق وباقي أصوات الاستعلاء وبعض سياقات اللام والراء اقتضت تفخيمها، فإن كثيرا من المتقدمين انتبهوا إلى أن الصوائت لا توصف بتفخيم أو ترقيق بذاتها،

---

(1) لأن القاف وإن كانت من أصوات التفخيم إلا أنها لا تدخل في جملة الأصوات المطبقة (ص، ض، ط، ظ).

(2) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 90.

(3) علم الأصوات : بارتيل مالبرج. تعريب د. عبد الصبور شاهين. مكتبة الشباب 1985م (دراسة المترجم)، ص 116.

(4) م. ن: 115.

(5) المصدر نفسه: 116.

(6) المصدر نفسه: 117.

(7) المصدر نفسه: 117.

وأن ما تخضع له الصوائت من تفخيم أو ترقيق إنما سببه السياق. يقول ابن الجزري: « فإن الألف تتبع ما قبلها فلا توصف بترقيق أو تفخيم»[1].

أما الواو والياء فقد ذكرنا في بداية الحديث عن الترقيق والتفخيم، أنَّ تأثرهما أقل ظهوراً مما هو عليه الفتحة، وقد بحث هذه القضية محمد المرعشي، حيث قال: « ولما كان في الياء والواو المديين عمل عضو في الجملة، كما سبق، لم يكونا تابعين لما قبلهما، بل هما مرققان في كل حال، كذا يفهم من إطلاقاتهم، ولعل الحق أنَّ الواو المدية تفخم بعد الحرف المفخم))[2].

لكنه عاد إلى الموضوع مرة أخرى يتأمله ويتعمق فيه حتى انتهى إلى أن قال في كتابه (بيان جهد المقل): «قوله (ولعل الحق أن الواو المدية تفخم بعد المفخم) وذلك لأن ترقيقها بعد المفخم في نحو: الطور، والصور، وقوا، لا يمكن إلا بإشرابها صوت الياء المدية بأن يحرك وسط اللسان إلى جهة الحنك، كما يشهد به الوجدان الصادق، مع أن الواو ليس فيه عمل اللسان أصلا، وقد رجوت أن يوجد التصريح بذلك أو الإشارة إليه في كتب هذا الفن لكني أعياني الطلب، فمن وجده فليكتبه هنا. وأما الياء المدية فلا شك في أنها مرققة في كل»[3].

وقد وضع علماء التجويد قاعدة في معرفة تفخيم الألف وترقيقها، وهي تنطبق على الفتحة أيضا، قال ابن الجزري: «الألف حرف هوائي لا يوصف بإمالة ولا تفخيم»[4]. وقال علي القاري: «الألف تتبع ما قبلها في تفخيمها وترقيقها»[5]. وقال أيضا: «إذا كانت بعد حرف مستعل فإنها تكون تابعة له في التفخيم بناء على القاعدة المقررة من أن الألف لازمة للحرف الذي قبلها»[6]. وقال: «إذ يعرف كل من له أدنى دراية أن الحروف إذا فخمت تفخم حركتها وإذا رققت رققت فكذا ما يكون تابعا لحركتها، أعني الألف»[7] وقال الشيخ أحمد فائز الرومي: «والحاصل أن ترقيق الألف وتفخيمه يعرف بتطبيق قاعدة تبعية الألف لما قبلها»[8].

---

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ1، ص (202-203). ظ: كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص (90-91). ظ: دراسات في علم اللغة (ص: 90).

(2) جهد المقل 154.

(3) بيان جهد المقل 18، نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: 425).

(4) النشر 2/ 91.

(5) المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، الملا علي بن سلطان محمد القاري(1014هـ) وبهامشه شرح شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري (926هـ) على المقدمة الجزرية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، الطبعة الأخيرة 1367هـ-1948م، ص 22.

(6) المنح الفكرية ص 21.

(7) المنح الفكرية ص 22.

(8) شرح الدر اليتيم 30، نقلاً عن كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 502.

ولو نظرنا إلى المتأخرين من علماء التجويد لوجدناهم قد اختلفوا في بداية الأمر في هذه المسألة، ثم استقر الأمر عندهم بشكله النهائي، ولهم في هذا الجانب رأيان؛ هما:

الرأي الأول: يدعو إلى إخراج الألف من بين حروف التفخيم على كل حال حتى لو وقعت بعد حرفٍ مستعلٍ، وهو رأي الجعبري[1] والحسن بن قاسم المرادي[2] وابن الجندي (769هـ)[3]، وأخذ به به ابن الجزري في كتابه التمهيد في علم التجويد[4].ويبدو أن الجعبري (ت 732هـ) هو رائد هذا الاتجاه، فقد قال في قصيدته (تحقيق التعليم في الترقيق والتفخيم) بعد أن عرض لحروف الاستعلاء[5]:

وإياك واستصحاب تفخيم لفظها... إلى الألفات التاليات فتعثرا

وقال المرادي (ت 749هـ) في (شرح الواضحة): «الألف لا حظ لها في التفخيم»[6]. وقال في (المفيد شرح عمدة المجيد): «ومما يجب الاحتراز منه تفخيم الألف، وخصوصا عند مجاورة المفخم»[7].

الرأي الثاني: يرى أن الألف ترقق وتفخم بحسب ما قبلها، وهو رأي ابن بضحان الدمشقي (743هـ) الذي ألف كتاب (التذكرة والتبصرة لمن نسي تفخيم الألف أو أنكره) وقال فيه: «اعلم أيها القارئ أن من أنكر تفخيم الألف فإنكاره صادر عن جهله أو غلظ طباعه، أو عدم اطلاعه، أو تمسكه ببعض كتب التجويد التي أهمل مصنفوها فيها التصريح بذكر تفخيم الألف»[8].

كذلك أخذ به ابن الجزري في النشر الذي كان متحمسا لنصرة مذهب شيخه ابن الجندي، وشيخ شيخه الجعبري، في كتابه (التمهيد في علم التجويد) الذي ألفه سنة 769هـ. رجع عن ذلك في كتابه (النشر في القراءات العشر) الذي انتهى من تأليفه سنة 799هـ. حيث قال فيه: «وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق ولا تفخيم بل بحسب ما يتقدمها، فإنها تتبعه ترقيقا وتفخيما، وما وقع في كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها فإنما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم من المبالغة في لفظها إلى أن يصيروها كالواو، أو يريدون التنبيه على ما هي مرققة فيه. **وأما نص بعض المتأخرين على ترقيقها بعد الحروف المفخمة فهو شيء وهِمَ فيه**، ولم يسبقه إليه أحد، وقد رد عليه الأئمة المحققون من معاصريه. ورأيت من ذلك تأليفا للإمام أبي عبد الله محمد بن بضحان سماه: التذكرة والتبصرة لمن نسي تفخيم الألف أو أنكره»[9].

---

(1) ينظر: تحقيق التعليم في الترقيق والتفخيم 29 و - 29 ظ، نقلاً عن كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 502.

(2) ينظر: شرح الواضحة في تجويد الفاتحة 38، 66.

(3) ينظر: التمهيد في علم التجويد 128.

(4) ينظر: المصدر نفسه 128. ظ ن م ص 83. ظ:: الصفاقسي: تنبيه الغافلين ص 56.

(5) تحقيق التعليم 29و 29.

(6) الواضحة ص 66.

(7)المفيد 104.

(8) ذكره ابن الجزري في: النشر في القراءات العشر 215/1، غاية النهاية في طبقات لقراء58/2.

(9) النشر: 1/ 215.

وهو مذهب أبي حيان الأندلسي فيما نقله عنه ابن الجزري [1]، والشيخ خالد الأزهري [2]، وشهاب الدين القسطلاني [3]، والشيخ أحمد فائز الرومي (981 هـ)[4]، والملا علي القاري [5]، والصفاقسي [6]، والمرعشي [7]. وهذا الرأي هو الذي استقر عليه الحال في نهاية الأمر، وهو الذي عليه علماء العربية قبل القرن القرن الثامن الهجري بفضل ما كتبه ابن الجزري عن الموضوع في كتابه النشر. وقد قال علي القاري (ت 1014هـ): «والحاصل أن الصحيح بل الصواب هو الذي مشى عليه الناظم في النشر» [8]. وقال الصفاقسي (ت 1118هـ): « فالصواب ما في النشر والتعويل عليه لا على ما في التمهيد»[9].

ويقسم الجريسي مراتب تفخيم الصوائت على ثلاثة:
الأول: ما تمكّن أي قوِي فيه التفخيم، وهو ما كان مفتوحا.
والثاني: ما كان دونه، وهو المضموم.
والثالث: ما كان دون المضموم وهو المكسور[10].

واختار ابن الجزري تقسيمها إلى خمسة أضرب:
الأول: ما كان مفتوحا بعده ألف.
والثاني: ما كان مفتوحا من غير ألف، وهذان مندرجان تحت أول الثلاثة السابقة.
والثالث: ما كان مضموما.
والرابع: ما كان ساكنا.
والخامس: ما كان مكسورا[11].

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر 1/ 215 ـ 216.
(2) ينظر: الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية 17.
(3) ينظر: لطائف الإشارات 220/1 ـ 221.
(4) ينظر: شرح الدر اليتيم 30، نقلاً عن كتاب الدراسات الصوتية عند علماء لتجويد 502.
(5) ينظر: المنح الفكرية 24.
(6) ينظر: تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين،أبو الحسن علي بن محمد الصفاقسي (1118هـ) مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،لبنان، الطبعة الأولى 1407هـ-1987م، ص 87.
(7) ينظر: جهد المقل 154.
(8) المنح الفكرية ص 23-22.
(9) تنبيه الغافلين ص 57.
(10) نهاية القول المفيد في علم التجويد (ص: 101).
(11) ظ: التمهيد في علم التجويد (ص: 115).

واختصر هذا بعضهم فقال:

مراتب التفخيم حصرها يفي ... طِب ضَيف صِدق ظَلّ قُل غَير خَفي
فالأوّل المفتوح بعده ألف ... وبعده المفتوح من دون ألف
مضمومها ساكنها فما كُسِر ... خمس من الصفات في السبع حصر

فتفخيم القاف مثلا على خمسة أضرب:

الأوّل: ما تمكّن أي قوِيَ فيه التفخيم، وهو ما كان مفتوحا بعده ألف نحو {قَالَ} [البقرة: الآية 30] و{وَالْقَائِمِينَ} [الحج: الآية 26].

والثاني: ما كان دونه وهو ما كان مفتوحا من دون ألف بعده نحو {لَقَدْ كَانَ} [يوسف:الآية 7] و {وَقَدْ خَلَقَكُمْ} [نوح: الآية 14] و {صَدَقَكُمُ} [آل عمران: الآية 169]

والثالث: ما كان دونه وهو المضموم؛ نحو: {يَقُولُ} [البقرة: الآية 8].

والرابع: ما كان ساكنا وهذا القسم تغاضينا عنه لأنه لا علاقة له بالبحث.

والخامس: ما كان مكسورا نحو {لَا قِبَلَ لَهُمْ} [النّمل:الآية 37] و {قِيلَ لَهُمْ} [البقرة: الآية 11].

ومذهب علماء العربية هذا أكدته الدراسات الحديثة، يقول الدكتور كمال محمد بشر: «**فالفتحة** مثلاً قد تكون مفخمة، وقد تكون مرققة، وقد تكون بين التفخيم والترقيق، فهي مفخمة مع أصوات الإطباق، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء، وهي في الحالة الوسطى بين التفخيم والترقيق مع القاف والغين والخاء، ولكنها مرققة في المواقع الصوتية الأخرى، فلدينا إذن بحسب النطق الفعلي ثلاثة أمثلة للفتحة أو ستة حين نأخذ الطول والقصر في الاعتبار، إذ إنَّ الفتحة الطويلة يعتريها ما يعتري الفتحة القصيرة من التفخيم وإخوته. **وهذا الشيء نفسه يُطبَّق على الكسرة والضمة** (طويلة وقصيرة)، فهما مفخمتان مع أصوات الإطباق، وبين التفخيم والترقيق مع القاف والغين والخاء، ولكنهما مرققتان مع الأصوات الأخرى))[1].

وجاء الدرس الصوتي الحديث يؤيد ما ذهب إليه جمهور علماء التجويد من أن الحركات وحروف المد، والألف خاصة، تتبع ما قبلها في الترقيق والتفخيم، فهذا أحد دارسي الأصوات العربية من المعاصرين يقول: «فالفتحة مثلا قد تكون مفخمة، وقد تكون مرققة وقد تكون بين التفخيم والترقيق، فهي مفخمة مع أصوات الإطباق، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء، وهي في الحالة الوسطى بين التفخيم والترقيق مع القاف والغين والخاء، ولكنها مرققة في المواقع الصوتية الأخرى. فلدينا إذن بحسب النطق الفعلي ثلاثة أمثلة للفتحة أو ستة حين نأخذ الطول والقصر في الاعتبار، إذ أن الفتحة الطويلة يعتريها ما يعترى الفتحة القصيرة من التفخيم وإخوته.

(1) علم اللغة العام (قسم الأصوات) 192 ـ 193.

وهذا الشيء نفسه يطبق على الكسرة والضمة (طويلة وقصيرة) فهما مفخمتان مع أصوات الإطباق، وبين التفخيم والترقيق مع القاف والغين والخاء. ولكنهما مرققتان مع الأصوات الأخرى. فلدينا ثلاث كسرات (أو ست)، وثلاث ضمات (أو ست)، فالحركات العربية إذن بهذا الاعتبار السياقي تسع أو ثماني عشرة»[1].

من هذا يتضح أن مفهوم التفخيم في الصوائت القصيرة والطويلة يكاد يكون متفقا عليه بين علماء التجويد ودارسي الأصوات من المحدثين.

(1) المرجع نفسه.

المبحث الثالث: ظاهرة الإبدال - COMMUTATION:

تعد ظاهرة الإبدال من الظواهر البارزة في اللغة العربية، إذ تناولها العلماء العرب بالدرس والتحليل عندما اخذوا بجمع اللغة ومفرداتها. حيث وجدوا هذه الظاهرة واعتنوا بها فجمعوا ما تمكنوا من جمعه من ألفاظ هذه الظاهرة وأطلقوا عليها الإبدال فألفوا كتبا كان من أبرزها (القلب والإبدال للأصمعي ت 216هـ) و (القلب والإبدال لابن السكيت ت 244هـ) و (الإبدال والمعاقبة والتظاهر للزجاجي ت 340هـ) و(الإبدال لا في الطيب اللغوي ت 351هـ) وغيرها من الكتب، أضف إلى ذلك ما تضمنته أمهات الكتب من مباحث وفصول في الإبدال من نحو كتاب سيبويه والمقتضب وشرح المفصل وشرح الشافية وغيرها من كتب العربية التي افرد العلماء فيها أبوابا واسعة للإبدال[1].

1 - مفهوم الإبدال:

أ - الإبدال لغة:

الإبدال في اللغة " قيام الشيء مقام الشيء الذاهب. يقال: هذا بدل الشيء وبديله "[2].

ب - الإبدال اصطلاحا:

الإبدال هو: "إقامة صوت مقام صوت. إما ضرورة وإما صنعة وإما استحسانا"[3]. ويراد به اختلاف اللهجات العربية في النطق بالحركات القصيرة في طائفة من المفردات فما نجده مضموماً في لهجة يأتي مفتوحاً في أخرى وقد تتناوب الضمة والفتحة والكسرة في لفظة واحدة [4].

ويرجع سبب هذا الإبدال إلى اختلاف البيئات، وقد رجّح أحد المحدثين أن أغلب الكلمات المشتملة على الضم تنتمي إلى بيئة بدوية، وأن المشتملة على الكسر تنتمي إلى بيئة حضرية، علماً أن هذين الصيغتين استعملتا في زمن واحد، فليس إحداهما بالأصل والأخرى فرع عنها، أو ليست إحداهما بمثابة التطور للأخرى بل إن الصيغتين قد وجدتا معاً وعاشتا في عصور ما قبل الإسلام[5].

---

(1) ينظر: الخصائص 44:2 وما بعدها، والمخصص 267:13.

(1) مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، (ت 395 هـ)، اعتنى به : محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422 هـ – 2001 م، ص 101 (بَدَلَ)

(3) شرح المفصل 7:10.

(1) ينظر: في اللهجات العربية 91، اللهجات العربية في القراءات القرآنية 118، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدد العربية 157.

(2) ينظر: في اللهجات العربية 92، اللهجات العربية في التراث 1 / 260.

وقد يكون سبب التبادل بين الحركات لأجل تسوية القوافي، لما للشعر من أسلوب ولغة خاصتين، ولقد اعتمد في جانبه الشكلي والتركيبي على الوزن والقافية، وكان الالتزام بهذين الأمرين يضطر الشاعر – في أحيان ليست بالقليلة – إلى مخالفة قواعد اللغة، ولا سيما القواعد النحوية والصرفية، هذا إلى أنّ المعاني التي يعالجها الشعر فيها من السّعة ما يجعل الالتزام بالوزن والقافية – من دون التفريط بتلك القواعد – أمراً ليس بالهين؛ « لأنّه لولا هذه الحرية الصرفية والنحوية ما أمكن مع قيود عمود الشعر أن يكون الشعر أداةً ناجحة من أدوات التعبير الفني »[1]. وكان القدماء قد وقفوا على ذلك الأمر وبيّنوه أتمَّ بيان؛ قال ابن جني: « الشعر موضع اضطرار، وموقف اعتذار، وكثيراً ما يُحرّف فيه الكلم عن أبنيته، وتُحال فيه المُثُل عن أوضاع صيغها من أجله »[2].

وقال حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت حوالي 460هـ) في ذكر ما امتازت به العربية من غيرها: « إنّهم وجدوا اللغة العربية على الضدّ من سائر اللغات؛ لما يتولد فيها مرة بعد أخرى، وأنَّ المولِّد لها قرائحُ الشعراء الذين هم أمراء الكلام، بالضرورات التي تمرّ بهم في المضايق التي يُدفعون إليها عند حضرة المعاني الكثيرة في بيوت ضيقة المساحة، والإحراجِ الذي يلحقهم عند إقامة القوافي التي لا محيد لهم عن تنسيق الحروف المتشابهة في أواخرها، فلا بدّ من أن يدفعهم اسيتفاء حقوق الصنعة إلى عَسْفِ اللغة بفنون الحيلة ... »[3].

وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني: « ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية، فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيتٍ أو أكثر لا يمكن لعائبٍ القدح فيه، إمّا في لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه، او معناه أو إعرابه... »[4]. ومن ثمّ كانت الضرورة الشعرية من الأمور التي يكثر بسببها قلب الحركات، وذلك من أجل إقامة الوزن وتسوية القوافي. كما سيأتي التمثيل له فيما بعدُ.

2 - مظاهر الإبدال في الصوائت:

نشير - قبل الشروع في أشكال التبدلات - إلى أننا قصرنا دراستنا على الإبدال السماعي في اللغة العربية والقراءات القرآنية - كما سيأتي -، ولم نتعرض إلى أشكال الإبدال الصرفي **كإبدال الصحيح باللّين:** وذلك كإبدال الهمزة بالواو والياء في كساء وقائل وصحائف وقوائل، وكإبدال الهمزة أيضًا بأولى الواوين في أول الكلمة مثل: أوائل وأواق وأواصل والأولى، ومن ذلك أيضًا إبدال التاء بالواو إذا كانت الواو فاءً للافتعال نحو: اتَّكل. **وكإبدال اللين باللين:** كجعل الواو ياء في رضيّ وحديَّة وعيادة وديار وحياض وأعطيت ولي ونُيِّمَ

(1) الأصول: 80

(2) الخصائص: 188/3

(3) التنبيه على حدوث التصحيف: 157 - 158

(4) الوساطة بين المتنبي وخصومه: 4

وعصيّ، وكجعل الياء واوًا في موسر وقضو ومرموة ورموان وخورى وتقوى وحُزْوى. **وكإبدال اللين بالمد:** كجعل الألف ياء في غزيّل. **وكإبدال المد بالمد:** كجعل الألف ياء مد في دنانير ومصابيح، وجعلها واوًا ممدودة في بويع وقوتل[1].

وعليه يمكننا دراسة الإبدال السماعي للصوائت الطويلة الحاصل في القراءات القرآنية على النحو الآتي:

1-الإبدال حركة هاء الضمير؛ ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢، قال ابن عطية: « وقرأ الزهري وابن محيصن ومسلم بن جندب وعبيد بن عمير **فيهُ** بضم الهاء، وكذلك **إليهُ وعليهُ وبهُ ونصلهُ ونولهُ وما أشبه ذلك** حيث وقع على الأصل. وقرأ ابن إسحاق **فيهو** ضم الهاء ووصلها بواو »[2].

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ آل عمران: ٧٥، قال ابن عطية: « وقرأ جمهور الناس **يؤدِهِ** إليك بكسر الهاء التي هي ضمير القنطار، وكذلك في الأخرى التي هي ضمير الدينار، واتفق أبو عمرو وحمزة وعاصم والأعمش على إسكان الهاء وكذلك كل ما أشبهه في القرآن نحو " نصلهْ جهنم " النساء،115 و " نؤتهْ " " نولهْ "، إلا حرفا حكي عن أبي عمرو أنه كسره[3] وهو قوله تعالى " فألقهِ إليهم " النمل 28، قال أبو إسحاق[4] وهذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء غلط بيّن؛ لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم، وإذا لم تجزم فلا يجوز أن تسَكَّن في الوصل، وأما أبو عمرو فأراه كان يختلس الكسرة فغلط عليه كما غلط عليه في بارئكم، وقد حكى عنه سيبويه[5] وهو ضابط لمثل هذا أنه يكسر كسرا خفيفا»[6].

- ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ الأعراف: ١١١، قال ابن عطية: « قرأ ابن كثير **أرجئُهو** بواو بعد الهاء المضمومة وبالهمز قبل الهاء، وقرأ أبو عمرو **أرجئهُ** بالهمز دون واو بعدها، وقرأ نافع وحده في رواية قالون **أرجهِ** بكسر الهاء، ويحتمل أن يكون المعنى أخِّره فسهَّل الهمزة، ويحتمل من الرجا بمعنى أطعمه ورجه؛ قاله المبرد، وقرأ ورش عن نافع **أرجِهي** بياء بعد كسرة الهاء، وقرأ ابن عامر **أرجئْهِ** بكسر الهاء وبهمزة قبلها؛ قال الفارسي وهذا غلط، وقرأ عاصم والكسائي أرجِهُ بضم الهاء

(1) اللغة العربية معناها ومبناها (ص: 275).

(2) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية -لبنان - 1413هـ - 1993م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، (1/ 74).

(3) ظ: السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، (ت 324 هـ)، تحقيق : شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1972 م، ص212.

(4) ظ: الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، (ت 311 هـ) معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق : عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408 هـ – 1988 م، (365/2).

(5) ظ: الكتاب، (202/4).

(6) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (1/ 473).

دون همز، وروى أبان عن عاصم **أرجهْ** بسكون الهاء؛ وهي لغة تقف على هاء الكناية إذا تحرك ما قبلها. ومنه قول الشاعر منظور بن حبة الأسدي: أَنْحَى عليَّ الدهرُ رِجْلاً ويَدَا

يُقْسِم لا أَصلَح إلا أفسدا

فيُصلحُ اليومَ **ويُفسدُهْ** غدَا»[1].

والملاحظ في هذه الآية أن حركة الهاء تنوعت في أشكال تبدُّلاتها ما بين كسرتين قصيرتين وطويلتين، وضمتين قصيرتين وطويلتين، وحذف الحركة من أساسها **(أرجهِ، أرجئْهِ، أرجِهِي، أرجئْهُ، أرجئْهُو، أرجِهْ)**.

- ومن هذا الباب أيضا قول ابن زنجلة: «قرأ حفص عن عاصم: وَما أَنْسانِيهُ [الكهف 63] بضم الهاء على أصل الكلمة، وأصلها الضم، وإنما عدل عن كسر الهاء إلى الضم لما رأى الكسرات من (أنسانيه) وكانت الهاء أصلها الضم، رأى العدول إلى الضم ليكون أخف على اللسان من الاستمرار على الكسرات. ومن كسر فلمجاورة الياء كما تقول: فيه وعليه»[2].

2 - الإبدال بين الصوائت الطويلة:

ومن ذلك نجد قول الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ البقرة: ٣٥، يقول ابن عطية: « و **"حيثُ"**: مبنية على الضم، ومن العرب من يبنيها على الفتح، ومن العرب من يعربها حسب موضعها بالرفع والنصب والخفض، كقوله سبحانه " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون " الأعراف 82، القلم 44، ومن العرب من يقول **حوْثُ** »[3].

قال ابن جني« أنشدني أبو علي:

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا فِي تَلَفُّتِنا ... يومَ الفِراقِ، إِلَى أَحْبابِنا صورُ

وأَنَّني **حَوْثُما** يُشْرِي الهَوى بَصَري... مِنْ حيثُ مَا سَلَكوا، أَثْني فأَنْظورُ»[4].

قال في اللسان: « حَوْثُ: لُغَةٌ فِي حَيْثُ، إما لُغَةُ طيءٍ وإما لُغَةُ تَمِيمٍ... رَوَى الأَزهري بإسناده عَنِ الأَسود قَالَ: سأَل رَجُلٌ ابنَ عُمَرَ: كَيْفَ أَضَعُ يَدَيَّ إِذا سَجَدْتُ؟ قَالَ: ارْمِ بِهِمَا حَوْثُ وقَعَتا؛ قَالَ الأَزهري: كَذَا رَوَاهُ لَنَا، وَهِيَ لُغَةٌ صَحِيحَةٌ. حَيْثُ وحَوْثُ: لُغَتَانِ جَيِّدَتَانِ، وَالْقُرْآنُ نَزَلَ بِالْيَاءِ، وَهِيَ أَفصح اللُّغَتَيْنِ.»[5].

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (2/ 504). ظ: السبعة(287- 289)، ظ: الحجة (62/4).

(2) حجة القراءات، أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق : سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط4، 1422 هـ – 2001 م،422، وفي تسمية ضم الهاء هنا قلبا تسامح، لأنه الأصل.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (1/ 110).

(4) سر الصناعة (1/ 29). ظ: شرح أبيات المغني للبغدادي 6/ 140. ظ: الحجة للقراء السبعة (1/ 80).

(5) ابن منظور، لسان العرب (2/ 139).

- ومنه قول الشاعر: **حِيكَت** على نيرين إذ تحاك... تختبط الشوك ولا تشاك

وهذا من شواهد ابن عقيل على ألفية ابن مالك؛ قال المحقق محمد محيي الدين عبد الحميد: « وقد روى في موضع هذه العبارة "**حُوكت** على نولين"»[1]. وقال الحازمي: « هذا **حِيكت**، وورد أيضاً في وراية **حِوْكَت** باللغتين: **حيكت**، **حِوْكَت** أصلها **حُوِكَت**، استثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى ما قبلها بعد إسقاط حركة الحاء، وصار حِوْ سكنت الواو وانكسر ما قبلها فوجب قلبها ياءً فقيل: **حيكت**، إذاً الياء هذه منقلبة عن واو، وليست ياءً أصلية بذاتها وإنما منقلبة عن أصلها، **وحِوْكَت** على الرواية الثانية أصلها **حُوِكَت**، فعل مثل ضرب، استثقلت الكسرة على الواو فحذفت، ليس عندنا إعلال فبقيت كما هي، لماذا لم تقلب ياء؟ لأنها لا تقلب ياء إلا إذا كسر ما قبلها، وهنا ضم ما قبلها فصحت، قيل: **حُوكَت**.»[2].

- ومنه أيضا قول رؤبة بن العجاج: ليت وهل ينفع شيئا ليت؟... ليت شبابا **بُوع** فاشتريت

وهو من شواهد ابن عقيل على الألفية أيضا، ونسب ابن عقيل هذه الظاهرة إلى لغة بني دبير وبني فقعس وهما من فصحاء بني أسد[3]. قال ابن منظور: « وَتَقُولُ: بِيعَ الشَّيْءُ، عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، إِن شِئْتَ كَسَرْتَ الْبَاءَ، وإِن شِئْتَ ضَمَمْتَهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْلِبُ الْيَاءَ وَاوًا فَيَقُولُ بُوع الشَّيْءُ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي كِيلَ وقِيلَ وأَشباهها»[4].

- ومن ذلك إبدال الياء الطويلة أو الواو الطويلة - إذا كانتا لاما في الكلمة - ألفا طويلة طلبا للخفة، كراهية للضمة قبل الواو، والكسرة قبل الياء، وهي لغة طيء. قال سيبويه: « ألا تراهم يفرون إلى الألف من الياء والواو إذا كانت العين قبل واحدة منهما مفتوحة، وفروا إليها في قولهم: قد رضا، ونهى. وقال الشاعر، زيد الخيل: أفي كل عامٍ مأتمٌ تبعثونه... على مِحْمَرٍ ثَوَّبْتُمُوه وما **رُضَا**. وقال ظليلٌ الغنموي: إنَّ الغَوِيَّ إذَا **نُهَا** لم يُعْتِبِ»[5].

---

(1) ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط 20، 1400 هـ - 1980 م، (114/2).

(2) الحازمي، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد، شرح ألفية ابن مالك، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، الدرس 47.

(3) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (2/ 115).

(4) لسان العرب (8/ 25).

(5) الكتاب لسيبويه (4/ 187).

- ومن ذلك أيضا ما نجده عند طيء من إبدال الألف المدية واوا خلافا للأصل، كقولهم في أفعى: أفعَوْ؛ يقول سيبويه: «وأما طيء فزعموا أنهم يدعونها - أي الألف- في الوصل على حالها في الوقف؛ لأنها خفية لا تحرك، قريبةٌ من الهمزة. حدثنا بذلك أبو الخطاب وغيره من العرب»[1].

3- الإبدال بين الصوائت الطويلة والقصيرة:

- فمن الأسماء التبادل بين ﴿ رَءُوفٌ﴾ و﴿رَءُفٌ﴾، حيث وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة؛ يقرأها نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص: ﴿ رَءُوفٌ﴾،بالمد على وزن"فَعول"، ويقرؤها الباقون بالقصر- وهو ترك المد - : ﴿ رَءُف﴾ على وزن فَعُل.

والقراءة بالقصر لغة فاشية في أهل الحجاز، وحكى القرطبي أنها لغة بني أسد، وردَّ ذلك الكسائي بأن لغة بني أسد:(رأْف) على فعْل بسكون عين الفعل[2].

والقصد من هذا القصر التخفيفُ، لأن القصر أخف من المد، ولما اجتمعت الهمزة والواو، وكان حذف الواو لا يغير المعنى، ولا يسقط اللفظ جاز ذلك. كما أن رؤف على "فَعُل" أقوى في الوصف من رؤوف على "فعول"، وهو في الآية أبلغ في المدح ومثله قولهم: رجل حذُق ويقُظ، فإن ذلك لا يكون إلا عند ملازمة الصفة والاشتهار بها[3].

- ومن ذلك أيضا قول الوليد بن عقبة:

وشرُّ الطَّالِبَيْنِ فَلا تَكُنْهُ بقَاتِلِ عَمِّهُ الرَّؤُفِ الرّحيمِ[4]

- وقول جرير:

يرَى للمُسْلِمِينَ عَليه حَقًّا كَحَقّ الوَالد الرَّؤُف الرَّحِيم[5]

- ومن الإبدال بين الصوائت القصيرة والطويلة في الأفعال ما نجده بين (رآه) و (رأه)، حيث روى ابن مجاهد عن قنبل عن ابن كثير قصر الألف في: ﴿رَّءَاهُ﴾من قوله تعالى: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾العلق: 7؛فيقرأ:

(1) الكتاب لسيبويه (4/ 181).

(2) القرطبي 154/2.

(3) الحجة في علل القراءات السبع : أبو علي الفارسي (ت 377هـ). تحقيق : علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1403هـ – 1983 م، 385/1.

(4) المحرر الوجيز221/1 – وهو عند أبي علي في الحجة 154/1.

(5) اللسان (رأف)- البحر 601/1.

﴿ أن رَّآهُ﴾، ورُوِيَ أن ابن مجاهد لم يأخذ بتلك القراءة؛حيث قال: " قرأ ابن كثير فيما قرأت على قنبل:﴿أَن رَّءَهُ﴾ بغير ألف بعد الهمزة وزن رعَه، وهو غلط؛ لأن: ﴿رَّءَاهُ﴾ مثل رعاه ممالاً وغير ممال "[1]، وهذا معنى قول الشاطبي:

وَعَنْ قُنْبُلٍ قَصْرًا رَوَى ابْنُ مُجَاهِدٍ رَآهُ وَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ مُتَعَمِّلا [2]

أي أن ابن مجاهد روى هذه القراءة عن قنبل؛ ولكنه خطَّأها فلم يأخذ بها، وقد اعتذر الرواة لابن مجاهد عن رده تلك الرواية بأنه ربما أخذها عن قنبل في آخر حياته، وهو مختلط لكبر سنه، فظن قراءته غير صحيحة، ثم بينوا أن هذه القراءة صحيحة متواترة حتى أن أبا عمر والداني في التيسير لم يرو عن قنبل إلا القصر[3].

4 - الإبدال بين الصوائت والهمزة:

أما الهمزات المتحركة فمنها ما يبدل صوت مد طويل، وهو خاص بالهمزات المتحركة بالفتح والمسبوقة بفتح، فتبدل حينئذ ألفا مدية سماعا. وقد عزي تخفيف الهمزة إلى أهل الحجاز؛ قريش وهذيل وبني عجلان من قيس وبني غاضرة. وكلهم يرجعون إلى الحجاز[4]. وضرب سيبويه أمثلة لهذا الإبدال:

- فمن ذلك قولهم: **منساةٌ**، وإنَّما أصلها منسأةٌ[5]. وفي القرآن الكريم قرأ **(مِنْسَأَتَهُ)** بألف بعد السين من غير همز المدنيان وأبو عمرو، وهذه الألف بدل من الهمزة، وهو مسموع على غير قياس. قال أبو عمرو بن العلاء: هو لغة قريش، وقال الداني: أنشدنا فارس بن أحمد شاهدا لذلك:

إن الشيوخ إذا تقارب خطوهم... دبوا على **المِنْساةِ** في الأسواق[6]

---

(1) السبعة في القراءات 692.

(2) الحرز 89.

(3) الداني، أبو عمرو، التيسير، تصحيح أوتويرتزل دار الكتب العلمية 181. ظ: الوافي في شرح الشاطبية القاضي السوادي للتوزيع 381.

(4) الكشف (81/2). ظ: صالحة آل غنيم، اللهجات العربية في كتاب سيبويه أصواتا وبنية، رسالة ماجستير، لإشراف أ.د. عبد العزيز برهام، جامعة أم القرى، 1403هـ، ص 251.

(5) الكتاب لسيبويه (3/ 554).

(6) النشر في القراءات العشر (2/ 349).

- ومن ذلك قول الفرزدق:

راحَتْ بَمسْلَمَة البِغَالُ عشيَّةً... فارعَيْ فزارةُ لا **هَنَاكِ** المَرْتَعُ

فأبدل الألف مكانها. ولو جعلها بين بين لانكسر البيت.

- ومن ذلك قول حسان:

سَالَتْ هُذَيْلٌ رسول الله فاحشة... ضلَّت هذيل بما جاءت ولم تصب[1]

والأمر نفسه نزل به القرآن الكريم؛ فكلمة (**سأل**) في المعارج قرأها المدنيان وابن عامر (سال) بالألف من غير همز، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة[2].

- ومن ذلك قول عبد الرحمن بن حسان:

وكُنْتَ أذلَّ منْ وتدٍ بقاعٍ... يُشَجّجُ رَأسَه بالفِهْرِ **واجِي**/ يريد: الواجئ.

- ومن ذلك قولهم: نبيٌّ وبريّةٌ، وجعل سيبويه هذا الإبدال سماعيا غير مقيس. قال سيبويه: «فالبدل ههنا كالبدل في منساةٍ وليس بدل التخفيف، وإن كان اللفظ واحداً »[3].

- وأما الهمزات الساكنة فعنها يقول سيبويه: « واعلم أن الهمزة التي يحقِّق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز وتجعل في لغة أهل التخفيف بين بين، تبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحاً، والياء إذا كان ما قبلها مكسوراً، والواو إذا كان ما قبلها مضموماً»[4]. فإذا كانت **الهمزة ساكنة** وقبلها فتحة فأردت أن تخفف أبدلت مكانها ألفا، وذلك قولك في **رَأْس وبَأْس وقرَأْت**: **رَاس وبَاس وقرَات**. وإن كان ما قبلها مضموما فأردت أن تخفف أبدلت مكانها واوا، وذلك قولك في **الجُؤنة والبُؤس والمُؤمن: الجُونة والبُوس والمُومن**. وإن كان ما قبلها مكسوراً أبدلت ياءً، كقولك في **الذِّئْب والمِئْرة: ذِيبٌ ومِيرةٌ**. قال سيبويه: « فإنما تبدل مكان كلِّ همزة ساكنةٍ الحرف الذي منه الحركة التي قبلها؛ لأنَّه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها... وليس حرفٌ أقرب إلى الهمزة من الألف، وهي إحدى الثلاث، والواو والياء شبيهة بها أيضاً مع شركتهما أقرب الحروف منها»[5].

- ومن ذلك **السُّورَة**، فإن أصلها **سُؤرة**، أما قريش كلها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل وسعد بن بكر وكنانة يقولون سورة بغير همز، وتميم كلها وغيرهم أيضا يهمزون فيقولون سؤر وسؤرة. فأما من همز فهي عنده كالبقية من الشيء والقطعة منه التي هي سؤر وسؤرة، من أسْأَر: إذا أبقى. ومنه سُؤْر الشراب، ومنه قول الأعشى:

---

(1) الكتاب لسيبويه (3/ 554).

(2) النشر في القراءات العشر (2/ 390).

(3) الكتاب لسيبويه (3/ 555). ظ: اللهجات العربية في كتاب سيبويه، ص256.

(4) الكتاب لسيبويه (3/ 553).

(5) الكتاب لسيبويه (3/ 543- 545).

فبانت وقد **أَسْأَرَتْ** في الفؤاد صدعا على نأيها مستطيرا

أي أبقت فيه. وأما من لا يهمز فمنهم من يراها من المعنى المتقدم إلا أنها سهلت همزتها، ومنهم من يراها مشبهة بسورة البناء، أي القطعة منه، لأن كل بناء فإنما يبنى قطعة بعد قطعة، وكل قطعة منها سورة، وجمع سورة القرآن سُوَر بفتح الواو، وجمع سورة البناء سُور بسكونها[1].

- وفي القراءات القرآنية ورد إبدال الهمزات الساكنة أصواتَ مد طويلة مجانسة لحركة ما قبلها كما يلي:

أ - الهمزة الساكنة المضموم ما قبلها قوله تعالى: ﴿الذِينَ **يُؤْمِنُونَ** بِالْغَيْبِ﴾ البقرة: ٣، ﴿وَمَا جَعَلْنَا **الرُّؤْيَا** الَّتِي أَرَيْنَاكَ إلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ الإسراء: ٦٠، ﴿**وَالْمُؤْتَفِكَةَ** أَهْوَى﴾ النجم: ٥٣، ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ **لُؤْلُؤٌ** مَكْنُونٌ﴾ الطور: ٢٤، ﴿**تَسُؤْكُمْ**﴾ المائدة: ١٠١، ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ **يَقُولُ ائْذَنْ** لِي وَلا تَفْتِنِّي﴾ التوبة: ٤٩.

ب - ومن إبدال الهمزة الساكنة المكسور ما قبلها قوله عز وجل:﴿ **بِئْسَ** الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ هود: ٩٩، ﴿قَالُوا الآنَ **جِئْتَ** بِالْحَقِّ﴾ البقرة: ٧١، وكذلك: ﴿قَالَ لَوْ **شِئْتَ** لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾الكهف:77، و ﴿**نَبِّئْ** عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الحجر:49، ﴿ فَلْيُؤَدِّ **الَّذِي اؤْتُمِنَ** أَمَانَتَهُ﴾ البقرة:283.

ج - ومن إبدال الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها قوله سبحانه:﴿ **وَأْمُرْ** أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ طه:132، و﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ **الْمَأْوَى**﴾ النازعات: 41، و﴿ **اقْرَأْ** كِتَابَكَ﴾ الإسراء: 14، و﴿ **إِنْ يَشَأْ** يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ النساء: 133، و ﴿ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى **الْهُدَى ائْتِنَا**﴾ الأنعام: 71.

وقد توزع أداء القراء لما سبق كالتالي:

- قرأ **أبو جعفر** جميع ذلك بإبدال الهمزة فيه حرف مد بحسب حركة ما قبله، واستثنى من ذلك كلمتين، وهما: أنبئهم في البقرة و نبئهم في الحجر والقمر، واختلف عنه في كلمة واحدة، وهي نبئنا في يوسف.

- ووافقه **ورش من طريق الأصبهاني** على الإبدال في الباب كله، واستثنى من ذلك خمسة أسماء وخمسة أفعال: **أما الأسماء** فـ (البأس و البأساء، اللؤلؤ و لؤلؤ) حيث وقع (ورئيا) في مريم و (الكأس والرأس) حيث وقعا. **وأما الأفعال** فـ: جئت وما جاء منه، نحو (أجئتنا، و جئناهم، و جئتمونا)، و نبئ وما جاء من لفظه نحو (أنبئهم، ونبئهم، و نبئ عبادي، و نبأتكما، و أم لم ينبأ) وقرأت، وما جاء منه نحو (قرأناه، و اقرأ، وهيئ، ويهيئ، وتؤوي، وتؤويه).

- وأما **ورش من طريق الأزرق**، فإنه يبدل الهمزة إذا وقعت فاء من الفعل نحو (يومنون، ويالمون، وياخذ، ومومن، ولقاءنا ايت، والموتفكات)[2]، واستثنى من ذلك أصلا مطردا، وهو ما جاء من باب الإيواء

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (1/ 51).

(2) الكشف (81/2).

نحو (تؤوي إليك، والتي تؤويه، و المأوى، ومأويكم، و فأووا). ولم يبدل الأزرق مما وقع عينا من الفعل سوى: (بيس) كيف أتى، و (البير، والذيب)،وحقق ما عدا ذلك.

- واختلف عن **أبي عمرو** في إبدال الهمز الساكن، لكن الأئمة من أهل الأداء أجمعوا عمن روى البدل عن أبي عمرو على استثناء خمس عشرة كلمة في خمسة وثلاثين موضعا تنحصر في خمس معان:

الأول: الجزم؛ ويأتي في ستة ألفاظ، وهي: (يشاء)، و(تسؤ)، و(ننساها)، و (يهيئ لكم)، و(أم لم ينبأ).

والثاني الأمر: وهو البناء له؛ ويأتي في ستة ألفاظ أيضا، وهي (أنبئهم)،(أرجه)، (نبئنا)،(نبئ عبادي) (ونبئهم) (اقرأ) (وهيئ لنا).

الثالث: الثقل؛ وهو كلمة واحدة أتت في موضعين (وتؤوي إليك) في الأحزاب (و تؤويه) في المعارج ؛ لأنه لو ترك همزه لاجتمع واوان، واجتماعهما أثقل من الهمز.

الرابع: الاشتباه؛ وهو موضع واحد (ورئيا) في مريم ؛ لأنه بالهمز من الرواء، وهو المنظر الحسن، فلو ترك همزه لاشتبه بري الشارب، وهو امتلاؤه.

الخامس: الخروج من لغة إلى أخرى؛ وهو كلمة واحدة في موضعين (مؤصدة) في البلد، والهمزة ؛ لأنه بالهمز من آصدت، أي: أطبقت، فلو ترك لخرج إلى لغة من هو عنده من أرصدت.

- أما (الذئب) فوافق أبا عمرو على إبداله ورشٌ والكسائي وخلف.
- وأما (اللؤلؤ، و لؤلؤ) فوافقهم على إبداله أبو بكر.
- وأما (والمؤتفكة والمؤتفكات) فقالون على خلاف.
- وأما (ورئيا) فقرأه بتشديد الياء من غير همز أبو جعفر، وقالون وابن ذكوان.
- وأما يأجوج ومأجوج فقرأهما عاصم بالهمز، وقرأهما الباقون بغير همز.
- وأما (ضيزى) فقرأه بالهمز ابن كثير، والباقون بغير همز.
- وأما (مؤصدة) فقرأه بالهمز أبو عمرو، ويعقوب وحمزة وخلف وحفص، وقرأه الباقون بغير همز[1].

5 - الإبدال بين الصوامت والصوائت:

- ومثاله قوله تعالى:﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾[2]. قال النسفي: " والأناسي جمع إنسيّ على القياس ككرسيّ وكراسي، أو إنسان وأصله أناسين كسِرْحان وسراحين، فأبدلت

(1) النشر في القراءات العشر (1/ 390- 395).

(2) الفرقان / 49.

النون ياء وأدغمت " [1]؛ مثل هذا الإبدال (ظرابيّ) ومفردها (ظِرْبان)، وْهي دويبة منتنة كالهرّة فأبدلوا من النون ياء، وبجمع أيضاً على ظرابين[2] ومثله سِرْحان وسراحيّ[3] فأبدلت النون ياءً.

- ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾[4]. قال النسفي في تفسير لفظة (يتمّطى): " يتبختر وأصله: يتمطّط أي يتمدّد لأن المتبختر يتمُّد خطاه فأبدلت الطاء ياءً لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة " [5]، قال ابن فارس: " جُعِلتْ الطاءُ الثالثة ياءً للتخفيف"[6]. وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) قوله: " إذا مَشَتْ أُمتي المطيطاء، وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم" [7].

- وكذلك قوله تعالى:﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [8]. قال النسفي: " والتدْسية: النقض والإخفاء بالفجور، وأصل دسّى دَسَسَ، والياء بدل من السين المكررة " [9]،فاجتمعت ثلاثة أصوات صامتة هي: السِّين المشدَّدة، ثم السِّين الأخيرة (دسْسَسَ) فقُلبت السِّين الأخيرة إلى صوت لين طويل هو ألف المد. وكذلك نحو: تسرَّى، أصلها: تسرَّر، وتمطَّى، أصلها: تمطَّط، وتظنَّى، أصلها: تظنَّن. وإلى هذا المعنى أشار أبو الطيب اللغوي بقوله: " وقالوا في قوله تبارك تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾: إنما هو من دسَسْتُ، كأنما أرادَ من (دسّسها) فأبدل من إحدى السينات ياءً والله أعلم، وأنشدوا [10]:

وأنت الذي دسّيت عمْراً فأصبحتْ حلائلُهم منكم أراملَ ضُيَّعا "

- وأورد سيبويه قول العرب: تسّريت وتظنّيت وتقصّيت من القصّة وأمليت[11]. ومما يوضع تحت هذه الظاهرة قول العجّاج [12]: تقَضِّيَ البازي إذا البَازي كَسرْ. يريد: تقضَّض، وهو تفعّلَ من الاقتضاض، فأُبدلَ

(1) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفى - مدارك التنزيل وحقائق التأويل-، دار النشر : دار النفائس - بيروت 2005م، 3/ 249.

(2) ينظر: شرح المفصّل، موفّق الدين ابن يعيش النحوي، (ت643هـ)، مكتبة المتنبّي، القاهرة، (د.ت)، 10/ 27.

(3) ينظر: إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن أسماعيل النحّاس (ت 338 هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1409هـ – 1989 م، 3/ 163.

(4) القيامة / 33.

(5) تفسير النسفي 4/ 463، وينظر: الجامع لأحكام القران 19/ 114، وتفسير البيضاوي 5/ 267.

(6) مقاييس اللغة 929 (مطّ).

(7) المطيطاء: مشيه فيها تبختر. ظ: الفائق في غريب الحديث: الزمخشري 3/ 371.

(8) الشمس / 10.

(9) تفسير النسفي 4/ 528، وينظر: معاني القران للفراء 3/ 267، وإعراب القران للنحاس 5/ 236.

(10) البيت في اللسان منسوب لرجل من طيء، 8/ 281 (دسا).

(11) ينظر: الكتاب 4/ 424، والأشباه والنظائر في النحو: السيوطي 1/ 18.

(12) ديوانه 28، وصدره إذا الكرامُ ابتدروا الباعَ بَدَرْ.

من الضاد الأخيرة ياءً[1]. ومنه أمثلة في لسان العرب كقول العرب قصَّيتُ أظفاري حكاها الفراء وأصله قصَّصت أظفاري[2].

- ومن ذلك أيضا قول الأصمعي: " وقولهم: تسرّيتُ أصله تسرَّرْتُ من السِّرّ – وهو النكاح – قال الله جلّ ثناؤه ﴿وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾[3]. أي: نكاحاً، فأبدل من الراء ياءً، كما قالوا: تظنيّت من الظن، وأصلها تظننت "[4].

- ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً ﴾ التوبة: ٨. قال ابن عطية: « وقرأ عكرمة مولى ابن عباس بياء بعد الهمزة خفيفة اللام **إيلاً**... ومن قرأ إيلاً فيجوز أن يراد به الله عز وجل؛ فإنه يقال أَلٌّ وإيلٌ، وفي البخاري قال: "حِبْر ومِيك وسَرَاف: عبْدٌ بالسريانية، وإيلٌ: الله عز وجل". ويجوز أن يريد " إلاًّ " المتقدم، فأبدل من أحد المثلين ياء، كما فعلوا ذلك في قولهم أَمَّا وأَيْمَا، ومنه قول سعد بن قرط يهجو أمه:

يا ليتما أُمَّنا شالت نعامتُها **أَيْما** إلى جنة **أَيْما** إلى نار

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

رأتْ رجُلا **أَيْما** إذا الشمس عارضت فيُضحي وأَمَّا بالعشي فيُخصِر

وقال آخر:

لا تفسدوا آبا لكم **إيمَا** لنا **إيمَا** لكم »[5].

---

(1) ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن، ضرائر الشِّعْر، تح: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 1980 م، ص228. وينظر: المزهر 468/1.

(2) ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق،تح: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط01، 1423 هـ ، 2002 م، (ص: 216).

(3) البقرة / 235.

(4) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، أدب الكاتب، (ت 276 هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، مصر، ط4، 1382 هـ – 1963 م، 499، 500.

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (3/ 11).

المبحث الرابع: ظاهرة الحذف - tronquer

تسعى العربية إلى التّخلّص من بعض المستثقلات التي تظهر مع بعض المقاطع في السّلسلة الكلامية أو الوقف، عن طريق التصرّف في الصّوائت بنوعيها الطّويلة والقصيرة، وذلك يكون بحذف الصّائت كلياً وهو ما يسمّى بالإسكان أو السكون، أي عدم الحركة، والحركة(الصّائت) جهد يؤدَّى في الكلام كالصامت. ولا شكّ أنّ أداء الكلام بكامل فائدته مع الاختصار في الجهد بحذف بعض الحركات أولى وأخف.

والحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، وهي أصيلة في اللغة العربية لميلها الشديد إلى الإيجاز. كما أنها ظاهرة شديدة الوضوح في كتب العربيّة، تناولها النحاة والبلاغيّون والمفسّرون؛ عقد له ابن جني باباً سمّاه " بابٌ في شجاعة العربيّة " قائلاً في مستهلّ حديثه: " اعلم أنّ معظم ذلك إنّما هو الحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف. "[1]. وقال عنه عبد القاهر الجرجاني:" هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنّك ترى به تركَ الذكر أفصحَ من الذكر، والصمتَ عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ."[2]

1 - مفهوم الحذف:

أ - الحذف لغة: هو القطع والرمي والإسقاط والطرح؛ يقال: حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً: قَطَعَه مِنْ طَرَفه، **وحَذْفُ الشَّيْءِ إسْقاطُه**[3].

ب - الحذف اصطلاحاً: هو إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل[4]. **ويصطلح عليه بعض المتقدمين** بالنقص أيضا؛ قال ابن عصفور: « **فصل النقص:** وهو منحصر في نقص حركة، ونقص حرف ونقص كلمة. فأما نقص الحركة منه: حذفهم الفتحة من عين (فعل)، مبالغة في التخفيف، نحو قول الراجز، أنشده الأصمعي: على محالاتٍ... عُكسنَ عَكسا / إذا تسداها... طلابا غَلْسا - يريد: غَلَسا »[5]. ويسميه بعضهم إسقاطا[6].

---

(1) ابن جني، أبو الفتح عثمان (392هـ)، الخصائص، تحقيق الدكتور محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،الطبعة الرابعة 1410هـ-1990م، 2/ 360.

(2) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ط1، 2000م، ص 146.

(3) لسان العرب (9/ 39)، القاموس المحيط (ص: 799).

(4) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب، 1408هـ، 1988م، 3/ 115.

(5) ظ: السحيمي، سلمان سالم رجاء، الحذف والتعويض في اللهجات العربية من خلال معجم الصحاح للجوهري، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، السعودية، ط01، 1415هـ، ص 110. ظ: ضرائر الشعر، ص: 84.

(6) البرهان:3/ 115.

والحذف الذي يصيب أصوات الكلمة **إنما يكون لغرض التخفيف والميل الى السهولة في النطق**، وهو بوجه عام يكثر في كلام العرب، إما استثقالاً وإما لكثرة الاستعمال، بل هو من سنن العرب في كلامهم[1]. وأجمع اللغويون على أن الحذف من خصائص لهجة تميم[2]، بيد أن ثمة إشارات توضح أنه كان عاما في لهجات أهل نجد[3]. قال سيبويه: « وبلغنا أن بعض العرب يقول: نعم الرجل»[4]. قال في اللسان: « وَحَكَى سِيبَوَيْهِ: أَن مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ **نَعْمَ الرجلُ فِي نِعْمَ**، كَانَ أَصْلُهُ نَعِم ثُمَّ خفَّف بِإِسْكَانِ الْكَسْرَةِ على لغة بكر بن وَائِلٍ»[5].

وقد يكون الحذف لأجل إقامة الوزن وتسوية القافية، لما للوزن الشعري من إيقاعات صوتية منسجمة ومؤلَّفة في هيئة تحددها طبيعة البحر الشعري، أو هو كما يقول حازم القرطاجني:" أن تكون المقادير المقفاة تتساوى في أزمنة متساوية لاتفاقها في عدد الحركات والسكنات والترتيب"[6]. فإذا كان ظهور العلامة يسبب يسبب إخلالاً في الوزن الشعري، فإنّ حذفها حينئذٍ يكون ضرورياً لإقامة ذلك الوزن، قال ابن جني: " إن كان ترك زيغ الإعراب يكسر البيت كسراً، لا يزاحفه زحافاً، فإنّه لابدّ من ضعف زيغ الإعراب واحتمال ضرورته "[7]. وقال أيضاً: " فإن أمنتَ كسرَ البيت اجتنبتَ الإعراب، وإن أشفقتَ من كسره البتة دخلت تحت كسر الإعراب"[8].

2 - مظاهر الحذف في الصوائت:

- فمن **حذف الياءات** ما نجده عند قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ البقرة: 5، قرأها عمرو بن فائد **إيّاك** بكسر الهمزة وتخفيف الياء[9]، وذاك أنه كره تضعيف الياء لثقلها وكون الكسرة قبلها، وهذا كتخفيف ربَّ وإنَّ[1].

---

(1) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، احمد بن فارس (395هـ) تحقيق الدكتور احمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي،القاهرة 1977م، ص205.

(2) الكتاب (2/ 192-257-258). ظ: المقتضب(117/1).

(3) ظ: في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية، للدكتور غالب فاضل المطلبي، ص174.

(4) الكتاب لسيبويه (4/ 116).

(5) لسان العرب، (12/ 586).

(6) منهاج البلغاء، ص263

(7) الخصائص: 333/1

(8) نفسه: 84/1

(9) ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ - 1999م، (115/1).

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ **تُبَشِّرُونَ**﴾ الحجر:(54). قال ابن الجزري: « واختلفوا في: **فبم تبشِّرونَ؛** فقرأ نافع وابن كثير بكسر النون، وفتحها الباقون، وشددها ابن كثير، وقرأ الباقون بتخفيفها»[2]. ويوضح ابن عطية أكثر بقوله: « وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي **تبشرونَ**؛ بفتح النون التي هي علامة الرفع، والفعل على هذه القراءة غُير مُعَدَّى، وقرأ الحسن البصري **تبشروني** بنون مشددة وياء، وقرأ ابن كثير بشد النون دون ياء - يعني **تبشرونِّ**- وهذه القراءة أدغمت فيها نون العلامة في النون التي هي للمتكلم موطئة للياء، وقرأ نافع **تبشِّرونِ** بكسر النون، وغلَّط أبو حاتم نافعا في هذه القراءة وقال إن شاهد الشعر في هذا اضطرار. قال القاضي أبو محمد وهذا حمل منه، وتقدير هذه القراءة أنه حذفت النون التي للمتكلم وكسرت النون التي هي علامة الرفع بحسب الياء **ثم حذفت الياء لدلالة الكسرة عليها**»[3].

- وحذفت الياء أيضا عند قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ **يَأْتِ** لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ هود: (105). قرأ عاصم وابن عامر وحمزة **(يوم يأتِ)** بحذف الياء من "يأتي" في الوصل والوقف، وقرأ ابن كثير **(يأتي)** بإثباتها في الوصل والوقف، وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي وابن كثير بإثباتها في الوصل وحذفها في الوقف **(يأتِ)** فصارت من الياءات الزوائد، ووجهُ حذفها في الوقف التشبيهُ بالفواصل، وإثباتها في الوجهين هو الأصل، ووجه حذفها في الوصل التخفيفُ لكثرة الاستعمال وبقاء الكسرة دليلا عليها، كما قالوا في لا أبال ولا أدر[4]. وأنشد الطبري:

كفاك كف ما تليق درهما جودا وأخرى **تعط** بالسيف الدما[5]/ أراد: **تُعْطِي**.

- ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ **اتَّبَعَنِ** ﴾ آل عمران: 20. قال ابن عطية: « في **(اتَّبَعَنِ)** حذفُ الياء وإثباتُها، وحذفُها أحسن اتباعا لخط المصحف، وهذه النون إنما هي لتسلم فتحة لام الفعل، فهي مع الكسرة تغني عن الياء، لا سيما إذا كانت رأس آية، فإنها تشبه قوافي الشعر؛ كما قال الأعشى:

فهلْ يمنعَنِّي ارتيادِي البلا دَ منْ حذرِ الموتِ أنْ **يأتينْ**[6]

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (1/ 64).

(2) النشر في القراءات العشر (2/ 302). ظ: السبعة، ص367.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (3/ 362).

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (3/ 220). ظ: السبعة: ص339. ظ: معاني القرآن للفراء، (200/1) (27/2). ظ: الكشاف، (236/3).

(5) الطبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القران (تفسير الطبري)، تح : محمود شاكر، مط : دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، (479/15).

(6) ظ: ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، شرح وتحقيق : محمد حسين، المطبعة النموذجية، الإسكندرية، 1950 م (66/1). يعني أن أصله أن **يأتيَنِي**، فحذف الياء لتصير **يأتيَنْ**.

- قال ابن عطية - من ذلك قوله تعالى ﴿ربي أكرَمَنِ﴾ الفجر: 15. فإذا لم تكن نون فإثبات الياء أحسن، لكنهم قد قالوا: هذا **غلامِ** قد جاء، فاكتفوا بالكسرة دلالة على الياء»[1].

- وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ **كِيدُونِ** فَلا **تُنظِرُونِ**﴾ الأعراف: (195). قال ابن عطية: « قرأ أبو عمرو ونافع **(كيدوني)** بإثبات الياء في الوصل، وقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي **(كيدونِ)** بحذف الياء في الوصل والوقف[2]. قال أبو علي[3]: إذا أشبه الكلامُ المنفصل، أو كان منفصلا أشبه القافيةَ، وهم يحذفون الياء في القافية كثيرا، قد التزموا ذلك كما قال الأعشى:

فهل يمنعني ارتيادي البلا د من حذر الموت أن **يأتين**[4].

وقد حذفوا الياء التي هي لام الأمر، كما قال الأعشى:

يَلْمَسُ الأَحْلاسَ في منزِلِهِ بيَديْهِ كاليَهُوديّ **المُصَلّ**[5]»[6].

- ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ **آتَيْتَنِي** مِنْ الْمُلْكِ **وَعَلَّمْتَنِي** مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ يوسف: 101. « قرأ ابن مسعود **آتيتنِ وعلمتنِ** بحذف الياء على التخفيف »[7]. وقال ابن جني: « قال أبو الفتح: أراد الياء فيهما جميعًا، فحذفها تخفيفًا ولطول الاسم... وهو كثير، وقد مضى مثله»[8].

- ومنه قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ **دُعَاءِ** ﴾ إبراهيم: 40. قرأ طلحة والأعمش **(دعاء ربنا)** بغير ياء. وقرأ أبو عمرو وابن كثير **(دعائي)** بياء ساكنة في الوصل، وأثبتها بعضهم دون الوقف في الوصل. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بغير ياء في وصل ولا وقف. وروى ورش عن نافع إثبات الياء في الوصل[9].

- ومن ذلك أيضا ما يلحق الصوائت من حذف لإقامة الوزن وتسوية القوافي، ومما حذف لأجل ذلك قول الأعشى:

فهل يمنعني ارتيادي البلا د من حذر الموت أن **يأتين**[10]/ أراد: يأتيني

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (1/ 418). ظ: ديوان الاعشى (66/1).

(2) ظ: السبعة، ص299.

(3) الحجة، (115/4).

(4) سبق تخريجه.

(5) البيت للبيد وليس للأعشى، وقبله قوله: قَلّمَا عَرَّسَ حَتّى هِجْتُهُ... بالتّباشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الأُوَلْ. ظ: ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص: 92).

(6) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (2/ 561).

(7) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (3/ 289).

(8) المحتسب لابن جني (1/ 348).

(9) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (3/ 342). ظ: السبعة، ص363.

(10) سبق تخريجه.

- وقول لبيد:

يَلْمَسُ الأحْلاسَ في منزِلِهِ بيَديْهِ كاليَهُوديِّ **المُصَلّ**[1]/ قصَد: المُصَلّي

- ومثله أيضا بعض صيغ النسبة التي تتم فيها المخالفة بحذف شبه الصّائت (يـ)، ومن أمثلته ما يلي:

جُهَيْنَة> جُهَيْنِيّ > جُهَنِيّ. قُتَيْبَة > قُتَيْبِيّ > قُتَبِيّ.

سُلَيْمَة > سُلَيْمِيّ > سُلَمِيّ. قُرَيْش > قُرَيْشِيّ > قُرَشِيّ.

غير أنّ هذه المخالفة بالحذف إذا أدّت إلى لبس يُلجأ فيها إلى بديل آخر وهو المخالفة بالإبدال، فيتحوّل صائت الكسر الطّويل أو شبه الصّائت (يـ) إلى صائت الفتح الطّويل في مثل قولهم:

طَيْء >طَيِئيّ >طَائيّ، ولو حذفوا الياء لصارت **طَئِيّ**

حيرة >حيرِيّ >حَارِيّ، ولو حذفوا الياء لصارت **حِرِيّ**

- ومنه أيضا إسكان حمزةَ لهمزة (السَّيِّئِ) الأولى دون الأخرى في قوله تعالى: اسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ **السَّيِّئِ** وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ **السَّيِّئُ** إِلَّا بِأَهْلِهِ [فاطر 43]، قال ابن خالويه: «قوله تعالى: وَمَكْرَ السَّيِّئِ أجمع القراء فيه على كسر الياء وخفض الهمزة، إلا ما قرأه حمزة بوقف الهمزة كالجزم في الفعل. وإنما فعل ذلك تخفيفا للحرف لاجتماع الكسرات وتواليها مع الهمزة، كما خفف أبو عمرو في قوله: بارِئِكُمْ [البقرة 54]. فإن قيل: فهلا فعل في الثاني كما فعل في الأول؟ فقل: لم تتوال الكسرات في الثاني كما توالت في الأول، لأنه لما انضمت الهمزة للرفع زال الاستثقال، فأتى به على أصل ما أوجبه الإعراب له من الرفع»[2].

- وقد يكون إجراء الحذف تخلُّصا من التقاء الساكنين؛ ومثاله قوله تعالى:﴿ وَسَوْفَ **يُؤْتِ اللَّهُ** الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ النساء: (146). فالياء الطويلة في (يؤتي) حُذفت من خط المصحف كما حذفت في اللفظ، لأن الياء سقطت من اللفظ لسكونها وسكون اللام في (اللّه). وكذلك قوله عز وجل: ﴿يَومَ **يُنَادِ المُنَادِ**﴾ ق: 41. وكذلك قوله سبحانه ﴿ **سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ**﴾ و﴿ يَوْمَ **يَدْعُ الدَّاعِ** ﴾ فالياء الطويلة في المثال الأول وكذلك الواوان حذفت ههنا لالتقاءِ السَّاكنين[3].

- **ومن حذف الفتحات** نجد قوله تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ **وَرُبَاعَ** ﴾ النساء: 03. قرأ يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي (**وَرُبَعَ**) بحذف الألف، وهي لغة مقصدها التخفيف، كما قال الشاعر على لسان الضب:

---

(1) سبق تخريجه.

(2) إعراب السبع: 1/ 100، 175، ؛ والحجة: 2/ 5 - 6.

(3) معاني القرآن وإعرابه (2/ 125).

لا أشتهي أن أردَا إلا عِرَادا عَرِدَا وعَنْكَثًا مُلْتَبِدَا وصِلِّيانا **بَرِدَا** / يريد **بَارِدا**[1].

- **ومن ذلك** ما وجه به علماء العربية قراءة ابن عامر وغيره لقوله تعالى: (يا أبتَ)، بفتح التاء في قوله تعالى (إذ قال يوسف يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)[2]، بأن القارئ « أراد يا أبتا، فحذف الألف تخفيفاً»[2]. ووجهها أبو حيان بقوله: « ووجه الاقتصار على التاء المفتوحة، أنه اجتزأ بالفتحة عن الألف التي هي بدل من الياء»[3].

- ومنه قولهم: (حاشَ لله)، والأصل (حاشا)[4]،وقد قرئ بذلك في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ** ﴾ يوسف 31؛ بل إنها قراءة ستة من السبعة، فلم يرد المد إلا عن أبي عمرو في الوصل؛ فإن وقف حذفها اتباعاً للخط.

- ومنه حذف ألف المد من لفظ **(أنا)** في حالة الوصل، يقول سيبويه: « ومن ذلك قولهم: أنا، فإذا وصل قال: **أنَ أقول ذاك**. ولا يكون في الوقف في أنا إلا الألف، لم تجعل بمنزلة هو، لأن هو آخرها حرف مدٍّ، والنون خفية، فجمعت أنها على أقل عدد ما يتكلم به مفرداً، وأن آخرها خفيٌّ ليس بحرف إعراب، فحملهم ذلك على هذا»[5]. فسيبويه يرى أن حذف الألف في الوصل دون الوقف كان لخفاء النون لو حذفت الألف، وأن الاسم في العربية يتكون في أدناه من ثلاثة حروف، والوقف بإثبات الألف يحصل به ذلك.

أما في القراءات القرآنية فقد ورد حذف الألف من لفظ **(أنا)** في حالة الوصل عند جميع القراء إلا نافعا حيث قرأ بإثبات الألف وقفا ووصلا، فتمد وصلا على المنفصل، وقرأ الباقون بإثباتها. قال ابن خالويه: « يُقرَأُ بإثبات الألف في كل ما استقبلته الهمزة...فالحجة لمن أثبتها: أنه أتى بالكلمة على أصلها وما وجب في الأصل لها، لأن الألف في (أنا) كالتاء في (أنت)...وفي **(أنا)** أربع لغات: «أنا» فعلت، وأنَ فعلت، وأنْ فعلت، وأنَهْ فعلت»[6]. وفصل ابن الجزري الخلاف بين القراء في إثبات الألف على حسب ما يجيء بعدها؛ إما من همزات (مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة)، وإما من غير الهمزة[7].

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (2/ 9). ظ: المحتسب (181/1).

(2) من (يوسف/4).

(2) المحتسب: 323/1. وظ: معاني القرآن، للقراء: 32/2. وإعراب القرآن، للنحاس: 311/2. والتبيان، للعكبري: 721/2.

(3) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ)، تح : د. عبدالله الرزاق المهدي، مط : دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، 279/5.

(4) مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، (ت 437 هـ)، تحقيق : ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، ط2، (د.ت)، ص 784.

(5) الكتاب لسيبويه (4/ 164).

(6) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، (ت 370 هـ)، تحقيق وشرح : عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط2، 1397 هـ –1977 م (ص: 45).

(7) النشر في القراءات العشر (2/ 230).

- ومن ذلك ما حكي عن العرب من قولهم: "أصاب الناس جهد ولو ترَ أهل مكة"، فحذفت الألف من ترى لدلالة الفتحة عليها [1].

- ومنه قول ابن العجاج: وَصّانِيَ العَجَّاجُ فِيمَا وَصَّنِي [2].

يريد:وصّاني العجاج فيما وصّاني، فحذف الألف وهي لام الفعل.

- **أما مظاهر حذف الواوات** فعند قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ **يَدْعُ** الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ القمر:(6). وكذلك في قوله عز وجل: ﴿**سَنَدْعُ** الزَّبَانِيَةَ﴾ العلق:(18).إذ أصلها **(يدعُو، وسندعُو)** فحذفت الواو منهما خطًّا ولفظا لأجل التخفيف[3]، مع الاجتزاء بالضمة التي بقيت دليلا على الواو المحذوفة[4].

- ومنه ما ذُكر في تخريج قراءة من قرأ ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف: 90. بإثبات الياء من **(يتقي)** وتسكين **(يصبرْ)** [5]، وتم تخريجها على أنَّ (مَنْ) موصولة، و(يتقي) مرفوعٌ لا مجزوم، وأنَّ تسكين (يصبرْ) مع أنّه معطوف على مرفوع « على تنزيل الرفع من (يَصْبِرُ فَإِنَّ) منزلةَ بناء (فِعْلَ) بكسر الفاء وضم العين، فسُكّن؛ لأنّه بناء مهملٌ، وهم يخفّفون مضموم العين إذا كان مستعملاً فما بالك بالمهمل »[6]. فكسْرُ الباء وضم الراء من (يصبِرُ) يؤدي إلى التنافر بين الكسرة والضمة، والخروج من من كسر إلى ضم ثقيلٌ؛ لذلك لم يأتِ بناء (فِعُل) في الكلام البتة[7]، فكأنّه نُظر إلى الباء والصاد في (يَصْبِرُ يَصْبِرُ) والفاء في (فإنَّ) على أنّها في كلمة واحدة[8] جاءت على هذا الوزن المهمل، وذلك بحسب ما هو معروف عند القدماء من إجراء المنفصل مجرى المتصل[9].

(1) المشكل 784 - الدر المصون 85/11 - البحر المحيط 489/8.

(2) الموضح 1382/3.

(3) ظ: المحرر الوجيز، (295/15).

(4) ظ: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، (ت 207 هـ)، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1980 م، (90/1)، ظ.ن.م (27/2). ظ: الخصائص (136/3).

(5) هي قراءة قنبل، وقرأ الباقون بحذف الياء. ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع: 18/2

(6) شرح التصريح: 88/1

(7) ينظر الكتاب: 315/2

(8) فكأنه في غير القرآن الكريم هكذا (يَصْ **بِرُفَ** إنَّ) **بِرُفَ** على وزن فِعُلَ.

(9) ينظر شرح التصريح: 88/1

المبحث الخامس: ظاهرة الوقف- Stopper

اختارت العربية لعملية الوقف عملية مناقضة لها في انتهاء الكلام عما هي في الابتداء، فلم تجعل من المتحرك نهاية لكلامها، وإنما نهاية الكلام يكون على الوقف، إما لتمام المعنى جزئيا أو كليا، أو لانقطاع نفس المتكلم، أو لأي سبب من الأسباب التي تدعو إلى الوقف في آخر الكلام سواء أكان وقفا اختياريا أم اضطراريا. وكما أن الابتداء علمٌ على بداية العمل النطقي، فإن الوقف دليل على انتهاء ذلك العمل.

والوقف على أصوات العربية يؤول بصوائتها إما إلى الحذف أو التقصير أو التغير[1]. كما أن الشائع في اللغة العربية أن يوقف بالسكون على كل صوت يمكن الوقوف عليه، لأنه العلامة الرئيسة التي يهرع إليها المتكلم كلما أراد الوقف على كلامه. قال ابن الجزري: « فأما السكون فهو الأصل في الوقف على الكلم المتحركة وصلا، لأن معنى الوقف الترك والقطعُ؛ من قولهم وقفت عن كلام فلان: أي تركته، وقطعته. ولأن الوقف أيضا ضد الابتداء، فكما يختص الابتداء بالحركة، كذلك يختص الوقف بالسكون، فهو عبارة عن تفريغ الحرف من الحركات الثلاث، **وذلك لغة أكثر العرب**، وهو اختيار جماعة من النحاة وكثير من القراء»[2].

وتعد هذه الوسيلة ابرز وسائل الوقف واشهرها في العربية، وهو الوقوف على لفظ الكلمة من دون أن يصحب هذا الوقف ادنى تغيير في بنية الكلمة سوى حذف (الحركة) الصائت القصير. سواء كان ذلك في الكلمة التي أصولها صحيحة أو معتلة من نحو: فعل الأمر: (اجتهد)، والفعل المعتل الآخر نحو: (يرمي، ويغزو، ويخشى) فيكون الوقف عليه بالواو والياء والألف[3].

فالعلماء العرب ذهبوا إلى أن (الحركة) قد حذفت في الوقف، غير أن الإسكان في فعل الأمر، إنما هو وسيلة أعرابية، فضلاً على كونها الصوتية، لأن فعل الأمر عندهم عندما يكون صحيح الآخر يكون مبنيا على السكون، لذلك في هذه الحالة تتحد العمليتان الصوتيتان لأداء وظيفتين مهمتين في اللغة العربية، وظيفة دلالية ووظيفة صوتية، وهي اللجوء إلى الوقوف على آخر هذه الألفاظ لقفل المقطع المفتوح، من منطلق أن الحركة للمد والسكون للوقف. أما في الأفعال المعتلة الأخرى. فأنها تنتهي بمقطع مفتوح لأن (الألف والواو والياء) التي هي أواخر هذه الألفاظ، إنما هي حركات طويلة. وتصور العلماء العرب أن هذه الحركات الطويلة كانت عليها حركات قصيرة، من نحو (الضمة والفتحة والكسرة)، وعند الوقوف عليها حذفت تصورٌ غير دقيق. لأنها حركات طويلة؛ فلا يمكن تصور حركات صغيرة فوقها أو تحتها، لأن الحركة لا تحتمل حركة.

---

(1) ظ: في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية، للدكتور غالب فاضل المطلبي، ص209.

(2) النشر في القراءات العشر (2/ 120).

(3) الكتاب، ج2، ص277.

غير أن ذلك لا يعني أن السكون يدل على الوقف فقط، وإنما له في العربية وظيفة أعرابية وهي الدلالة على الجزم، فضلاً على وظائفه المقطعية والموسيقية[1]. فقد جاء السكون مؤديا وظيفة التخفيف عندما يسكن الاسم والفعل استخفافا من نحو (فخذ، فخذ، الرسل، رسل)[2].

ومهما يكن من امر فإن اللغة العربية قد وقفت على أقسام الكلام الثلاثة (الحرفَ والفعل والاسم)، بطرائق متعددة يؤدي فيها الجانب النطقي أثرا كبيرا، فضلاً على الجانب اللهجي الذي اضفى على ظاهرة الوقف خصائص نطقية مختلفة.

1 - مفهوم الوقف:

أ - الوقف لغة:

هو بمعنى الحبس، وفي اللسان: « وَقَفَتِ الدابةُ تَقِفُ وُقُوفاً، ووَقَفْتُها أَنا وَقْفاً... ووَقَفَ الأَرض عَلَى الْمَسَاكِينِ وَقْفاً: حبسَها، ووَقَفْتُ الدابةَ والأَرضَ وكلَّ شَيْءٍ»[3].

ب - الوقف اصطلاحا:

هو عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله، ولا بد من التنفس معه[4].

وهناك مصطلحان آخران قريبان جدا من معنى الوقف لا بد من التعريف بهما، وهما السكت والقطع.

أما السكت فهو عبارة عن قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس[5].

وأما القطع فهو عبارة عن قطع القراءة رأسا، فهو كالانتهاء فالقارئ به كالمعرض عن القراءة، والمنتقل منها إلى حالة أخرى سوى القراءة، مما يؤذن بانقضاء القراءة والانتقال منها إلى حالة أخرى، وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة، ولا يكون إلا على رأس آية ؛ لأن رءوس الآي في نفسها مقاطع[6].

(1) السكون في اللغة العربية د.كمال بشر، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، ج 24، 1969، ص160.

(2) الكتاب، ج2، ص257-258.

(3) لسان العرب (9/ 359).

(4) النشر في القراءات العشر (1/ 240).

(5) النشر في القراءات العشر (1/ 240).

(6) النشر في القراءات العشر (1/ 239).

2 - أقسام الوقف:

اختلف العلماء في تقسيمهم للوقف حسب اختلافهم في تحقيق المعاني، لكن ما ذكروه من أقسام الوقف لا يخرج عن أربعة أقسام؛ وهى التام والكافي والحسن والقبيح. والضابط في التفريق بين هذه الأنواع الأربعة هو النظر إلى العبارة التي قبل موضع الوقف، والعبارةِ التي بعده، وقياس ذلك بثلاثة ضوابط، وعلى حسب وجود شيء من هذه الضوابط أو وجودها كلها يتم تحديد نوع الوقف وحكمِه، والضوابط هي:

1 - الروابط اللفظية.

2 - المعنى الخاص بكل عبارة.

3 - السياق العام (أي الموضوع).

- فإذا لم يوجد أي رابط لفظي بين العبارتين، وكان المعنى الخاص بكل عبارة كاملا بنفسه، ولا يحتاج إلى العبارة الأخرى ليكمل ويصير معنى مفيدا. وكانت العبارة الثانية بداية موضوع وسياق جديد فهذا هو **التام**.

- أما إن كان السياق لا يزال واحدا فهذا **الكافي**.

- وإن وجد بين العبارتين رابط لفظي ورابط في المعنى والسياق العام، إلا أن العبارة الأولى بنفسها تشكّل معنى مفيدا فهذا هو **الحسن**.

فإن كان كل من العبارتين محتاجا إلى الآخر بحيث لا يكون بنفسه معنى مفيدا إلا بالعبارة الأخرى فالوقف حينئذ بينهما **قبيح**.

القسم الأول: الوقف التام

فالوقف التام هو الذى يفصل بين عبارتين لا علاقة لأحدهما بالأخرى لا في اللفظ ولا في المعنى، لأن العبارة الأولى تامة وتستغنى بنفسها عن العبارة الثانية في تمام معناها، ومثالها قوله تعالى: أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [البقرة: 5] فالوقف على (مفلحون) وقف تام لأنه نهاية الكلام عن المؤمنين، وما بعد الوقف كلام مستأنف يتكلم عن الكفار وحالهم مع الرسول ﷺ والرسالة، فنلاحظ هنا عدم وجود الرابط اللفظي أو المعنى بين العبارتين، وهذا النوع من الوقف يحسُن الوقوف عليه والابتداء بما بعده. وأكثر ما يكون عند تمام القصص وانقضائهن، وفي الفواصل ورؤوس الآي[1].

(1) النشر، 1/ 226.

القسم الثاني: الوقف الكافي

هو الذى يفصل بين عبارتين لا تعلق بينهما في اللفظ، فكل منهما جملة مفيدة في لفظها، وإن كان هناك تعلق بالمعنى العام وسياق الكلام، ومثاله قوله تعالى: وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ثم نبدأ بقوله تعالى: أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ، وهذا النوع وهو الوقف الكافي يكثر في الفواصل[1].

القسم الثالث: الوقف الحسن

هو الذى يفصل بين عبارتين تتصل كل منهما في اللفظ وفى سياق الموضوع؛ غير أن الجملة الأولى مفيدة بنفسها، أما الثانية فهي غير مفيدة بنفسها ولا يتم معناها إلا بالربط بالجملة الأولى لوجود الرابط اللفظي. مثاله قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فالوقف على الحمد لله حسن لأنها جملة مفيدة بذاتها أما الابتداء برب العالمين فلا يحسن لوجود الرابط اللفظي لأن كلمة (رب) صفة والموصوف هو (الله)، فلا يمكن الفصل بين الصفة والموصوف، فيجب على القارئ -إن فصل وأراد الابتداء بالثانية- أن يعيد الجملة الأولى، فهذا النوع من الوقف يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده[2].

القسم الرابع: الوقف القبيح

هو الذى يفصل بين عبارتين اشتد تعلقها فى اللفظ والمعنى، بحيث أن كل جملة منهما لا تستطيع أن تستغنى عن الأخرى وتكونَ جملة مفيدة. ومثاله: (**إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي** أن يضرب مثلا)، وقوله سبحانه: (**لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ** وأنتم سكارى). فالوقف على يستحيي في الأولى، وعلى الصلاة في الثانية، والبدءُ بما بعدها قبيح ولا يجوز، لأنه يغير المعنى المقصود تماما[3]. وفي هذا الجدول اختصار لما ذُكِر:

(1) ظ: النشر، 1/ 226.

(2) النشر، 1/ 226.

(3) ظ: السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط 3، 1996 م، 1/ 84 - 85.النشر، 1/ 226.

ضوابط الوقف / نوع الوقف	السياق تام	السياق متصل	المعنى تام	المعنى مفيد غير تام	المعنى مختل	وجود الرابط اللفظي	مثاله من القرآن الكريم الوقف على:
تام	+	-	+	-	-	-	المُفلِحونَ (البقرة:05)
كافي	-	+	+	-	-	-	ينفِقونَ (البقرة:03)
حسن	-	+	-	+	-	+	الحمد للهِ (الفاتحة:2)
قبيح	-	+	-	-	+	+	لا يستَحْيِي(البقرة:26)

3 - مظاهر الوقف:

تناول علماء العربية هذه الظاهرة وفق منهج وصفي يميل في بعض الحالات إلى المعيارية في وضع قواعد معينة مستنبطة من عملية الرصد لهذه الظاهرة، وأبرز المظاهر التي رصدها العلماء العرب لظاهرة الوقف، والتي تُعدُّ خروجا عن الأصل ما ذكره أبو حيان وهو يتحدث عن الوقف: « وغالبه تلزمه تغييرات إما في الحركة بحذف: وهو السكون، أو بروم أو إشمام. وإما في الكلمة بزيادة عليها: إما بتضعيف، وإما بهاء السكت. أو بنقص: بحذف حرف العلة، أو بقلب آخر الكلمة إلى حرف علة، وبإبدال حرف صحيح منه»[1]. ونحن نستعرض أبرز الظواهر الصوتية المتعلقة بالوقف على ما يلي:

1 - الوقف بالحذف:

- ومنها حذف الياء من الاسم المنقوص عند الوقف، وذلك كقولك: هذا قاضْ، وهذا غازْ، وهذا عمْ، تريد القاضي والغازي والعمي. قال سيبويه: « أذهبوها في الوقف كما ذهبت في الوصل، ولم يريدوا أن تظهر في الوقف كما يظهر ما يثبت في الوصل. فهذا الكلام الجيد الأكثر»[2].

- وأما الأفعال فلا يحذف منها شيءٌ، لأنها لا تذهب في الوصل في حال، وذلك كقولك: لا أقضي، وهو يقضي، ويغزو ويرمي. إلا أنهم قالوا: **لا أدرْ**، في الوقف، لأنه كثر في كلامهم، فهو شاذٌّ[3].

---

(1) ارتشاف الضرب، ص 170.

(2) الكتاب لسيبويه (4/ 183).

(3) الكتاب لسيبويه (4/ 184).

- ومن ذلك حذف ياء المتكلم التي لا تحذف في الوصل، « وتركها في الوقف أقيسُ وأكثرُ. وذلك قولك: هذا غلامْ، وأنت تريد: هذا غلامي. وقد أسقانْ، واسقِنْ وأنت تريد: أسقاني واسْقِني، لأن (ني) اسمٌ. وقد قرأ أبو عمرٍو: " فيقول ربي أكرمن"، و" ربي أهانن" على الوقف. وقال النابغة:

إذا حاوَلْتَ في أسدٍ فُجُوراً... فإنِّي لَسْتُ مِنْكَ ولَسْتَ **مِنّ**

يريد: مني. وقال النابغة:

وهمْ وَرَدُوا الجِفَار عَلَى تميمٍ... وهمْ أصْحابُ يومِ عُكاظَ **إنّ**

يريد: إني. سمعنا ذلك ممن يرويه عن العرب الموثوق بهم. وترك الحذف أقيسُ. وقال الأعشى:

فهل يمنعني ارتيادي البلا... د من حذر الموت أن **يأتين**

ومن شانئٍ كاسفٍ وَجْهُهُ... إذا ما انْتَسَبْتُ له **أنْكَرَنْ**»[1]

- وأما الألفات التي تذهب في الوصل فإنها لا تحذف في الوقف، لأن الفتحة والألف أخف عليهم[2]، وذلك إذا وَقَف على هاء الضمير؛ فإن كانت مضمومة أو مكسورة حذفت صلتها ووقف على الهاء ساكنة، تقول: لَهْ وبِهْ، بحذف الواو والياء، وإن كانت مفتوحة نحو: رأيتُهَا وقف على الألف ولم تحذف، لكن ابن مالك ذكر في التسهيل أنه قد يحذف ألف ضمير الغائبة منقولا فتحة إلى ما قبله، اختيارا من غير ضرورة شعر؛ كقول بعض طيء: "والكرامة ذاتِ أكْرَمَكُمُ اللهِ **بِهَ**" يريد "بِهَا"[3].

- ومن ذلك قراءة عليّ، وعروة، وعليّ بن الحسين، وابنه أبو جعفر، وابنه جعفر: ابنَهَ بفتح الهاء من غير ألف، من قوله تعالى: (وَنَادَى نُوحٌ **ابْنَهُ** وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ) هود:42، أي: ابنها مضافاً لضمير امرأته، فاكتفى بالفتحة عن الألف. قال ابن عطية: وهي لغة، ومنه قول الشاعر:

إما تقود بها شاة فتأكلها أو أن **تبيعهَ** في بعض الأراكيب/ يريد تبيعها.

وقراءة عليّ وعروة ابنها بفتح الهاء من غير ألف أي: ابنَ امرأته. وكونُه ليس ابنه لصلبه، وإنما كان ابن امرأته قولُ: علي، والحسن، وابن سيرين، وعبيد بن عمير. وكان الحسن يحلف أنه ليس ابنه لصلبه، قال قتادة: فقلت له: إن الله حكى عنه أن ابني من أهلي، وأنت تقول: لم يكن ابنه، وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه فقال: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب ؟ واستدل بقوله من أهلي ولم يقل مني، فعلى هذا يكون ربيباً[4].

---

(1) الكتاب لسيبويه (4/ 185).

(2) الكتاب لسيبويه (4/ 187).

(3) شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، نورالدين الأشموني، (ت929هـ)، تحقيق : محمد محيّ الدين عبدالحميد، بيروت، ط1، 1955م، (4/ 6).

(4) تفسير البحر المحيط ـ دار الكتب العلمية (5/ 226).

- أما في القراءات القرآنية فهو متعلق بما يحذف من ياءات زوائد؛ وهي التي تثبت وصلا دون الوقف في كلمات القرآن الكريم[1]. والياءات الزوائد هي الياءات المتطرفة الساكنة، المكسورُ ما قبلها، الزائدةُ في الأسماء والأفعال، والمنفصلةُ في الرَّسْمِ المصحفي، وَتَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: قسم تعدُّ الْيَاءُ فِيهِ أَصْلِيَّةٌ. وقسم ترد الياء فيها لِلْمُتَكَلِّمِ؛ أي ياء إضافة. وعدها ابن الجزري مائة واثنتان وعشرين ياءً، وردت الْيَاءُ الْأَصْلِيَّةُ منها في ثمانية عشر موضعا (18)، وَيَاءُ الْمُتَكَلِّمِ في مائة وثلاثة مواضع (103)، كما سنبينها فيما بعد. وحكمها في الأداء مختلف فيه كالآتي:

1- فريق من القراء يثبتونها وَصْلًا، **ويحذفونها وقفا**؛ وهم: نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو جَعْفَر.

2 - وفريق يثبتونها فِي الْحَالَيْنِ؛ وصلا ووقفا؛ وهم: ابْنُ كَثِيرٍ وَيَعْقُوبُ.

3- والباقون يحذفونها في الحالين؛ وَهُمْ: ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَخَلَفٌ. وَرُبَّمَا خَرَجَ بَعْضُهُمْ عَنْ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ.

وهذا إحصاء للياءات الزوائد بمواضعها في القرآن الكريم، اختار الباحث إيرادها في جدول اختصارا وترتيبا[2]:

جدول الياءات الزوائد التي وردت في القرآن الكريم أصلية في الكلمة		
﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ البقرة: ١٨٦	﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ الكهف: ٦٤	﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾ يوسف: ٩٠
﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ القمر: ٦	﴿ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ الحج: ٢٥	﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ الرعد: ٩
﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ﴾ القمر: ٨	﴿ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ سبأ: ١٣	﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ غافر: ١٥
﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ هود: ١٠٥	﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ الشورى: ٣٢	﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ غافر: ٣٢
﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ الإسراء: ٩٧	﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ ﴾ ق: ٤١	﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ الفجر: ٤
﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ الكهف: ١٧	﴿ نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ ﴾ يوسف: 12	﴿ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾ الفجر: ٩

(1) النشر في القراءات العشر (2/ 120).

(2) استقيت فحوى هذا الجدول من النشر في القراءات العشر (2/ 120).

جدول ياءاتِ المتكلم الزوائد التي وردت في القرآن الكريم		
﴿ إِذَا دَعَانِ ﴾ البقرة: ١٨٦	﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ الزمر: ١٧	﴿ فَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ النحل: ٥١
﴿ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ البقرة: ١٩٧	﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ ﴾ غافر: ٣٨	﴿ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ - ٩٢
﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ آل عمران: ٢٠	﴿ وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ الزخرف: ٦١	﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ الأنبياء: ٣٧
﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ ﴾ آل عمران: ١٧٥	﴿ وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ البقرة: ٤٠	﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ الحج: ٤٤
﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ المائدة: ٤٤	﴿ وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ البقرة: ٤١	﴿ كَذَّبُونِ ﴾ المؤمنون: ٢٦-٣٩
﴿ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾ الأنعام: ٨٠	﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ البقرة: ١٥٢	﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ المؤمنون: ٥٢
﴿ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ الأعراف: ١٩٥	﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ آل عمران: ٥٠	﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ المؤمنون: ٩٨
﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ هود: ٤٦	﴿ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ الأعراف: ١٩٥	﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ المؤمنون: ٩٩
﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ الحجر: ٦٩	﴿ ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ يونس: ٧١	﴿ وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ المؤمنون: ١٠٨
﴿ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ يوسف: ٦٦	﴿ ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ هود: ٥٥	﴿ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ الشعراء: ١٢
﴿ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ إبراهيم: ٢٢	﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾ يوسف: ٤٥	﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ الشعراء: ١٤
﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الإسراء: ٦٢	﴿ وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ يوسف: ٦٠	﴿ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ الشعراء: ٦٢
﴿ وَقُل عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى ﴾ الكهف: ٢٤	﴿ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ يوسف: ٩٤	﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ الشعراء: ٧٨
﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ ﴾ الكهف: ٣٩	﴿ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ الرعد: ٣٠	﴿ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ الشعراء: ٧٩
﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا ﴾ الكهف: ٤٠	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ الرعد: ٣٢	﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ الشعراء: ٨٠

﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ ﴾ الكهف: ٦٦	﴿ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَثَابِ ﴾ الرعد: ٣٦	﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ الشعراء: ٨١
﴿ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾ طه: ٩٣	﴿ وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ إبراهيم: ١٤	﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ الشعراء: 108- 110- 126- 131-144-150-163-179
﴿ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾ النمل: ٣٦	﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ إبراهيم: ٤٠	﴿ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴾ الشعراء: ١١٧
﴿ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ ﴾ النمل: ٣٦	﴿ فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ الحجر: ٦٨	﴿ حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ النمل: ٣٢
﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ الزمر: ١٦	﴿ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ الحجر: ٦٩	﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ القصص: ٣٣
﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الزمر: ١٠	﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ النحل: ٢	﴿ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ القصص: ٣٤
﴿ فَإِيَّىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ العنكبوت: ٥٦	﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾ ص: ٨	﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦
﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ سبأ: ٤٥	﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ الزمر: ١٦	﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ الذاريات: ٥٧
﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ فاطر: ٢٦	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ غافر: ٥	﴿ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾ الذاريات: ٥٩
﴿ وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ يس: ٢٣	﴿ فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ الزخرف: ٢٧	﴿ وَنُذُرِ ﴾ القمر: 16- 18-21-30-37-39
﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ يس: ٢٥	﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ الزخرف: ٦٣	﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ الملك: ١٧
﴿ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ الصافات: ٥٦	﴿ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ الدخان: ٢٠	﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ الملك: ١٨
﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ الصافات: ٩٩	﴿ فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ الدخان: ٢١	﴿ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ نوح: ٣
﴿ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ ص: ١٤	﴿ وَعِيدِ ﴾ ق: 14- 45	﴿ فَكِيدُونِ ﴾ المرسلات: ٣٩
﴿ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾ الفجر: ١٥	﴿ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ الفجر: ١٦	﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ الكافرون: ٦

2 - الوقف بالإسكان:

والمقصود به غير الوقف بالإسكان الذي عليه جمهور العرب، فذلك هو الأصل. إنما يُعنى به الظاهرةُ التي خرج بها أصحابها عن الأصل في بابها، وهذا خاص بالوقف على التنوين المنصوب؛ إذ الأصلُ فيه الوقف بإبدال التَّنْوِين ألفا، لكن **ربيعة** خرجت عن الأصل وحذفت التنوين ووقفت عليه بالإسكان كوقف غيرها على التنوينَيْن: المجرورِ والمرفوعِ، فتقول ربيعة: **رأيت زيدْ.** قال الرضي: « وأما المنصوب فإن كان منوناً فليس فيه إلا قلب التنوين ألفاً، إلا على لغة ربيعة فإنهم يجوزون حذف التنوين»[1]. ويقول السيوطي: « ولغة ربيعَة حذف التَّنْوِين من الْمَنْصُوب وَلَا يبدلون مِنْهُ ألفا فَيَقُولُونَ رَأَيْت زيدْ، حملا لَهُ على الْمَرْفُوع وَالْمَجْرُور ليجري الْبَاب مجْرى وَاحِدًا. قَالَ:

أَلا حبَّذا غُنْمٌ وحُسْنُ حَدِيثِها لقد تَرَكَتْ قلبِي بهَا هائماً **دَنِفْ**»[2] يعني: دنِفا

3 - الوقف بالزيادة:

- **فقد يكون الوقف بزيادة الهمزة**، كقولك في الوقف على حبلى: حبلَأْ؛ يقول سيبويه: « وهذه الحروف- يعني أصوات المد- غير مهموسات، وهي حروف لينٍ ومدٍّ، ومخارجها متسعة لهواء الصوت؛ وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها؛ ولا أمد للصوت؛ **فإذا وقفت** عندها لم تضمها بشفةٍ ولا لسانٍ ولا حلقٍ كضم غيرها؛ فيهوى الصوت إذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره **في موضع الهمزة**. وإذا تفطنت وجدت مس ذلك. وذلك قولك: ظلموا ورموا، وعمى وحُبلى. وزعم الخليل أنهم لذلك قالوا: ظلموا ورموا؛ فكتبوا بعد الواو ألفاً. وزعم الخليل أن بعضهم يقول: رأيت رجلاءْ فيهمز؛ وهذه حبْلَى**ءْ. فهمز لقرب الألف من الهمزة** حيث علم أنه سيصير إلى موضع الهمزة، فأراد أن يجعلها همزة واحدة، وكان أخفَّ عليهم. وسمعناهم يقولون: هو يضر **بِهَاءْ؛ فيهمز كل ألف في الوقف** كما يستخفون في الإدغام؛ فإذا وصلت لم يكن هذا؛ لأن أخذك في ابتداء صوت آخر يمنع الصوت أن يبلغ تلك الغاية في السمع»[3].

وقريب من ذلك قول ابن جني: « الألف والياء والواو إذا أُشبعن ومُطِلن أدين إلى حرف آخر غيرِهنّ، إلا أنه شبيه بهن، وهو الهمزة، ألا تراك إذا مطلت الألف أدتك إلى الهمزة، فقلت: **آء**، وكذلك الياء

(1) الرضي الأستراباذي، محمد بن الحسن، نجم الدين، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1395 هـ - 1975 م، (315/2). ظ: شرح الأشموني لألفية ابن مالك (4/ 3).

(2) السيوطي، جلال الدين همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية،،(ت911هـ)، عني بتصحيحه : محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت)، (3/ 427).

(3) الكتاب لسيبويه (4/ 176).

في قولك: **إيء**، وكذلك الواو في قولك: **أوء** »[1]. قال في اللسان: « وَمِنْهَا همزَة الوقفة فِي آخر الْفِعْل لُغَة لبَعض دون بعض نَحْو قَوْلهم للْمَرْأَة: قولِيءْ، وللرجلين قولاءْ، وللجميع قولوءْ، وَإِذا وصلوا الْكَلَام لم يهمزوا، ويهمزون **(لَا)**إِذا وقفُوا عَلَيْهَا »[2].

ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين أن العربي كان يلجأ إلى الوقف بزيادة الهمزة أو الهاء هربا من الوقوف على مقطع مفتوح، فيقفله بتلك الأصوات[3].

- **وقد يكون الوقف بزيادة الألف،** كقول سيبويه: « وقد استعملوا في شيء من هذا الألف في الوقف كما استعملوا الهاء، لأن الهاء أقرب المخارج إلى الألف، وهي شبيهة بها. فمن ذلك قول العرب: **حيَّهَلَا**، فإذا وصلوا قالوا: **حيهلَ** بعمر. وإن شئت قلت: **حيهلْ**، كما تقول: بحكمكْ»[4]. قال أبو حيان الأندلسي: « وحكى أبو علي وابن جني فرقا بين الضمة والفتحة والكسرة، بأن بعض العرب يقول: رأيت الرجلَا بالألف؛ ولا يقول هذا الرجلو، ولا مررت بالرجلي، وعليه جاء (الظنونا) و(الرسولا) و(السبيلا)، بإشباع الفتحة فتولدت منها الألف»[5].

- وفي القراءات القرآنية جرى الوقف بالزيادة في كلمات مخصوصة من القرآن الكريم، والتي نرتّبها على ما يأتي:

1 - لكِنَّا: من قوله تعالى: ﴿ **لَّكِنَّا** هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾ الكهف:(38). ولا خلاف بين القراء في إثبات الألف في الوقف اتباعا للرسم. واختلفوا في إثباتها وصلا؛ فقرأ أبو جعفر وابن عامر ورويس (لكنا)بإثبات الألف بعد النون وصلا، وقرأ الباقون بغير ألف[6].

2 - الظُّنُونَا: من قوله تعالى: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ **الظُّنُونَا** ﴾الأحزاب:10. قرأها نافع وابن عامر وشعبة وأبو جعفر: بإثبات الألف مطلقا. وقرأ أبو عمرو وحمزة ويعقوب بحذفها مطلقا. والباقون بإثباتها وقفا فقط[7].

3 - الرَّسُولَا: من قوله تعالى: ﴿ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا **الرَّسُولَا** ﴾ الأحزاب: 66.

4 - السَّبِيلَا: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا **السَّبِيلَا**﴾ الأحزاب: 67. قرأهما نافع وابن عامر وشعبة وأبو جعفر: بإثبات الألف وصلا ووقفا. وقرأ حمزة وأبو عمرو ويعقوب بحذفها وصلا ووقفا، وقرأ الباقون بحذفها وصلا وإثباتها وقفا[1].

---

(1) الخصائص (2/ 320).

(2) لسان العرب (1/ 17).

(3) شاهين، د. عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، دار القلم، القاهرة، الطبعة الأولى 1966، ص 84.

(4) الكتاب لسيبويه (4/ 163).

(5) ظ: ارتشاف الضرب من لسان العرب،(811/2).

(6) النشر: (311/2). ظ: الحجة في القراءات السبع (ص: 224). ظ: الحجة للقراء السبعة (5/ 144).

(7) السبعة في القراءات (ص: 519).

5 - سَلاسِلَا: من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلاَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً ﴾ الإنسان:04. قرأ نافع وهشام وشعبة وعلي وأبو جعفر: بالتنوين مع إبداله ألفا وقفا. وقرأ الباقون من غير تنوين، واختلفوا في الوقف عليها؛ فوقف أبو عمرو وروح بالألف، ووقف حمزة وقنبل ورويس وخلف على اللام، والباقون بالوجهين[2].

قال أبو علي: « وإلحاق الألف في سلاسل، وقوارير كإلحاقها في قوله: الظنونا والسبيلا والرسولا، ويشبَّه ذلك بالإطلاق في القوافي من حيث كانت مثلها في أنها كلام تام»[3].

6 - قَوَارِيرَا: من قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ **قَوَارِيرَا** ﴾ الإنسان:15، قرأ نافع وابن كثير وشعبة وعلي وخلف عن نفسه وأبو جعفر: بالتنوين والوقف بالألف، وقرأ الباقون دون تنوين؛ فوقف حمزة ورويس بالراء، ووقف أبو عمرو وابن عامر ورَوْح وحفص بالألف[4].

7 - قَوَارِيرَا: من قوله تعالى: ﴿ **قَوَارِيرَا** مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ الإنسان: 16. قرأ نافع وشعبة وعلي وأبو جعفر: بالتنوين والوقف بالألف، وقرأ الباقون بترك التنوين؛ فوقف هشام بالألف، والباقون على الراء[5].

قال أبو علي: « ومثل هذه الألف في أنها تثبت في الوقف وتسقط في الإدراج، الألف في **حيَّهلا**، تقول: **حيّهلْ بعمر**، فتحذفها، فإن وقفت قلت: **حَيَّهلَا** »[6].

4- الوقف بإلحاق هاء السكت:

جاءت القراءات القرآنية بزيادة هاء السكت لدى الوقف عند كلمات مخصوصة. وهي أربع **(ويلتى، وأسفى، و يا حسرتى، و ثَمَّ الظرفُ)**؛ وردت عن يعقوب بإلحاق الهاء وقفا وبخلف عنه. قال ابن الجزري: «وهاء السكت في هذا كله **وما أشبهه** جائزة عند علماء العربية سماعا وقياسا»[7].

---

(1) السبعة في القراءات (ص: 519).

(2) الداني، أبو عمرو، الأحرف السبعة للقرآن، مكتبة المنارة - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1408، ص: 42. ظ: الحجة للقراء السبعة (6/ 348). ظ: السبعة في القراءات (ص: 663).

(3) الحجة للقراء السبعة (6/ 351).

(4) الأحرف السبعة للداني (ص: 42). ظ: السبعة في القراءات (ص: 663).

(5) الأحرف السبعة للداني (ص: 42). ظ: السبعة في القراءات (ص: 663).

(6) الحجة للقراء السبعة (5/ 146).

(7) ظ: النشر في القراءات العشر (2/ 134).

5 - الوقف بالإثبات:

ومن ذلك ما أورده سيبويه عن أبي الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب كان يقول: **هذا رامي وغازي وعمي**، أظهروا في الوقف حيث صارت في موضع غير تنوين، لأنهم لم يضطروا ههنا إلى مثل ما اضطروا إليه في الوصل من الاستثقال. فإذا لم يكن في موضع تنوين فإن البيان أجود في الوقف. وذلك قولك: هذا القاضي، وهذا العمي، لأنها ثابتة في الوصل[1].

- وقسم ابن الجزري الوقف بإثبات أصوات العلة في القراءات القرآنية على النحو الآتي:

أولا: ما حذف من الياءات رسما ووردت الرواية بإثباته وقفا، ويتفرع إلى ضربين:

الضرب الأول - ما حذف من الياءات رسما لأجل التنوين:

ويقع في ثلاثين حرفا في سبعة وأربعين موضعا، أثبت منها ابن كثير الياء في أربعة أحرف في عشرة مواضع، وهي هاد في الخمسة (و واق) في الثلاثة (و وال. و باق). وعن قنبل بإثبات الياء في موضعين آخرين، وهما فان في الرحمن (و راق) في القيامة. وقد خالف فيهما سائر الناس. وانفرد ابن مهران عن يعقوب بإثبات الياء في الجميع وقفا. وعن الأزرق عن ورش وبخلف عنه بإثبات الياء في قاض[2].

الضرب الثاني - ما حذف من الياءات رسما لغير تنوين:

ويقع في أحد عشر حرفا في سبعة عشر موضعا، ذكرها ابن الجزري في نشره، نذكر منها يؤت الحكمة في البقرة، واخشون اليوم في المائدة، وننج المؤمنين في يونس، و (يهاد العمي) في الروم، و يردن الرحمن في يس، و صال الجحيم في الصافات، و يناد المناد في ق، و تغن النذر في اقترب. وعلى المواضع السبعة عشر كلها وقف يعقوب بالياء، وهذا هو الصحيح عنه، وهو قياس مذهبه وأصله.

ثانيا: ما حذف من الواوات رسما لأجل الساكن:

وهي أربعة مواضع: ويدع الإنسان. في الإسراء. ويمح الله الباطل في الشورى، و يوم يدع الداع. في القمر، و سندع الزبانية في العلق. فإن الوقف عليها للجميع على الرسم؛ أي بحذف الواو. قال مكي وغيره: لا ينبغي أن يعتمد الوقف عليها، ولا على ما يشابهها، لأنه إن وقف بالرسم خالف الأصل، وإن وقف بالأصل خالف الرسم. اهـ. ورد عليه ابن الجزري بأنه لا يخفى ما فيه، فإن الوقف على هذه وأشباهها ليس على وجه الاختيار، والفرض أنه لو اضطر إلى الوقف عليها كيف يكون ؟ وكأنهم إنما يريدون بذلك ما لم تصح فيه

(1) الكتاب لسيبويه (4/ 183).

(2) النشر في القراءات العشر (2/ 136).

رواية، وإلا فكم من موضع خولف فيه الرسم وخولف فيه الأصل. ولا حرج في ذلك إذا صحت الرواية. وقد نص الحافظ أبو عمرو الداني عن يعقوب على الوقف عليها بالواو على الأصل.

ثالثا: ما حذف من الألفات رسما للساكن:

والمختلف فيه كلمة واحدة، وهي (أيه) وقعت في ثلاثة مواضع: أيه المؤمنون في النور، و يا أيه الساحر في الزخرف، و أيه الثقلان في الرحمن. فوقف عليه بالألف في المواضع الثلاث على الأصل خلافا للرسم أبو عمرو، والكسائي ويعقوب، ووقف عليها الباقون بالحذف اتباعا للرسم، إلا أن ابن عامر ضم الهاء على الإتباع لضم الياء قبلها (أَيُّهُ)[1].

وهذا الجدول فيه ترتيب واختصار لما سبق:

الوقف بإثبات ما حذف رسما ، وفيه:			
1	الوقف بإلحاق هاء السكت، نحو: هو، هي، يا حسرتى، هنَّ		
2	الوقف بإثبات أحرف العلة؛ ويدخل تحته:		
	أ	إثبات الياء ، وهي على ضربين:	الأول: المحذوفة للتنوين؛ نحو: وَالٍ
			الثاني: المحذوفة لغير ذلك؛ نحو: صَالِ
	ب	الوقف بإثبات الواو المحذوفة للساكن؛ نحو: يَمْحُ	
	ج	الوقف بإثبات الألف المحذوفة للساكن؛ نحو: أَيُّهَ	

- وأورد ابن مجاهد عن ابن كثير وأبي عمرو إثبات الياء وقفا على **المتعال** سوآء منكم، وأن الباقين لا يثبتون الياء لا في وصل ولا في وقف[2]. أما ابن الجزري فيروي عن يعقوب إثبات الياء وقفا في **المتعال** إضافة إلى ثلاثة كلمات أخرى؛ وهي: **مآب و متاب و عقاب**[3].

- وأما الياءات المحذوفة من رؤوس الآي، وجملتها بما فيه أصلي وإضافي ست وثمانون ياء، أثبت الياء في جميعها يعقوب في الحالين على أصله، ووافقه أبو عمرو وحمزة وورش والبزي وقنبل، وابن وردان وابن كثير، و قالون في ست عشرة كلمة على خلاف وتفصيل ذكره ابن الجزري في موضعه من كتابه النشر[4].

(1) النشر في القراءات العشر (2/ 136).
(2) السبعة في القراءات (ص: 358).
(3)النشر في القراءات العشر (2/ 298).
(4) النشر في القراءات العشر (2/ 190).

6 - الوقف بالإبدال:

قد تلجأ العربية عند الوقف على آخر الكلمة إلى إبدال الصوت الأخير من الكلمة المراد الوقوف عليها بصوت آخر، إما لأسباب صوتية، أو لأسباب دلالية، قال ابن جني: « وأكثر هذا القلب إنما هو في الوقف؛ لأن الوقف من مواضع التغيير»[1].

- ومن الإبدال لغرض الوقف الإبدالُ الواقع في الهمزة عندما تكون الهمزة متطرفة آخرَ الكلمة، فتُبدَل صوت مد طويل من جنس الحركة التي قبلها. والعلة في ذلك عندهم -كما عبر سيبويه- هو قربُ الألف من الهمزة. لأن الناطق بالألف سيصير إلى موضع الهمزة. لذلك أراد الناطق أن يجعلها همزة واحدة، لأنه اخف عليه[2].

وقد أصاب العلماء العرب في أن الألف ينتهي إلى موضع الهمزة، لأن أصوات المد عند انتهاء النطق بها تنتهي بالهمزة، أو بالغلق الحنجري، لأن ابتداء النطق بالمصوت يتطلب توترا قويا في الحبال الصوتية لدرجة أن الانفتاح المفاجئ للأوتار الصوتية يصدر همزة ابتداء، ثم تستعيد الوتار وضعها بأن تغلق الحنجرة، وهو وضع استعداد للهمزة من حيث كانت نهاية النطق عند مخرج الهمزة[3]. وبذلك يكون الوقف في هذه الحالة لقفل المقطع المفتوح بالانغلاق الحنجري (الهمزة)، وهو مطلب من مطالب الوقف.

أما سيبويه فقد ذكر اتجاهات العرب لدى الوقف على الهمزة، والتي نذكر منها ما تعلق بالصوائت كما سيأتي:

الاتجاه الأول: العرب الذين يحققون الهمزة: وهؤلاء يبدلون الهمزة واوا إذا كانت في موضع رفع، وياءً في موضع الجر، وألفا في موضع النصب، وسواء سُبِقت الهمزة عندهم بساكن ككلمة(الوشْء، البُطْء، الرِّدْء) أم بمتحرك ك(الكَلَأ، الخبَأ)، فيقفون عليها هكذا: هو الوَشْوْ، ومن الوَشْيْ، ورأيت الوَشا (مثل قَفا). ويقفون على الهمزة المسبوقة بمتحرك هكذا: هو الكَلَوْ، ومن الكَلَيْ، ورأيت الكَلا[4].

وعلى هذا النحو جاء الرواية في القرآن الكريم؛ وروى محمد بن الجهم، عن خلف، عن سليم، عن حمزة أنه كان يقف يعبؤا [الفرقان: 77] وتفتؤا [يوسف: 85] والملؤا [البقرة: 246] ويدرؤا [النور: 8] **بالواو من**

(1) المحتسب لابن جني (2/ 22).

(**2**) الكتاب، ج2، ص285. المقتضب، ج1، ص 402.

(3) التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب، الدكتور هنري فليش، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، ج 23، 1388 هـ – 1968 م، ص62، (هامش 4).

(4) الكتاب لسيبويه (4/ 178).

غير إشارة إلى الهمزة[1]. قال صاحب التيسير: « واعلم ان جميع ما يسهله حمزة من الهمزات فإنما يراعى فيه خط المصحف دون القياس»[2].

الاتجاه الثاني: العرب الذين لا يحققون الهمزة: وهم أهل الحجاز، فإنهم يبدلون الهمزة عند الوقف صوت مد طويل يجانس الحركة التي قبلها؛ فلألف للفتحة، والواو للضمة، والياء للكسرة. يقول سيبويه: « فأما الذين لا يحققون الهمزة من أهل الحجاز فقولهم: **هذا الخبا** في كل حال؛ لأنها همزة ساكنة قبلها فتحة؛ فإنما **هي كألف راسٍ** إذا خففت...ولو كان ما قبلها مضموماً لزمها الواو، **نحو: أُكمو**. ولو كان مكسوراً لزمت الياء **نحو: أهنِي**، وتقديرها أهنع، **فإنما هذا بمنزلة جونةٍ وذيبٍ**»[3]. وذهب جماعة من النحاة إلى جواز إبدال الهمزة المتطرفة في الوقف من جنس حركتها في الوصل، سواء كانت بعد متحرك، أو بعد ساكن، وحكوا ذلك سماعا عن غير الحجازيين من العرب كتميم وقيس وهذيل وغيرهم[4].

- ومن الوقف بالإبدال ما عرف في لهجة أزد السراة في الوقف على المنون؛ حيث يوقف عليه بإبدال التنوين ألفا بعد الفتحة، وواوا بعد الضمة، وياء بعد الكسرة[5]، قال السيوطي: « ولغة أَزْد السراة الْإِبْدَالُ فِي الْأَحْوَال الثَّلَاثَة، حكى أَبُو الْخطاب عَنْهُم أَنهم يبدلون فِي الرّفْع وَالنّصب والجر حرفا يُنَاسب الْحَرَكَة أَي واوا وألفا أَو يَاء، وَكَأن الْبَيَان عِنْدهم أولى وَإِن لزم الثّقل»[6]. فيقول الأزدي مثلا: هذا **زيدُو**، ورأيت **زيدَا**، ومررت **بزيدِي**.

- **ومن هذا الباب أيضا إبدال الهاء في اسم الإشارة ياء،** نحو قول **بني تميم** في الوقف: **هذه؛** فإذا وصلوا قالوا: **هذي فلانة؛** لأن الياء خفية فإذا سكتَّ عندها كان أخفى. والكسرة مع الياء أخفى، فإذا خفيت الكسرة ازدادت الياء خفاءً كما ازدادت الكسرة؛ **فأبدلوا** مكانها حرفاً من موضع أكثر الحروف بها مشابهة وتكون الكسرة معه أبين[7].

---

(1) الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو، جامع البيان في القراءات السبع، جامعة الشارقة - الإمارات، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، (2/ 578).

(2) التيسير في القراءات السبع (ص: 35). ظ: إبراز المعاني من حرز الأماني (1/ 172).

(3) الكتاب لسيبويه (4/ 178).

(4) النشر في القراءات العشر (1/ 445).

(5) المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المصري المالكي (ت: 749هـ)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، دار الفكر العربي، الطبعة : الأولى 1428هـ - 2008م، (3/ 1469).

(6) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (3/ 427).

(7) الكتاب لسيبويه (4/ 182).

- ومن ذلك أيضا إبدال النون الخفيفة أو نون التنوين عند الوقف صوتَ مد طويل، كالوقف على **(لَيَكُونًا)** من قوله تعالى: (لَيُسْجَنَنَّ **وَلَيَكُوناً** مِنَ الصَّاغِرِينَ) يوسف:(32). والوقف على **(لَنَسْفَعاً)** من قوله تعالى: (كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ **لَنَسْفَعاً** بِالنَّاصِيَةِ) العلق:(15). قال ابن عطية: « واللام في قوله " ليسجنن " لام القسم، واللام الأولى هي المؤذنة بمجيء القسم، والنون هي الثقيلة والوقف عليها بِشدها، و " **ليكونا** " نونه هي النون الخفيفة والوقف عليه بالألف، وهي مثل قوله " **لنسفعا** "، ومثلها قول الأعشى: وصل على حين العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا/ أراد فاعبدن. وقرأت فرقة: وليكونَّ؛ بالنون الشديدة »[1].

- ومن ذلك أيضا إبدال الألف المتطرفة ياء في الوقف، قال سيبويه: « كما أنَّ بعض العرب يقول: **أفعَيْ** **لخفاء الألف** في الوقف، فإذا وصل لم يفعل. ومنهم من يقول: **أفعَيْ** في الوقف والوصل، فيجعلها ياء ثابتة»[2].

قال الرضي: « وأما إذا وقفت عليها -يعني الألف- فتخفى غاية الخفاء حتى تُظَن معدومة، ومن ثم يقال: هؤلاه ويارباه، بهاء السكت بعدها، **فيبدلونها إذن في الوقف حرفاً من جنسها أظهر منها وهي الياء**»[3].

ويذكر سيبويه هذه الظاهرة في كتابه مع نسبتها إلى قبيلتها حيث يقول: « وذلك قول بعض العرب في أفعى: **هذه أفعيْ**؛ وفي حبلى: **هذه حُبلِيْ**؛ وفي مُثَنَّى: **هذا مُثَنَّيْ**. فإذا وصت صيرتها **ألفاً**. وكذلك كل ألفٍ في آخر الاسم. حدثنا الخليل وأبو الخطاب أنها لغةٌ لفزارة وناسٍ من قيس؛ وهي قليلة»[4].

- وكذلك إبدال الألف المتطرفة واوا في الوقف؛ وهي لغة منسوبة إلى طيء؛ قال سيبويه: «وزعموا أن بعض طيءٍ يقول: **أفعَوْ**، لأنها أبْيَن من الياء، ولم يجيئوا بغيرها لأنها تشبه الألف في سعة المخرج والمد؛ ولأن الألف تبدل مكانها كما تبدل مكان الياء، وتبدلان مكان **الألف أيضاً؛ وهن أخواتٌ**»[5].

- ومن ذلك أيضا إبدال الألف المتطرفة همزة في الوقف، وهي لغة بعض طيء؛ قال السيوطي: « وَرُبمَا قلبت الْألف الْمَوْقُوف عَلَيْهَا **همزَة** أَو يَاء أَو واوا نَحْو هَذِه **أفعأُ**، أَو أفعَيْ أَو أفعَوْ؛ فِي هَذِه أَفْعَى، وَهَذِه **عصأ** أَو عصَيْ أَو عصَوْ؛ فِي عَصا **الأولى والأخيرة لُغَة بعض طيء**، وَالثَّانِية لُغَة فَزَارَة، وَنَصّ سِيبَوَيْهٍ على أَن هَذِه اللُّغَات الثَّلَاث فِي كل ألف فِي آخر اسْم، سَوَاء كَانَت أَصْلِيَّة أَو غير أَصْلِيَّة، وَحكى الْخَلِيل أَن بَعضهم يَقُول رَأَيْت **رجلأْ**؛ فيهمز لِأَنَّهَا ألف فِي آخر الِاسْم»[6].

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - دار الكتب العلمية (3/ 251).

(2) الكتاب لسيبويه (3/ 414).

(3) شرح شافية ابن الحاجب - الرضي الأستراباذي (2/ 286).

(4) الكتاب لسيبويه (4/ 181).

(5) الكتاب لسيبويه (4/ 181).

(6) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (3/ 430).

- ومن الباب أيضا إبدال النون في (إذَنْ) ألفا في الوقف، قال السيوطي: «وَاخْتلف فِي الْوَقْف على **إذن**؛ فمذهب أبي عَليّ وَالْجُمْهُور إبْدَال نونها فِي الْوَقْف ألفا، وَذهب طَائِفَة إِلَى أَنه يُوقف عَلَيْهَا بالنُّون، قَالَ أَبُو حَيَّان... بِخِلَاف إذن فَإِنَّهُ يحسن الْوَقْف عَلَيْهَا والفصل، قَالَ: **وَأما النُّون الْخَفِيفَة فَلَا خلاف أَنه يُوقف عَلَيْهَا بإبدال نونها ألفا إِذا انْفَتح مَا قبلهَا**»[1].

- ومن ذلك أيضا إبدال الياء جيما في الوقف، لتقاربهما في المخرج وهو شجْر الفم؛ من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى [2]. قال سيبويه: « وأما ناس من بني سعدٍ فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنها خفية، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف، وذلك قولهم: هذا تميمجٌ، يريدون: تميميٌّ، وهذا علِجٌ، يريدون: عليٌّ. وسمعت بعضهم يقول: عربانجٌ، يريد: عربانيٌّ. وحدثني من سمعهم يقولون: خَالي عويفٌ وأبو **علج**... المطعمان الشحم **بالعَشِجّ**...وبالغداةِ فِلَقَ **البَرْنِجّ**. يريد: بالعشي، والبرني. فزعم أنهم أنشدوه هكذا»[3].
واصطلح علماء اللغة على تسمية هذه الظاهرة **بالعجعجة**، وهي لغة قضاعة، ولعل سعدا من تميم تأثروا بها فانتقلت إليهم[4].

7 - الوقف على القوافي:

قسَّم سيبويه وقف العرب على القوافي إلى قسمين:

القسم الأول: وقفهم على القوافي إذا ترنموا؛ وهذا القسم يتفرع بدوره إلى فرعين:

الفرع الأول: وقف الترنم على المنون، وفيه يقول سيبويه: « أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون، لأنهم أرادوا مد الصوت، وذلك قولهم - وهو لامرئ القيس: قِفَا نَبكِ مِن ذِكْرَى حبيبٍ **ومَنْزِلِي**.

وقال في النصب - ليزيد بن الطثرية:

فَبِتنا تَحِيدُ الوحشُ عنّا كأننا... قتيلان لم يَعلمْ لنا الناسُ **مَصْرعَا**

وقال في الرفع - للأعشى: هُرَيْرَةَ ودِّعْهَا وإنْ لامَ **لائمُو**»[5].

---

(1) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (3/ 430).
(2) الكتاب لسيبويه (4/ 433).
(3) الكتاب لسيبويه (4/ 182).
(4) ظ: البلغة إلى أصول اللغة (ص: 99). ظ: حاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك (4/ 393). ظ: المحيسن، محمد سالم، المقتبس من اللهجات العربية، ص(27-28).
(5) الكتاب لسيبويه (4/ 204).

الفرع الثاني: وقف الترنم على غير المنون، وعنه يحدثنا سيبويه بقوله: « وما لا ينون فيه قولهم - لجرير:

أَقلِّي اللوْمَ عاذِلَ **والعِتابا**

وقال في الرفع - لجرير:

مَتى كان الخِيامُ بِذي طلوحٍ... سُقِيتِ الغَيْثَ أيَّتهاَ **الخِيامُو**

وقال في الجر - لجرير أيضاً:

أَيْهاتَ مَنزِلُنا بنعفِ سويقةٍ... كانت مباركةً من **الأيامِي**

وانما ألحقوا هذه المدة في حروف الروي لأن الشعر وضع للغناء والترنم، فأحلقوا كل حرف الذي حركته منه »[1].

ويقول ابن رشيق: « ليس بين العرب اختلاف إذا أرادوا الترنم ومد الصوت في الغناء والحداء في إتباع القافية المطلقة، مثلها من حروف المد واللين في حال الرفع والنصب والخفض، كانت مما ينون أو مما لا ينون »[2].

القسم الثاني: وقفهم على القوافي إذا لم يترنموا؛ وجعله سيبويه على أوجه؛ وهي:

أ- **الوقف بالإشباع:** وهو وقف **أهل الحجاز** الذين يدعون هذه القوافي ما تَوِن منها وما لم ينوَّن على حالها في الترنم، ليفرقوا بينه وبين الكلام الذي لم يوضع للغناء.

ب - **الوقف بالتنوين:** وهو وقف ناس كثير من **بني تميم** فإنهم **يبدلون مكان المدة النون** فيما ينون وما لم ينون، لمَّا لم يريدوا الترنم أبدلوا مكان المدة نوناً ولفظوا بتمام البناء وما هو منه، كما فعل أهل الحجاز ذلك بحروف المد.

- ومن ذلك قولهم: يا أبَتا عَلَّكَ أو **عَساكَنْ**
- وللعجاج: يا صاحِ ما هاجَ الدُّموعَ **الذُّرَّفَنْ**
- وقال العجاج: مِن طللٍ كالأَتْحَمِيّ **أنْهَجَنْ**

قال سيبويه: « وكذلك الجر والرفع. والمكسور والمفتوح والمضموم في جميع هذا كالمجرور والمنصوب والمرفوع »[3].

---

(1) الكتاب لسيبويه (4/ 204).

(2) ابن رشيق، أبو على الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، 1401 هـ - 1981م، (2/ 311).

(3) الكتاب لسيبويه (4/ 206).

ج - **وقف الذين يُجْرُون القوافي مجراها** لو كانت في الكلام ولم تكن قوافي شعرٍ، جعلوه كالكلام حيث لم يترنموا، وتركوا المَدَّة لعلمهم أنها في أصل البناء، و يثبتون الألف لأنها كذلك في الكلام، واستشهد سيبويه بأمثلة منها:[1].

- ما رواه سيبويه سماعا عن جرير: أَقِلّي اللَّوْمَ عاذِلَ **والعِتابْ**
- وللأخطل: واسْأَلْ بَمصقْلَةَ البَكْرِيّ ما **فَعَلْ**
- وقولهم: قد رابَنِي حفصٌ فحرِّكْ **حفصَا**

وعن هذا القسم الثاني يحدثنا ابن رشيق بقوله: « فإذا لم يقصدوا ذلك - أي الترنم - اختلفوا: **فمنهم** من يصنع كما يصنع في حال الغناء والترنم؛ ليفصل بين الشعر والكلام المنثور، **وهم أهل الحجاز، ومنهم من ينون ما ينون وما لا ينون**: إذا وصل الإنشاد أتى بنون خفيفة مكان الوصل فجعل ذلك فصلاً بين كل بيتين فينشد قول النابغة: يا دار مية بالعلياء فالسند منوناً إلى آخر القصيدة، لا يبالي بما فيه ألف ولام، ولا مضاف، ولا بفعل ماض، ولا مستقبل، **وهم ناس كثير من بني تميم**»[2].

د- الوقف بالنقل: وذلك لو وقفوا على قافية سُبق حرف رويّها ساكن؛ فينقلون حركة الروي إلى الساكن قبله، إذا كانت لغة منشده الوقوف على المضموم والمكسور بنقل الحركة، كما أنشد أعرابي من بني سنبس قول ذي الرمة:

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك **القطُرْ**

بضم الطاء وإسكان الراء؛ يريد القطْرُ، وعلى هذا قال الآخر: أنا ابن ماويَّةَ إذ جد **النَّقُرْ**/ أراد: النقْرُ[3].

هـ - الوقف بالحذف: وذلك إذا كانت الياءات والواوات لاماتٍ، وكان حرف الروي قبلها، فتحذف لأنها تكون في المد بمنزلة المُلحَقة، ويكون ما قبلها روياً كما كان ما قبلت تلك رويا، فلما ساوتها في هذه المنزلة ألحقت بها في هذه المنزلة الأخرى. قال سيبويه: « وجميع ما لا يحذف في الكلام وما يختار فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي...وإثبات الياءات والواوات أقيس الكلامين. وهذا جائز عربيٌّ كثير»[4].

- ومن ذلك قول زهير: وبعضُ القومِ يَخْلُقُ ثمَّ لا **يَفْرْ**

---

(1) الكتاب لسيبويه (4/ 206). ظ: آل غنيم، صالحة راشد غنيم، اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د. عبد العزيز برهام، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1403هـ، ص287.

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه (2/ 311).

(3) العمدة في محاسن الشعر وآدابه (2/ 312).

(4) الكتاب لسيبويه (4/ 184).

يقصد يفري، وكذلك: يغزو، لو كانت في قافيةٍ فإنها تحذف اختيارا. وأما الألفات نحو: يخشى ويرضى وشبهها فإنه لا يحذف منهن الألف[1].

وقال ابن رشيق: «ومنهم من يجري القوافي مجراها ولو لم تكن قوافي، فيقف على المرفوع والمكسور موقوفين، ويعوض المنصوب ألفا على كل حال، **وهم ناس كثير من قيس وأسد**، فينشدون:

لا يبعد الله جيراناً لنا ظعنوا... لم أدر بعد غداة البين ما **صنعُ**

يريد " ما صنعوا ". وكذلك ينشدون:

ففاضت دموع العين مني صبابة... على النحر حتى بل دمعي **محمل**»[2].

- ومن ذلك قول الشاعر:

لا يُبْعِدُ الله أصْحَاباً تَرَكْتُهُمُ... لم أدْرِ بعد غَداةِ البَيْنِ ما **صنعْ**

يريد: صنعوا. وقال:

لو ساوَفَتْنَا بسوفٍ مِن تَحِيَّتِهَا... سَوْفَ العَيُوفِ لَراحَ الرَكْبُ قد **قَنِعْ**

يريد: قنعوا. وقال:

طافت بأَعْلاقِه خودٌ يمانيةٌ... تَدْعُو العَرانِينَ مِن بكرٍ وما **جَمَعْ**

يريد: جمعوا. وقال ابن مقبلٍ:

جَزَيْتُ ابنَ أرْوَى بالمدِينة قَرضَهُ... وقلتُ لشُقّاعِ المدينة **أوْجِفُ**

يريد: أوجفوا. وقال عنترة:

يا دارَ عَبْلَة بالجواء **تكلمْ**

يريد: تكلمي. وقال الخزَرُ بن لوذان:

كَذَبَ العَتِيقُ وماءُ شنٍّ باردٌ... إنْ كُنْتِ سائِلَتي غَبُوقاً **فاذْهَبْ**

يريد: فاذهبي.

و - الوقف بالزيادة: وهو متعلق بالوقف على الساكن والمجزوم؛ وذلك إذا كان حرف الروي خارج القافية ساكنا أو مجزوما في الأصل، واقتضى التناسب تعديلَه إلى غير السكون موافقة لحركة الروي، يقول سيبويه: « واعلم أن الساكن والمجزوم يقعان في القوافي، ولو لم يفعلوا ذلك لضاق عليهم، ولكنهم توسعوا بذلك، فإذا وقع واحدٌ منهما في القافية حرك، وليس إلحاقهم إياه الحركة بأشد من إلحاق حرف المد ما ليس هو فيه، ولا يلزمه في الكلام. ولو لم يقفوا إلا بكل حرف فيه حرف مدٍّ لضاق عليهم، ولكنهم توسعوا بذلك، فإذا

(1) الكتاب (209/4).

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه (2/ 311).

حركوا واحداً منهما صار بمنزلة ما لم تزل فيه الحركة، فإذا كان كذلك ألحقوه حرف المد، فجعلوا الساكن والمجزوم لا يكونان إلا في القوافي المجرورة حيث احتاجوا إلى حركتها، كما أنهم إذا اضطروا إلى تحريكها في التقاء الساكنين كسروا، فكذلك جعلوها في المجرورة حيث احتاجوا إليها، كما أن أصلها في التقاء الساكنين الكسر، نحو: انزل اليوم. وقال امرؤ القيس:

أغَرَّكِ منّي أنَّ حُبَّكِ قاتِلي... وأنَّكِ مَهْمَا تَأمُرِي القَلْبَ **يَفْعَلِ**

وقال طرفة:

متى تَأْتِنا نَصْبَحْكَ كَأْساً رَويّةً... وإنْ كُنْتَ عنها غانِياً فاغْنَ **وارْدَدِ**

ولو كانت في قوافٍ مرفوعةٍ أو منصوبةٍ كان إقواءً»[1]. وغير هذا من الأمثلة كثير ومتاح في مظانه لمن أراد الاستزادة.

(1) الكتاب لسيبويه (4/ 214).

الفصل الخامس

أصوات المد العربية
دراسة تطبيقية مخبرية

تمهيد

رغم تقديرنا لما بذله المتقدمون من خدمة لعلوم التجويد والقراءات؛ إلا أننا في حاجة إلى قفزة نوعية في هذا المجال. ذلك لأن الحاسب الآلي وتطبيقاتِه أصبح اليوم جزءا لا يتجزأ من حياة المجتمعات العصرية، وقد أخذت تقنية المعلومات المعتمدة على الحاسب الآلي تغزو كل مرفق من مرافق الحياة، فاستطاعت هذه التقنية أن تغير أوجه الحياة المختلفة في زمن قياسي؛ ما حتَّم على كل مجتمع يريد اللَّحاق بالعصر المعلوماتي أن ينشئ أجياله على تعلم الحاسب الآلي وتقنياته، ويؤهلهم لمجابهة التغيرات المتسارعة في هذا العصر، وتفعيل دور الحاسب الآلي في شتى العلوم والمعارف.

وبظهورُ المخابر الصوتية فإن الدارسين المعاصرين صاروا أكثر دراية بجسم الإنسان وجهازه الصوتي، وقد أفادوا منها الكثيرَ في الوصول إلى نتائج علمية دقيقة بشأن الخصائص الأصواتية من حيث المخارج والكيفيات وأكستيكية هذه الأصوات.

وتشكل الذخائر الصوتية أو ما يعرف بقواعد بيانات الكلام عنصراً هاماً في دراسة الخصائص الصوتية للكلام وبناء الأنظمة الحاسوبية المعتمدة على الصوت البشري كوحدة للإدخال والإخراج وتطويرها. ونظراً لتلك الأهمية، سارعت جهات متعددة إلى بناء ذخائر صوتية بمواصفات عالية لأنواع مختلفة من التطبيقات حسب اللغات المستخدمة فيها. فقد أصدر اتحاد بيانات اللغات LDC، وهو مركز أنشئ سنة 1992م بجامعة بنسيلفينيا لدعم وتنسيق الجهود المرتبطة ببناء الذخائر وتطويرها، أكثر من 200 ذخيرة لهيئات عالمية فيما يزيد على 20 لغة. وحظيت اللغة العربية ببعض الاهتمام في هذا المجال، ولكن الجهود فيها لا تزال محدودة، وقد اتجهت بشكل خاص إلى اللغة العربية الحديثة، التي يغلب تداولها اليوم في التدريس والصحف والتعاملات الرسمية بين البلدان، إضافة إلى بعض اللهجات.

ومع أن ما يعرف باللغة العربية الحديثة لا يختلف كثيراً عن لغة الأجداد، لأن العربية تُعَدُّ من أكثر لغات العالم ثباتاً على مر التاريخ، إلا أنه توجد خصوصيات متعلقة بكيفية الأداء المجود للكلام، **ومنه الأداء القرآني كدرجات المدود والغنات والتفخيم والترقيق** ونحوها. ولهذا السبب ينبغي أن تبنى ذخائر صوتية تخص الأداء القرآني، صادرة من كلماته وحروفه مباشرة، ليتمكّن من دراسة خصائصه الصوتية، ومن بناء تطبيقات حاسوبية تعنى بحفظه وتجويده، صيانة له من التأثر باللهجات واللغات الأعجمية.

وتأكيدا من المهتمين بالدرس الأصواتي العربي على شمولية هذه الدراسات، فإنهم قاموا بدراسات مَعْمَلية للمقرئين المجازين، للحصول على نتائجَ مخبريةٍ تسجّل الفارق الدقيق بين المجالَيْنِ: الشفهي والمخبري، فعلى سبيل المثال؛ نجد القراء لا يزالون يستخدمون الحركة في قياس المد، بينما هناك أجهزة عديدة يمكن أن نقيس بها أمدَ المدِّ بشكل موضعي وأكثر دقة، وبذلك نستطيع عند تدريس التجويد القولَ مثلا بأن زمن الحركة يساوي

200 مليثانية، والحركتان تقدَّر بـ 400 مليثانية. وهذا ينطبق على بقية أحكام التجويد، لأن هناك أجهزةً متعددة يمكن أن تعطيَ قياساتٍ دقيقةً لكل حكم من أحكام التجويد.

إضافة إلى هذا، فإن ظهور الآلات والأجهزةِ الحديثة من مكبرات للصوت وآلات تسجيل صوتية يحتِّم علينا معرفةَ الموجات الصوتية للقارئين، ومن ثم تصميمَ وإعدادَ هذه الأجهزة لتلائم أصواتَهم، فكثير من هذه الأجهزة صممت لتسجيل وتشغيل أشرطة لمتحدثين أو مطربين، وقد تم مؤخرا تخزين أصوات بعض قارئي القرآن الكريم في الحاسوب. والمتخصصون في الحاسوب يحتاجون إلى معرفة الترددات التي تهم المستمع العربي للقرآن المرتل، فيتأكدون من تخزينها، كما يحتاجون إلى معرفة الترددات التي تؤثر على السامع العربي فيستبعدونها، كما أنهم مقيدون بسَعة معينة في مجال تخزين الأصوات، والأصوات تأخذ حيزا كبيرا أثناء التخزين، وكلما كان التخزين على مساحة أصغر كان ذلك أسهل وأكثر فعالية عند الحاسوبيين.

ويحاول هذا البحث أن يقف بطريق التجريب والتطبيق على حقيقة الكمّ الزمني لأصوات المد في الأداء القرآني. هذا الكم الزمني الذي يعد صفة لازمة لأحرف المد في القرآن الكريم ومن ثم في اللغة العربية. والوسيلة التي لجأ إليها العرب في أدائهم لأصوات لغتهم حين عمدوا إلى إطالة زمن أحرف المد، عندما تسبق غيرها من الحروف والحركات في اللغة العربية أو تتلوها، وهو ما عرف عند أهل الأداء بعد ذلك بأحكام المدود، من وجوب إطالة لزمن أحرف المد عند حصول الظروف الملائمة، على تنوع في زمن الإطالة من قصر وفُوَيْقِه وتوسط وفويقه وإشباع وتجاوز لذلك كما في التمطيط أو الإفراط، أو إسقاط لأحرف المد في بيئة لغوية أخرى، أو تغيير مسارها من المد إلى غير ذلك في وضعيات لغوية أخرى كالتسهيل مثلا.

كما يحاول الوقوف برهة عند بعض الظواهر الصوتية التي تجري عليها أصوات المد، والتي يفرضها الأداء القرآني أو التنوع اللهجي وتطوره، كالذي نجده في التفخيم والترقيق، والإمالة والفتح وبين اللفظين، والإشمام وإخلاص الحركة...وهلم جرا.

وقد اتبعتُ في دراستي المخبرية الخطوات التاليةَ:

1 - أدخلت نصوصا من القرآن الكريم على طرائق مختلفة:

أ - أما فيما يخص دراسة المدود الطويلة فإني اكتفيت بالنصوص المقروءة برواية ورش لقراءة الإمام نافع من طريقي الأزرق والأصبهاني، بأصوات ستة من القراء المجيدين المعاصرين، يتفرعون إلى مجموعتين، مجموعة قراء ورش من طريق الأزرق وهم ثلاثة: مشاري بن راشد العفاسي، وعبد المؤمن الجزائري؛ على طريقة الترتيل، وياسين الجزائري على طريقة التدوير، والمجموعة الثانية لقراء ورش من طريق الأصبهاني وهم ثلاثة: المعصراوي، ومنير التونسي على طريقة الترتيل، ومنصور الجزائري على طريقة التدوير. ورمزت إلى العفاسي بـ القارئ (01)، وإلى ياسين بـ القارئ (02)، وإلى عبد المؤمن بـ القارئ (03)، وإلى المعصراوي بـ القارئ (04)، وإلى منير بـ القارئ (05)، وإلى منصور بـ القارئ (06).

2- أما عن تخصيصي لرواية ورش لقراءة نافع من طرقيه: الأزرق والأصبهاني، فكان ذلك لأسباب:

أولها: أنها الرواية السائدة في القطر الوطني، وكذلك بعض الأقطار المغربية المجاورة، فكان الاهتمام بها أولى، والاعتناء بها آكد، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من فائدة وخدمة لمن يعنيه الأمر.

ثانيها: أن رواية ورش بالذات تعد المجال الأرحب والأوسع والأحفل بالتغيرات الأدائية الصوتية، ومن جملة ذلك الخلاف الكبير والمتعدد في باب المدود، كما أسلفنا ذكره في الفصل الخاص بالظواهر الصوتية الكمية، وكذلك في أبواب التفخيم والترقيق والإمالة والروم والإشمام وما إلى ذلك.

ثالثها: أنني عالجت جانبا من هذه الدراسة في رسالة الماجستير، فكان العمل عليها هنا من باب إتمام الخير الذي لا يجوز أن ينقطع مداه، وكما يقال "إتمام عمل الخير خير من ابتدائه".

3 - أما فيما يخص دراسة الظواهر النوعية وهي: الفتح والإمالة وبين اللفظين، والتفخيم والترقيق، والإشمام وإخلاص الكسر، وكذلك جزءا من الظواهر الكمية وهو: المقارنة بين الصوائت القصيرة والصوائت الطويلة، فإني وسعت شرائح التحليل إلى النصوص المقروءة بالقراءات العشر المتواترة، وانتقيت لذلك ختمة مسجلة مسمّاة بـ (الختمة الزاهرة الجامعة للقراءات العشر المتواترة)، وهي عرضة عرضها القارئ طه محمد الفهد على الشيخ وليد، وهي قراءة بالتلفيق لغرض التعليم، وهو ما نحتاج إليه ونحن في هذا الصدد، فما يحويه النص من أداءات مختلفة يعد مجالا حقيقا بدراستنا المخبرية.

4 - وبالنسبة إلى الأداة المستخدمة في التسجيل، فهو (برنامج: Audacity – جُرأة) الذي يستخدم بكثرة في بناء الذخائر الصوتية الخاصة بتطبيقات التعرف الآلي على الكلام؛ نظراً لما يوفره من إمكانات وتسهيلات في التعامل مع الصوت. فهو يعمل على بيئات تشغيل مختلفة، مثل:"وندوز"و"لينكس" و"ماكنتوش"، ويعطي إمكان تصدير الملفات بصيغ مختلفة مثل:wav, mp3 ,aiff, ogg. وطبعاً؛ توجد كثير من البرامج الأخرى الممكن استخدامها لهذا الغرض، منها ما هو تجاري كبرنامج Adobe Audition الخاص بنظام "وندوز" والمعروف قديما بـ cool edit مثلا، ومنها ما هو مجاني مثل: Cdex. وقد تمت تهيئة الجهاز الصوتي على الموجتين الضيقة (waveform) والواسعة ديسيبل(waveform db)، وعلى شكل الطيف (spectogram)، والطيف لوغاريتم (spectogram log) ، وعلى شكل الحدة(pitch)، وقد ضبط على تردد قدره (4410 hz)، وقد تم استخراج نتائج عينات هذه الدراسة جميعها على شكل جداول وصور من الجهاز الصوتي على حسب ما اقتضته الدراسة. وهذه صورة البرنامج Audacity:

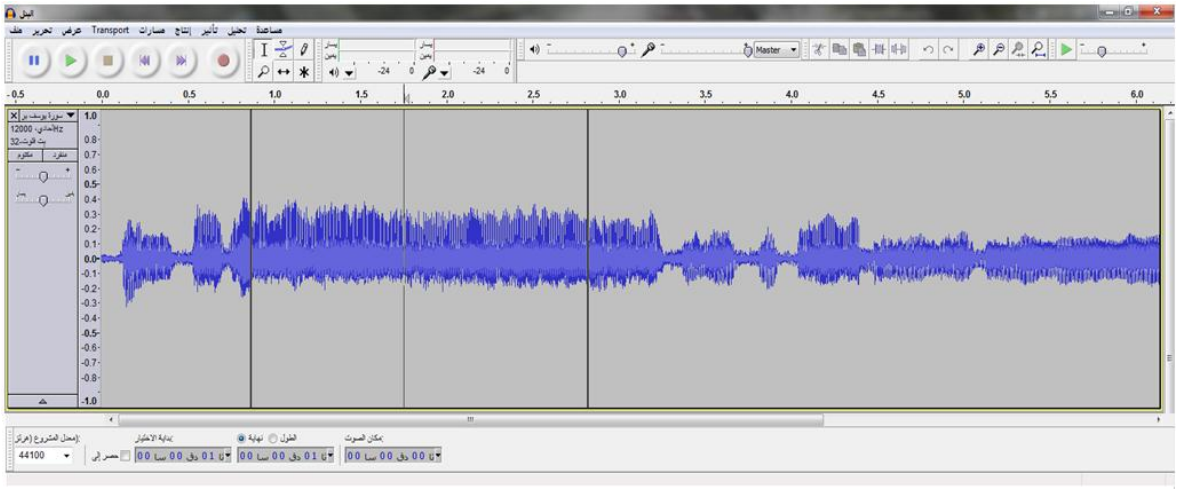

5 - عمدت إلى حفظ ذخائر صوتية لكل نوع من أنواع المدود عساها تستخدم في التصحيح الآلي للتلاوة، أو في تجريب مدى قدرة تلك النماذج على التعرف الآلي على الأصوات المنطوقة. وكما أني استخدمت هذه الذخائر لتحديد المدى الزمني للمدود مثلا، فإنه يمكن أيضاً أن تستخدم لدراسة بعض الظواهر التجويدية الأخرى أثناء القيام بدراسات صوتية على القرآن الكريم، وعلى ذلك عملت أثناء معالجتي للظواهر الكمية والنوعية للصوائت.

6 - وضعت في ملحق خاص الكلماتِ المشتملةَ على المد المدروس فقط – من جملة كلمات الذخائر الصوتية – وكتبتها كتابتها الإملائية، ثم رسمتها مُصْحَفِيّاً، ثم قطعتها إملائيا، لأخلُص في الأخير إلى صوغ الكلمة على شكل رموز صوتية عالمية، يتبين فيها الصائت من الصامت من جهة؛ والصائت القصير أو الصُّوَيْت عن الصائت الطويل من جهة أخرى، والذي أعدُّه حقل بحثي.

وأشير إلى أن أول صعوبة في الكتابة الصوتية تتعلق عادة بإيجاد رموز مناسبة لتمثيل الأصوات؛ لأن حروف كتابة أية لغة لا تفي بتمثيل جميع أصواتها بطرق نطقها المختلفة. لذا وضعت عدة أنواع من الرموز التي استخدمت في لغات مختلفة، إلا أنها لا تشمل جميع أصول أصوات اللغة العربية وفروعها. وعلى هذا الأساس اعتمدت على رموز صوتية تشمل جميع أصوات اللغة العربية التركيبية وغير التركيبية، وأعني بغير التركيبية الأصوات المتعلقة بكيفيات الأداء القرآني، كدرجات المدود ونحوها، وتتيح إمكان إضافة رموز أخرى للدلالة على أصوات اللهجات العربية، وجدول الرموز الصوتية المعتَمَدة لَدَيَّ مفصَّل في الملحق (02) آخر البحث.

7 - كشفتُ المد المرجعي لكل قارئ من قراء البحث، وذلك بالاختيار العشوائي لثلاثة عينات من المد الأصلي - الطبيعي-، هذه العينات تم اختيارها بشرط أن تكون صيغة أداء القارئ فيها تمشي على وتيرة واحدة خِفَّةً وبُطْئا، حتى يكون المد أكثر مرجعية وأثبت مقياسا للوصول من خلاله إلى أحكام علمية دقيقة في عملي المخبري.

8 - استقصيت أنواع المدود عند كل قارئ من هؤلاء القراء الستة، وضبطت الكم الزمني حين أدائهم لكل نوع من أنواع المدود بالميلي ثانية (م/ثا)، وقارنت في الزمان بين ما هو **فعلي** عندهم وبين **المفترض**، أي بين ما كان وبين ما يجب أن يكون عليه المد استنادا إلى **المد المرجعي**، ثم استخلصت **الفارق الزمني** الناتج عن الفعلي والمفترض.

9 - خلُصت - من خلال دراستي لزمان أداء المدود لدى قراء العيّنات - إلى معدّل الدورة في الثانية استنادا إلى البرنامج المخبري المذكور أعلاه، وكانت وحدة القياس فيه هي الدائرة في الثانية (د/ثا).

10 - قصدت إلى تحليل تردد الذبذبات لكل نوع من أنواع المد عند كل قراء البحث، وللظواهر النوعية أيضا، لكني وحّدتُ النتائج بالاقتصار على أعلى تردد وأدناه، وكانت وحدة القياس فيها هي الهرتز (HZ).

11 - أظهرت مستويات الشدة لكل أنواع المدود لدى قراء العينات، واقتصرت على أعلى وأدنى مستوى لها، وكانت وحدة القياس فيها هي الديسيبل (dB)، وكذلك تم الأمر مع دراسة الظواهر النوعية وباقي الدراسة.

12 - وتركيزا مني على دقة البحث ووضوحه؛ فإني رصَّعت البحث بجداول عدةٍ مصنفةٍ بحسَب المسائل والقواعد أحيانا، أو النتائج المخبرية أحيانا أخرى.

13 - دلَّلتُ لكل ما وصلت إليه من النتائج برسوم ومنحنيات بيانية، إيضاحا للمبهم وتوثيقا للنتائج.

14 - خللت البحث بتعليقات على النتائج، ومقارنات - إن تطلب الأمر – إما بين القراء -عموديا-،وإما بين القارئ وبين نفسه -أفقيا- في ظرفين مختلفين، وإما بين الظواهر الصوتية المختلفة نسبيا، كما سيظهر بعدُ.

15 - ذيَّلتُ البحث بملحق وضعت قوائمَ لِعَيّنات البحث، وأخرى للجداول، وثالثةً للأشكال، حتى يسهل الرجوع إليها.

المبحث الأول: دراسة مخبرية لبعض الظواهر الصوتية الكمية التي تعرض للصوائت العربية

1 - مناقشة نتائج تحليل مدّ البدل:

لا بأس أن أعيد التذكير بأني رمزت إلى العفاسي بـ القارئ (01)، وإلى ياسين بـ القارئ (02)، وإلى عبد المؤمن بـ القارئ (03)، وإلى المعصراوي بـ القارئ (04)، وإلى منير بـ القارئ (05)، وإلى منصور بـ القارئ (06).

وشروعا في مناقشة ما توصلت إليه من النتائج المخبرية أشير إلى أنه بإمكاننا أن نقرأ النتائج **قراءة عمودية** فنقابلَ نتائج القراء الستة فيما بينهم ونعلقَ عليها، كما أنه بإمكاننا أن ندرس النتائج **دراسة أفقية** نقارن فيها بين نتائج القارئ نفسه باعتبارات متغايرة كما سيأتي.

وإذا قرأنا **عموديّا** نتائج عينات البحث المرفقة - والتي قامت عليها هذه الدراسة – تزامنا مع ملاحظة أشكال الموجة عند كل قراء البحث في باب البدل؛ فإنه يتضح لنا ما يلي:

- أن زمن المد المرجعي – ويُقَدَّر بحركتين - متقارب بين القراء: (03) و (04) و(06). ومتوسطه يبلغ: 0.321 ثا. ومتقارب من جهة أخرى بين القراء: (02)و(05). ومتوسطه يبلغ: 0.494 ثا. فيما بلغ عند القارئ (01): 0.724 ثا. انظر الجدول (41).

- بناء على المد المرجعي ومقدار المد بالحركات (القراءة بالقصر)، فإنه يُفترَض أن يكون متوسط مد البدل عند القراء: (03)و(04)و(06) يساوي: 0.321 ثا، بينما وجد الباحث أن متوسط المد الفعلي عندهم قد بلغ: 0.320ثا. وهذا يؤكد إتقان القراء الثلاثة لمد البدل إذا وضعنا عشوائية الانتقاء بعين الاعتبار.

- ويُفترَض أن يكون متوسط مد البدل عند القراء: (02)(05) مقدرا بـ: 0.494 ثا (قراءةً بالقصر)، بينما وجد الباحث أن متوسط المد الفعلي قد بلغ:.297 ثا. أي بفارق معتبر قدره: 0.197 ثا.

- ويُفترَض أن يكون مد البدل عند القارئ (01) بقيمة: 1.448 ثا (قراءة بالتوسط)، بينما وجد الباحث أن المد الفعلي عنده قد بلغ: 1.954 ثا. أي بفارق معتبر قدره: 0.506 ثا. ولعل هذا الفارق لايدرَك في عالم المشافهة أو لا يُؤبَه له؛ لكنه – مَخبَريّا - يُعَدُّ تجاوُزاً للثوابت، انظر الجدول (42).

أمّا إذا حَوّلنا اتجاه الدراسة وقرأنا نتائج عينات البحث **قراءة أفقيّة**؛ فإننا نلاحظ ما يلي:

– أن المد المرجعي أو متوسط العينات يعكس صيغة أداء كل قارئ على حدة، وعليه فإنا نستطيع القول بأن أبطأ تلاوة لدى الستّة هي تلاوة القارئ (01)،يتلوه القارئ (05)، ثم القارئ (02)، فالقارئ (03)،يأتي بعده القارئ (06)،وأخيرا القارئ (04). انظر الجدول (43)، الشكل (02-07).

- نجد أن الفارق الزمني بين الفعلي والمفترض قد بلغ عند القارئ (01): 1.376 ثا، وعند القارئ (02): 0.255 - ثا، وعند القارئ (03): 0.170ثا،وعند القارئ (04): 0.011 ثا، وعند القارئ (05):

0.138 - ثا، وعند القارئ (06): 0.032 - ثا. وهذا يعكس درجة إتقان قراء العينات لمد البدل.وعليه فإن هناك تجاوزا وإخفاقا عند القراء، نرتبها تصاعديا كما يلي:القارئ (04)، يليه القارئ (06)، ثم القارئ (05)، فالقارئ (03)، بعده القارئ (02)، وأخيرا القارئ (01).كما أنه يمكننا القولُ بأن هناك تجاوزا وإخفاقا عند القراء؛ أما التجاوز: فعند القارئ (04) و (03) و(01)،وأما الإخفاق: فعند القارئ و (05) و (02).

- أنَّ المتوسط الزمني لمدة النطق بمد البدل في قراءة عينات البحث متقارب بين القراء:(03)، و(04)، و(05). ويبلغ: 0.346 ثا. والظاهر أن ذلك راجع إلى صيغة الأداء، والتي هي الترتيل.

- كما أن المتوسط الزمني لمدة النطق بمد البدل في قراءة عينات البحث متباعد نسبيا بين القراء: (02)، و(06). ويبلغ: 0.065 ثا. وهذا راجع إلى صيغة الأداء، والتي هي التدوير.

- في حين نجد القارئ (01) خرج عن مشاركة المجموعة؛ لما أسلفناه من تفرده في بطء وتيرة التلاوة عنده. انظر الجدول (43).

ونلاحظ من خلال التدقيق في تحليل التردد ما يلي:

- أن مستوى شدة الصوت لدى القارئ (01) لم يتجاوز: 24.36- (Hz)، ولم ينزل عن:143.45- (Hz)، في حين أنّ القارئ (02) لم يتجاوز: 9.64-(Hz)، ولم ينزل عن: 135.21-(Hz)، أما القارئ (03) فلم يتجاوز: 14.31-(Hz)، ولم ينزل عن:140.04-(Hz). والقارئ (04) لم يتجاوز: 16.83- (Hz)، ولم ينزل عن: 139.49-(Hz)، والقارئ (05) لم يتجاوز: 10.62-(Hz)، ولم ينزل عن: 140.11- (Hz)، وأيضا القارئ (06) لم يتجاوز مستوى التردد عنده: 8.35-، ولم ينزل عن: 144.64- (Hz).وعليه؛ فإن مستوى الشدة عند القراء الستة كان مقبولا، ولم يتعد إلى مرحلة الضجيج(↑0+). انظر الجدول(43)، الشكل (08-13).

- كما نلاحظ أيضا من خلال منحنيات تحليل التردد: أن مستوى تردد الصوت عند القراء الأربعة (02) و(03) و (04) و(06) لم يتجاوز 21963.86(Hz)، ولم ينزل عن 86.13(Hz)، أما عند القارئ (01)؛ فقد بلغ أقصاه 5976.56(Hz)، وأدناه 23.43 (Hz)، كما بلغ أقصاه عند القارئ (05): 10981.93 (Hz) وأدناه 43.06 (Hz). يعني: أن مستوى التردد عند القراء الأربعة أزيد من ثلاثة أضعافِ مستواهُ عند القارئ (01)، وضعفا القارئ (05). وذلك راجع إلى طبيعة صوت كل قارئ. انظر الجدول (43)، الشكل (08-13).

- واتضح لي بعد التدقيق في الجدول (42) أن: متوسط الدور لدى قراء العينات محصور بين: 22.0 - (د/ثا) و9.0- (د/ثا)؛ ونمثل له رياضيا بالعبارة التالية: **22.0 - (د/ثا) ≤ متوسط الدور ≤ 9.0- (د/ثا)**

- كما اتضح لنا بعد الإمعان في صور التمثيل الطيفي المرفقة الشيءُ الزائدُ على أصل الصوامت الذي يمثل بدقة صفة المد، والذي يتمدد ويتقلص بحَسَب اختلاف زمن المد عند الكل. انظر الشكل(14-19).

جدول (41) : المدّ المرجعي لدى قرّاء العيّنات

القراء / العينات		زمن العينة الأولى (ثا)	زمن العينة الثانية (ثا)	زمن العينة الثالثة (ثا)	متوسط العينات (المد المرجعي) (ثا)
قرّاء الأزرق	العفاسي	0.660	0.678	0.826	0.724
	ياسين	0.446	0.488	0.510	0.480
	عبد المؤمن	0.331	0.283	0.356	0.323
قرّاء الأصبهاني	المعصراوي	0.327	0.261	0.370	0319
	أبو المظفر	0.410	0.596	0.520	0.508
	منصور	0.320	0.323	0.324	0.322

جدول (42) : المقارنة التطبيقية لمد البدل

القراء	التغيرات	النتائج المستفادة من شكل الموجة					النتائج المستفادة من شكل الطيف + تحليل التردد				
		مقدار المد (حركة)	زمن المد المرجعي (ثا)	زمن المد المفترض (ثا)	زمن المد الفعلي (ثا)	الفارق بين الفعلي و المفترض	معدّل الدور (د/ ثا)	أعلى تردّد (هرتز)	أدنى تردد (هرتز)	أعلى مستوى (ديسيبل)	أدنى مستوى (ديسيبل)
قرّاء الأزرق	العفاسي	04	0.724	1.448	2.824	1.376	-22.0	5976.56	23.43	-24.36	-143.45
	ياسين	02	0.480	0.480	0.225	-0.255	-9.0	21963.86	86.13	-9.64	-135.21
	عبد المؤمن	02	0.323	0.323	0.340	0.170	-12.7	21963.86	86.13	-14.31	-140.04
قرّاء الأصبهاني	المعصراوي	02	0319	0.319	0.330	0.011	-18.0	21963.86	86.13	-16.83	-139.49
	أبو المظفر	02	0.508	0.508	0.370	-0.138	-16.4	10981.93	43.06	-10.62	-140.11
	منصور	02	0.322	0.322	0.290	-0.032	-16.9	21963.86	86.13	-8.35	-144.64

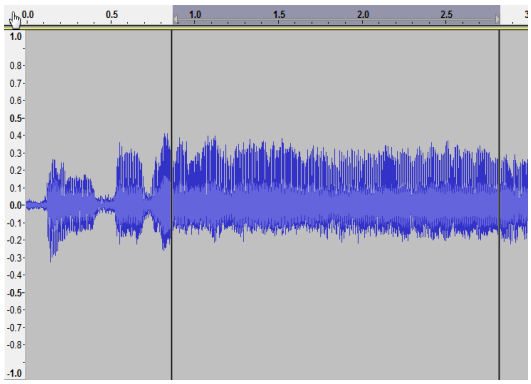

الشكل (02): العفاسي (01) – **" آيَاتُ"**

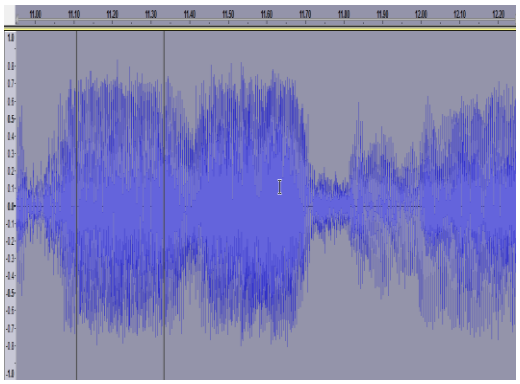

الشكل (05): المعصراوي (04) – **" آيَاتُ"**

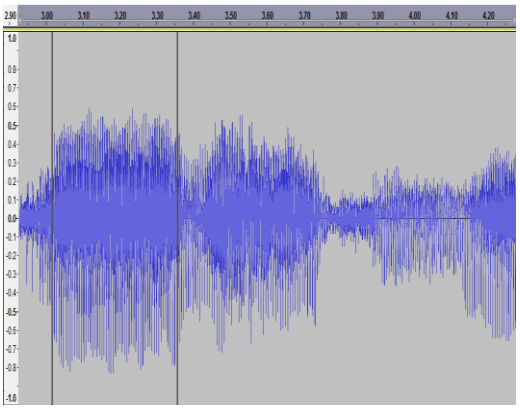

الشكل (03): ياسين (02)- **"بآياتنا"**

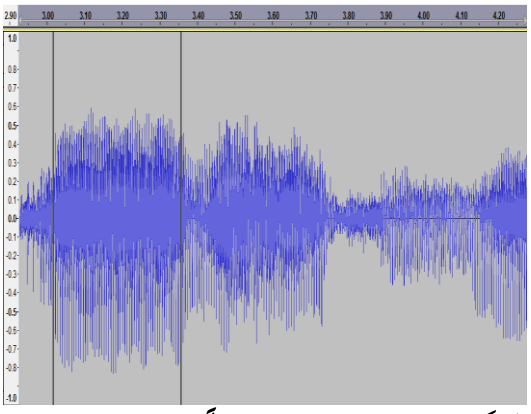

الشكل (06): منير (05)-**"لَانَ"**

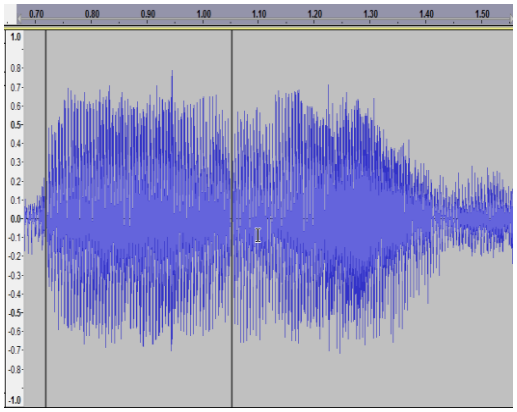

الشكل (04): عبد المؤمن (03) **"بآياتنا"**

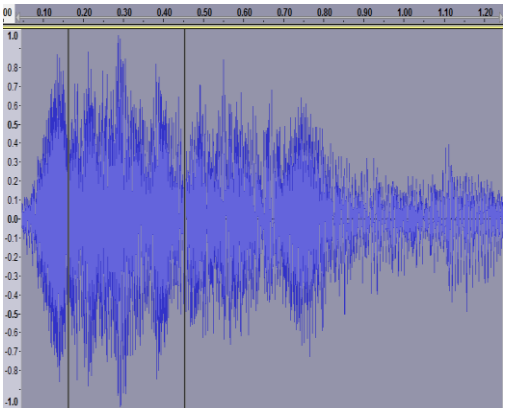

الشكل (07): منصور (06)- **"وءامنهم"**

مد البدل عند القراء الستة على شكل الموجة

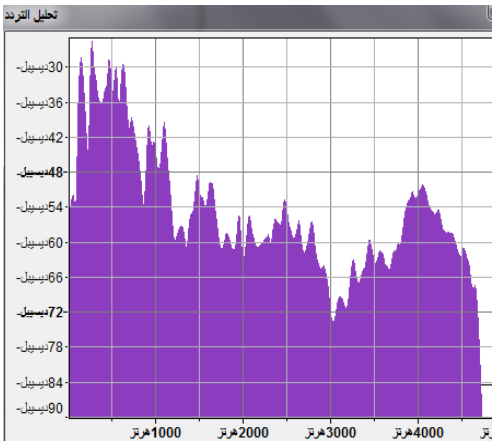

الشكل (08): العفاسي (01) – **" آيَاتُ"**

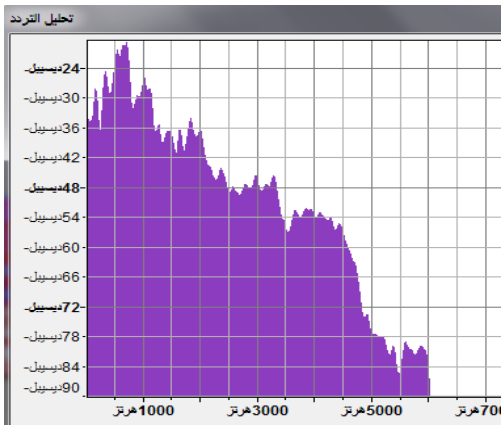

الشكل (11): المعصراوي (04) – **" آيَاتُ"**

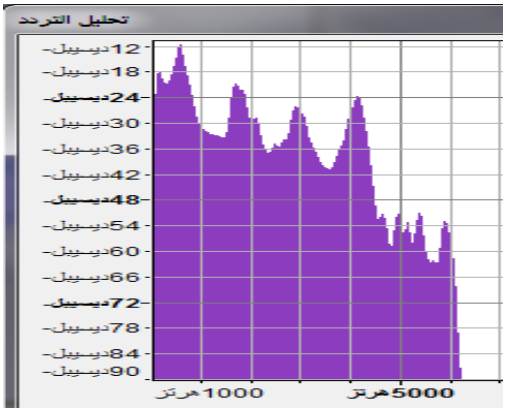

الشكل (09): ياسين (02)- **"بآياتنا"**

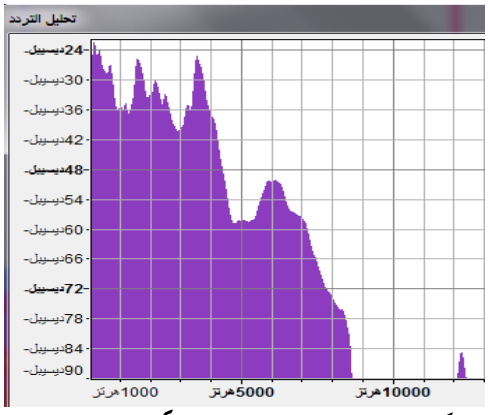

الشكل (12): منير (05)-**"لَا نَ"**

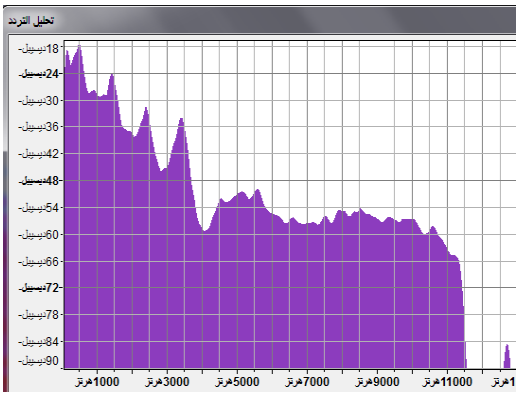

الشكل (10): عبد المؤمن (03) **"بآياتنا"**

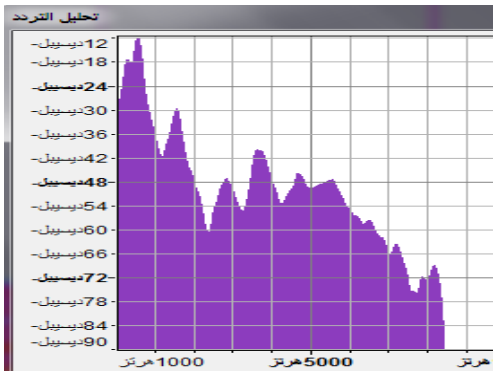

الشكل (13): منصور (06)- **"وءامنهم"**

تحليل تردد مد البدل عند القراء الستة

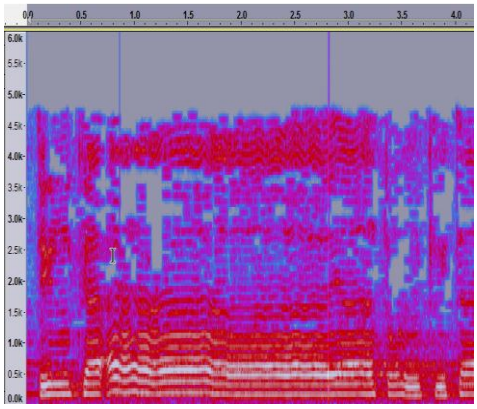

الشكل (14): العفاسي (01) – **"آيَاتُ"**

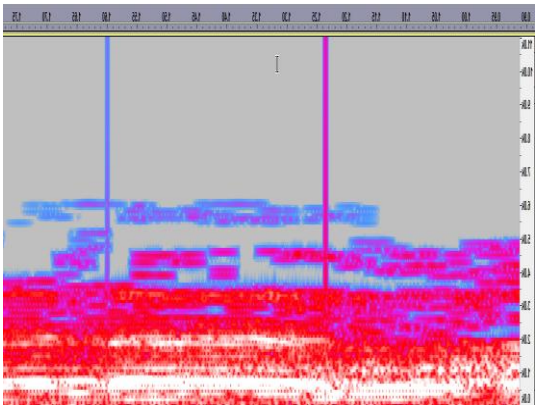

الشكل (17): المعصراوي (04) – **" آيَاتُ"**

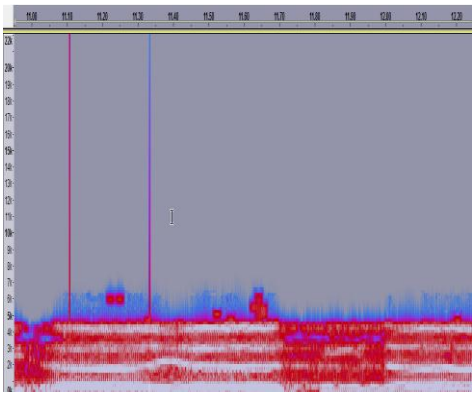

الشكل (15): ياسين (02)- **"بآياتنا"**

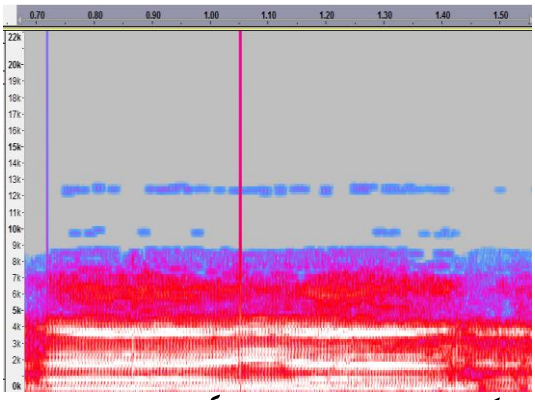

الشكل (18): منير (05)-**"لَانَ"**

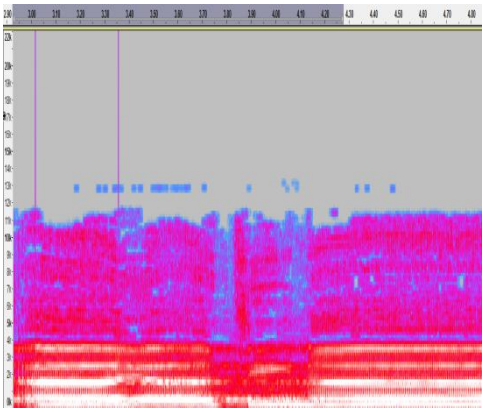

الشكل (16): عبد المؤمن(03)-**"بآياتنا"**

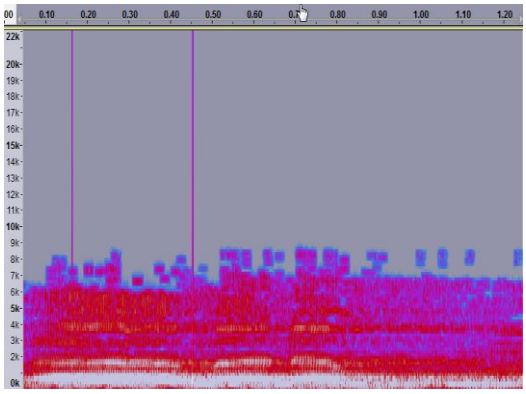

الشكل (19): منصور (06)- **"وءامنهم"**

مد البدل عند القراء الستة على شكل الطيف

2 - مناقشة نتائج تحليل المدّ المتصل:

إذا قرأنا **عموديّا** نتائج عينات البحث المرفقة - التي قامت عليها هذه الدراسة – تزامنا مع ملاحظة أشكال الموجة عند كل قراء البحث في باب البدل؛ فإنه يتضح لنا ما يلي:

- بناء على المد المرجعي ومقدار المد بالحركات(القراءة بالإشباع)،والاشتراك بين القراء (03)و(04)و(06) في متوسط المد المرجعي فإنه يُفترَض أن يكون متوسط المد المتصل عند القراء: يساوي: 0.964 ثا، بينما وجد الباحث أن متوسط المد الفعلي عندهم قد بلغ: 2.02ثا. وهذا يعني ضعف المفترض تقريبا.

- ويُفترَض أن يكون متوسط المد المتصل عند القراء: (02)(05) - مُشترِكَيْنِ كسابقيهم في متوسط المد المرجعي - مقدرا بـ: 1.482 ثا (قراءةً بالإشباع)، بينما وجد الباحث أن متوسط المد الفعلي قد بلغ: 1.980 ثا. أي بفارق معتبر قدره: 0.498 ثا.

- ويُفترَض أن يكون المد المتصل عند القارئ (01) – منفردا بنفسه في المد المرجعي- بقيمة: 2.172 ثا (قراءة بالإشباع)، بينما وجد الباحث أن المد الفعلي عنده قد بلغ: 2.890ثا. أي بفارق معتبر قدره: 0.718- ثا.أي بقدر مد مرجعي زائد تقريبا. انظر الجدول (44).

أمّا إذا حَوّلنا اتجاه الدراسة وقرأنا نتائج عينات البحث **قراءة أفقيّة**؛ فإننا نلاحظ - إضافةً إلى الملاحظات المشترَكَة السابقة - ما يلي:

- نجد أن الفارق الزمني بين الفعلي والمفترض قد بلغ عند القارئ (01): 0.718 ثا، وعند القارئ (02): 1.190 ثا، وعند القارئ (03): 1.961ثا،وعند القارئ (04): 1.043ثا، وعند القارئ (05):0.194-ثا، وعند القارئ (06): 0.164ثا. وهذا يعكس درجة إتقان قراء العينات للمتصل.وعليه فإن هناك تجاوزا وإخفاقا عند القراء، نرتبها تصاعديا كما يلي: القارئ (06)، يليه القارئ (05)، ثم القارئ (01)، فالقارئ (04)، بعده القارئ (02)، وأخيرا القارئ (03).كما أنه يمكننا القولُ بأن هناك تجاوزا وإخفاقا عند القراء؛ أما التجاوز: فعند القارئ (01) و (02) و(03) و(04) و(06)،وأما الإخفاق: فعند القارئ (05).

- أنَّ المتوسط الزمني لمدة النطق بالمتصل في قراءة عينات البحث متقارب بين القراء:(01)، و(02)، و(03). ويبلغ: 2.810ثا. والظاهر أن ذلك راجع إلى تغير صيغة الأداء عندهم لتُقارب بينهم في النتائج.

- كما أن المتوسط الزمني لمدة النطق بالمتصل في قراءة عينات البحث متدانٍ نسبيا بين القراء: (05)، و(06). ويبلغ: 1.23 ثا. وهذا راجع إلى صيغة الأداء طبعا.

– في حين نجد القارئ (04) خرج عن مشاركة المجموعة؛ لتغيُّرٍ في وتيرة التلاوة عنده. انظر الجدول (44)، الشكل (20-25).

ونلاحظ من خلال التدقيق في تحليل التردد ما يلي:

- أن مستوى شدة الصوت لدى القارئ (01) لم يتجاوز:22.27-(Hz)، ولم ينزل عن:147.23-(Hz)، في حين أنّ القارئ (02) لم يتجاوز: 8.59-(Hz)، ولم ينزل عن: 136.95-(Hz)، أما القارئ (03) فلم يتجاوز: 12.01-(Hz)، ولم ينزل عن:134.71-(Hz). والقارئ (04) لم يتجاوز: 13.49-(Hz)، ولم ينزل عن: 131.54-(Hz)، والقارئ (05) لم يتجاوز: 12.85-(Hz)، ولم ينزل عن: 139.75- (Hz)، وأيضا القارئ (06) لم يتجاوز مستوى التردد عنده: 16.13-(Hz) ولم ينزل عن: 145.13- (Hz).وعليه؛ فإن مستوى الشدة عند القراء الستة كان مقبولا، ولم يتعد إلى مرحلة الضجيج (↑0+)، كما أنه يدلّل لما وصلنا إليه من ملاحظة تَغيُّر صيغة الأداء. انظر الجدول (44)، الشكل (26-31).

- كما نلاحظ أيضا من خلال منحنيات تحليل التردد: أن مستوى تردد الصوت عند القراء الأربعة (02) و(03) و (04) و(06) لم يتجاوز 21963.86(Hz)، ولم ينزل عن 86.13(Hz)، أما عند القارئ (01)؛ فقد بلغ أقصاه 5976.56(Hz)، وأدناه 23.43 (Hz)، كما بلغ أقصاه عند القارئ (05): 10981.93 (Hz) وأدناه 43.06 (Hz). يعني: أن مستوى التردد عند القراء الأربعة أزيد من ثلاثة أضعافِ مستواهُ عند القارئ (01)، وضعفا القارئ (05). وذلك راجع إلى طبيعة صوت كل قارئ. انظر الجدول (44)، الشكل (26-31).

- واتضح لنا بعد التدقيق في الجدول (44) أن: متوسط الدور لدى قراء العينات محصور بين: 20.4 - (د/ثا) و8.7- (د/ثا)؛ ونمثل له رياضيا بالعبارة التالية: **20.4 - (د/ثا) ≤ متوسط الدور ≤ 8.7- (د/ثا)**

- كما اتضح لنا بعد الإمعان في صور التمثيل الطيفي - المرفق بعض نماذجها بهذا البحث - الشيءُ الزائدُ على أصل الصوامت ويمثل بدقة صفة المد، والذي تمدد أكثر منه في البدل لتغاير الكم الزمني بين النوعين. انظرالشكل(32-37).

جدول (43) : المقارنة التطبيقية للمدّ المتّصل

التغيرات / القراء		النتائج المستفادة من شكل الموجة					النتائج المستفادة من شكل الطيف + تحليل التردد				
		مقدار المد (حركة)	زمن المد المرجعي (ثا)	زمن المد المفترض (ثا)	زمن المد الفعلي (ثا)	الفارق بين الفعلي و المفترض	معدّل الدور (د/ ثا)	أعلى تردّد (هرتز)	أدنى تردد (هرتز)	أعلى مستوى (ديسيبل)	أدنى مستوى (ديسيبل)
قرّاء الأزرق	العفاسي	06	0.724	2.172	2.89	0.718	-20.4	5976.56	23.43	-22.27	-147.23
	ياسين	06	0.480	1.440	2.63	1.190	-8.9	21963.86	86.13	-8.59	-136.95
	عبد المؤمن	06	0.323	0.969	2.93	1.961	-11.7	21963.86	86.13	-12.01	-134.71
قرّاء الأصبهاني	المعصراوي	06	0.319	0.957	2.00	1.043	-8.7	21963.86	86.13	-13.49	-131.54
	أبو المظفر	06	0.508	1.524	1.33	-0.194	-14.5	10981.93	43.06	-12.85	-139.75
	منصور	06	0.322	0.966	1.13	0.164	-19.0	21963.86	86.13	-16.13	-145.13

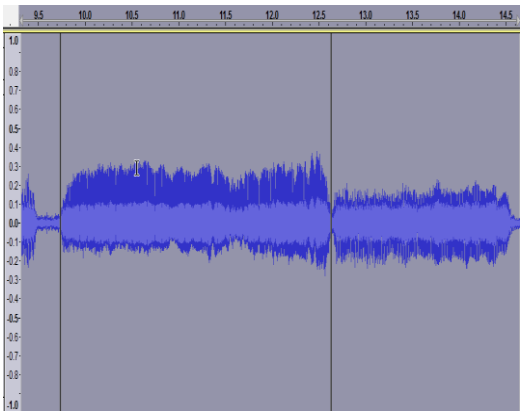

الشكل (20):العفاسي (01) – "لِلسَّائِلِينَ"

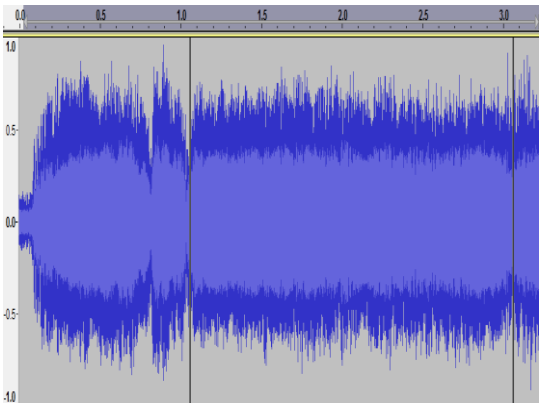

الشكل (23):المعصراوي(04) – " إلا ابْتِغَاءَ"

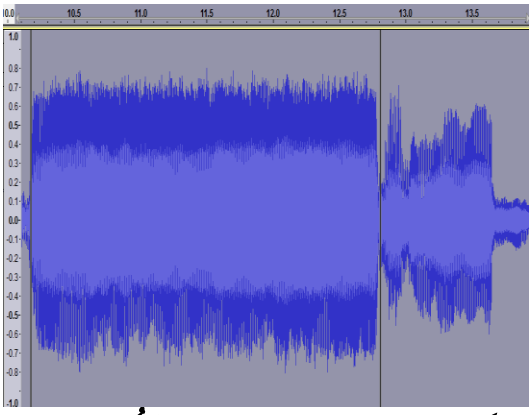

الشكل (21): ياسين (02)- " قَائِلُونَ "

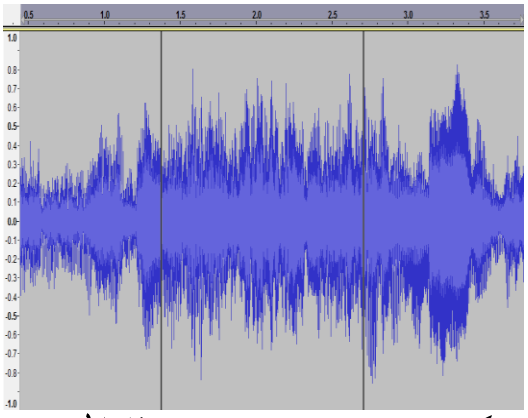

الشكل (24): منير (05)-" إن شَآءَ اللهُ "

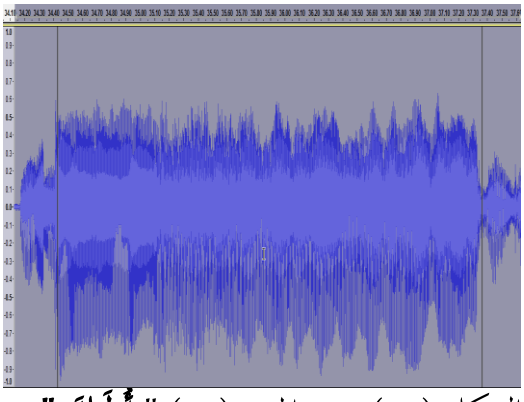

الشكل (22): عبد المؤمن(03)-" أُولَئِكَ "

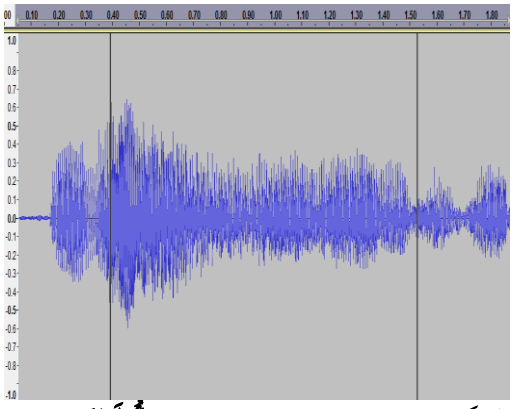

الشكل (25): منصور (06)- " أُولَئِكَ "

المد المتصل عند القراء الستة على شكل الموجة

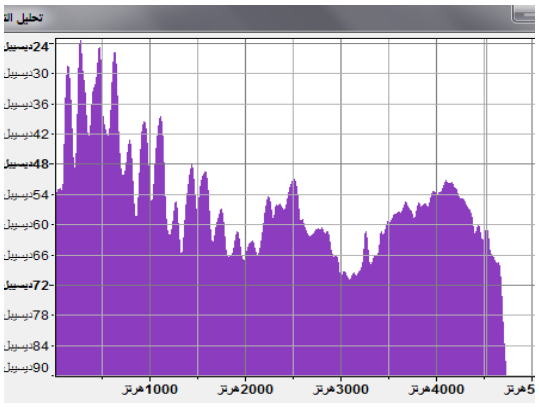

الشكل (26):العفاسي(01) – **"لِلسَّائِلِينَ"**

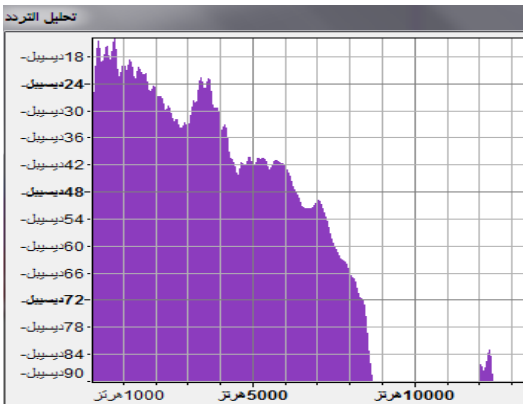

االشكل (29):المعصراوي(04) – **" إلا ابْتِغَاءَ"**

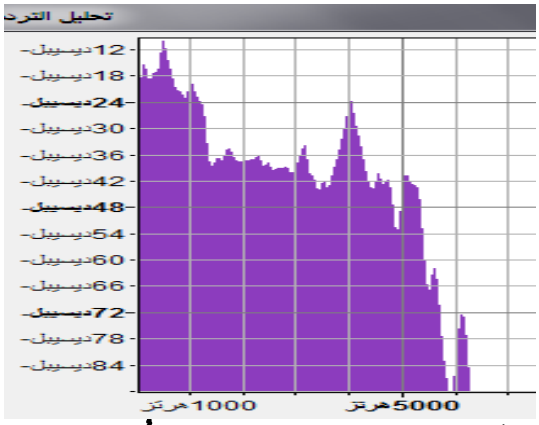

الشكل (27): ياسين (02)- **" قَائِلُونَ "**

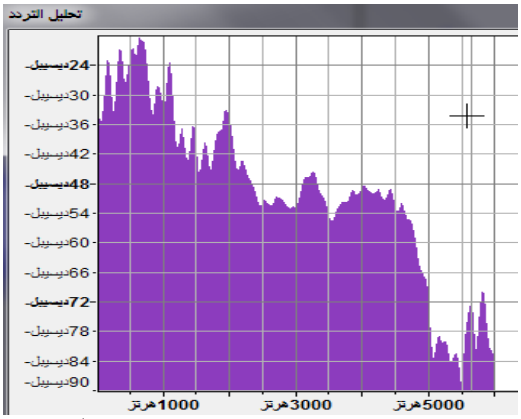

الشكل (30): منير (05)-**" إِن شَآءَ اللهُ "**

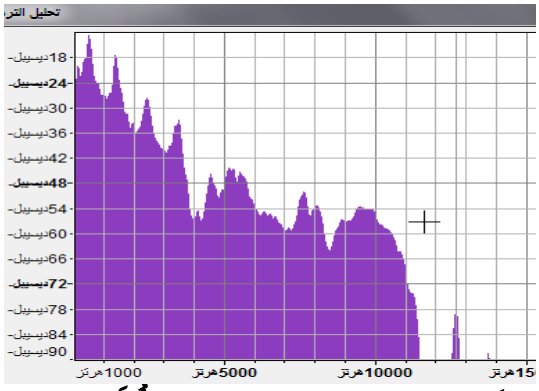

الشكل (28): عبد المؤمن(03)-**" أُولَئِكَ "**

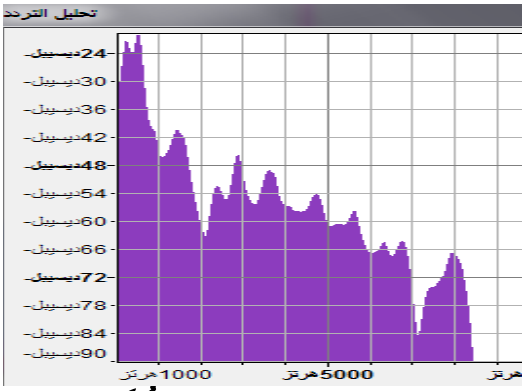

الشكل (31): منصور (06)- **" أُولَئِكَ "**

تحليل تردد المد المتصل عند القراء الستة

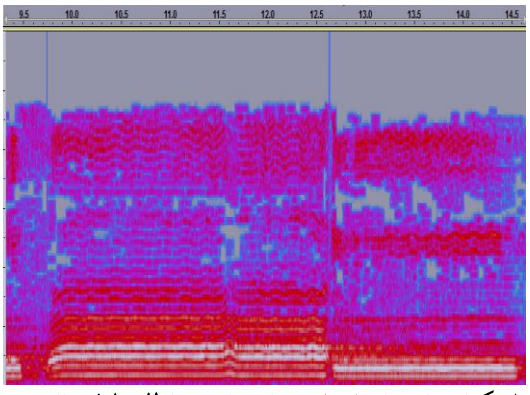

الشكل (32):العفاسي(01) – **"لِلسَّائِلِينَ"**

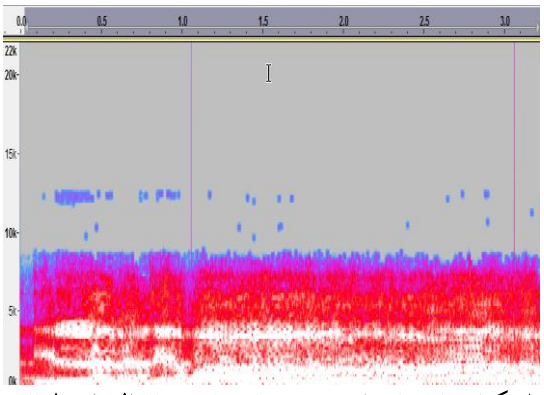

الشكل (35):المعصراوي(04) – **" إلا ابْتِغَاءَ"**

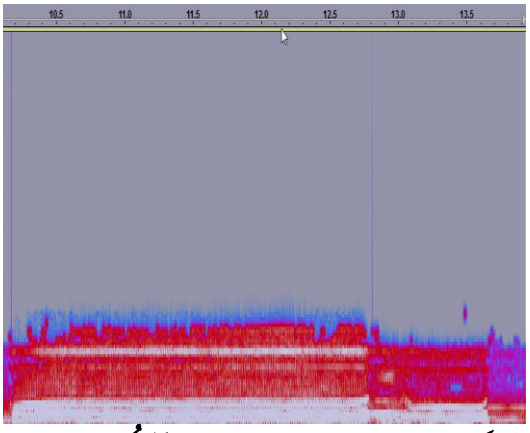

الشكل (33): ياسين (02)- **" قَائِلُونَ "**

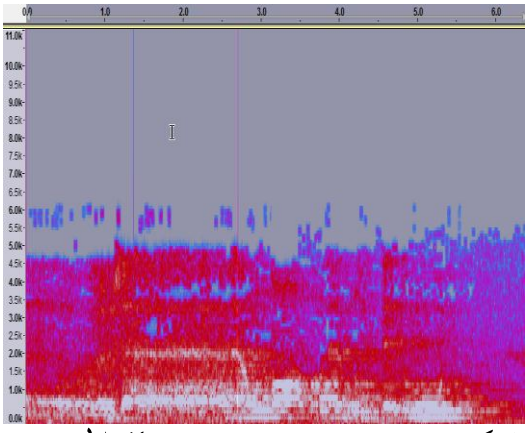

الشكل (36): منير (05)-" **إن شَآءَ اللهُ "**

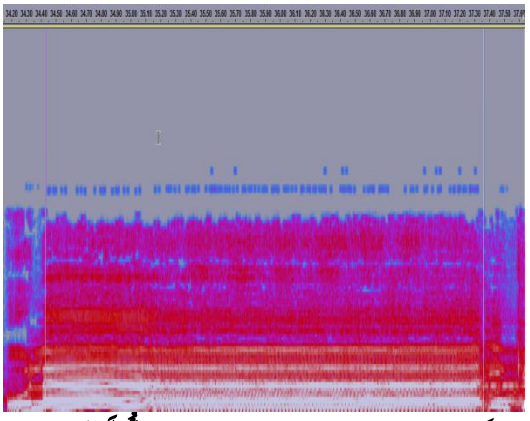

الشكل (34): عبد المؤمن(03)-" **أُولَئِكَ "**

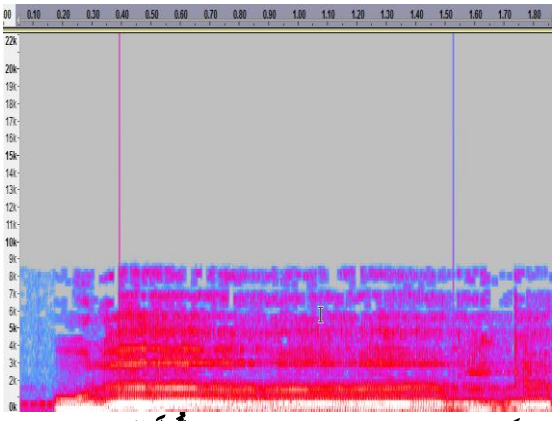

الشكل (37): منصور (06)- **" أُولَئِكَ "**

المد المتصل عند القراء الستة على شكل الطيف

3 - مناقشة نتائج تحليل المد المنفصل:

رأيت أن أتفادى في هذا المبحث القراءة **العموديّة** لنتائج عينات البحث لأن الموازين مختلفة عما سبق. ذلك أن القارئ (02) من قراء الأزرق لا يتفق مع القارئَينِ (04) و(06) في مقدار المد فالأوّل بالإشباع والآخَران بالقصر، ولذلك فإني سأقتصر على **القراءة الأفقية**، لأوضِّحَ بملاحظة أشكال الموجة (38-43)عند كل قراء البحث في باب المنفصل مع الجدول (45) ما يلي:

- نجد أن الفارق الزمني بين الفعلي والمفترض قد بلغ عند القارئ (01): 0.448ثا، وعندالقارئ(02): 1.12ثا، وعند القارئ (03): 2.741ثا،وعند القارئ (04): 0.587-ثا، وعند القارئ (05):1.094-ثا، وعند القارئ (06): 0.776-ثا. وهذا يعكس درجة إتقان قراء العينات للمنفصل.وعليه فإن هناك تجاوزا وإخفاقا عند القراء، نرتبها تصاعديا كما يلي: القارئ (01)، يليه القارئ (04)، ثم القارئ (06)، فالقارئ (05)، بعده القارئ (02)، وأخيرا القارئ (03).أو أنه يمكننا القولُ بأن هناك تجاوزا وإخفاقا عند القراء؛ أما التجاوز: فعند القارئ (01) و (02) و(03) -قراء الأزرق-، وأما الإخفاق: فعند القارئ(04)و(05)(06) – قراء الأصبهاني-، ولعل تجاوز الأوائل راجع إلى مايميز طريق الأزرق من طول في المدود بخلاف طريق الأصبهاني.

- أنَّ المتوسط الزمني لزمن النطق بالمنفصل في قراءة عينات البحث متقارب بين القراء:(01)، و(02)، ويبلغ: 2.590ثا. والظاهر أن ذلك راجع إلى تغير صيغة الأداء عندهم لتُقارب بينهم في النتائج، في حين نجد القارئ (03) خرج عن مشاركة المجموعة؛ لتغيُّرٍ في وتيرة التلاوة عنده.

- كما أن المتوسط الزمني لمدة النطق بالمنفصل متدانٍ نسبيا بين القراء: (04) و(05) و (06). ويبلغ: 0.330 ثا. وهذا راجع إلى صيغة الأداء طبعا.انظر الجدول (45)، الشكل (38-43).

ونلاحظ من خلال التدقيق في تحليل التردد ما يلي:

- أن مستوى شدة الصوت لدى القارئ (01) لم يتجاوز: **53.32-** (Hz)، ولم ينزل عن: 138.47- (Hz)، في حين أنّ القارئ (02) لم يتجاوز **12.07-** (Hz)، ولم ينزل عن: **135.43-** (Hz)، أما القارئ (03) فلم يتجاوز: **17.29-** (Hz)، ولم ينزل عن: **136.44-** (Hz). والقارئ (04) لم يتجاوز: **12.43-** (Hz)، ولم ينزل عن: **133.68-** (Hz)، والقارئ (05) لم يتجاوز: **10.22-** (Hz)، ولم ينزل عن: **142.85-** (Hz)، وأيضا القارئ (06) لم يتجاوز مستوى التردد عنده: **11.01-**(Hz)، ولم ينزل عن:**142.37-** (Hz).وعليه؛ فإن مستوى الشدة عند القراء الستة كان مقبولا، ولم يتعد إلى مرحلة الضجيج (↑0+)، كما أنه يدلّل لما وصلت إليه من ملاحظة تَغيُّر صيغة الأداء. انظر الجدول (45)، الشكل (44-49).

- كما نلاحظ أيضا من خلال قراءة الجدول ومنحنيات تحليل التردد: أن مستوى تردد الصوت عند القراء الأربعة (02) و(03) و (04) و(06) لم يتجاوز 21963.86(Hz)، ولم ينزل عن 86.13(Hz)، أما عند القارئ (01)؛ فقد بلغ أقصاه 5976.56(Hz)، وأدناه 23.43 (Hz)، كما بلغ أقصاه عند القارئ (05): 10981.93 (Hz) وأدناه 43.06 (Hz). يعني: أن مستوى التردد عند القراء الأربعة أزيد من ثلاثة أضعافِ مستواهُ عند القارئ (01)، وضعفا القارئ (05). وذلك راجع إلى طبيعة صوت كل قارئ. انظر الجدول (45)، الشكل (44-49).

- واتضح لي بعد التدقيق في الجدول (45) أن: متوسط الدور لدى قراء العينات محصور بين: 19.3- (د/ثا) و9.1- (د/ثا)؛ ونمثل له رياضيا بالعبارة التالية: **19.3 - (د/ثا) ≤ متوسط الدور ≤ 9.1- (د/ثا)**

- كما اتضح لي بعد الإمعان في صور التمثيل الطيفي - المرفق بعض نماذجها بهذا البحث - الشيءُ الزائدُ على أصل الصوامت ويمثل بدقة صفة المد، والذي تمدَّد أكثر بحكم طول زمن القراءة عند قراء الأزرق (الإشباع)بخلاف ما هو عليه عند قراء الأصبهاني (القصر). انظر الشكل (50-55).

جدول (44) : المقارنة التطبيقية للمدّ المنفصل

القراء	التغيرات	النتائج المستفادة من شكل الموجة					النتائج المستفادة من شكل الطيف + تحليل التردد				
		مقدار المد (حركة)	زمن المد المرجعي (ثا)	زمن المد المفترض (ثا)	زمن المد الفعلي (ثا)	الفارق بين الفعلي و المفترض	معدّل الدور (د/ ثا)	أعلى تردّد (هرتز)	أدنى تردد (هرتز)	أعلى مستوى (ديسيبل)	أدنى مستوى (ديسيبل)
قرّاء الأزرق	العفاسي	06	0.724	2.172	2.62	0.448	-19.3	5976.56	23.43	-53.32	-138.47
	ياسين	06	0.480	1.440	2.56	1.120	-11.7	21963.86	86.13	-12.07	-135.43
	عبد المؤمن	06	0.323	0.969	3.71	2.741	-14.4	21963.86	86.13	-17.29	-136.44
قرّاء الأصبهاني	المعصراوي	06	0.319	0.957	0.37	-0.587	-9.1	21963.86	86.13	-12.43	-133.68
	أبو المظفر	06	0.508	1.524	0.43	-1.094	-12.1	10981.93	43.06	-10.22	-142.85
	منصور	06	0.322	0.966	0.19	-0.776	-18.3	21963.86	86.13	-11.01	-142.37

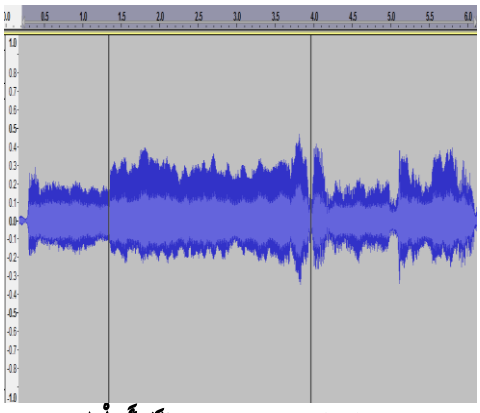

الشكل: (38)-العفاسي(01) –"إِنَّا أَنزَلْنَاهُ "

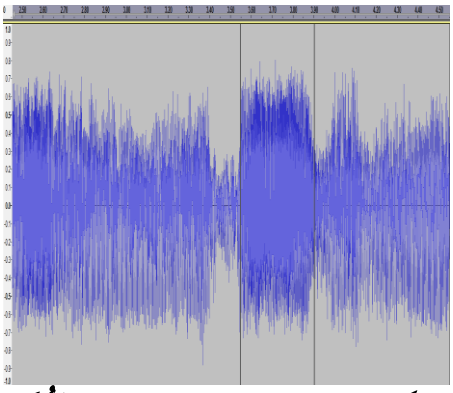

الشكل(41):المعصراوي(04)–"وَالأُنثَى إِنَّ"

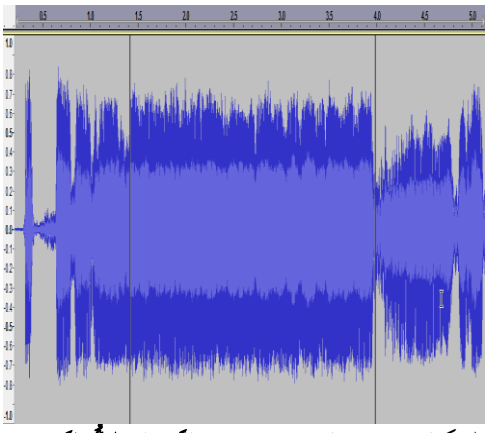

الشكل(39): ياسين(02)-" اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ"

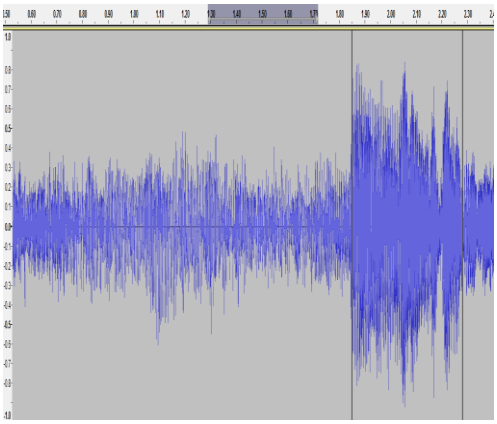

الشكل (42): منير (05)-" وَإِنَّا إِن "

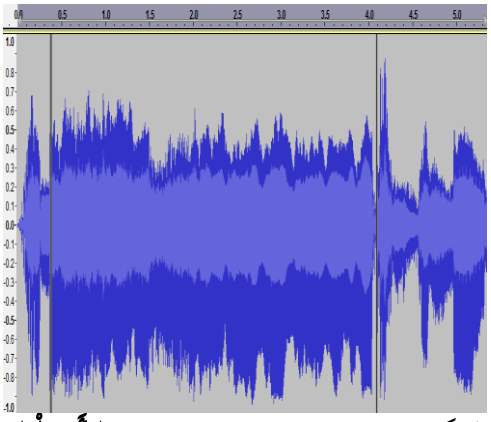

الشكل(40):عبد المؤمن(03)-"وَمَا أَرْسَلْنَا"

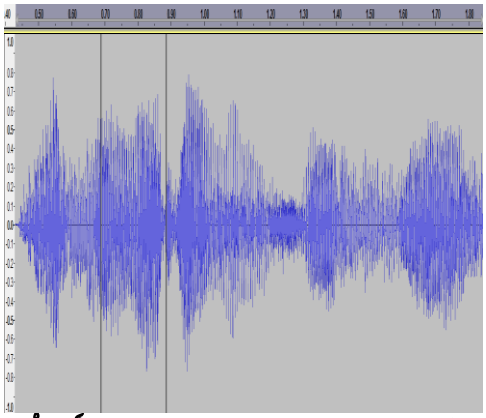

الشكل (43): منصور (06)-" وَمَا أَرْسَلْنَا "

المد المنفصل عند القراء الستة على شكل الموجة

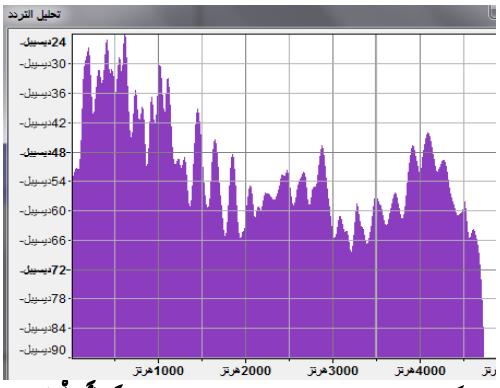

الشكل: (44)-العفاسي(01) –"**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ** "

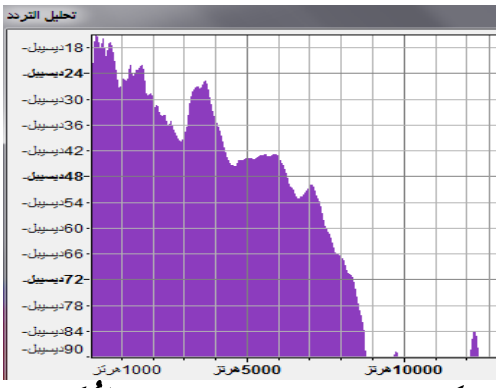

الشكل(47):المعصراوي(04)–"**وَالأُنثَى إِنَّ**"

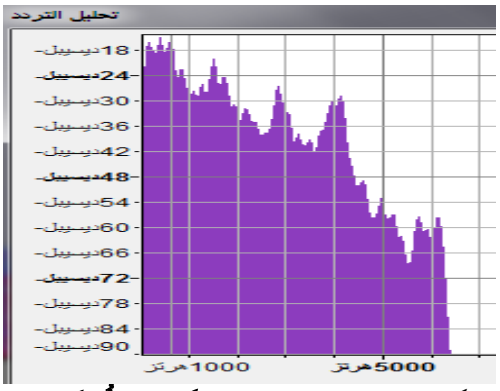

الشكل(45): ياسين(02)-" **اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ** "

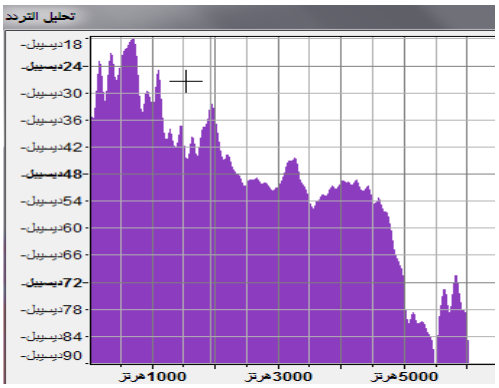

الشكل (48): منير (05)-" **وَإِنَّا إِن** "

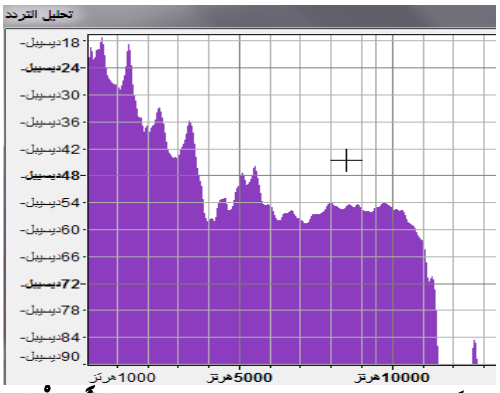

الشكل(46):عبد المؤمن(03)-"**وَمَا أَرْسَلْنَا**"

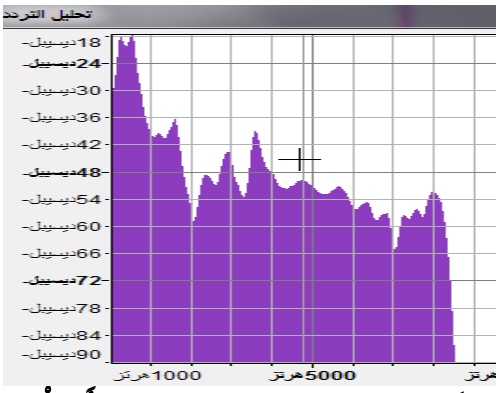

الشكل (49): منصور (06)-" **وَمَا أَرْسَلْنَا** "

تحليل تردد المد المنفصل عند القراء الستة

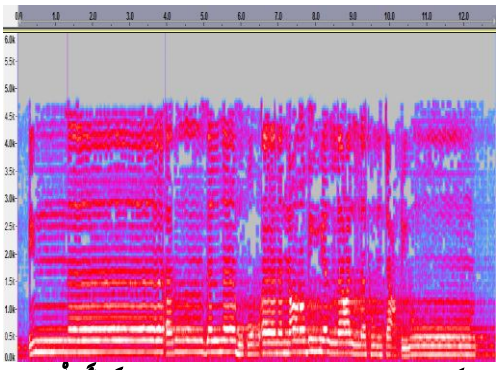

الشكل: (50)-العفاسي(01) –"إِنَّا أَنزَلْنَاهُ "

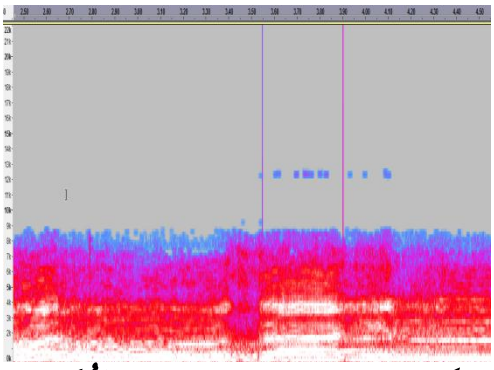

الشكل(53):المعصراوي(04)–"وَالأُنثَى إِنَّ"

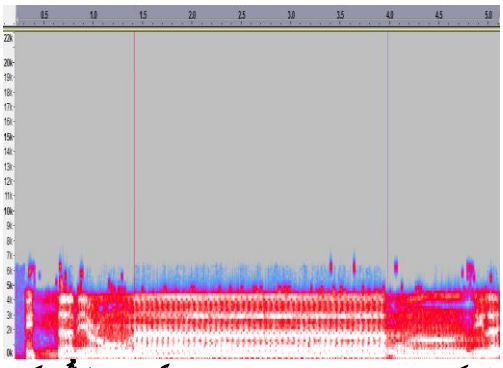

الشكل(51): ياسين(02)-" اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ "

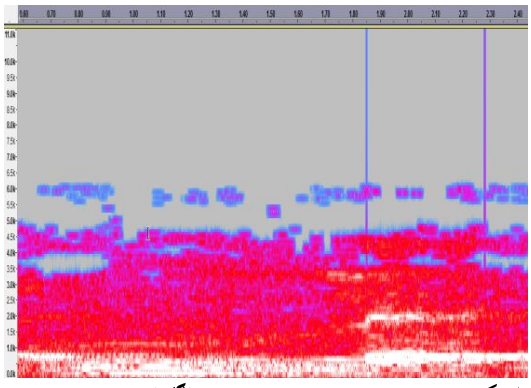

الشكل (54): منير (05)-" وَإِنَّا إِن "

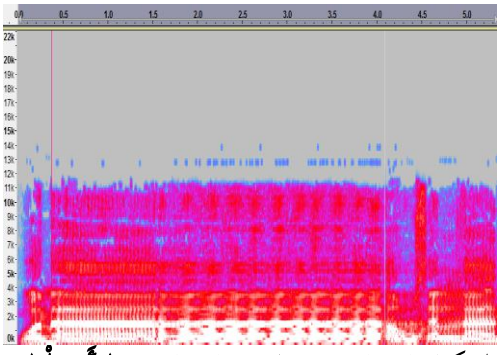

الشكل(52):عبد المؤمن(03)-"وَمَا أَرْسَلْنَا"

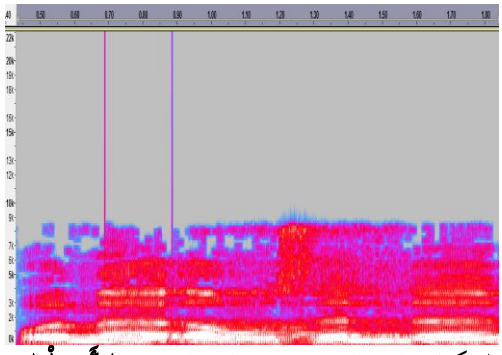

الشكل (55): منصور (06)-" وَمَا أَرْسَلْنَا "

المد المنفصل عند القراء الستة على شكل الطيف

4 - مناقشة نتائج تحليل مد اللين المهموز:

نظر الباحث **عموديّا** في نتائج عينات البحث المرفقة تزامنا مع ملاحظة أشكال الموجة عند كل قراء البحث في باب اللين المهموز؛ فاتضح ما يلي:

- بناء على المد المرجعي ومقدار المد بالحركات (القراءة بالتوسط عند الكل)، ظهر لي الاشتراك بين القراء (03)و(04)و(06) في متوسط المد المرجعي الذي بلغ: 0.321 ثا، وعليه فإنه يُفتَرَض أن يكون متوسط مد اللين المهموز عندهم يساوي: 0.642 ثا، بينما وجد الباحث أن متوسط المد الفعلي عندهم قد بلغ: 0.983ثا. أي أن زيادة الفعلي على المفترض تقارب ثلث (3/1) قيمة المفترض.

- ويُفتَرَض أن يكون متوسط مد اللين المهموز عند القراء: (02)و(05) بحكم اشتراكهما – كسابقيهما - في متوسط المد المرجعي مقدرا بـ:0.988 ثا (قراءةً بالتوسط)، بينما وجد الباحث أن متوسط المد الفعلي قد بلغ: 0.860 ثا. أي بفارق معتبر قدره: 0.128 ثا.

- ويُفتَرَض أن يكون مد اللين المهموز عند القارئ (01) – منفردا بنفسه في المد المرجعي- بقيمة: 1.448 ثا (قراءة بالتوسط)، بينما وجد الباحث أن المد الفعلي عنده قد بلغ: 2.280 ثا. أي بفارق معتبر قدره: 0.632 ثا. انظر الجدول (46)، الشكل (56-61).

أما إذا نظرنا في نتائج عينات البحث **نظرة أفقيّة**؛ فإننا نلاحظ- إضافة للملاحظات المشتركة السابقة - ما يلي:

- نجد أن الفارق الزمني بين الفعلي والمفترض قد بلغ عند القارئ (01): 0.632ثا، وعند القارئ (02): 0.580 ثا، وعند القارئ (03): 1.214 ثا،وعند القارئ (04): 0.378-ثا، وعند القارئ (05):0.836- ثا، وعند القارئ (06): 0.186ثا. وهذا يعكس درجة إتقان قراء العينات لمد اللين المهموز. وعليه فإن هناك تجاوزا وإخفاقا عند القراء، نرتبها تصاعديا كما يلي: القارئ (06)، يليه القارئ (04)، ثم القارئ (02)، فالقارئ (01)، بعده القارئ (05)، وأخيرا القارئ (03).كما أنه يمكننا القولُ بأن هناك تجاوزا وإخفاقا عند القراء؛ أما التجاوز:فعند القارئ(01)و(02)و(03) و(06)،وأما الإخفاق: فعند القارئ و (04) و (05).

- أنَّ المتوسط الزمني لمدة المد الفعلي في قراءة عينات البحث متقارب بين القراء:(02)، و(03)، ويبلغ: 1.170 ثا. والظاهر أن ذلك راجع إلى تغيُّرصيغة الأداءعندهما.

- كما أن المتوسط الزمني لأمَدِ المد الفعلي متباعد نسبيا بين القراء: (04)، و(05)و(06). ويبلغ: 0.420 ثا. وهذا راجع إلى تقارب صيغة الأداء لدى قراء الأصبهاني.

– في حين نجد القارئ (01) خرج عن مشاركة المجموعة؛ لما أسلفناه من تفرده في بطء وتيرة التلاوة عنده. انظر الجدول (46)، الشكل (59-61).

ونلاحظ من خلال التدقيق في تحليل التردد ما يلي:

- أن مستوى شدة الصوت لدى القارئ (01) لم يتجاوز: 27.05- (Hz)، ولم ينزل عن:158.24- (Hz)، في حين أنّ القارئ (02) لم يتجاوز: 16.72-(Hz)، ولم ينزل عن: 145.94-(Hz)، أما القارئ (03) فلم يتجاوز: 17.30-(Hz)، ولم ينزل عن:154.72-(Hz). والقارئ (04) لم يتجاوز: 13.71- (Hz)، ولم ينزل عن: 138.61-(Hz)، والقارئ (05) لم يتجاوز: 18.12-(Hz)، ولم ينزل عن: 138.07- (Hz)، وأيضا القارئ (06) لم يتجاوز مستوى التردد عنده: 14.53-(Hz)، ولم ينزل عن:152.47- (Hz).وعليه؛ فإن مستوى الشدة عند القراء الستة كان مقبولا، ولم يتعد إلى مرحلة الضجيج (↑0+). انظر الجدول (46)، الشكل (62-67).

- كما نلاحظ أيضا من خلال منحنيات تحليل التردد: أن مستوى تردد الصوت عند القراء الأربعة (02) و(03) و (04) و(06) لم يتجاوز 21963.86(Hz)، ولم ينزل عن 86.13(Hz)، أما عند القارئ (01)؛ فقد بلغ أقصاه 5976.56(Hz)، وأدناه 23.43 (Hz)، كما بلغ أقصاه عند القارئ (05): 10981.93 (Hz) وأدناه 43.06 (Hz). يعني: أن مستوى التردد عند القراء الأربعة أزيدُ من ثلاثة أضعافِ مستواهُ عند القارئ (01)، وضعفا القارئ (05). وذلك راجع إلى طبيعة صوت كل قارئ. انظر الجدول (46)، الشكل (62-67).

- واتضح لي بعد التدقيق في الجدول (46) أن: متوسط الدور لدى قراء العينات محصور بين: 19.4 - (د/ثا) و9.0- (د/ثا)؛ ونمثل له رياضيا بالعبارة التالية: **19.4 - (د/ثا) ≤ متوسط الدور ≤ 9.0- (د/ثا)**

- كما اتضح لنا بعد الإمعان في صور التمثيل الطيفي - المرفق بعض نماذجها بهذا البحث - الشيءُ الزائدُ على أصل الصوامت الذي يمثل بدقة صفة المد، والذي يزيد عن حجمه في البدل وينقص عنه في المتصل والمنفصل. انظر الشكل (68-73).

جدول(45) : المقارنة التطبيقية لمدّ اللّين المهموز

القراء	التغيرات	مقدار المد (حركة)	زمن المد المرجعي (ثا)	زمن المد المفترض (ثا)	زمن المد الفعلي (ثا)	الفارق بين الفعلي و المفترض	معدّل الدور (د/ ثا)	أعلى تردّد (هرتز)	أدنى تردد (هرتز)	أعلى مستوى (ديسيبل)	أدنى مستوى (ديسيبل)
		النتائج المستفادة من شكل الموجة					النتائج المستفادة من شكل الطيف + تحليل التردد				
قرّاء الأزرق	العفاسي	04	0.724	1.448	2.08	0.632	-19.4	5976.56	23.43	-27.05	-158.24
	ياسين	04	0.480	0.960	1.54	0.580	-16.6	21963.86	86.13	-16.72	-145.94
	عبد المؤمن	04	0.323	0.646	1.86	1.214	-17.8	21963.86	86.13	-17.30	-154.72
قرّاء الأصبهاني	المعصراوي	04	0.319	0.638	0.26	-0.378	-12.0	21963.86	86.13	-13.71	-138.61
	أبو المظفر	04	0.508	1.016	0.18	-0.836	-14.7	10981.93	43.06	-18.12	-138.07
	منصور	04	0.322	0.644	0.83	0.186	-16.4	21963.86	86.13	-14.53	-152.47

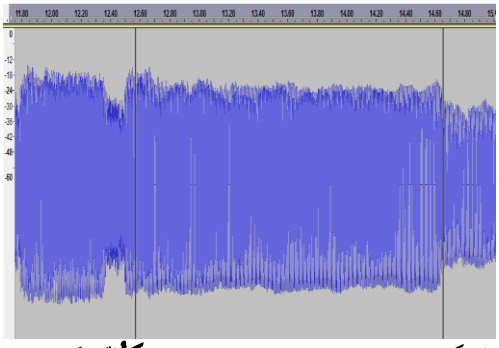

الشكل: (56)-العفاسي(01) -"كُلِّ شَيْءٍ "

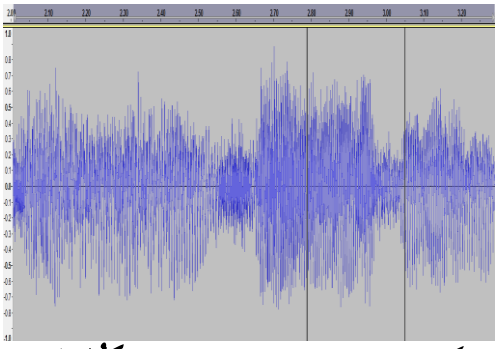

الشكل(59):المعصراوي(04)– "كُلِّ شَيْءٍ"

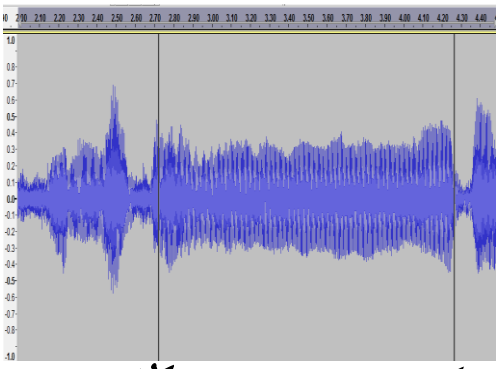

الشكل(57): ياسين(02– "كُلِّ شَيْءٍ "

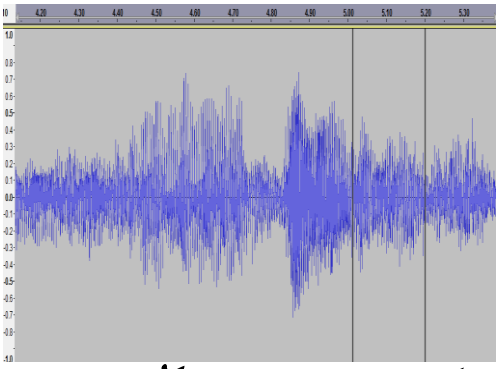

الشكل (60): منير (05)-"كُلِّ شَيْءٍ "

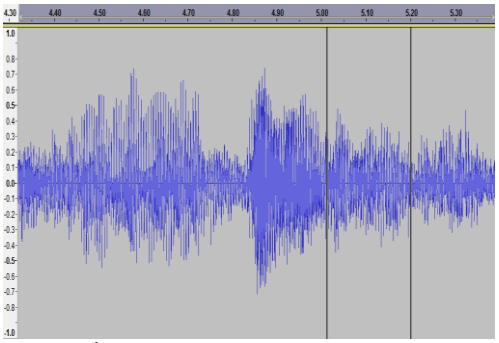

الشكل(58):عبد المؤمن(03)-" عَلَى شَيْءٍ

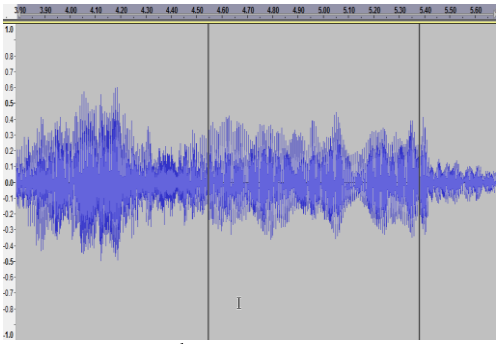

الشكل (61): منصور (06)-" عَلَى شَيْءٍ "

مد اللين المهموز عند القراء الستة على شكل الموجة

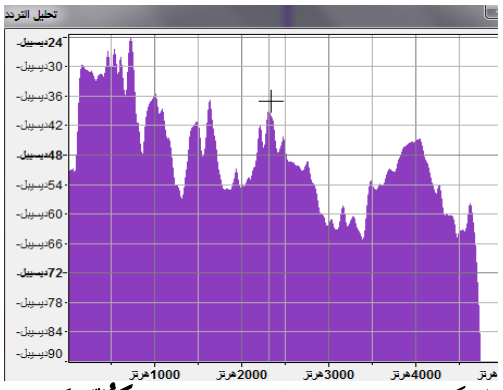

الشكل: (62)-العفاسي(01) –"**كُلِّ شَيْءٍ** "

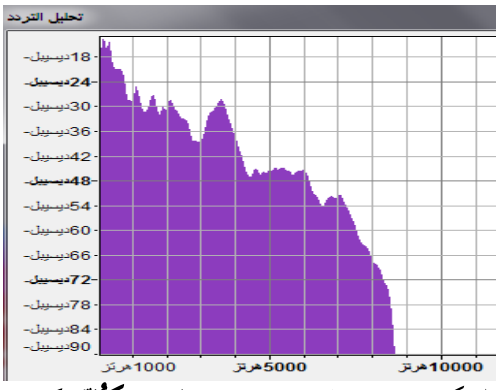

الشكل(65):المعصراوي(04)– "**كُلِّ شَيْءٍ**"

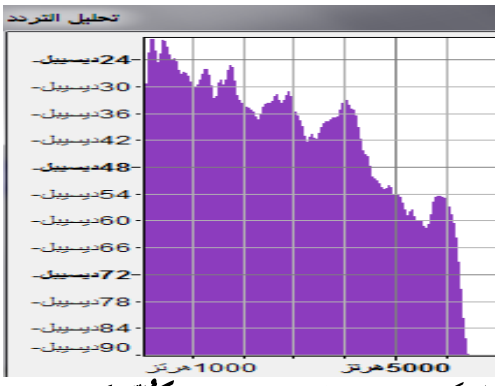

الشكل(63): ياسين(02– "**كُلِّ شَيْءٍ** "

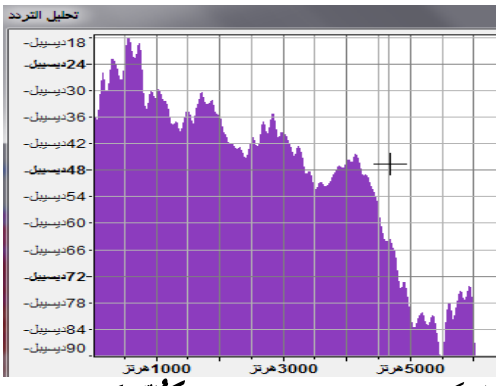

الشكل (66): منير (05)-"**كُلِّ شَيْءٍ** "

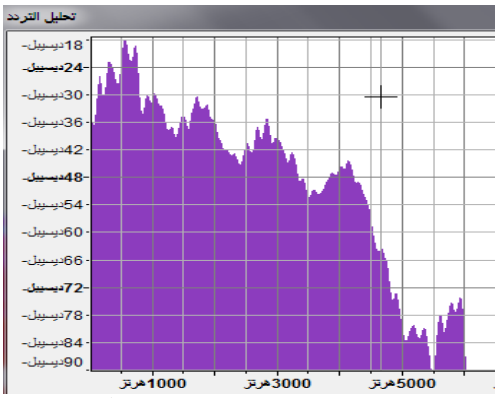

الشكل(64):عبد المؤمن(03)-" **عَلَى شَيْءٍ** "

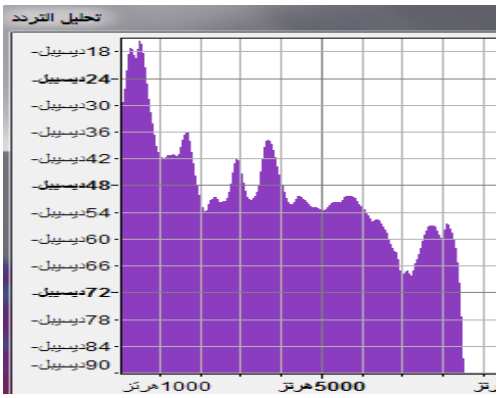

الشكل (67): منصور (06)-" **عَلَى شَيْءٍ** "

تحليل تردد مد اللين المهموز عند القراء الستة

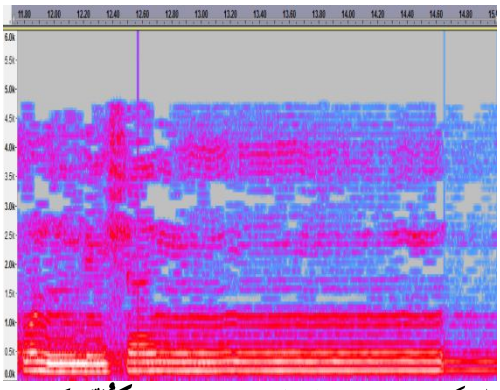

الشكل: (68)-العفاسي(01) –"كُلِّ شَيْءٍ "

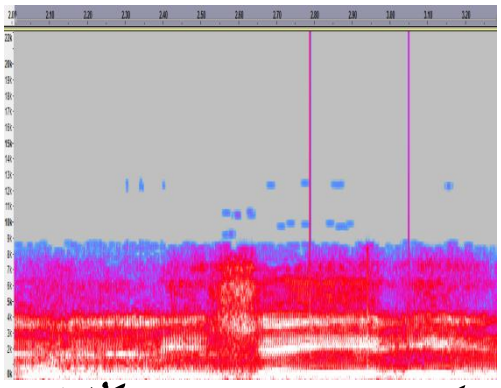

الشكل(71):المعصراوي(04)– "كُلِّ شَيْءٍ"

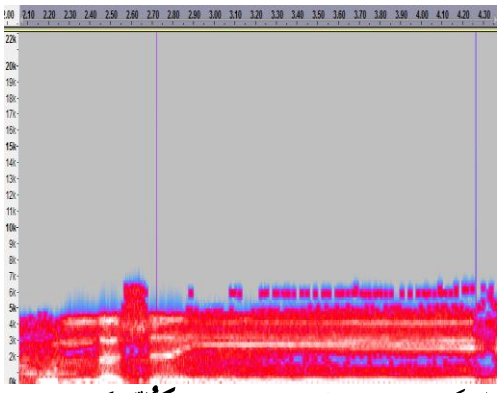

الشكل(69): ياسين(02– "كُلِّ شَيْءٍ "

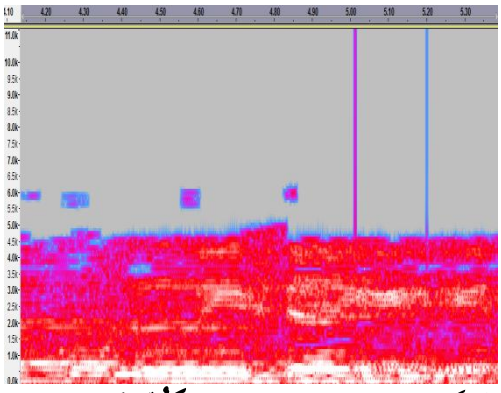

الشكل (72): منير (05)-"كُلِّ شَيْءٍ "

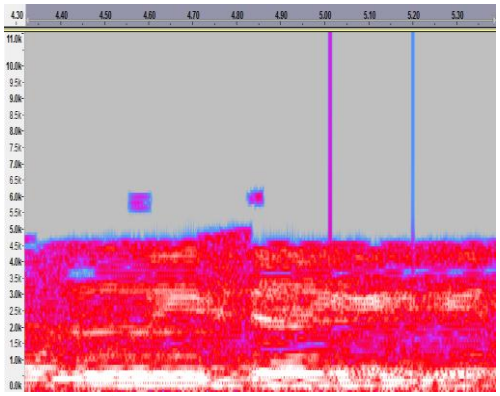

الشكل(70):عبد المؤمن(03)-" عَلَى شَيْءٍ "

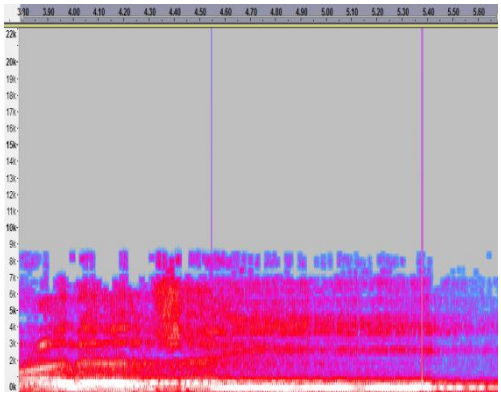

الشكل (73): منصور (06)-" عَلَى شَيْءٍ "

مد اللين المهموز عند القراء الستة على شكل الطيف

5 - مناقشة نتائج تحليل مدّ اللّين غير المهموز:

قرأت **قراءةً عموديّةً** في نتائج عينات البحث المرفقة تزامنا مع ملاحظة أشكال الموجة عند كل قراء البحث في باب اللين غير المهموز؛ فاتضح ما يلي:

- بناء على المد المرجعي ومقدار المد بالحركات [القراءة بالتوسط عند الكل عدا القارئ (05)]، ظهر لي الاشتراك بين القراء (03)و(04)و(06) في متوسط المد المرجعي الذي بلغ: 0.321 ثا، وعليه فإنه يُفترَض أن يكون متوسط مد اللين المهموز عندهم يساوي: 0.642 ثا، بينما وجد الباحث أن متوسط المد الفعلي عندهم قد بلغ: 1.253ثا. أي أن زيادة الفعلي على المفترض تقارب ضعف قيمة المفترض.

- ويُفترَض أن يكون متوسط مد اللين المهموز عند القراء: (02)(05) - مُشترِكَيْنِ كسابقيهم في متوسط المد المرجعي - مقدرا بـ:0.988 ثا (قراءةً بالتوسط)، بينما وجد الباحث أن متوسط المد الفعلي قد بلغ: 0.765 ثا. أي بفارق معتبر قدره: 0.223 ثا.

- ويُفترَض أن يكون المد المتصل عند القارئ (01) – منفردا بنفسه في المد المرجعي- بقيمة: 1.448 ثا (قراءة بالتوسط)، بينما وجد الباحث أن المد الفعلي عنده قد بلغ: 2.170 ثا. أي بفارق معتبر قدره: 0.722ثا. أي بمقدار مد مرجعي زائد (حركتان)،انظر الجدول (47)، الشكل (74-79).

أما إذا نظرنا في نتائج عينات البحث **نظرة أفقيّة**؛ فإننا نلاحظ- إضافة للملاحظات المشتركة السابقة - ما يلي:

- نجد أن الفارق الزمني بين الفعلي والمفترض قد بلغ عند القارئ (01): 0.722ثا، وعند القارئ (02): 0.250 ثا، وعند القارئ (03): 1.154ثا،وعند القارئ (04): 0.422ثا، وعند القارئ (05):0.188- ثا، وعند القارئ (06): 0.256ثا. وهذا يعكس درجة إتقان قراء العينات لمد اللين غير المهموز.وعليه فإن هناك تجاوزا وإخفاقا عند القراء، نرتبها تصاعديا كما يلي: القارئ (05)، يليه القارئ (02)، ثم القارئ (06)، فالقارئ (04)، بعده القارئ (01)، وأخيرا القارئ (03).كما أنه يمكننا القولُ بأن هناك تجاوزا وإخفاقا عند القراء؛ أما التجاوز: فعند القارئ (01) و(02) و(03) و (04) و(06)،وأما الإخفاق: فعند القارئ (05).

- أنَّ المتوسط الزمني لمدة المد الفعلي في قراءة عينات البحث متقارب بين القراء:(02)، و(03)،و(06). ويبلغ: 1.056 ثا. والظاهر أن ذلك راجع إلى تغير صيغة الأداء عندهما.

- كما أن المتوسط الزمني لأمَدِ المد الفعلي متباعد بين القراء: (01) و(03)و(05) كلٌّ لِحاله. انظر الجدول(47). الشكل (74-79).

ولاحظت من خلال التدقيق في تحليل التردد ما يلي:

- أن مستوى شدة الصوت لدى القارئ (01) لم يتجاوز: 23.05- (Hz)، ولم ينزل عن:148.73- (Hz)، في حين أنّ القارئ (02) لم يتجاوز: 13.84-(Hz)، ولم ينزل عن: 142.80-(Hz)، أما القارئ (03) فلم يتجاوز: 18.54-(Hz)، ولم ينزل عن:139.11- (Hz). والقارئ (04) لم يتجاوز: 19.62- (Hz)، ولم ينزل عن: 148.08-(Hz)، والقارئ (05) لم يتجاوز: 9.45-(Hz)، ولم ينزل عن: 139.76- (Hz)، وأيضا القارئ (06) لم يتجاوز: 16.91-، ولم ينزل عن:150.41-(Hz).وعليه؛ فإن مستوى الشدة عند القراء الستة كان مقبولا، ولم يتعد إلى مرحلة الضجيج (↑0+). انظر الجدول (47)، الشكل (80-85).

- كما لاحظت أيضا من خلال منحنيات تحليل التردد: أن مستوى تردد الصوت عند القراء الأربعة (02) و(03) و (04) و(06) لم يتجاوز 21963.86(Hz)، ولم ينزل عن 86.13(Hz)، أما عند القارئ (01)؛ فقد بلغ أقصاه 5976.56(Hz)، وأدناه 23.43 (Hz)، كما بلغ أقصاه عند القارئ (05): 10981.93 (Hz) وأدناه 43.06 (Hz). يعني: أن مستوى التردد عند القراء الأربعة أزيدُ من ثلاثة أضعافِ مستواهُ عند القارئ (01)، وضعفا القارئ (05). وذلك راجع إلى طبيعة صوت كل قارئ. انظر الجدول (47)، الشكل (80-85).

- واتضح لي بعد التدقيق في الجدول (47) أن: متوسط الدور لدى قراء العينات محصور بين: 24.0- (د/ثا) و9.9- (د/ثا)؛ ونمثل له رياضيا بالعبارة التالية: **24.0 - (د/ثا) ≤ متوسط الدور ≤ 9.9- (د/ثا)**

- كما اتضح لنا بعد الإمعان في صور التمثيل الطيفي - المرفق بعض نماذجها بهذا البحث - الشيءُ الزائدُ على أصل الصوامت؛ الذي يمثل بدقة صفة المد، والذي يمتد عند القارئ(01)و(02)و(03)و(04)و(06)، ويتقلص عند القارئ (05) بحكم تعدد أوجه الأداء واختيارات القراء. انظر الشكل (86-91).

جدول (46) : المقارنة التطبيقية لمدّ اللّين غير المهموز

القراء		التغيرات	مقدار المد (حركة)	زمن المد المرجعي (ثا)	زمن المد المفترض (ثا)	زمن المد الفعلي (ثا)	الفارق بين الفعلي و المفترض	معدّل الدور (د/ ثا)	أعلى تردّد (هرتز)	أدنى تردد (هرتز)	أعلى مستوى (ديسيبل)	أدنى مستوى (ديسيبل)
			النتائج المستفادة من شكل الموجة					النتائج المستفادة من شكل الطيف + تحليل التردد				
قرّاء الأزرق		العفاسي	04	0.724	1.448	2.17	0.722	-20.1	5976.56	23.43	-23.05	-148.73
		ياسين	04	0.480	0.960	1.21	0.250	-12.0	21963.86	86.13	-13.84	-142.80
		عبد المؤمن	04	0.323	0.646	1.80	1.154	-16.9	21963.86	86.13	-18.54	-139.11
قرّاء الأصبهاني		المعصراوي	04	0.319	0.638	1.06	0.422	-19.0	21963.86	86.13	-19.62	-148.08
		أبو المظفر	02	0.508	0.508	0.32	-0.188	-9.9	10981.93	43.06	-9.45	-139.76
		منصور	04	0.322	0.644	0.90	0.256	-24.0	21963.86	86.13	-16.91	-150.41

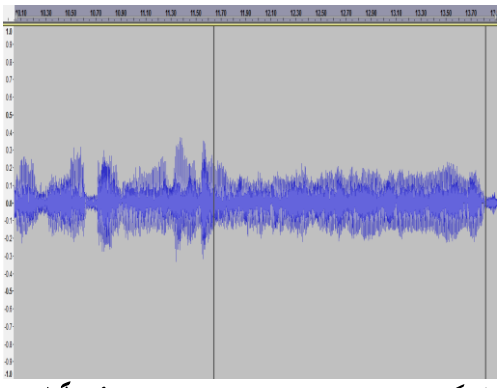

الشكل:(74)-العفاسي(01)–"نِعْمَتَهُ عَلَيْك"

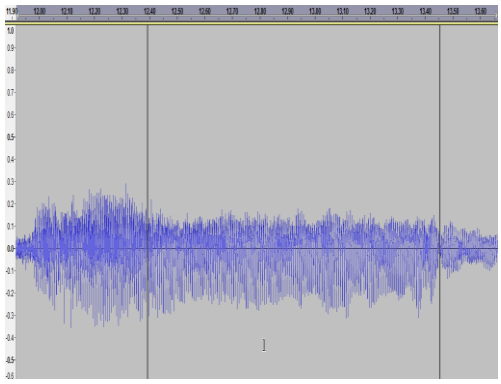

الشكل(77):المعصراوي(04)" فِرْعَوْنَ"

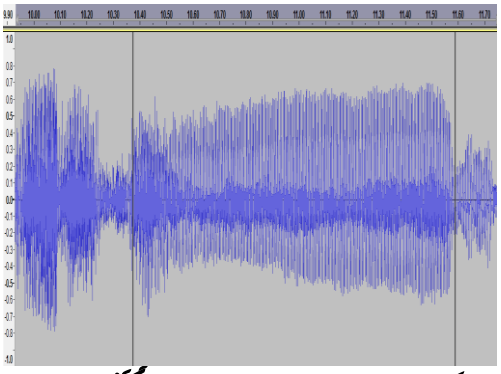

الشكل(75): ياسين(02– " مَلَكَيْنِ"

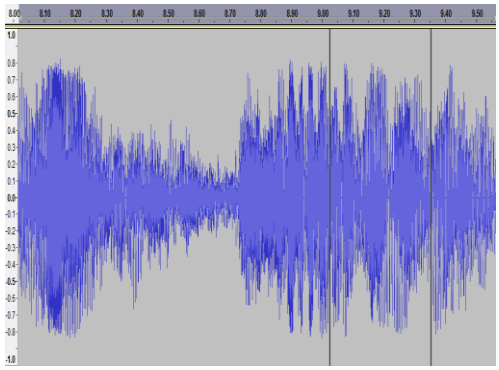

الشكل (78): منير (05)-" وَاخْشَوْنِ "

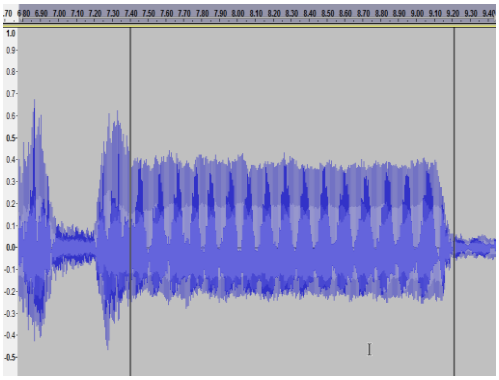

الشكل(76):عبد المؤمن(03)-" وَالصَّيْفِ "

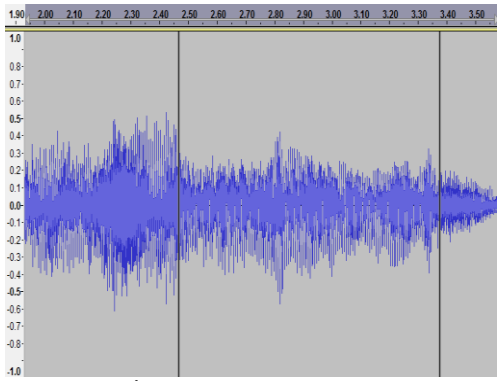

الشكل (79): منصور (06)-" قُرَيْشٍ "

مد اللين غير المهموز عند القراء الستة على شكل الموجة

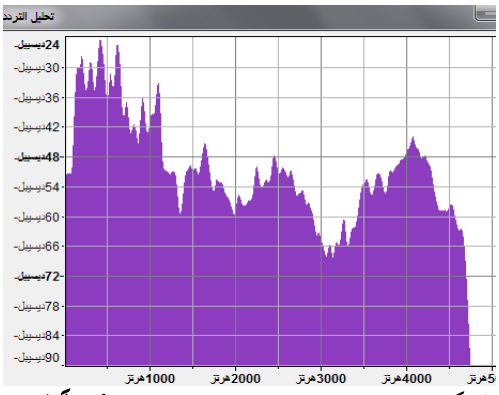

الشكل:(80)-العفاسي(01)–"**نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ**"

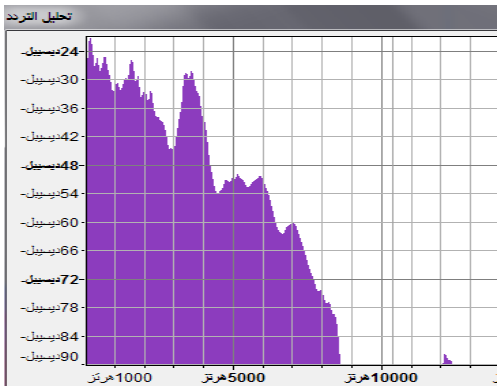

الشكل(83):المعصراوي(04)" **فِرْعَوْنَ**"

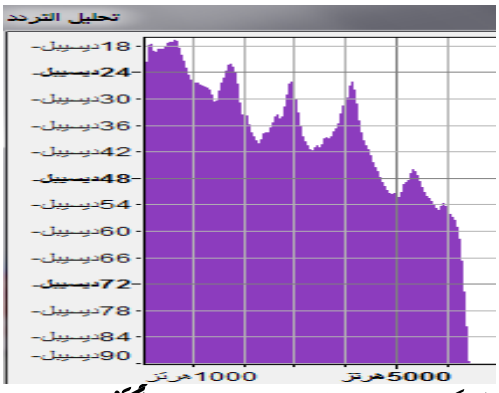

الشكل(81): ياسين(02– " **مَلَكَيْنِ**"

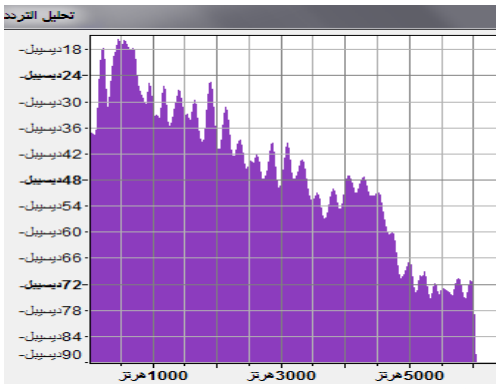

الشكل (84): منير (05)-" **وَاخْشَوْنِ** "

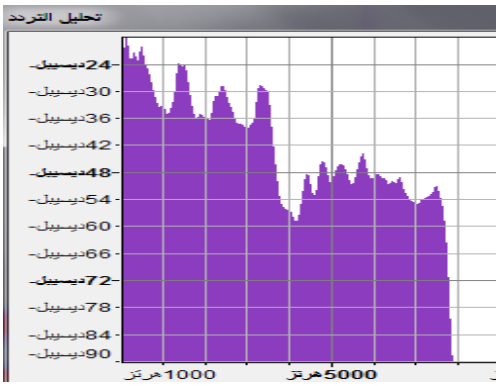

الشكل(82):عبد المؤمن(03)-" **وَالصَّيْفِ** "

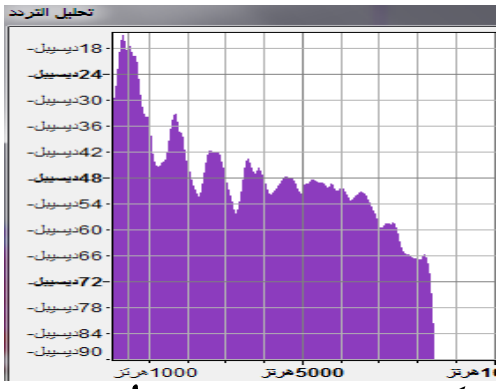

الشكل (85): منصور (06)-" **قُرَيْشٍ** "

تحليل تردد مد اللين غير المهموز عند القراء الستة

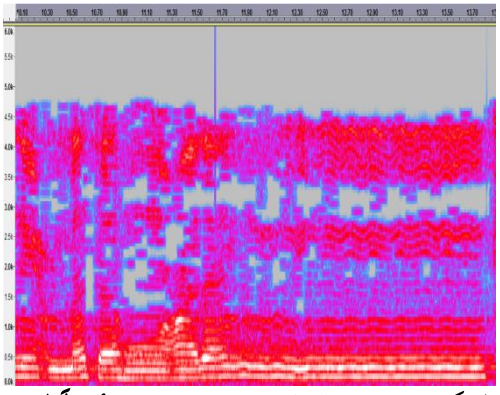

الشكل:(86)-العفاسي(01)–"نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ"

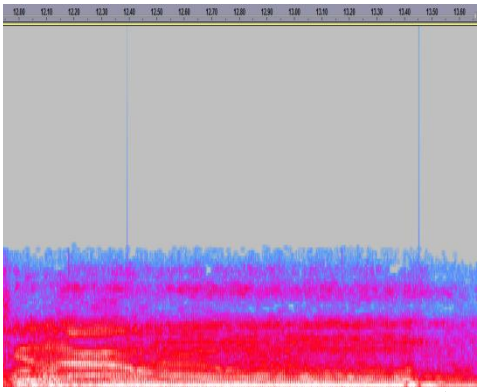

الشكل(89):المعصراوي(04)"فِرْعَوْنَ"

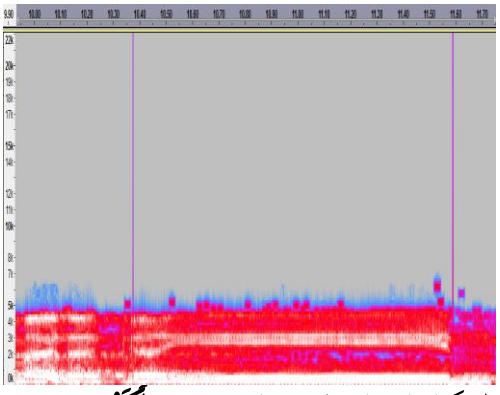

الشكل(87): ياسين(02– " مَلَكَيْنِ"

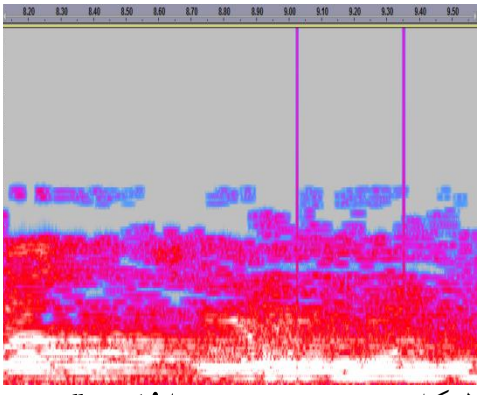

الشكل (90): منير (05)-" وَاخْشَوْنِ "

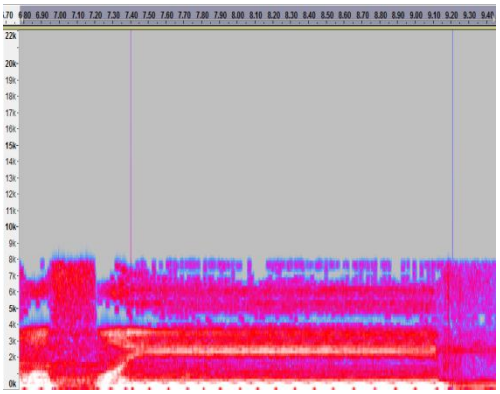

الشكل(88):عبد المؤمن(03)-" وَالصَّيْفِ "

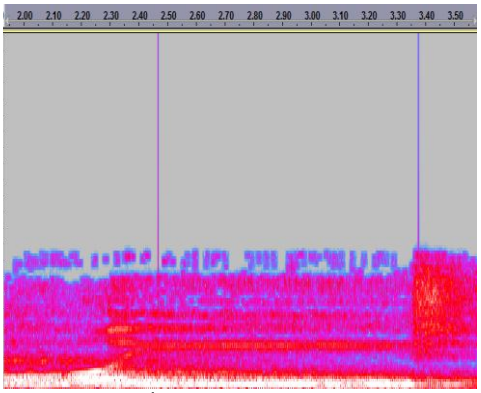

الشكل (91): منصور (06)-" قُرَيْشٍ "

مد اللين غير المهموز عند القراء الستة على شكل الطيف

6 - مناقشة تحليل نتائج المد اللازم:

عند **القراءة العموديّة** لنتائج عينات البحث المرفقة وتزاوجا مع ملاحظة أشكال الموجة عند كل قراء البحث في باب المد اللازم؛ فإنه يتضح لنا ما يلي:

- بناء على المد المرجعي ومقدار المد بالحركات (القراءة بالإشباع)،والاشتراك بين القراء (03)و(04)و(06) في متوسط المد المرجعي فإنه يُفتَرَض أن يكون متوسط المد اللّازم عند القراء: يساوي: 0.964 ثا، بينما وجد الباحث أن متوسط المد الفعلي عندهم قد بلغ: 2.940ثا. وهذا يعني ثلاثة أضعاف المفترض تقريبا.

- ويُفتَرَض أن يكون متوسط المد المتصل عند القراء: (02)و(05) - مُشترِكَيْنِ كسابقيهم في متوسط المد المرجعي - مقدرا بـ: 1.482 ثا (قراءةً بالإشباع)، بينما وجد الباحث أن متوسط المد الفعلي قد بلغ: 2.785ثا. أي بفارق معتبر قدره: 1.303ثا.

- ويُفتَرَض أن يكون المد المتصل عند القارئ (01) – منفردا بنفسه في المد المرجعي- بقيمة: 2.172 ثا (قراءة بالإشباع)، بينما وجد الباحث أن المد الفعلي عنده قد بلغ: 3.30ثا. أي بفارق معتبر قدره: 1.128 ثا. انظر الجدول (48)، الشكل (92-97).

أمّا إذا درسنا نتائج العينات **دراسة أفقيّة**؛ فإننا نلاحظ - إضافةً إلى الملاحظات المشتَرَكَة السابقة - ما يلي:

- نجد أن الفارق الزمني بين الفعلي والمفترض قد بلغ عند القارئ (01): 1.128 ثا، وعند القارئ (02): 0.970 ثا، وعند القارئ (03): 2.621ثا،وعند القارئ (04): 1.623ثا، وعند القارئ (05)1.636ثا، وعند القارئ (06): 1.684ثا. وهذا يعكس درجة إتقان القراء للمد اللازم.وعليه فإن هناك تجاوزا دون إخفاق عند القراء، نرتبه تصاعديا كما يلي: القارئ (02)، يليه القارئ (01)، ثم القارئ (04)، فالقارئ (05)، بعده القارئ (06)، وأخيرا القارئ (03).

- أنَّ المتوسط الزمني لمدة النطق بالمتصل في قراءة عينات البحث متقارب بين القراء:(01)، و(03)، و(05). ويبلغ: 3.350ثا. والظاهر أن ذلك راجع إلى تغير صيغة الأداء عندهم لتُقارب بينهم في النتائج.

- كما أن المتوسط الزمني لمدة النطق بالمتصل في قراءة عينات البحث متدانٍ نسبيا بين القراء: (02)و(04)و(06). ويبلغ: 2.546 ثا. وهذا راجع إلى صيغة الأداء طبعا.ولم يحدث ثمة تفرد كما سبق.انظر الجدول (48)، الشكل (92-97).

ونلاحظ من خلال التدقيق في تحليل التردد ما يلي:

- أن مستوى شدة الصوت لدى القارئ (01) لم يتجاوز: 22.78- (Hz)، ولم ينزل عن:147.38- (Hz)، في حين أنّ القارئ (02) لم يتجاوز: 20.20-(Hz)، ولم ينزل عن: 141.69-(Hz)، أما القارئ

(03) فلم يتجاوز: 12.73- (Hz)، ولم ينزل عن:139.58-(Hz). والقارئ (04) لم يتجاوز: 20.58-(Hz)، ولم ينزل عن: 138.38-(Hz)، والقارئ (05) لم يتجاوز: 12.28- (Hz)، ولم ينزل عن: 138.67-(Hz)، والقارئ (06) لم يتجاوز: 18.10-، ولم ينزل عن: 149.93-(Hz).وعليه؛ فإن مستوى الشدة عند القراء الستة كان مقبولا، ولم يتعد إلى مرحلة الضجيج (↑0+)، كما أنه يدلّل لما وصلنا إليه من ملاحظة تَغيُّر صيغة الأداء. انظر الجدول (48)، الشكل (98-102).

- كما لاحظت أيضا من خلال منحنيات تحليل التردد: أن مستوى تردد الصوت عند القراء الأربعة (02) و(03) و (04) و(06) لم يتجاوز 21963.86(Hz)، ولم ينزل عن 86.13(Hz)، أما عند القارئ (01)؛ فقد بلغ أقصاه 5976.56(Hz)، وأدناه 23.43 (Hz)، كما بلغ أقصاه عند القارئ (05): 10981.93 (Hz) وأدناه 43.06 (Hz). يعني: أن مستوى التردد عند القراء الأربعة أزيد من ثلاثة أضعافِ مستواهُ عند القارئ (01)، وضعفا القارئ (05). وذلك راجع إلى طبيعة صوت كل قارئ. انظر الجدول (48)، الشكل (98-102).

- واتضح لنا بعد التدقيق في الجدول (48) أن: متوسط الدور لدى قراء العينات محصور بين: 20.6 - (د/ثا) و9.6- (د/ثا)؛ ونمثل له رياضيا بالعبارة التالية: **20.6 - (د/ثا) ≤ متوسط الدور ≤ 9.6- (د/ثا)**

- كما اتضح لنا بعد الإمعان في صور التمثيل الطيفي - المرفق بعض نماذجها بهذا البحث - الشيءُ الزائدُ على أصل الصوامت ويمثل بدقة صفة المد، والذي اتَّسع كهيئته في المتصل والمنفصل. انظر الشكل (103-108).

جدول(47) : المقارنة التطبيقية للمدّ اللاّزم

التغيرات / القراء		مقدار المد (حركة)	زمن المد المرجعي (ثا)	زمن المد المفترض (ثا)	زمن المد الفعلي (ثا)	الفارق بين الفعلي و المفترض	معدّل الدور (د/ ثا)	أعلى تردّد (هرتز)	أدنى تردد (هرتز)	أعلى مستوى (ديسيبل)	أدنى مستوى (ديسيبل)
		النتائج المستفادة من شكل الموجة					النتائج المستفادة من شكل الطيف + تحليل التردد				
قرّاء الأزرق	العفاسي	06	0.724	2.172	3.30	1.128	-20.6	5976.56	23.43	-22.78	-144.38
	ياسين	06	0.480	1.440	2.41	0.970	-9.6	21963.86	86.13	-20.20	-141.69
	عبد المؤمن	06	0.323	0.969	3.59	2.621	-15.8	21963.86	86.13	-12.73	-139.58
قرّاء الأصبهاني	المعصراوي	06	0.319	0.957	2.58	1.623	-19.4	21963.86	86.13	-20.58	-138.38
	أبو المظفر	06	0.508	1.524	3.16	1.636	-13.4	10981.93	43.06	-12.28	-138.67
	منصور	06	0.322	0.966	2.65	1.684	-18.6	21963.86	86.13	-18.10	-149.93

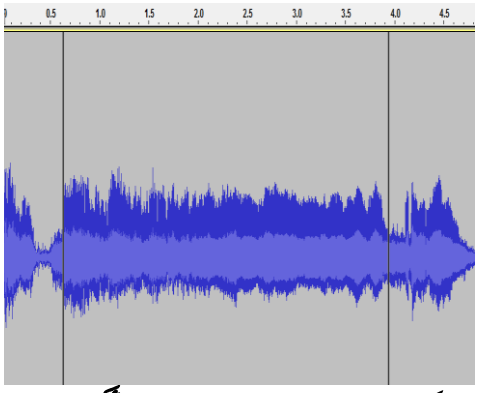

الشكل:(92)-العفاسي(01)–" **أَلَرَ**"

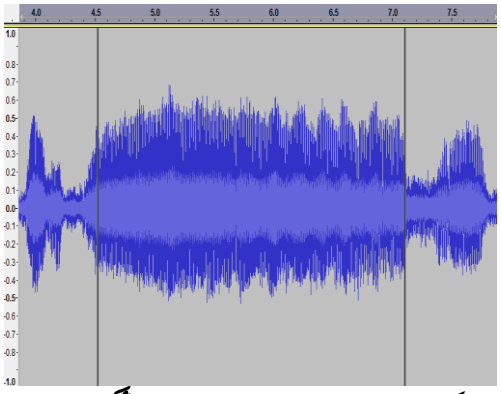

الشكل(106):المعصراوي(04)" **أَلَرَ**"

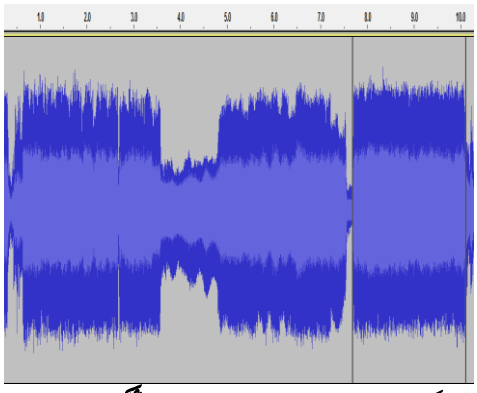

الشكل(93): ياسين(02– " **أَلَمِّصَ** "

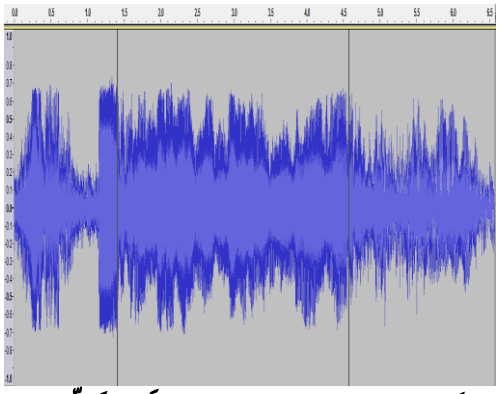

الشكل (96): منير (05)-" **وَلَا الضَّالِّينَ**"

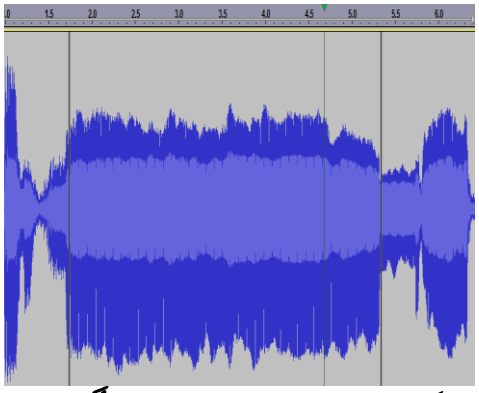

الشكل(94):عبد المؤمن(03)-" **أَلَرَ** "

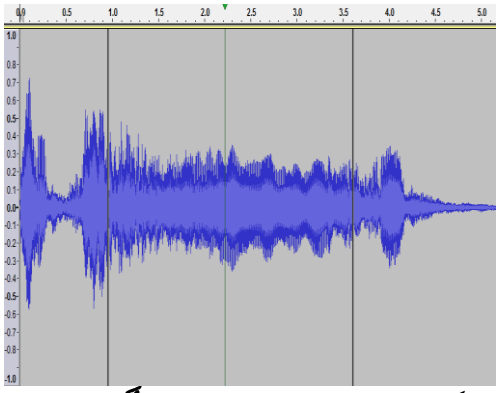

الشكل (97): منصور (06)-" **أَلَرَ** "

المد اللازم عند القراء الستة على شكل الموجة

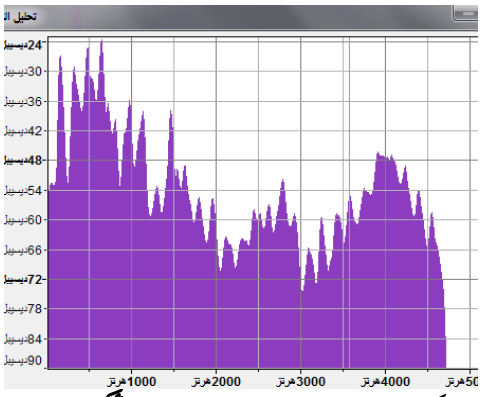

الشكل:(98)-العفاسي(01)–" أَلَرَ "

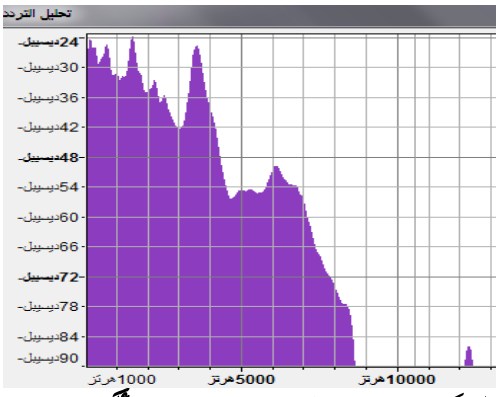

الشكل(106):المعصراوي(04)" أَلَرَ"

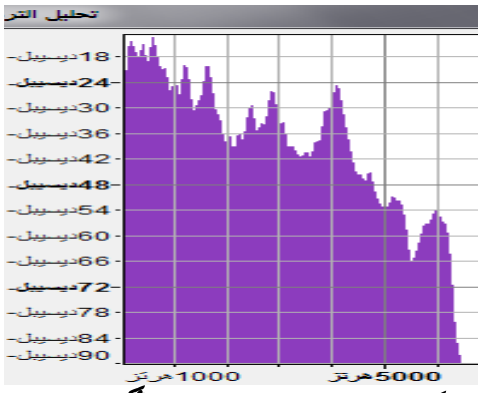

الشكل(99): ياسين(02– " أَلَمِّصَ "

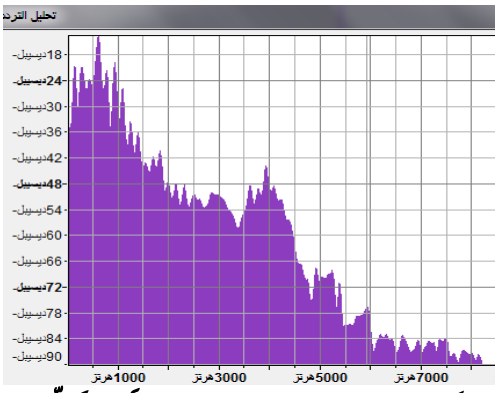

الشكل (101): منير (05)-" وَلَا الضَّالِّينَ "

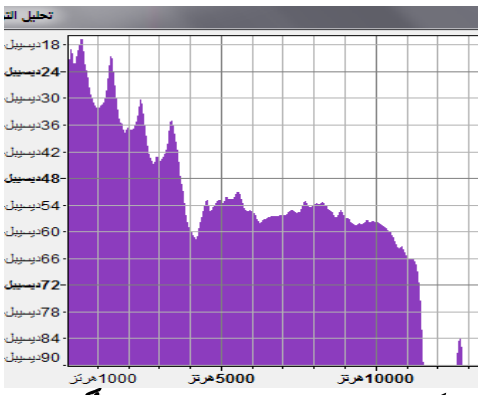

الشكل(100):عبد المؤمن(03)-" أَلَرَ "

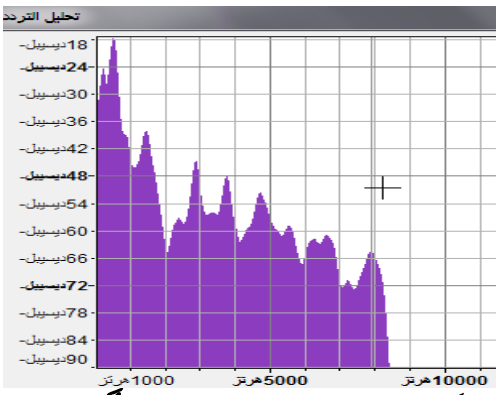

الشكل (102): منصور (06)-" أَلَرَ"

تحليل تردد المد اللازم عند القراء الستة

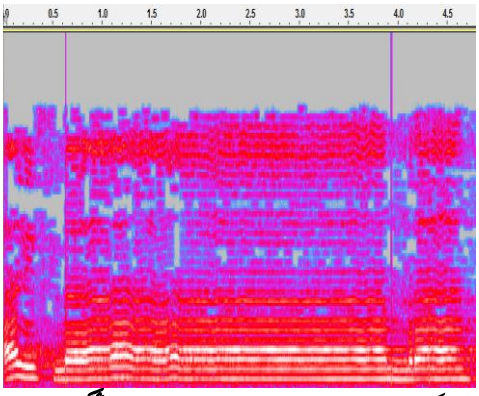

الشكل:(103)-العفاسي(01)–" الٓرٰ "

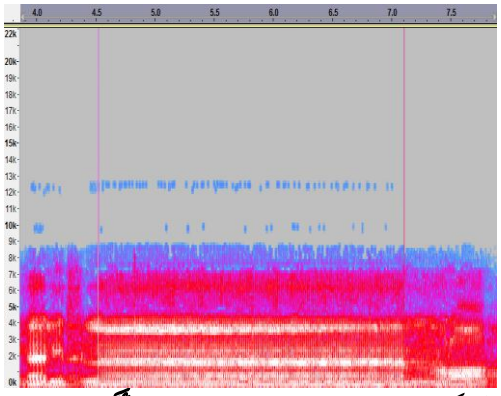

الشكل(106):المعصراوي(04)" الٓرٰ"

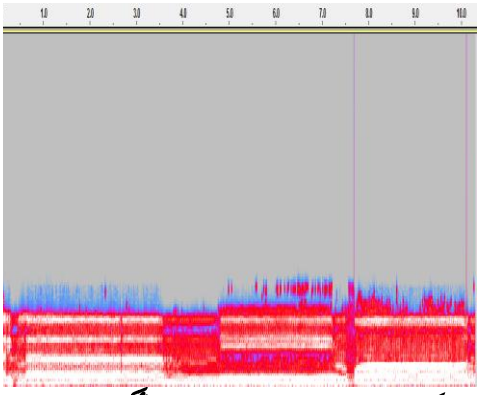

الشكل(104): ياسين(02)" الٓمٓصٓ"

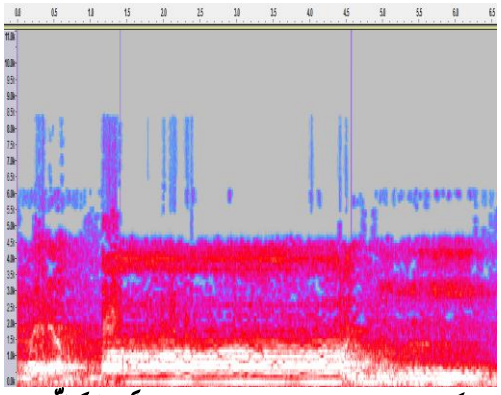

الشكل (107): منير (05)-" وَلَا الضَّالِّينَ "

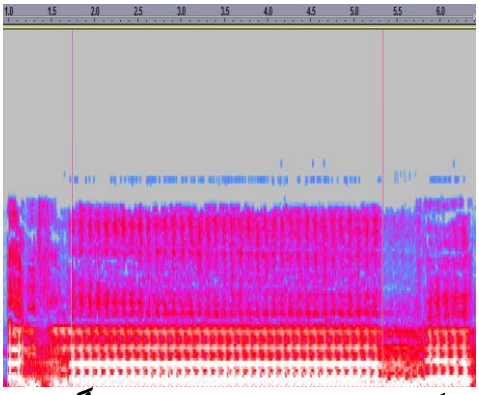

الشكل(105):عبد المؤمن(03)-" الٓرٰ"

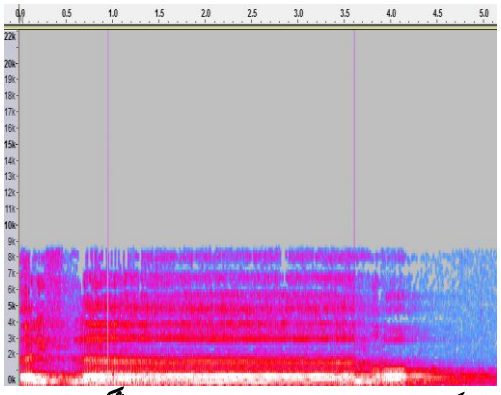

الشكل (108): منصور (06)-" الٓرٰ"

المد اللازم عند القراء الستة على شكل الطيف

7 - مناقشة نتائج تحليل الصوائت القصيرة والطويلة بالمقارنة:

أولا - الفتحة القصيرة والفتحة الطويلة؛ (فكهين - فاكهين - أنموذجا):

ظهر للباحث من خلال التمعن في الجدول الذي عُني بعرض تحاليل الصائت القصير والطويل منعزلين بعد الفاء الصامت في (فكهين) و(فاكهين) - (المطففين: ٣١)؛ والذي ورد بالوجهين في القراءات القرآنية: (بالحبس-ترك المد-، وبالقصر-المد الطبيعي-)؛ لاحظ الباحث أن الزمن الذي استغرقه نطق الفتحة القصيرة يعادل نصف الزمن الذي يُستغرق في نطق الفتحة الطويلة تقريبا، وذلك حين تمد المد الطبيعي.

ولما لاحظنا الشدة وجدنا الفتحة القصيرة أشد من الطويلة، لكنهما متساويين في تردد الصوت، أما من خلال ملاحظة شكل الحدة فقد تراءى للباحث شكل الحزم الهوائية التي تمثل حجم الصائت القصير والطويل في المثال، وعند مقارنتهما بدتا لي متماثلين لكنهما مختلفتان في طولها فقط، مما يبرهن على أن الفرق بين الحركات القصيرة والطويلة هو فرق الكمية فقط؛ انظر الشكل وانظر الجدول:

	الفتحة القصيرة لفاء (فَكهين)	الفتحة الطويلة لفاء (فاكهين)
الزمن/ ثا	0.95	0.210
الشدة / db	-127.26	-128.304199
	-6.23	-10.085362
التردد/ hz	5490.96/21.53	5490.96/21.53

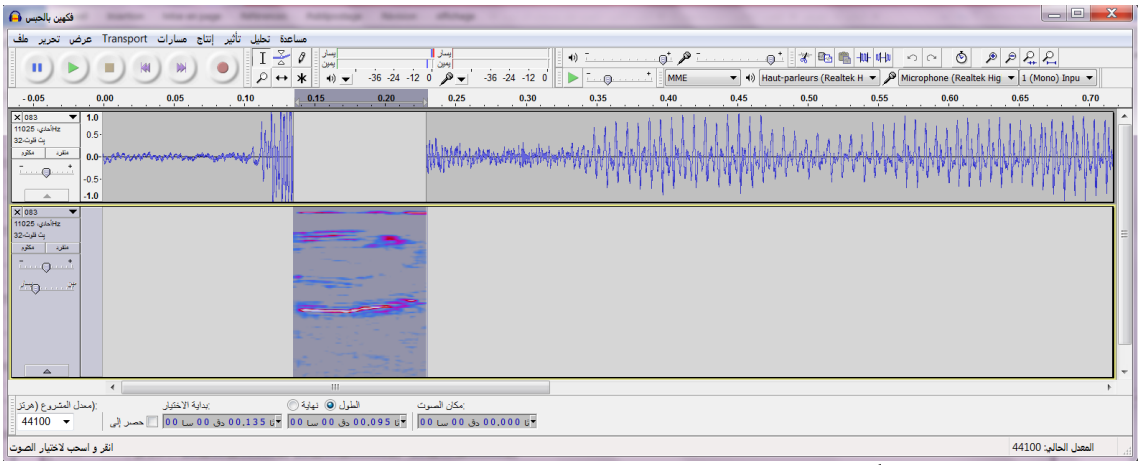

تحليل (فَكِهين) بالصائت القصير بعد الفاء، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

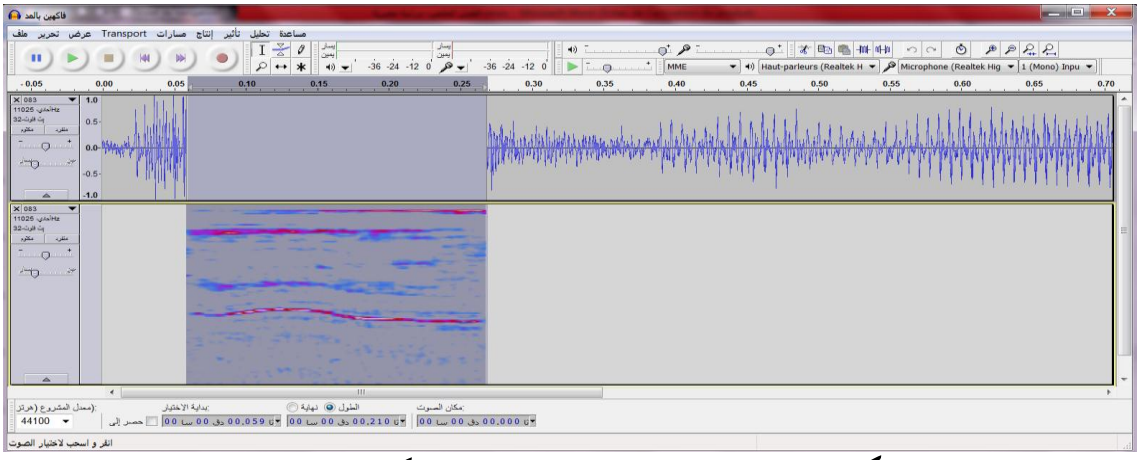

تحليل (فَاكِهِين) بالصائت الطويل بعد الفاء، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

ثانيا - الكسرة القصيرة والكسرة الطويلة؛ (فيه- فيهي - أنموذجا):

كما لاحظ الباحث من خلال التمعن في الجدول الآتي أن الزمن الذي استغرقه نطق الكسرة القصيرة يعادل نصف الزمن الذي يُستغرق في نطق الكسرة الطويلة تقريبا، وذلك حين تمد المد الطبيعي، واستغل الباحث لذلك هذا المثال في (البقرة: ٢) لوروده بالوجهين في القراءات القرآنية: (بالحبس-ترك المد-، وبالقصر-المد الطبيعي-).

ولما لاحظنا الشدة وجدنا الكسرة القصيرة أشد من الطويلة، لكنهما متساويين في تردد الصوت، أما من خلال ملاحظة شكل الحدة فقد تراءى للباحث شكل الحزم الهوائية التي تمثل حجم الصائت القصير والطويل في المثال، وعند مقارنتهما بدتا لي متماثلين لكنهما مختلفتان في طولها فقط، مما يبرهن على أن الفرق بين الحركات القصيرة والطويلة هو الكمية فقط؛ انظر الشكل وانظر الجدول:

	الكسرة القصيرة لهاء فيه	الكسرة الطويلة لهاء فيهي
الزمن / ثا	0.133	0.265
الشدة / db	-142.66626	-145.759308
	-14.322863	-15.993002
التردد / hz	43.06/10981.93	43.06/10981.93

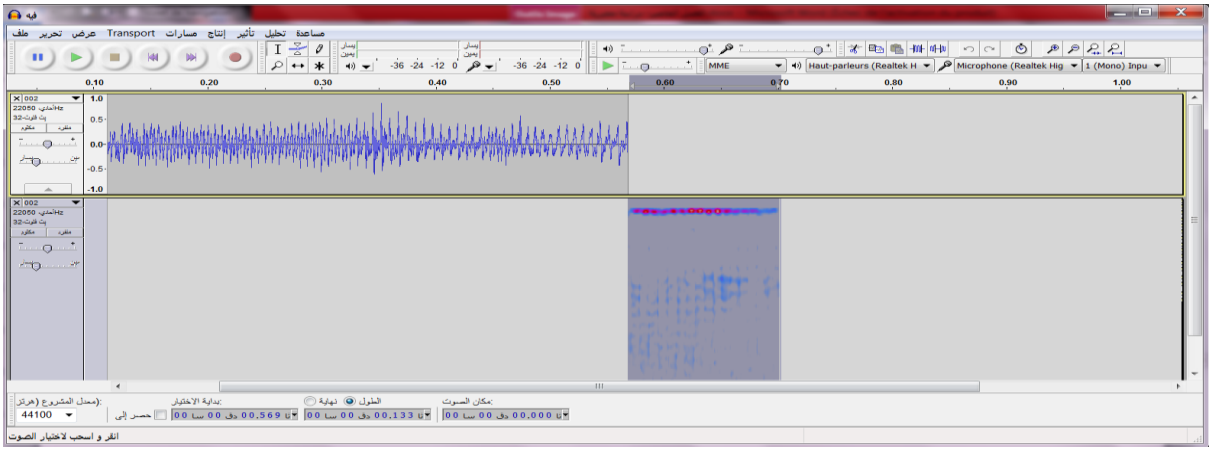

تحليل (فِيهِ) بالصائت القصير بعد الهاء، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

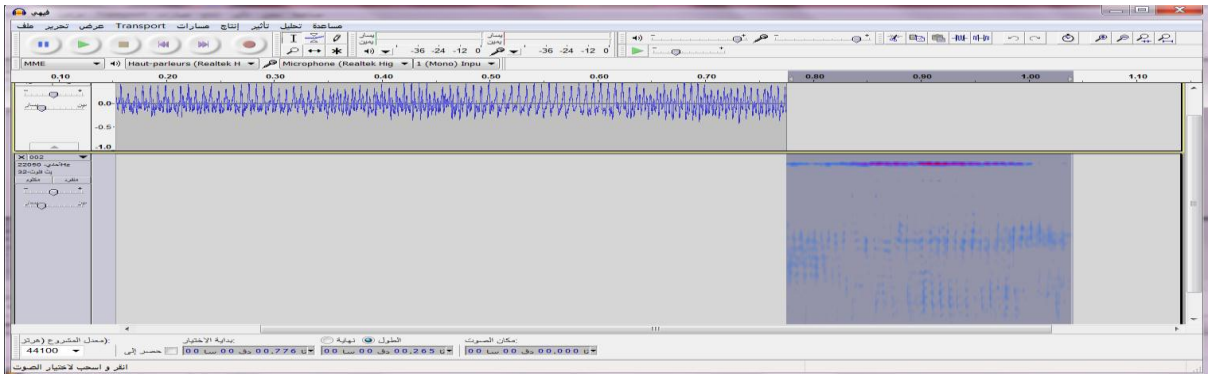

تحليل (فِيهِي) بالصائت الطويل بعد الهاء، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

ثالثا - الضمة القصيرة والضمة الطويلة (شرَوْهُ - شرَوْهُو - أنموذجا):

أما هذا المثال (يوسف:20) فقد ورد بالوجهين في القراءات القرآنية: (بالحبس-ترك المد-، وبالقصر-المد الطبيعي-)، ومن خلال التمعن في الجدول الآتي الخاص به تبين لنا أن الزمن الذي استغرقه نطق الضمة القصيرة يعادل نصف الزمن الذي يُستغرق في نطق الضمة الطويلة تقريبا، وذلك حين تمد المد الطبيعي.

لكن الذي لفت انتباهنا هو أننا لاحظنا - مع الشدة- أن الضمة القصيرة أضعف شدة منها في الطويلة، وهذا بخلاف ما كشفناه مع سابقتيها الفتحة والكسرة، لكن الضمتين متساويتين في تردد الصوت.

ومن خلال ملاحظة شكل الحدة تراءى للباحث شكل الحزم الهوائية التي تمثل حجم الصائت القصير والطويل في المثال، وعند مقارنتهما بدتا لي متماثلين لكنهما مختلفتان في طولها فقط، مما يبرهن على أن الفرق بين الحركات القصيرة والطويلة هو الكمية فقط؛ انظر الشكل وانظر الجدول:

	الضمة القصيرة لهاء شَرَوْهُ	الضمة الطويلة لهاء شَرَوْهُو
الزمن / ثا	0.197	0.324
الشدة / db	-130.983856	-131.835739
	-6.382768	-3.184234
التردد / hz	10981.93/43.06	10981.93/43.06

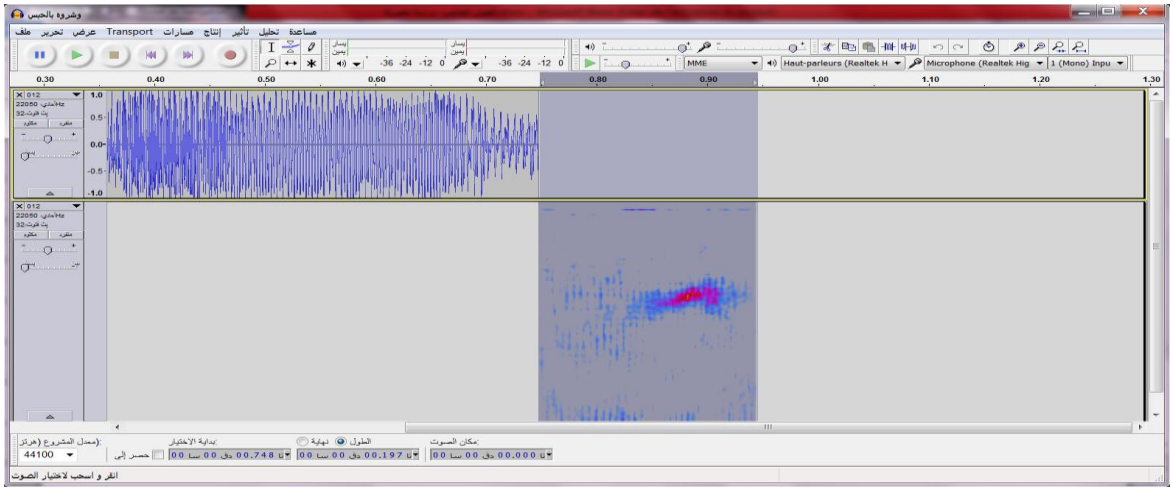

تحليل (شَرَوْهُ) بالصائت القصير بعد الهاء، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

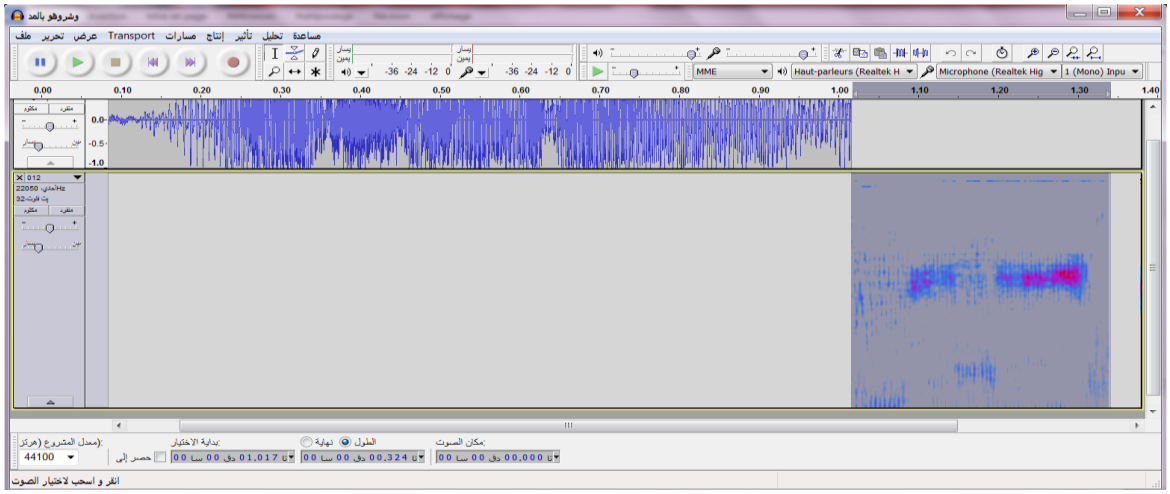

تحليل (شَرَوْهُو) بالصائت الطويل بعد الهاء، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

رابعا - مقارنة نتائج الصوائت الثلاثة القصيرة والطويلة مع بعضها البعض:

كان ما سبق مقارنةً لنتائج الصوائت ما بين قصيرة وطويلة، كل صنف منها على حدة، أما إذا قارنا نتائج الجداول كلها، فإننا نلحظ مايلي:

زمن نطق الصوائت القصيرة		زمن نطق الصوائت الطويلة	
الفتحة القصيرة	0.119 ثا	الفتحة الطويلة	0.212 ثا
الكسرة القصيرة	0.133 ثا	الكسرة الطويلة	0.265 ثا
الضمة القصيرة	0.149 ثا	الضمة الطويلة	0.324 ثا

فأطول الحركات إذن: الضمةُ تليها الكسرة فالفتحة، ولعل هذا راجع إلى أن جهاز النطق يعسر معه نطق الضمة، بخلاف الكسرة التي تقل تكلفة خروجها، ثم الفتحة التي تخف عليهم جميعا، وكلما عسُر معالجة المخرج كلما استغرق ذلك وقتا أطول مما سهل معالجته كما في الفتحة، ولعل هذا يرجع بنا إلى كل ما سردناه في مباحث دراسة أصوات المد والحركات من مخارج وصفات وغير ذلك.

3 - أما الشدة فقد توزعت على الصوائت القصيرة كالآتي:

نوع الصائت	أدنى شدة/dB	أعلى شدة/dB	معدّل الشدة/dB
الفتحة القصيرة	- 127.26	- 6.23	- 66.74
الكسرة القصيرة	- 142.66	- 14.32	- 78.49
الضمة القصيرة	- 130.56	- 5.05	- 67.80

ومن ذلك نلحظ أن أعلى مرتبة للشدة كانت في حيازة الفتحة، تليها بعد ذلك الضمة ثم الكسرة، وهذا يؤيد رأي من رأى بأن الفتحة أقوى الحركات الثلاث وضوحا في السمع، ثم الضمة فالكسرة.

4 - وتوزعت شدة الصوائت الطويلة على ما يلي:

نوع الصائت	أدنى شدة/dB	أعلى شدة/dB	معدّل الشدة/dB
الفتحة الطويلة	- 128.30	- 10.08	- 69.19
الكسرة الطويلة	- 145.75	- 15.99	- 80.87
الضمة الطويلة	- 131.83	- 3.18	- 67.50

وفي هذا الجدول نلحظ أن الضمة قد احتلت مرتبة الفتحة في الشدة لتعقبها الفتحة، أما الكسرة فقد حافظت على مرتبتها، لكن الملاحظ أن سبْقَ الضمة للفتحة كان على أعلى مستوى للشدة وعلى معدل الشدة، أما في أدنى مستوى للشدة فقد بقيت فيه الفتحة في الصدارة.

5 - أما من حيث مستويات تردد الصوت فكانت كالآتي:

نوع الصائت	أدنى تردد/Hz	أعلى تردد/Hz
الفتحة القصيرة	21.53	5490.96
الفتحة الطويلة	21.53	5490.96
الكسرة القصيرة	43.06	10981.93
الكسرة الطويلة	43.06	10981.93
الضمة القصيرة	43.06	10981.93
الضمة الطويلة	43.06	10981.93

ويتضح لنا من خلال هذا الجدول أن الفتحتين: القصيرة والطويلة تنفردان بتردد لا تسمع فيه الضمتان والكسرتان، وأن الكسرتان والضمتان مشتركتان في التردد، فالضمة تسمع حيث تسمع الكسرة، سواء قصرت هذه أو تلك، والعكس بالعكس.

المبحث الثاني: دراسة مخبرية لبعض الظواهر الصوتية النوعية التي تعرض للصوائت العربية

أولا: الفتح والإمالة وبين اللفظين

01 - مناقشة نتائج تحليل الفتح والإمالة وبين اللفظين مع الصامت المستفل؛ (متى - أنموذجا):

بعد الإمعان في نتائج الجدول الذي عُني بعرض تحاليل الفتحةِ الصائتِ الطويل الذي ولي صامتا مستفلا (التاء) في المثال (متى) من سورة الملك، آية 25؛ والتي وردت في القراءات القرآنية بالأوجه الثلاثة: (بالفتح والإمالة وبين اللفظين)؛ لاحظ الباحث ما يلي:

1 - استغرق زمن نطق الألف المفتوحة أطول مدة مقارنة مع نظيرتيه: الألف الممالة إمالة كبرى وكذلك الممالة إمالة صغرى (بين اللفظين)، يليه في ذلك الإمالة الصغرى فالكبرى. وكانت الفوارق الزمنية بين الثلاثة متقاربة نوعا ما، حيث تقدر بين الأُولَيَيْنِ بـ 0.044 ثا، وبين الأخريَيْنِ بـ 0.033 ثا. ولعل السبب في استئثار الألف المفتوحة بأطول أمد هو صفاؤها وخلُوُّها من أي شائبة ياءٍ تنزل بها وتنقصها قوتها وسعة مخرجها وشدة وضوحها السمعي. كما أن تأخر الألف الممالة إمالة كبرى إلى أدنى المراتب الزمنية راجع إلى أنها ألصق بالياء أشد من غيرها، فاكتسبت منها بعض صفاتها السمعية والمخرجية، أما الممالة إمالة صغرى فلا هي ألف ولا هي ياء، ولذلك كانت بين اللفظين حسًّا ومعنى ومرتبة.

2 - ومن خلال ملاحظة نتائج الشدة فشأنها في ذلك كشأن الزمن في التدرج، حيث كانت الألف المفتوحة أشد الثلاثة، والألف الممالة إمالة كبرى أو المُضجَعَة أضعفهم شدة، وتوسطت الصغرى بين ذلك، وذلك بلا شك راجع إلى قوة الألف وضعف الياء التي لامسَتْها الألف المضجعة، وتوسط ما توسط؛ انظر الجدول.

3 - أما تردد الصوت فهو مما اتفق عليه الثلاثة، فالكل يسمع من نقطة تردد واحدة، مما ينوه بأن التغيرات التي تطرأ على الألف إنما هي تلوينات صوتية أو ألوفونات لا تأثير لها من حيث الجانب الوظيفي، وهذا مجرد تخمين قد لا يكون له النصيب الأوفر إذا فحص بعلمية أكثر.

4 - وعند ملاحظتنا لشكل الحدة تبيَّن لنا أن حُزَم انضغاط الموجات الصوتية أكثر كثافة مع الألف المفتوحة غير الممالة، يليها في الكثافة الألف المتوسطة بين بين، ثم الألف المضطجِعة، مما يبرهن على أن الموجات عالية الشدة في الألف، وهذا راجع إلى أن الألف المدية المفتوحة أقوى شدةً من أختيها المتوسطةِ والمضطجِعة، وكذلك فالألف المفتوحة آصل وأمكن في المد. كما أن الممالة إمالة كبرى أضعف الثلاثة لقربها من الياء، والوسطى وسَط بين ذلك؛ انظر شكل الحدة.

	ألف (متى) بالفتح المحض	ألف (متى) بالإمالة الصغرى	ألف (متى) بالإمالة الكبرى
الزمن / ثا	0.428	0.384	0.351
الشدة / db	-112.91	-130.2	-130
	-5.42	-9.78	-9.83
التردد / hz	5490.96/21.53	5490.96/21.53	5490.96/21.53

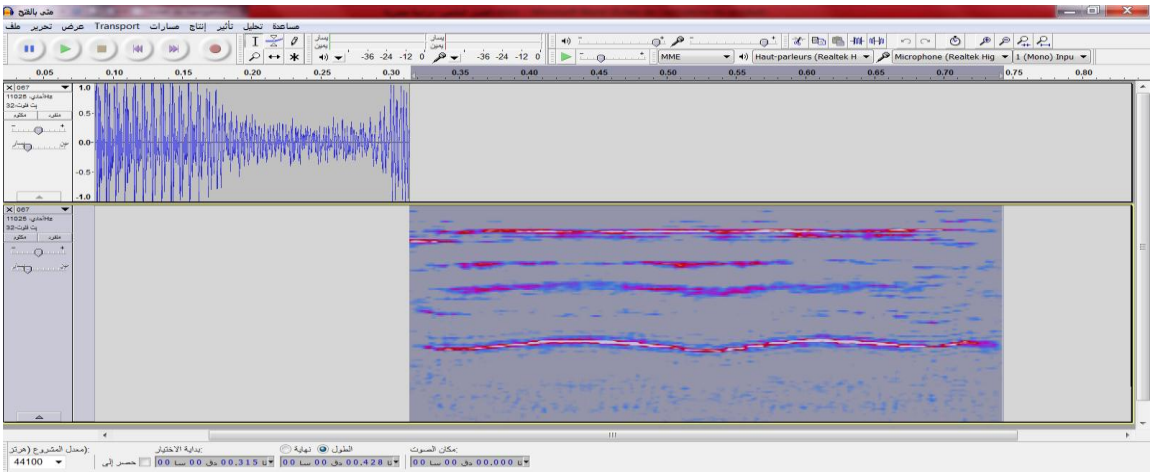

تحليل (مَتَى) قراءة بالفتح، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

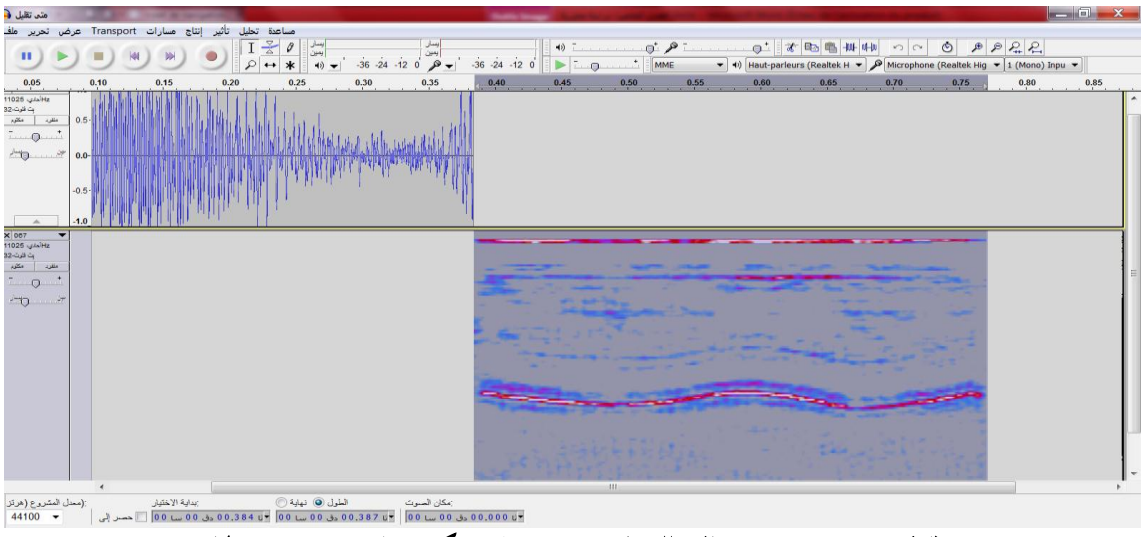

تحليل (مَتَى) قراءة بالإمالة الصغرى، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

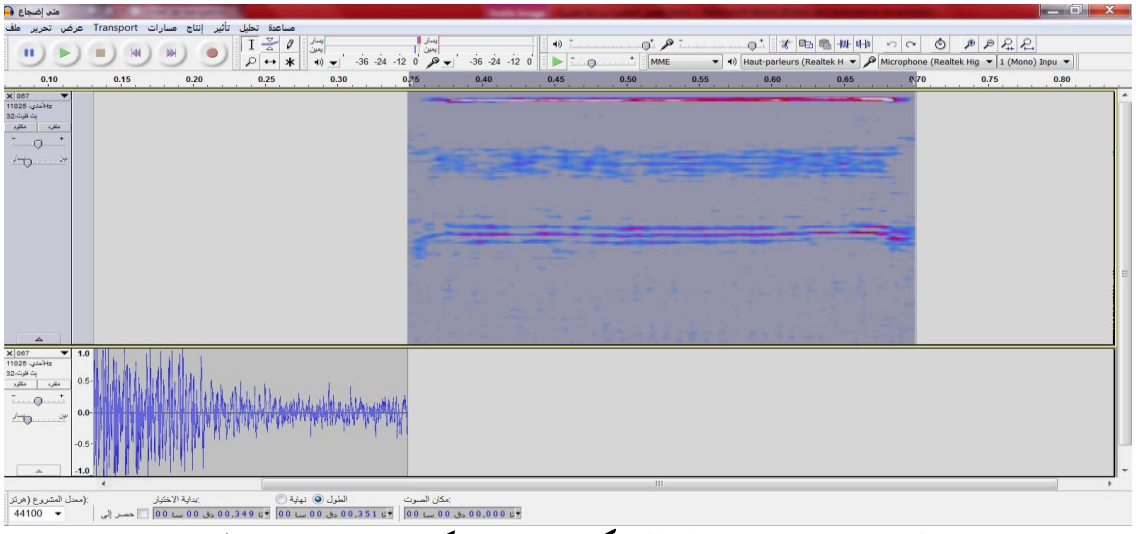

تحليل (مَتَى) قراءة بالإمالة الكبرى، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

2 - مناقشة نتائج تحليل الفتح والإمالة وبين اللفظين مع الصامت المستعلي؛ (وأبصارهم - أنموذجا):

بعد التأمل في نتائج الجدول الذي عُني بعرض تحاليل الفتحةِ الصائتِ الطويل الذي ولي صامتا مستعليا (الصاد) في المثال (وأبصارهم) من سورة البقرة، آية 20؛ والتي وردت في القراءات القرآنية بالأوجه الثلاثة: (بالفتح والإمالة وبين اللفظين)؛ لاحظ الباحث ما يلي:

1 - استغرق زمن نطق الألف المفتوحة أطول مدة مقارنة مع نظيريتيه: الألف الممالة إمالة كبرى وكذلك الممالة إمالة صغرى (بين اللفظين)، يليه في ذلك الإمالة الصغرى فالكبرى. وهذا ما يدلنا على أن الألف هي أمكن أصوات المد فيه، والعكس بالنسبة للياء المدية. وكانت الفوارق الزمنية بين الثلاثة متقاربة جدا، حيث تقدر بين الأُوليَيْنِ بـ 0.001 ثا، وبين الأخريَيْنِ بـ 0.018 ثا. ولعل السبب في استئثار الألف المفتوحة بأطول أمد هو صفاؤها وخلُوُّها من أي شائبة ياءٍ تنزل بها وتنقصها قوتها وسعة مخرجها وشدة وضوحها السمعي. كما أن تأخر الألف الممالة إمالة كبرى إلى أدنى المراتب الزمنية راجع إلى أنها ألصق بالياء أشد من غيرها، فاكتسبت منها بعض صفاتها السمعية والمخرجية، أما الممالة إمالة صغرى فلا هي ألف ولا هي ياء، ولذلك كانت بين اللفظين حسًّا ومعنى ومرتبة.

2 - ومن خلال ملاحظة نتائج الشدة وجدنا أن الأمر اختلف عما لو سبقها صامت مستفل، حيث كانت الألف المفتوحة أشد الثلاثة، والألف الممالة إمالة صغرى أضعفهم شدة، وتوسطت الكبرى بين ذلك، وربما رجع ذلك إلى مجاورة المستعلي.

3 - أما تردد الصوت فهو مما اتفق عليه الثلاثة، فالكل يسمع من نقطة تردد واحدة، مما ينوه بأن التغيرات التي تطرأ على الألف إنما هي تلوينات صوتية أو ألوفونات لا تأثير لها من حيث الجانب الوظيفي، وهذا مجرد تخمين قد لا يكون له النصيب الأوفر إذا فحص بعلمية أكثر.

4 - وعند ملاحظتنا لشكل الحدة تبيَّن لنا أن حُزَم انضغاط الموجات الصوتية أكثر كثافة مع الألف المفتوحة غير الممالة، يليها في الكثافة الألف المتوسطة بين بين، ثم الألف المضطجِعة، مما يبرهن على أن الموجات عالية الشدة في الألف، وفي هذا دليل واضح على أن الألف الخالصة هي أقوى الأصوات وأشدها، يليها في ذلك الإمالة الصغرى التي تشربت شيئا من الكسر فضعفت به قليلا، لتأتي في الأخير الإمالة الكبرى التي تشربت من ضعف الياء الشيء الكثير، وكذلك فالألف المفتوحة آصل وأمكن في المد. كما أن الممالة إمالة كبرى أضعف الثلاثة لقربها من الياء، والوسطى وسَط بين ذلك؛ انظر شكل الحدة.

	ألف (وأبصارهم) بالفتح المحض	ألف (وأبصارهم) بالإمالة الصغرى	ألف(وأبصارهم) بالإمالة الكبرى
الزمن / ثا	0.372	0.371	0.353
الشدة / db	-130.42	-133.67	-135.25
	-12.23	-15.85	-13.44
التردد / hz	10981.93/43.06	10981.93/43.06	10981.93/43.06

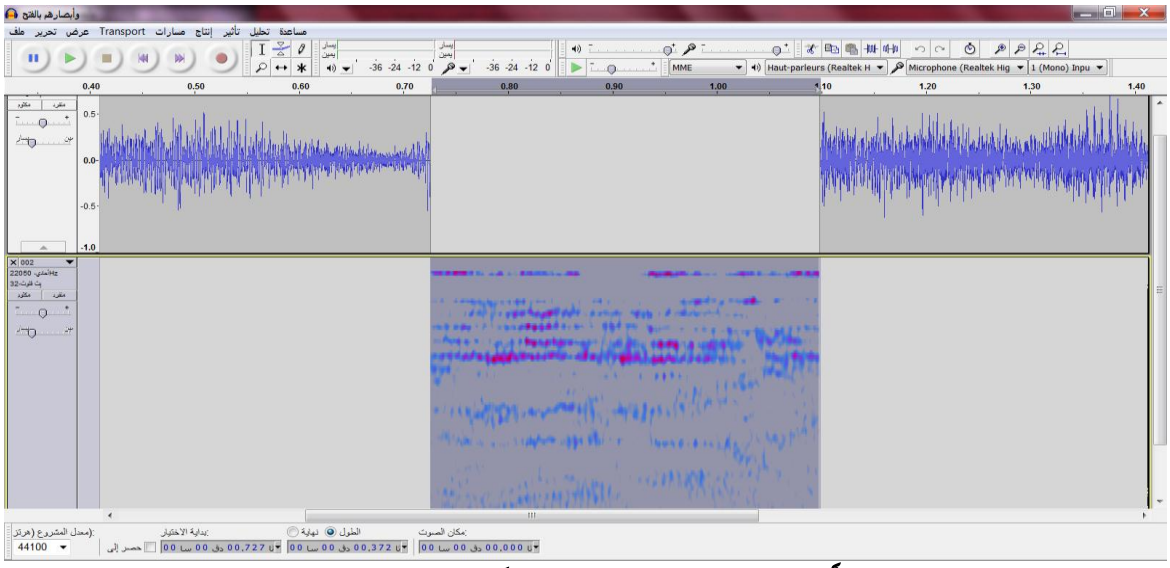

تحليل (وَأَبْصَارِهِمْ) قراءة بالفتح، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

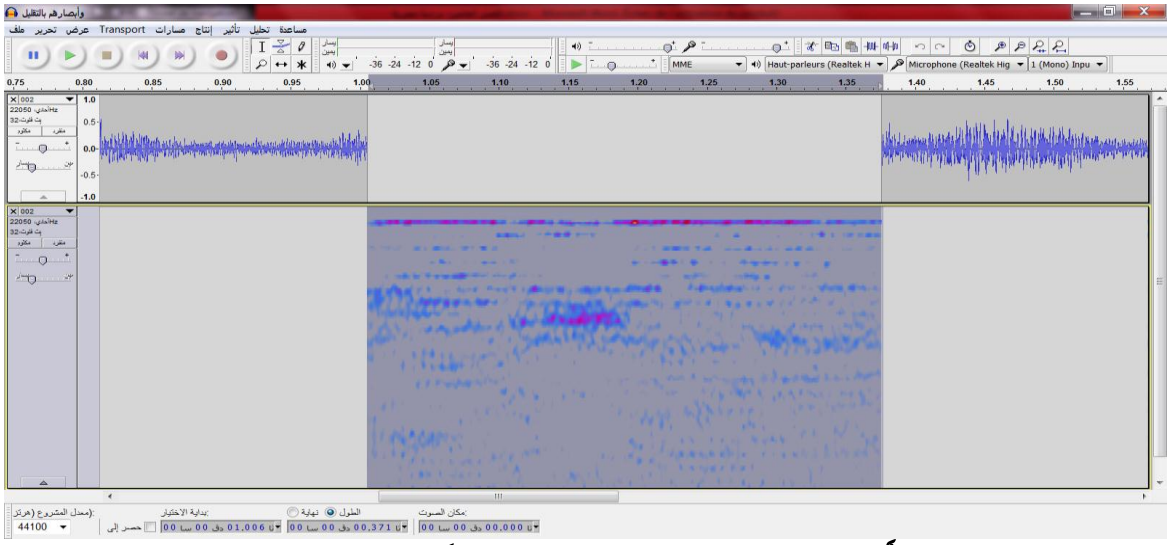

تحليل (وَأَبْصَارِهِمْ) قراءة بالإمالة الصغرى، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

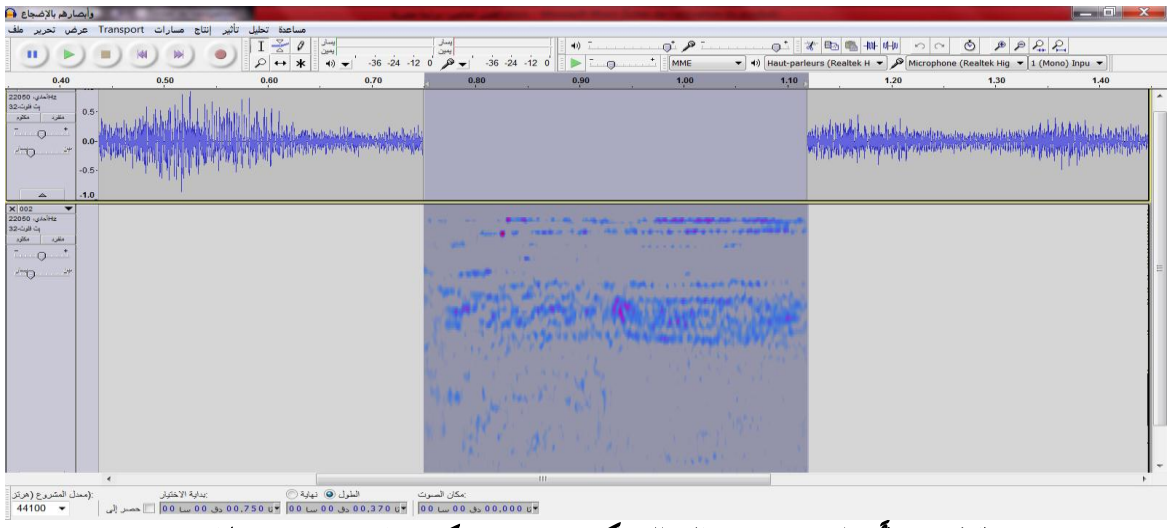

تحليل (وَأَبْصَارِهِمْ) قراءة بالإمالة الكبرى، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

3 - مقارنة كل نتائج الفتح والإمالة وبين اللفظين مجتمعة:

وإذا قارنا نتائج الجداول الخاصة بالفتح والإمالة وبين اللفظين بعضها مع بعض، فإننا نلحظ ما يلي:

1 - أن الألفات في (متى) على تنوع أدائها يطول زمن النطق بها في معظمها مقارنة مع ألفات (وأبصارهم)، وذلك راجع إلى تطرف ألف (متى) وتوسط ألف (وأبصارهم)، فلا حاجز يمنع الأولى بخلاف الثانية، انظر الجدول.

الألفات	زمن النطق
ألف (متى) بالفتح المحض	0.428 ثا
ألف (وأبصارهم) بالفتح المحض	0.372 ثا
ألف (متى) بالإمالة الصغرى	0.384 ثا
ألف (وأبصارهم) بالإمالة الصغرى	0.371 ثا
ألف(متى) بالإمالة الكبرى	0.351 ثا
ألف(وأبصارهم) بالإمالة الكبرى	0.353 ثا

3 - أما الشدة فقد توزعت على الألفات كالآتي:

الألفات	أدنى شدة/dB	أعلى شدة dB/	معدّل الشدة dB/
ألف (متى) بالفتح المحض	112.91-	5.42-	59.16 -
ألف (وأبصارهم) بالفتح المحض	130.42-	12.23-	71.32 -
ألف (متى) بالإمالة الصغرى	130.2-	9.78-	69.99 -
ألف (وأبصارهم) بالإمالة الصغرى	133.67-	15.85-	74.76 -
ألف(متى) بالإمالة الكبرى	130-	9.83-	69.91 -
ألف(وأبصارهم) بالإمالة الكبرى	135.25-	13.44-	74.34 -

ومن ذلك نلحظ أن أعلى مرتبة للشدة كانت في حيازة الألفات الخاصة بلفظ (متى)، والسبب في ذلك راجع إلى تطرف ألفاتها بخلاف نظيراتها، وكذلك إلى مجاورة الأولَيات للصامت المستفل، بخلاف ألفات (وأبصارهم) التي سبقها المستعلي ووليها الصامت المكسور الذي كسر من قوّتها، إذ لا يستوي خلُوٌّ ومستفل مع حاجز واستعلاء وجوار كسر.

5 - أما من حيث مستويات تردد الصوت فكانت كالآتي:

الألفات	أدنى تردد/Hz	أعلى تردد/Hz
ألف (متى) بالفتح المحض	21.53	5490.96
ألف (وأبصارهم) بالفتح المحض	43.06	10981.93
ألف (متى) بالإمالة الصغرى	21.53	5490.96
ألف (وأبصارهم) بالإمالة الصغرى	43.06	10981.93
ألف(متى) بالإمالة الكبرى	21.53	5490.96
ألف(وأبصارهم) بالإمالة الكبرى	43.06	10981.93

ويتضح لنا من خلال هذا الجدول أن الألفات مع (متى) تشترك في أدنى مستوى للتردد وأعلاه، كما أن الألفات مع (وأبصارهم) في ذلك كذلك، لكن الملاحظ أن مستويات تردد الصوت في ألفات (متى) على الشطر من نظيرتها في (وأبصارهم).

4- وعند النظر إلى شكل الحدة مع كل الشرائح السابقة نلمح استمرارية الحزم استطالة وانتظاما مع ألفات (متى) وتقشعا وتقطعات وقَزَعا مع ألفات (وأبصارهم)، مِثلا بمثل وسواء بسواء، وما ذلك إلا لما ذكرنا من تطرف وتوسط، وخلو واحتجاز، واستعلاء واستفال، انظر أشكال الحدة السابقة.

ثانيا: التفخيم والترقيق

1 - مناقشة نتائج تحليل تفخيم وترقيق الألف مع (اللاّم) الصامت الجانبي؛ (الصلاة - أنموذجا):

بعد التدقيق في نتائج الجدول الذي عُني بعرض تحاليل الفتحةِ الصائتِ الطويل الذي ولي (اللاّم) الصامتَ الجانبي في المثال (الصلاة) من سورة البقرة، آية 03؛ والتي وردت في القراءات القرآنية بالوجهين: (التفخيم والترقيق)، لاحظ الباحث ما يلي:

1 - لم يسجل أي فارق زمني استغرقه نطق كلا الصائتين، إلا فارقا جدَّ دقيق يقدر بـ 0.002 ثا، والذي نبرهن به على أن التفخيم والترقيق ظواهر نوعية لا تأثير لها في الكمية، كما أنها تلوينات أو ألوفونات صوتية.

2 - ومن خلال ملاحظة نتائج الشدة تبيَّن أن الألف المفخمة كانت أشد من نظيرتها المرققة، وذلك بلا شك راجع إلى قوة الألف الممتلئة بصفة التفخيم الناتج عن تضييق المخرج وتراجع الآلة (اللسان) وراءً؛ في مقابل نزول الألف المرققة عن الامتلاء شيئا إضافة إلى انفتاح اللسان لتحقيق إجراء الترقيق؛ انظر الجدول.

3 - أما تردد الصوت فهو مما اتفق عليه الظاهرتان، فالكل يسمع من نقطة تردد واحدة، مما ينوه بأن التغيرات التي تطرأ على الألف إنما هي تلوينات صوتية أو ألوفونات لا تأثير لها من حيث الجانب الوظيفي.

4 - وعند ملاحظتنا لشكل الحدة تبيَّن لنا أن اللسان في حال الترقيق ينفتح تدريجيا، مما يترتب عليه تحول في كثافة الحزم من الانضغاط إلى الانقشاع حتى يصل اللسان إلى أدنى مستوياته انفتاحا. أما في التفخيم فإن الكثافة تتصاعد من الانقشاع إلى الانضغاط، بسبب تراجع حركة اللسان من الانفتاح إلى التضييق المخرجي وبالتالي الهوائي؛ انظر شكل الحدة.

	ألف الصلاة بالترقيق	ألف الصلاة بالتفخيم
الزمن / ثا	0.332	0.334
الشدة / db	-137.48	-133.25
	-11.85	-9.22
التردد / hz	10981.93/43.06	10981.93/43.06

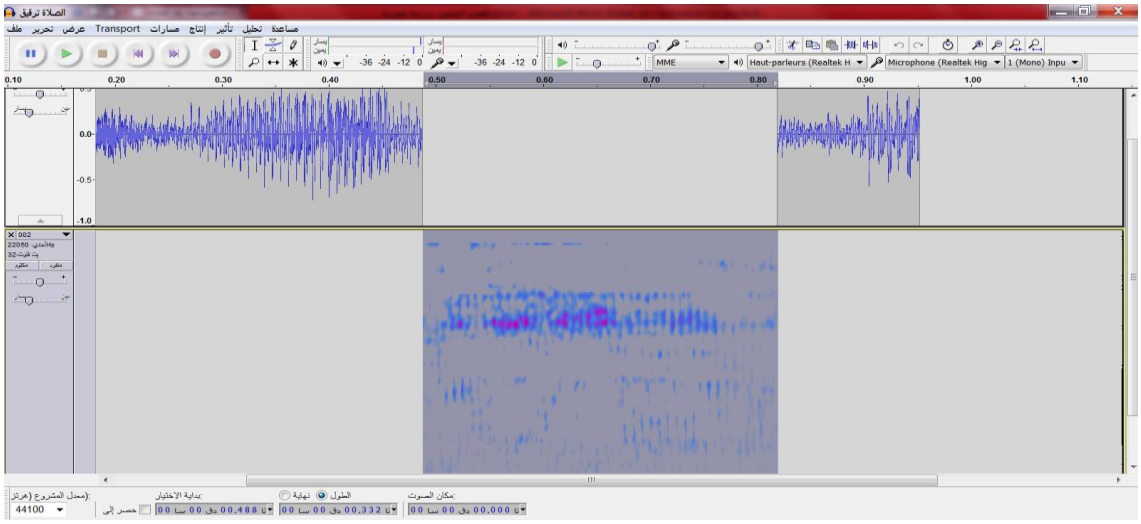

تحليل (الصَّلاَة) قراءة بالترقيق، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

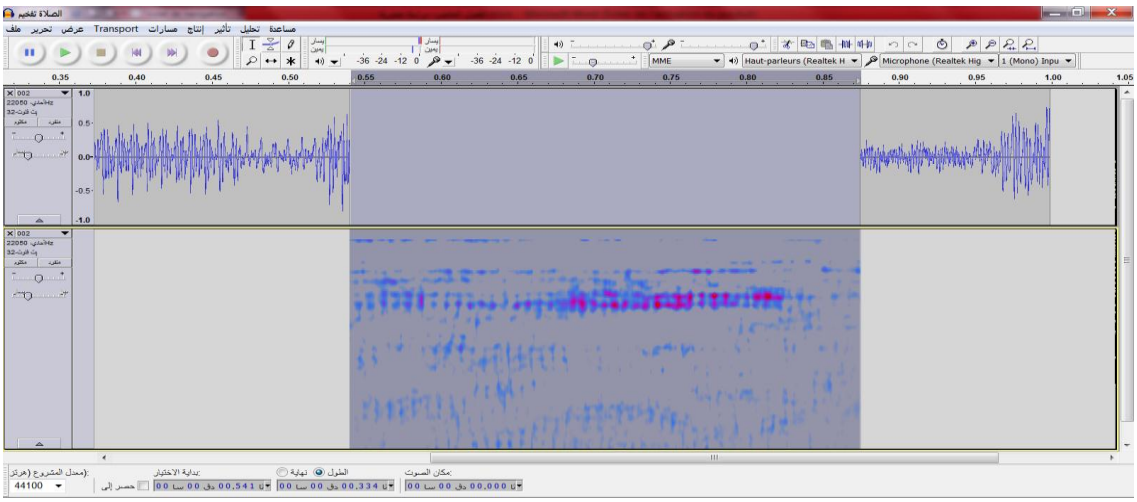

تحليل (الصَّلاَة) قراءة بالتفخيم، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

2 - مناقشة نتائج تحليل تفخيم وترقيق الألف مع (الرّاء) الصامت المكرّر؛ (فِراشا - أنموذجا):

وبعد الإمعان في نتائج الجدول الذي عُني بعرض تحاليل الفتحةِ الصائتِ الطويل الذي ولي (الراء) الصامتَ المكرر في المثال (فِراشا) من سورة البقرة، آية 22؛ والتي وردت في القراءات القرآنية بالوجهين (التفخيم والترقيق)، لاحظ الباحث ما يلي:

1 - لم يسجل ثمة فارق زمني استغرقه نطق كلا الصائتين، إلا فارقا دقيقا يقدر بـ 0.015 ثا، والذي نبرهن به على أن التفخيم والترقيق ظواهر نوعية لا تأثير لها في الكمية، كما أنها تلوينات أو ألوفونات صوتية.

2 - ومن خلال ملاحظة نتائج الشدة تبيَّن أن الألف المفخمة كانت أشد من نظيرتها المرققة، وذلك بلا شك راجع إلى قوة الألف الممتلئة بصفة التفخيم الناتج عن تضييق المخرج وتراجع الآلة (اللسان) وراء؛ في مقابل نزول الألف المرققة عن الامتلاء شيئا إضافة إلى انفتاح اللسان لتحقيق إجراء الترقيق؛ انظر الجدول.

3 - أما تردد الصوت فهو مما اتفق عليه الظاهرتان، فالكل يسمع من نقطة تردد واحدة، مما ينوه بأن التغيرات التي تطرأ على الألف إنما هي تلوينات صوتية أو ألوفونات لا تأثير لها من حيث الجانب الوظيفي.

4 - وعند ملاحظتنا لشكل الحدة وشكل الطيف يتضح لنا مدى كثافة الحزم الصوتية مع الألف المفخمة إذا قورنت بالألف المرققة فهي أقل كثافة، وذلك راجع إلى الأثر السمعي الذي يحدثه التفخيم، حيث أن حركة اللسان مع الترقيق تصل اللسان إلى أدنى مستوياتها انفتاحا، أما مع التفخيم فإنها تتراجع من الانفتاح إلى التضييق، فيحدث عن ذلك امتلاء الفم بصدى التفخيم بخلاف الترقيق؛ انظر شكل الحدة.

	ألف فراشا بالترقيق	ألف فراشا بالتفخيم
الزمن / ثا	0.290	0.275
الشدة / db	-130.535309	-130.268997
	-8.400828	-7.756508
التردد / hz	10981.93/43.06	10981.93/43.06

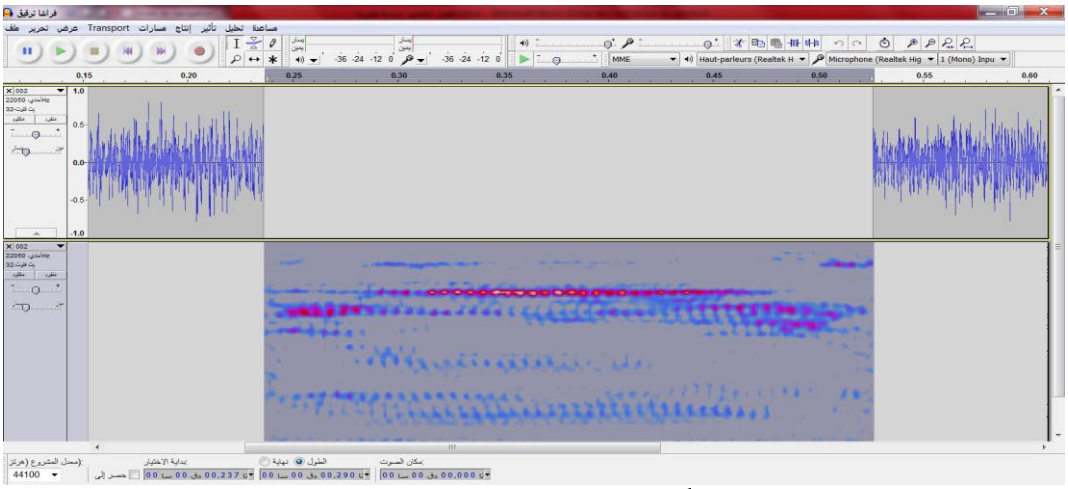

تحليل (فِرَاشاً) قراءة بالترقيق، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

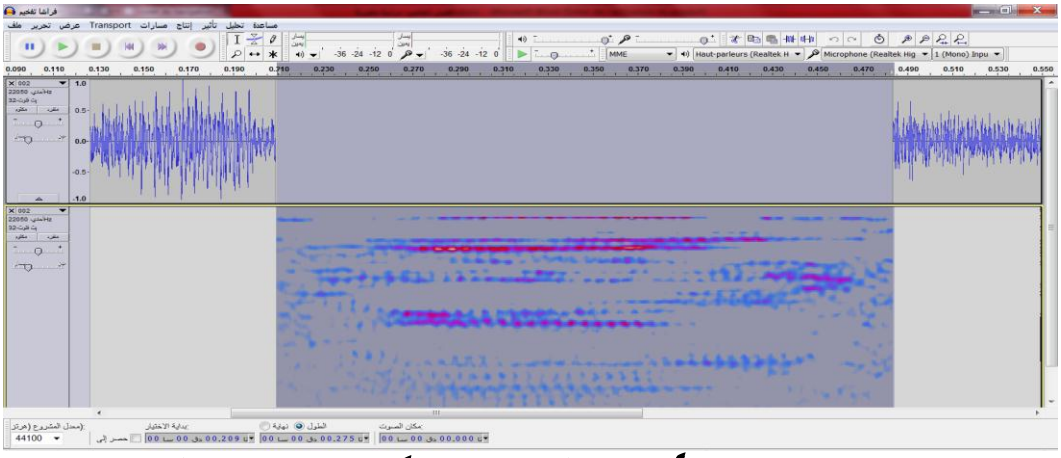

تحليل (فِرَاشاً) قراءة بالتفخيم، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

3 - مقارنة كل نتائج التفخيم والترقيق مجتمعة:

وإذا قارنا نتائج الجداول الخاصة بالتفخيم والترقيق بعضها مع بعض، فإننا نلحظ ما يلي:

1 - أن زمن النطق بالصائتين المفخمَينِ والمرققَينِ مع اللام ومع الراء متقارب نوعا ما؛ إلا أنه أطول بمجاورة اللام منه مع الراء، فهو متفاوت بين المرققين بمقدار 0.042 ثا، وبين المفخمين بـ 0.059 ثا، ولعل ذلك راجع إلى اختلاف الصوامت المجاورة؛ انظر الجدول:

الألفات	زمن النطق
ألف (فراشا) بالترقيق	0.290 ثا
ألف (الصلاة) بالترقيق	0.332 ثا
ألف (فراشا) بالتفخيم	0.275 ثا
ألف (الصلاة) بالتفخيم	0.334 ثا

2 - أما الشدة فقد توزعت نتائجها على الألفات كالآتي:

الألفات	أدنى شدة dB/	أعلى شدة dB/	معدّل الشدة dB/
ألف (فِراشا) بالترقيق	130.53 -	8.40 -	69.46 -
ألف (الصلاة) بالترقيق	137.48 -	11.85 -	74.66-
ألف (فِراشا) بالتفخيم	130.26 -	7.75 -	69.00 -
ألف (الصلاة) بالتفخيم	133.25 -	9.22 -	71.23 -

ومن ذلك نلحظ أن **أعلى** مرتبة للشدة- سواء في أدناها أو أعلاها أو معدلها- كانت في حيازة الألفات الخاصة بالتفخيم مع الراء، كما نلحظ أن **أدنى** مراتب الشدة كانت في حصيلة الألفات المرققة مع اللام، مما نبرهن به على أن حكم علماء التجويد بأن الأصل في الراء التفخيم، وأن الأصل في اللام الترقيق، أنه حكم صحيح يؤيده المخبر.

3 - أما من حيث مستويات تردد الصوت فإنه يتضح لنا من خلال الجدول الأول أن الألفات كلها تشترك في أدنى مستوى للتردد وأعلاه، وهذا يعني أن الكل يسمع من نقطة واحدة.

4- أما عند النظر إلى شكل الحدة مع كل الشرائح السابقة فإننا نلمح كثافة الحزم الهوائية بالدرجة الأولى مع الألف المفخمة في جوار الراء، يليها في الكثافة الألف المرققة في جوار الراء، لتأتي بعدها الألف المفخمة بجوار اللام، أما الألف المرققة بجوار اللام فهي الأخيرة، واللافت للنظر هو أن كثافة ترقيق الألف مع الراء أشد من كثافة الألف المفخمة بجوار اللام، مما نؤكد به أصالة الراء في التفخيم، وأصالة اللام في الترقيق، انظر أشكال الحدة كلها وقارن.

ثالثا: الإشمام والإخلاص

1 - مناقشة نتائج تحليل الإشمام وإخلاص الكسر مع الصامت المستفل؛ (سِيئت - أنموذجا):

	ياء (سيئت) بالكسر الخالص	ياء (سيئت) بالإشمام
الزمن / ثا	(بتوسط المد المتصل)1.082	(بالطول عند ورش) 2.231
الشدة / db	-125.95	-124.89
	-9.45	-9.26
التردد / hz	5490.96/ 21.53	5490.96/ 21.53

بعد التأمل في نتائج الجدول الذي عُني بعرض تحاليل الكسرة الصائتِ الطويل الذي ولي صامتا مستفلا (السين) في المثال (سِيئت) من سورة الملك، آية 27؛ والتي وردت في القراءات القرآنية بالوجهين:(بتوسط المد المتصل مع إخلاص الكسر، وبالطول مع الإشمام)؛ لاحظ الباحث ما يلي:

1 - استغرق زمن نطق الكسرة الطويلة خالصةِ الكسر مدة زمنية تقدر بـ 1.082 ثا، بوجه أدائي يصطلح عليه عند المجودين بتوسط المد المتصل، كما استغرق زمن نطق الكسرة الطويلة المشَمَّةِ شيئا من الضم مدةً زمنية تقدر بـ 2.231 ثا، بوجه أدائي يصطلح عليه عند المجودين بإشباع المد طولا، وهذا الوجه عند ورش عن نافع من طريق الأزرق، واستنادا إلى المد المتوسط السابق كان المفترض أن يكون المد الطويل عند ورش مقدرا بـ 1.623 ثا، ولما قارن الباحث بين المد المفترض (1.623 ثا) والمد الفعلي (2.231 ثا) وجده يفترق عنه بمدة زمنية مقدرة بـ 0.608 ثا، وهو ما يعادل مقدار قصر مد (حركتان) تقريبا بالنسبة للمد المرجعي (التوسط)، ولا يرى الباحث لهذا الفارق الزمني تفسيرا سوى استغراق جهاز النطق تلك المدة الزمنية الفارقة للتحول من مخرج الضمة الطويلة إلى الكسرة الطويلة ليتحقق الإشمام، بخلاف الكسر الخالص فهو لا يحتاج هذه الكلفة وهو الأصل.

2 - ومن خلال ملاحظة نتائج الشدة وجدنا أن الكسرة الطويلة المشَمَّة بالضم أشدُّ من خالصة الكسر، وهذا بالنظر إلى أعلى مستوى للشدة وأدناها على السواء. مما يبرهن على أن المشمة استمدت من شدة الضمة ما رفعها عن مستوى خالصة الكسر، بخلاف الخالصة التي خلت من ذلك، وفيه برهان على أن الضمة أشد من الكسرة.

3 - أما تردد الصوت فهو مما اتفقت عليه الكسرتان، فالكل يسمع من نقطة تردد واحدة، مما ينوه بأن التغيرات التي تطرأ على الألف إنما هي تلوينات صوتية أو ألوفونات لا تأثير لها من حيث الجانب الوظيفي.

4 - وعند ملاحظتنا لشكل الحدة وشكل الطيف تبيَّن لنا شكل التموجات في الحزم الصوتية عند القراءة بالإشمام مما يبين تأرجح الصائت الطويل ما بين الكسر الخالص والضم الخالص، أما مع القراءة بالكسر

الخالص فإن شكل الحدة ينضبط مع الطول مما يبرهن على خلاصه وصفائه من شائبة أي إشمام؛ انظر شكل الحدة.

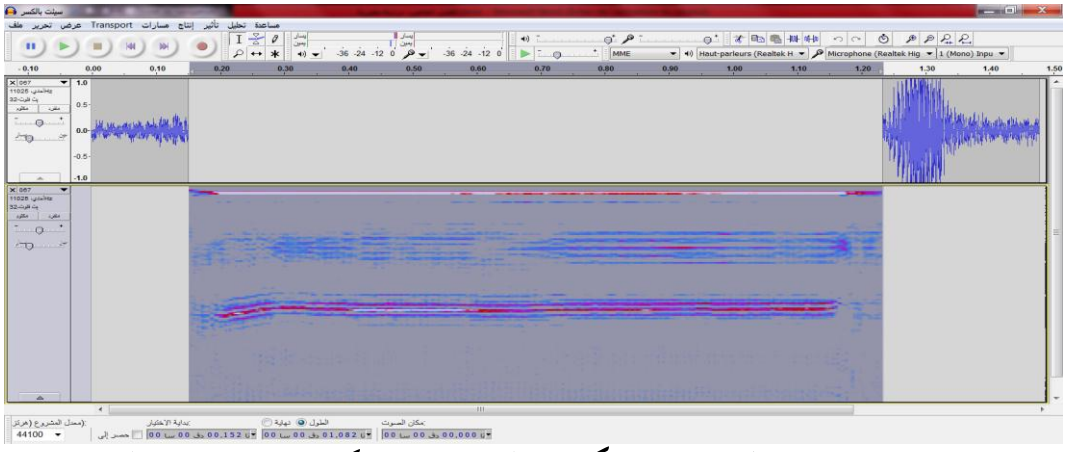

تحليل (سِيئَتْ) قراءة بالكسر الخالص، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

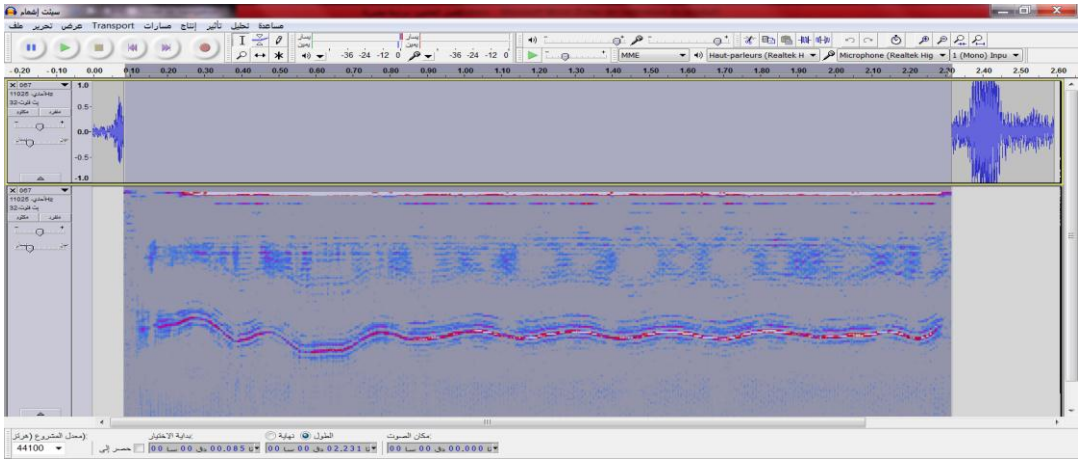

تحليل (سِيئَتْ) قراءة بالإشمام، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

2 - مناقشة نتائج تحليل الإشمام وإخلاص الكسر مع الصامت المستعلي؛ (وقيل - أنموذجا):

	ياء (وقيل) بالكسر الخالص	ياء (وقيل) بالإشمام
الزمن / ثا	0.274	0.322
الشدة / db	-130.21	-133.21
	-11.44	-9.35
التردد / hz	21.53/5490.96	21.53/5490.96

وبعد التدقيق في نتائج الجدول الذي عُني بعرض تحاليل الكسرة الصائتِ الطويل الذي ولي صامتا مستعليا (القاف) في المثال (وقِيل) من سورة الملك، آية 27؛ والتي وردت في القراءات القرآنية بالوجهين: (إخلاص الكسر، والإشمام)؛ لاحظ الباحث ما يلي:

1 - استغرق زمن نطق الكسرة الطويلة خالصةِ الكسر مدة زمنية تقدر بـ 0.274 ثا، فيما استغرق زمن نطق الكسرة الطويلة المشَمَّةِ شيئا من الضم مدةً زمنية تقدر بـ 0.322 ثا، أي أن المشمة تطول على الخالصة بمدة زمنية مقدرة بـ 0.048 ثا، ولا يرى الباحث لهذا الفارق الزمني تفسيرا سوى استغراق جهاز النطق تلك المدة الزمنية الفارقة للتحول من مخرج الضمة الطويلة إلى الكسرة الطويلة ليتحقق الإشمام، بخلاف الكسر الخالص فهو لا يحتاج هذه الكلفة وهو الأصل.

2 - ومن خلال ملاحظة نتائج الشدة وجدنا أن الكسرة الطويلة المشَمَّة بالضم أشدُّ من خالصة الكسر في أعلى مستوى لهما، مما يبرهن على أن المشمة استمدت من قوة الضمة قوة ومن شدتها شدة، بخلاف الخالصة التي خلت من ذلك، وفيه برهان على أن الضمة أشد من الكسرة.

3 - أما تردد الصوت فهو مما اتفقت عليه الكسرتان، فالكل يسمع من نقطة تردد واحدة، مما ينوه بأن التغيرات التي تطرأ على الألف إنما هي تلوينات صوتية أو ألوفونات لا تأثير لها من حيث الجانب الوظيفي.

4 - وعند ملاحظتنا لشكل الحدة وشكل الطيف تبيَّن لنا كثافة الحزم الصوتية عند القراءة بالإشمام، على عكس القراءة بإخلاص الكسر، كما أن الحزم الهوائية في الإشمام عالية كما يتبين في الشكل، أما مع الكسر فأقل علوا منها، انظر شكل الحدة.

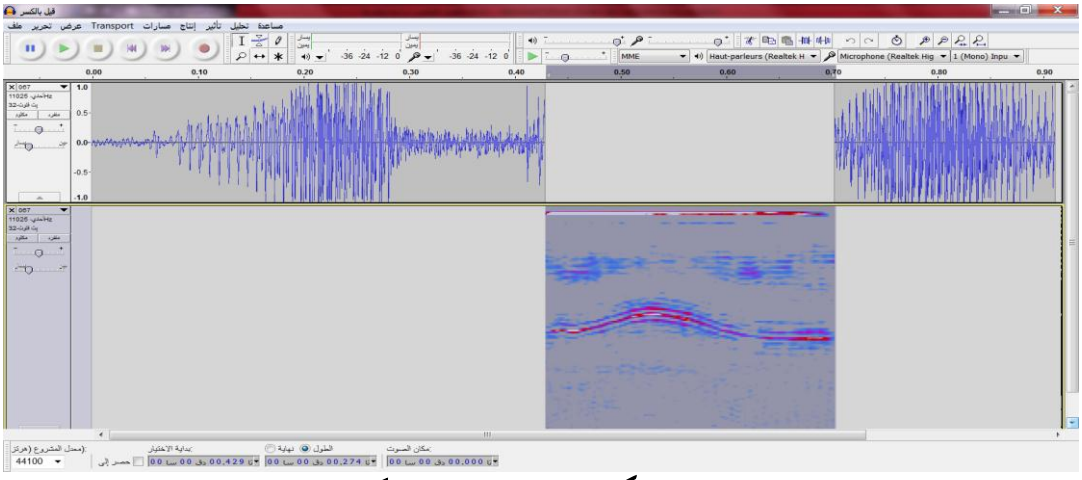

تحليل (وَقِيلَ) قراءة بالكسر الخالص، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

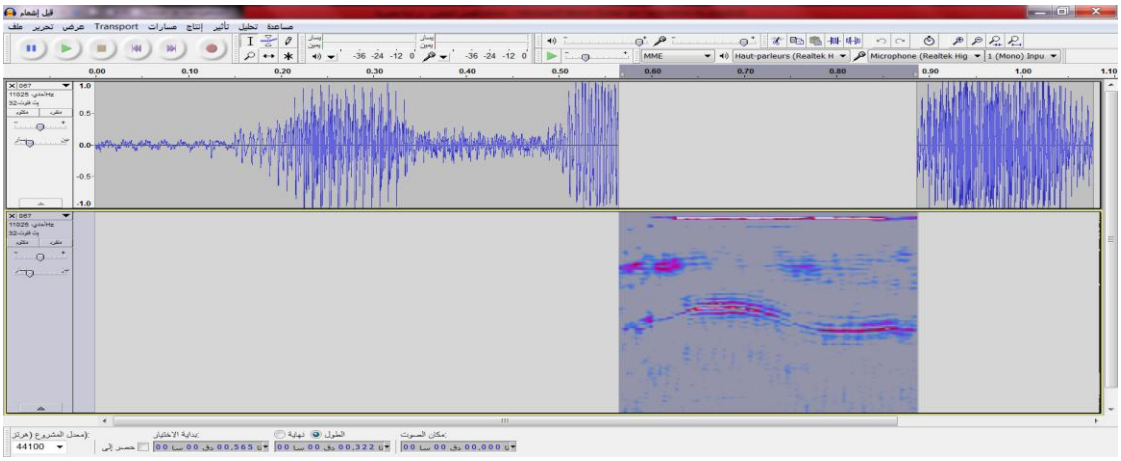

تحليل (وَقِيلَ) قراءة بالإشمام، على شكل الموجة ورسم الحِدّة

3 - مقارنة كل نتائج الكسر والإشمام مجتمعة:

وإذا قارنا نتائج الجداول الخاصة بالكسر الخالص والكسر المشم ضما بعضها مع بعض، فإننا نلحظ ما يلي:

1 - أن زمن النطق بالياء في (وقيل) مضاعَف عما هو عليه زمن نطق الياء في (سيئت) نوعا ما، وسواء في ذلك إخلاص الكسر أو الإشمام، وقد تم هذا الحساب بإرجاع المد المتوسط إلى المد الطبيعي المفترض، وكذلك المد المشبَع؛ انظر الجدول التالي. ولعل ذلك الفارق الزمني راجع إلى اختلاف الصوامت المجاورة ما بين مستعل ومستفل أولا، وهناك سبب آخر هو أن الياء في سيئت كانت قد سُبِقَت بسكون

لتنوين تاء (صامت مستفل) فسياق الآية (زُلْفَةً سِيئَت)، أما الياء الأخرى فسياقها مُثقَل بالواوات، ونص السياق(كفروا وقيل)، وبهذا نرجع طول زمن نطق ياء (سيئت) إلى استواء جوّ المد والخلوّ من العائق، أما ياء (وقيل) فإن ثقل القيود (الواوات) ونعني بذلك واو كفروا، وواو وقيل، والواو المشمة مع ياء وقيل، أرغم الناطق على تخفيف زمن النطق بالياء المدية، ولعل هذا يذكرنا بقول عبد الوهاب القرطبي: « لأن تكرار الحرف الواحد ثقيل في اللفظ لما فيه من الشبه بمشي المقيد الذي يرفع رجله ويردها إلى الموضع الذي منه رفعها. وهذا دليل الثقل، ولأجله **استخف** الإدغام»[1].

الياءات	طريقة حساب الزمن المقارَن	زمن النطق
ياء (سيئت) بالكسر الخالص	1.082 ثا /2 = 0.541 ثا(توسط)	0.541 ثا
ياء (وقيل) بالكسر الخالص	0.274 ثا (على أصلها - طبيعي)	0.274 ثا
ياء (سيئت)بالإشمام	2.231 ثا /3= 0.743 ثا(إشباع)	0.743 ثا
ياء (وقيل) بالإشمام	0.322 ثا(على أصلها - طبيعي)	0.322 ثا

2 - وإذا لاحظنا الجدول التالي الخاص بأعلى مستويات الشدة وأدناها ومعدلها الخاص بكل الياءات العيّنات، فإننا نلاحظ أن **أعلى** مرتبة للشدة كانت في حيازة ياء (سيئت بالإشمام)، كما نلحظ أن **أدنى** مراتب الشدة كانت في حصيلة ياء (وقيل) بالإشمام، مما نبرهن به على تأثير المجاوِر، فالخفة في سياق (سيئت) استجازت الشدة، كما أن ثقل سياق (وقيل) تطلب الاستخفاف، وهذا ما أسلفناه في التعليق على الزمن؛ لاحظ الجدول:

الياءات	أدنى شدة/dB	أعلى شدة/dB	معدّل الشدة/dB
ياء (سيئت) بالكسر الخالص	125.95 -	9.45 -	67.7 -
ياء (وقيل) بالكسر الخالص	130.21 -	11.44 -	70.82 -
ياء (سيئت)بالإشمام	124.89 -	9.26 -	67.07 -
ياء (وقيل) بالإشمام	133.21 -	9.35 -	71.28 -

(1) الموضح (183-184).

3 - أما من حيث مستويات تردد الصوت فإنه يتضح لنا من خلال الجدول الأول أن الياءات كلها تشترك في أدنى مستوى للتردد وأعلاه، وهذا يعني أن الكل يسمع من نقطة واحدة.

4- أما عند النظر إلى شكل الحدة مع كل الشرائح السابقة فإننا نلمح كثافة الحزم الهوائية بالدرجة الأولى مع الياء المشمة بجوار المستعلي، يليها في الكثافة الياء الخالصة بجوار المستعلي، لتأتي بعدها الياء المشمة بجوار المستفل، أما الياء الخالصة بجوار المستفل فكانت الأخيرة، وهذا ما يؤكد مدى تأثر الأصوات ببعضها، انظر أشكال الحدة السابقة كلها وقارن.

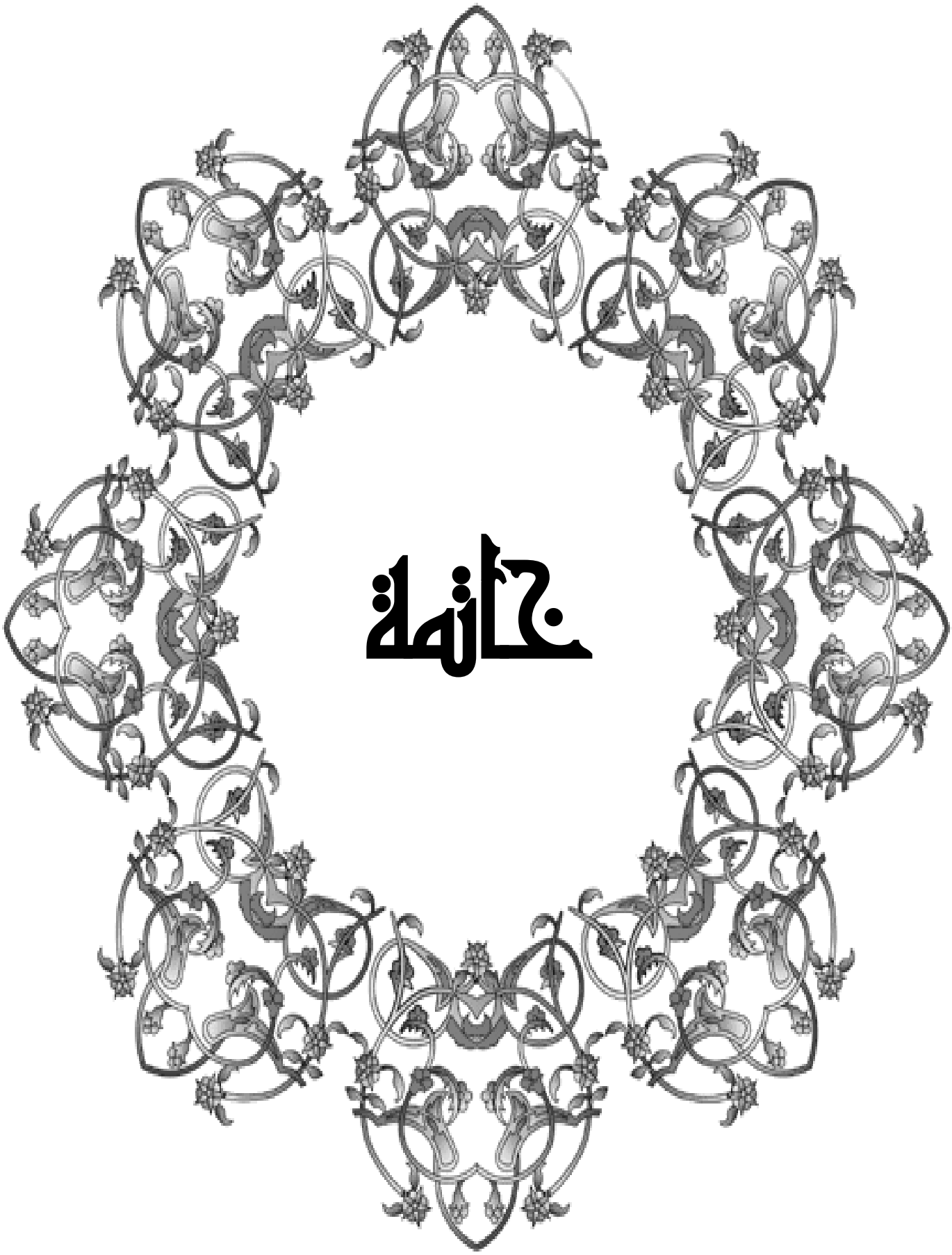
خاتمة

خاتمة

أريد في نهاية البحث أن أعرض ملخَّصاً لأبرز النتائج العامة التي توصلت إليها، وأبرز الإجابات عن الإشكالات التي كانت تتراءى في البحث، وهي كالآتي:

- إنّ في زعم المحدثين إغفالَ المتقدمين للصوائت تحَكُّما، وأقوال المتقدمين في ذلك تبرز عنايتهم اللائقة بها.

- كذلك شعَّب اتساعُ مخارج الصوائت الخلافَ بين القدماء في تحديد الملامح الصوتية لها أكثرَ منه في تحديد ملامح الصوامت.

- ينبني الخلاف بين المتقدمين في مخارج الصوائت على تصنيف حرفَي اللِّين؛ هل هي من الصوائت أو من الصوامت؟

- للمدود أهميتها البالغة على كل المستويات، فهي النواة التي ينبني عليها التنوع في الصيغ والمفردات، والأداة الحساسة التي يتمكن بها الناطق من الإسماع، وسَلسَلَةِ الصوامت، وعليها ترتكز كثير من تنوعات الأداء القرآني، وبها يتأتى النبر والتنغيم.

- أن الخلاف بين المتقدمين والمحدثين في حقيقة المدود؛ هل هي ساكنة أو حركات طويلة؟ ينبني عليه تعديل كبير في كثير من المسائل النحوية والصرفية والكتابية، وعليه فإنّه يصعب تغيير طرق الكتابة العربيّة في عصرنا هذا من منطلق تطابق الرّمز المكتوب والصّوت المسموع، لأن ذلك يصَعِّب على الأجيال الراهنة والتالية قراءة كتب التراث التي تم كتابتها، وبخاصة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. كما أنه يشكل تصادما في تفسير بعض الظّواهر النّحويّة والصّرفيّة التي لا تنسجم مع الكتابة الجديدة المتوقعة.

- يلاحظ كل من يطالع طريقة عرض المحدثين للصوائت تضاربا في المصطلحات، وسبب ذلك راجع إلى اختلاف في مصادر التلقي أحيانا، وتضارب في الترجمة أحيانا أخرى.

- تختلف طريقة المحدثين عن المتقدمين في دراسة الصوائت بكونها ترتكز في كثير من الأحيان على دروس المستشرقين، أو على المخابر الصوتية أحيانا أخرى.

- لا طائل من وراء تقسيم المد إلى أكثر من أصلي وفرعي، وقد تكثر تفريعات المد أو تقل، لكنها تصب – في الجملة – في ما وصلت إليه من أقسام.

- تتنوع أوجه الأداء عند القراء العشرة ورواتهم وطرقهم، لكنها يؤتى بها على سبيل التخيير.

- أقوى أسباب المد السكونُ، على أحوال تعتريه تقتضي تقديم بعض أنواع مدوده على بعض، يليه الهمز على أولويات في أحواله كذلك، وعلى هذه الأسس يتم تقديم بعض أنواع المدود على بعض.

- بحكم دلالة المدود على معانيها العامرة بالامتداد والطول، فإننا نلاحظها غنية بالظواهر الصوتية الكمية، ويتبين ذلك أوضحَ في مجال القراءات القرآنية.

- كما أن المدود في اللغة العربية غنية بالظواهر الصوتية النوعية التي عكسها اختلاف الروايات والقراءات القرآنية، وكذلك اختلاف اللهجات العربية الفصيحة.

- يظهر الفرق بين الصوامت والصوائت مشافهةً، ودون حاجة إلى إعمال مخبر، لكنَّ في المخبر تدقيقا وزيادةَ ضبط.

- أن ضبط أزمنة المدود بحركة الإصبع نسبيٌّ، وهو من باب التيسير على المبتدئين فقط، وليس بإمكان أيّ أحد ضبطُ زمن قياسي لا يمكن الزيادة عليه أو النقصان منه، ونتائج المخبر دليل على ذلك.

- أن التفاوت بين ما كان وما يجب أن يكون عند قراء العينات يزول إشكاله إذا تمعنا في كلام مكي بن أبي طالب في باب ضبط أزمنة المدود؛ وعليه فإن القراء المجازين معذورون بذلك.

- أن المخبر أثبث أن ما يظهر بالمشافهة خلافُ ما يثبته الوصف الحاسوبي الدقيق، فما لا يظهر بالمشافهة يتجلى في المخبر بدقة.

- أنه يجب التنبُّه إلى أمر هام؛ هو أن تغير ظروف التلاوة يعكس تغيرا في التزام الكم الزمني للصوائت، من جملة ذلك : تغيُّر وتيرة التلاوة، والبيئة التي يتم فيها التسجيل : (صلاة التراويح، تسجيل إذاعي، مناسبات، مسابقات، أمام لجنة التّحكيم، مراجعة المحفوظ، حالة الشرود الذهني، وهكذا).

- أنه بإمكاننا تغيير إجراءات الدراسة التطبيقية بحسب الوسائل المستخدمة ، والعينات المنتقاة ، واتجاه الرؤية (أفقية ، عمودية) ، وتنوع وِحْدات القياس ، وما إلى ذلك ، وذلك بهدف إثراء الدراسة والحصول على نتائج أكثرَ بحسَب المتطلبات.

- أن المدود ليست مجرد ظاهرة كتابية أو مصحفية يمكن التغاضي عنها، ولكنها ظاهرة أدائية لها ما يحكمها من قوانين ومعايير واختلافات محكمة بين القراء والناطقين.

- تبين لنا أن المدود كانت موجودة في العربية قبل نزول القرآن الكريم، وذلك ظاهر في أشعار العرب لكونها كانت تتناقلها الرواة من جهة، وأنها كان يُتغَنّى بها من جهة أخرى، لكن أشعار العرب لم تكن تحكمها تلك المعايير الدقيقة والمتنوعة التي تحلت بها القراءات القرآنية، وذلك راجع إلى أن الأشعار كانت تُتَناقل بأشكال محدودة وكثير منها ما نُسي، ولم يصل إلينا ما يثبث تلك القوانين والمعايير، أما القراءات القرآنية فتناقلها تعَبُّدي ومتواتر ومضبوط بالكتابة والمشافهة.

- لم تعتمد بعض القراءات القرآنية كل تلك التنوعات الأدائية التي تحلت بها القراءات الأخرى في باب المدود، لأن الخلاف في ذلك لا علاقة له باجتهاد القراء، وإنما هي مسائل مضبوطة ومنقولة إلينا بالتواتر.

خاتمة

وفي الأخير نحمد الله تعالى أن يسَّر في هذا الزمن وسائل لتسجيل الصوت وتقويته وضبطه من خلال أشرطة التسجيل وأجهزة العرض الصوتية، هذه الوسائل التي تمَّ تسخيرها لخدمة القرآن الكريم منذ عشرات السنين.

ولكنَّ الأمل الذي نطمح إليه هو أن يُستفاد من هذه الوسائل في توثيق القراءات المتواترة وحفظها لمبتغيها، وذلك من خلال قيام جهة مرجعية في العالم الإسلامي باستيفاد كبار القراء المجازين في العالم الإسلامي، وتسجيل تلاواتهم للمتواتر من القرآن بوجوهه المأذون بها جميعاً، لتصبح ذخائر صوتية تصير فيما بعد وثيقة للتاريخ تعرف بها الأمة ما أُذِن وما لم يُؤذَن به من قراءة التنزيل.

وتظهر أهمية هذه الفكرة بالنظر في طبيعة أداء هذه القراءات المتواترة، إذ أن غالبها لا يضبطه الكُتَّاب على وجهه، ولابد فيه من ضبط الشفاه، وهذا بدوره لا يتوفر إلا عند أهل الاختصاص، وهم نخبة محدودة، لا يملك سائر الناس سبل الوصول إليهم وتحصيل المعرفة عنهم.

ونأمل أن يتم استكمالها لكامل القرآن الكريم وفقاً للمواصفات نفسها، وأن يسعى الباحثون إلى تعميمها على القراءات الأخرى لنُسهم جميعاً في الرُّقي بمستوى حوسبة القرآن وتطبيقاته.

كما نطمح إلى تسجيل ذخائر صوتية للنطق بالعربية الفصيحة، التي كان عليها العرب الأوائل قبل دخول العجمة واللكنة عليها، ولا سبيل إلى ذلك إلا الاعتماد على الذخائر الصوتية المسجلة للقراءات القرآنية المتواترة، والهدف من ذلك هو الوصول إلى مرجعية للناطقين وغير الناطقين باللغة العربية، ومن ثَمَّ إلى حَكَم فصل في الخلافات، صيانةً للعربية الفصيحة من العبث.

ونطمح أيضا إلى بحوث علمية متخصصة في مجال الصوتيات العربية، يتم فيها إفراد كل جزئية من جزئيات الدرس الصوتي العربي على حدة، على نحو من التعمق والتدقيق والتحقيق، شريطة أن تكون هذه البحوث متناسقة لتصل في الأخير إلى موسوعة صوتية متينة يحق لها أن تكون مرجعا في بابها.

ونأمل في الأخير إلى وقفة جِدٍّ ووفاء من باحثين أَكْفاء، تُوكَل إليهم مهمة فرز كتب المتقدمين، وسبرِ غورها وجردِها؛ مطبوعها ومخطوطها، لا نخص كتب العربية والقراءات القرآنية وكتب التجويد، بل كل ما كتبه المتقدمون في كافة المجالات والمضامين. يقوم هذا الفريق بمسح هذه الكتب، ثم يعكف على فرز كل كتاب أو نص أو معلومة أو كلمة تخدم الدرس الصوتي، فالتراث العربي مليء بالكنوز المدفونة في بحاره المُغَيَّبَةِ في غياهبه، وقبيح ببعضنا أن يردد كلمة لمستشرق - عقودا من الزمن- يتّهم فيها أسلافه بتقصيرهم في معالجة مسألة ما، وكتبهم - في الحقيقة- عامرة بما يفند اتهاماته لهم، وما ذلك إلا لنقص في التحقيق العلمي، والاقتياتُ من موائد الآخرين. والحمد لله رب العالمين.

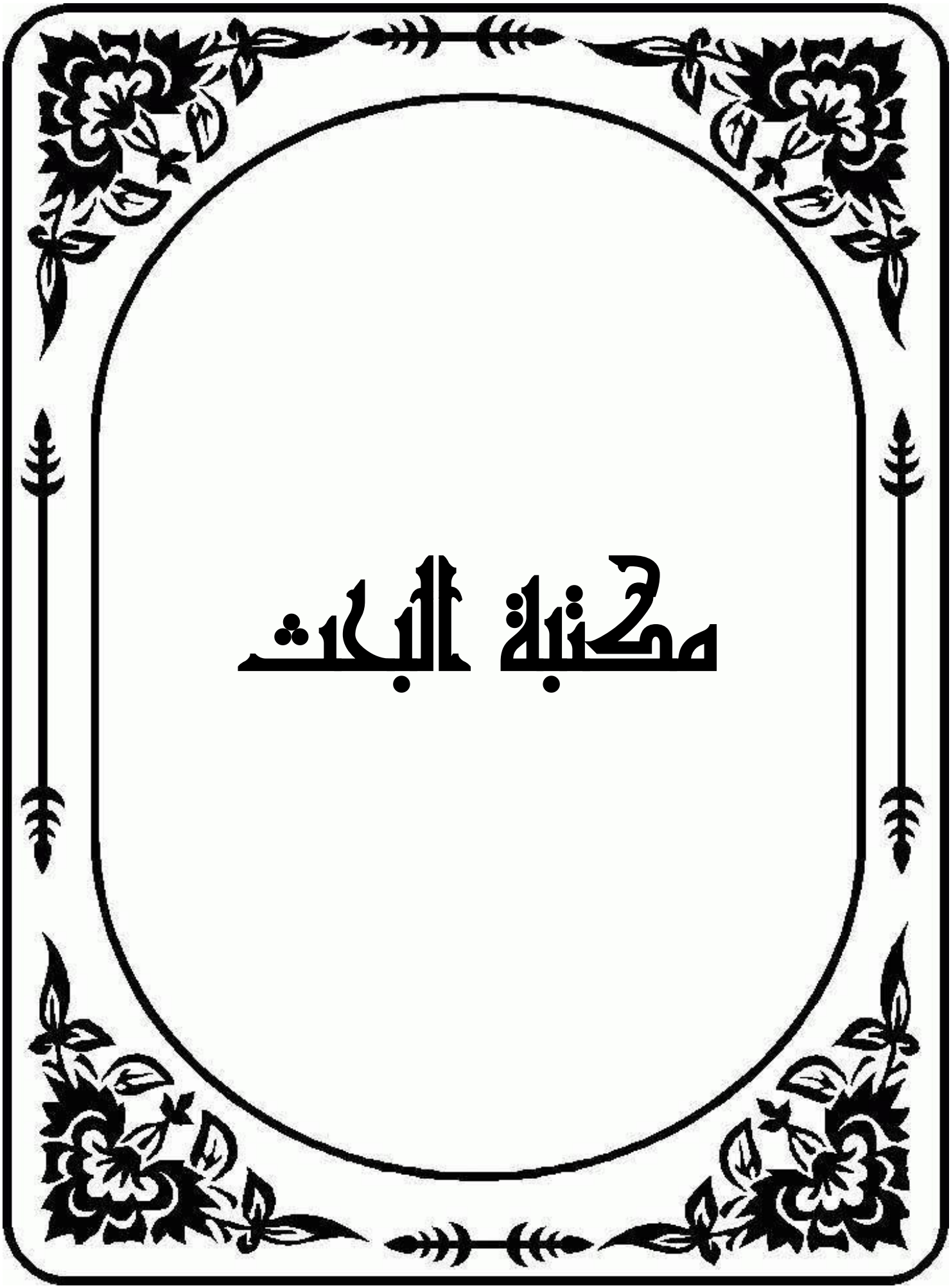
مكتبة البث

القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، 1418هـ.

1. **أحمد راغب** أحمد، فونولوجيا القرآن الكريم، دراسة لأحكام التجويد في ضوء علم الأصوات الحديث، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د، محمد الدسوقي الزغبي، أ.د، محسن عبد الرزاق رشوان، جامعة عين شمس، كلية الآداب، مصر، (د.ت).
2. **أحمد مختار عمر،** دراسة الصوت اللغوي، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 1976.
3. **أحمد قدور،** مدخل إلى فقه اللغة العربية، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1999م.
4. **إدريس علي الأمين،** الإمالة الصغرى لدوري أبي عمرو، منقول عن مجلة القرآن الكريم، العدد الأول – 1427هـ،2006م.
5. **إستيتية،** سمير شريف، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، عمان - الأردن، ط01، 2002م.
6. **الأشموني،** نورالدين، شرح الأشموني على الفيّة ابن مالك، تحقيق : محمد محّي الدين عبدالحميد، بيروت، ط1، 1955م.
7. **الأزهري،** أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، حققه وقدم له عبد السلام محمد هارون، راجعه محمد علي النجار، دار القومية العربية للطباعة، مصر، 1384هـ-1964م.
8. **الأزهري،** خالد، شرح الأزهرية في علم العربية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية 1374هـ-1955م.
9. **الأزهري،** عبد الدائم، الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، رسالة ماجستير، دراسة وتحقيق نزار خورشيد مامه، بإشراف الدكتور غانم قدوري الحمد، جامعة تكريت 1420هـ – 2000م.
10. **الأستراباذي،** رضي الدين: (شرح شافية ابن الحاجب)، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م.

- **الأنطاكي،** محمد:

11. المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق ، بيروت، ط3، (دت).
12. الوجيز في فقه اللغة، دار الشرق العربي ، ط2، 1969م.
13. **الأندرابي،** أحمد بن أبي عمر، الإيضاح في القراءات، أطروحة دكتوراه، دراسة وتحقيق منى عدنان، إشراف غانم قدوري الحمد، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، 2002م.

14. **البكوش،** د. الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ط2، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1987م.

15. **الجبوري،** أحمد خضير محمد خالد، الجهودُ الصوتيَّةُ للأندرابيّ في كتابه الإيضاح في القراءات (دراسة موازِنة)، رسالة ماجستير،، إشراف د. جمعة حسين محمد البياتي، كلية التربية بجامعة تكريت، 1425 هـ - 2004م.

16. **الجبوري،** أحمد عطية علو، الخلاف الصوتي عند القدماء والمحدثين، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور سالم قدوري الحمد، كلية التربية، جامعة تكريت، 1424هـ- 2004م.

17. **الجبوري،** حسين خلف صالح، جهود علماء العربية في دراسة المصوّتات في ضوء الدرس الصوتي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة تكريت، إشراف د. عبد الجليل تركي نقي، تموز 2003م.

18. **الجرجاني،** عبد القاهر، دلائل الإعجاز، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط1، 2000م.

19. **الجرجاني،** علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م.

20. **الجريسي،** محمد مكّي نصر الشافعي، نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2003م.

21. **الحصري،** محمود خليل، أحكام قراءه القرآن الكريم، دار البشائر الاسلامية، السعودية، ط4، 1999م.

22. **الحماش،** د. خليل ابراهيم، الأفكار الأساسية بعلم الصوت الحديث وتطبيقاتها على دراسة اللغة العربية، آفاق عربية، بغداد، س ع، ع9، 1979م.

الحمد، د. غانم قدوري:

23. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط1، وزارة الأوقاف، بغداد، 1986م.

24. رسم المصحف ـ دراسة لغوية تاريخية ـ مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1402هـ - 1982م.

25. المدخل إلى علم أصوات العربية، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، الطبعة الأولى 1423هـ- 2002م.

26. فكرة الصوت الساذج وأثرها في الدرس الصوتي العربي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الرابع، ذو الحجة 1428هـ.

27. المصوتات عند علماء العربية، مجلة كلية الشريعة، ع5 1399 هـ -1979م.

28. **الدباس،** صادق، الثنائيات الصغرى في الحركات ودورها الدلالي في صياغة البنى الصرفية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات- العدد الخامس والعشرون(2)- أيلول 2011م.

- **الداني،** عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو:

29. التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمّان، ط 1، 2000م.

30. المحكم في نقط المصاحف، تحقيق د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية 1407هـ.

31. التيسير، تصحيح أوتويرتزل دار الكتب العلمية 1981م.

32. الأحرف السبعة للقرآن، مكتبة المنارة - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1408هـ.

33. جامع البيان في القراءات السبع، جامعة الشارقة - الإمارات، ط01، 1428 هـ - 2007م.

34. **الدمياطي،** شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط01، 1998م.

35. **الراجحي،** د. عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، 1999م.

36. **الرازي،** أبو حاتم أحمد بن حمدان، الزينة في الكلمات الإسلامية، تع : حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبري، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ط1، 1957.

37. **الرازي،** محمد بن عمر المعروف بالفخر، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000.

38. **الزجاج،** أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق : عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408 هـ – 1988م.

- **الزجاجي،** أبو القاسم:

39. كتاب الخط، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، مجلة المورد، مج 19، ع2، 1410 هـ – 1990م.

40. الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، (بيروت)، لبنان، ط3، 1979م.

41. **الزركشي،** البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب، 1408هـ، 1988م.

42. **الزمخشري،** أبو القاسم محمود بن عمر، المفصل في علم اللغة العربية، دار الجيل،بيروت، الطبعة الثانية (د.ت).

43. **السامرائي،** فاضل صالح، معاني النحو، بيت الحكمة، 1987م.

44. **السامرائي،** إبراهيم، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.

45. **السحيمي،** سلمان سالم رجاء، الحذف والتعويض في اللهجات العربية من خلال معجم الصحاح للجوهري، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، السعودية، ط01، 1415هـ.

46. **السعران،** محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط02،القاهرة، 1997م.

47. **السعيدي،** أبو الحسن علي بن جعفر، التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي،ج2 مج 36 شوال 1405 هـ – حزيران 1985م.

48. **السمرقندي،** محمد بن محمود، روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، رسالة ماجستير، دراسة وتح: إبراهيم عواد السامرائي، إشراف رشيد عبد الرحمن العبيدي وغانم قدوري الحمد، جامعة صدام للعلوم الإسلامية، العراق، 1999م.

49. **السيرافي،** أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: د. محمد هاشم عبد الدائم، مراجعة: د. رمضان عبد التواب ود. محمود علي مكي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1998م.

السيوطي، جلال الدين:

50. همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، عني بتصحيحه : محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت).

51. الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط 3، 1996م.

52. **الشاطبي،** القاسم بن فيرة بن خلف، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، دار الكتاب النفيس - بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ.

53. **الشيرازي،** نصر بن علي ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر حمدان الكبيسي، رسالة دكتوراه بإشراف د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، 1408هـ.

54. **الصفاقسي،** أبو الحسن علي بن محمد، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1407هـ-1987م.

55. **الصيغ،** عبد العزيز، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2000م.

56. **الضباع،** علي بن محمد حسن المصري:

57. القول الأصدق في بيان ما خالف فيه الأصبهاني الأزرق، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1999م.

58. الإضاءة في بيان أصول القراءة، محمد الحسيني، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر (د.ت).

59. **الطبريّ،** أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القران (تفسير الطبري)، تح : محمود شاكر، مط : دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

60. **العاني،** د. سلمان حسن، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، تر. د. ياسر الملاح، ط.1، النادي الأدبي، جدة، 1983م.

61. **الغامدي،** محمد سعيد، العلاقة بين المعنى والإعراب في الدرس النحوي، قسم اللغة العربية، جامعة الملك عبد العزيز، نشر مجلة جامعة الطائف للآداب والتربية.

62. **الفارابي،** أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم، ديوان الأدب، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر، مراجعة الدكتور إبراهيم أنيس، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1394هـ-1974م.

63. **الفارسي،** أبو علي، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط 2، 1993م.

64. **الفراء،** أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1980م.

65. **الفراهيدي،** الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن، كتاب العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد 1400 – 1980م.

66. **القاري،** ملا علي، المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، الطبعة الأخيرة، 1948م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

67. **القاضي،** عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبي والدرة، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

68. **القرطبي**، عبد الوهاب، الموضح في التجويد، تح : غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان – الأردن، ط01، 1421هـ،2000م.

69. **القرني،** علي عبد الله، أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د. سليمان العايد، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية،2004م.

70. **القسطلاني،** شهاب الدين، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة – مصر، 1972م 1393هـ.

71. **القضاة،** محمد عصام مفلح، الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، (د.ت).

72. **القيسي،** مكي بن أبي طالب، أبو محمد:

73. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح. د. أحمد حسن فرحات، ط. د. المعارف للطباعة، دمشق، 1973.
74. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 4، 1987.
75. مشكل إعراب القرآن، تحقيق : ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، ط2، (د.ت).
76. **الكفوي،** أبو البقاء أيوب بن موسى الحسين، الكلّيات، إعداد: عدنان درويش، ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974م.
77. **المارغني**، إبراهيم بن أحمد التونسي، دليل الحيران على مورد الظمآن، لمحمد بن محمد الشريشي الفاسي الشهير بالخراز، مكتبة النجاح، طرابلس – ليبيا، (د.ت).
78. **المبرد،** أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة 1403هـ-1983م.

- **المحيسن،** محمد سالم:

79. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، دار الجيل، لبنان، ط2، 1988م.
80. المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1997.

- **المرادي،** الحسن بن قاسم المصري المالكي:

81. المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن 1407هـ-1987م.
82. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، دار الفكر العربي، الطبعة : الأولى 1428هـ - 2008م.
83. شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، تحقيق الدكتور عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت (د.ت).
84. **المرعشي،** محمد بن أبي بكر الملقب بساجقلي زاده، جهد المقل، دراسة وتحقيق: سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان- الأردن، ط2، 2008م.
85. **المرصفي،** عبد الفتاح المصري، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط 02.
86. **المسؤول،** عبد العلي، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، دار السلام، مصر، ط1، 2007م.

87. **المطلبي،** د. غالب فاضل، في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة العراقية، (بغداد)، العراق، 1984م.

88. **المقدسي،** أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تح: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

89. **النجار،** محمد عبد العزيز، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2001م.

90. **النحّاس،** أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1409هـ – 1989م.

- **النعيمي،** د. حسام سعيد:

91. أبحاث في أصوات العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، 1998م.

92. أصوات العربية بين التحول والثبات، سلسلة بيت الحكمة، بغداد، 1989م.

93. **النسفي،** أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل- ، دار النشر : دار النفائس - بيروت 2005م.

94. **النيرباني،** عبد البديع، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثاني - دمشق، الطبعة الأولى، 1427هـ - 2006م.

95. **الواسطيّ،** أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن التّاجر المقرئ تاج الدين، الكنز في القراءات العشر، تح: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط01، 2004م.

96. **الوفائي،** أبو الوفاء نصر الهوريني، المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، المطبعة الميرية، مصر، الطبعة الثانية 1302هـ.

97. **أمنزوي،** محمد، نظام الصوائت وأشباهها في العربية الفصحى (دراسة صوتية إحصائية)، دار وليلي للطباعة والنشر - مراكش، ط الأولى، 2000م.

98. **ابن الأنباري،** أبو البركات، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق : طه عبد الحميد طه، مراجعة : مصطفى السقا، دار الكتاب العربي، مصر 1389هـ-1969م.

- **أنيس،** د. إبراهيم:

99. الأصوات اللغوية، ط5، مك. الأنجلو المصرية، 1979.

100. دلالة الألفاظ، ط2، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1963م.

101. اشتقاق حروف العلة (بحث)، مجلة كلية الآداب جامعة فاروق الاول القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، م2، 1944م.

102. في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة)، مصر، ط3، 2003م.
103. من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة)، مصر، ط3، 1966م.
104. **ابن الباذش،** أبو جعفر أحمد بن علي، الإقناع في القراءات السبع، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى 1403هـ - 1983م.
105. **باوزير،** ليلى عبد الله علي، الفعل الناقص دراسة صوتية صرفية في ضوء نظرية العامل الفونولوجي المقطعي، رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د، عليان محمد الحازمي، جامعة أم القرى، 1426هـ.
106. **باي،** ماريو: أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1983م.
107. **برجشتراسر،** جوتهلف، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م. ودار الرفاعي بالرياض، 1982م.

- بشر، د. كمال محمد:

108. علم اللغة العام - الأصوات، دار المعارف، مصر، ط 7، 1980م.
109. خواص صوتية تمتاز بها اللغة العربية، مقال، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج: 71، نوفمبر، 1992م.
110. السكون في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، ج 24، 1969م.
111. دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، 1973م.

- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد:

112. التمهيد في علم التجويد، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1406 هـ-1986م.
113. النشر في القراءات العشر، إشراف ومراجعة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، لبنان، (د. ت).
114. غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره: برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1982م.
115. الجندي، د. أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ليبيا 1392هـ - 1978م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان:

116. سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993م.
117. الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط 4، 1990م.

118. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح شلبي، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ - 1999م.

119. **جواد،** د. علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1376هـ-1957م.

120. **ابن الحاجب**، أبو عمر عثمان بن عمر، الإيضاح في شرح المفصل، تح : مصطفى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، 1983م.

- **حسان** د. تمام:

121. مناهج البحث في اللغة، طبعة دار الثقافة، الدار البيضاء، 1974م.

122. اللغة العربية معناها ومبناها، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.

- **أبو حيان**، الأندلسي:

123. البحر المحيط، تح : د. عبدالله الرزاق المهدي، مط: دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1.

124. ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح : د. رجب عثمان محمد ومراجعة د. رمضان عبد التواب، مطبعة المدني، مصر، ط1، 1998م.

125. **ابن خالويه،** الحسين بن أحمد أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع، تح: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت، الطبعة الرابعة، 1401 هـ.

126. **ابن خلدون،** عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988م.

127. **داود** عبده، أبحاث في علم أصوات العربية، مؤسسة الصباح، الكويت، (د.ت).

128. **ابن درستويه،** عبد الله بن جعفر، كتاب الكتّاب، تحقيق د. إبراهيم السامرائي والدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، حولي، ط01، 1397هـ – 1977م.

129. **ابن دريد،** محمد بن الحسن، أبو بكر، جمهرة اللغة، تح. د. رمزي منير البعلبكي، ط.1، د. العلم للملايين، بيروت، 1987.

130. **ابن الدَّهَّان،** محمد بن علي، تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، ونبذ مذهبية نافعة، تح: د. صالح بن ناصر الخزيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط01، 1422هـ - 2001م.

131. **ديوان** الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، شرح وتحقيق : محمد حسين، المطبعة النموذجية، الإسكندرية، 1950م.

132. **ردة الله ردة الطلحي،** طلب الخفة في الاستعمال العربي، رسالة ماجستير في علم اللغة، كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، 1989م.

133. **ابن رشيق،** أبو على الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، 1401 هـ - 1981م.

- رمزي منير بعلبكي:

134. الكتابة العربية والسامية، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1981م.

135. فقه العربية المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م.

136. المورد، قاموس إنجليزي عربي، ط.14، د.العلم للملايين، بيروت، 1980.

- رمضان عبد التواب:

137. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، 1417هـ - 1997م.

138. في قواعد الساميات العبرية والسريانية والعربية مع النصوص والمقارنات، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط02، 1983م.

139. **ابن زنجلة،** أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق : سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط4، 1422 هـ – 2001م.

140. **زهير غازي زاهد،** جهود العلماء في إصلاح الكتابة العربية، مجلة الذخائر، العدد 09، شتاء-1422هـ، 2002م.

141. **زيد خليل القرالة،** الحركات في اللغة العربية، دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2004م.س

142. **سالم،** صفوت محمود، فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية، فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، جدة، السعودية، ط02، 2003م.

143. **سباتينو موسكاتي،** مدخل الى نحو اللغات السامية، ترجمة مهدي المخزومي، بغداد، 1985م.

144. **سفر،** د. عبد العزيز علي، الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001م.

145. **ابن السكيت،** أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، تح: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط01، 1423 هـ ، 2002م.

146. **سهيل نجمان،** الواو في اللغة العربية، أطروحة دكتوراه ـ جامعة بغداد، 1989م.

147. **سوسن غانم** قدوري الحمد، ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية،، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور سالم قدوري الحمد، جامعة تكريت، شعبان 1423هـ - تشرين الأول 2002م.

148. **سوسير،** ف.دُ: دروس في الألسنية العامة، تر. صالح القرمادي وزميله، ط. الدار العربية للكتاب، تونس، 1985م.

149. **سيبويه،** عمرو بن عثمان، أبو بشر، الكتاب، تح. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988م.

150. **سيد قطب،** التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط 16، 2002م.

151. **ابن سينا،** رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، تقديم ومراجعة: د. شاكر الفحام وأحمد راتب النفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1983م.

152. - - **شاهين،** د. عبد الصبور:

153. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).

154. المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980.

155. **شطناوي،** منير تيسير منصور، حركة آخر الفعل الماضي بين اللاحقة الإسنادية والعلامة البنائية، الجامعة الهاشمية -كلية الآداب - قسم اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 79.

156. **شلبي،** د . عبد الفتاح إسماعيل، الإمالة في القراءات واللهجات العربية، دار الشروق - بيروت - الطبعة الثالثة، 1983م.

157. **صالحة آل غنيم،** اللهجات العربية في كتاب سيبويه أصواتا وبنية، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. عبد العزيز برهام، جامعة أم القرى، 1403هـ.

- **ابن الطحان**، أبو الأصبغ السُّماني:

158. مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة، الإمارات-الشارقة، ط01، 2007م.

159. الإنباء في تجويد القرآن، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع61، السنة الخامسة والعشرون، تموز 2001م.

160. **عادل محلّو،** الصّوت والدّلالة في شعر الصعاليك، تائية الشّنفرى أنموذجا، رسالة، إشراف: أ.د سعيد هادف، أ.د :عبد القادر دامخي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007م.

161. **عبد الرحمن** الحاج صالح، الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة الحديثة، بحث ألقاه في الجلسة العاشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والستين يوم الاثنين 17 من ذي القعدة سنة1418هـ الموافق 16 من مارس (آذار) سنة 1998م.

162. **عبد السلام** السيد حامد، الشكل والدلالة، دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م.

163. **ابن عصفور،** علي بن مؤمن بن محمد الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن، ضرائر الشِّعْر، تح: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 1980م.

164. **ابن عطية،** أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ ـ 1993م.

165. **ابن عقيل،** عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط 20، 1400 هـ - 1980م.

- **ابن فارس،** أبو الحسين أحمد:

166. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق الدكتور أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1977م.

167. مقاييس اللغة، اعتنى به : محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422 هـ – 2001م.

- **فليش،** هنري:

168. التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة 1968م.

169. العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، تر. د. عبد الصبور شاهين، ط. دار المشرق، بيروت، 1983م.

170. **فوزي الشايب،** أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، رسالة دكتوراه، عين شمس، مصر، 1983م.

171. **ابن قتيبة،** أبو محمد عبدالله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط4، 1382 هـ – 1963م.

172. **كانتينو،** جان، دروس في علم أصوات العربية، تر. صالح القرمادي، ط. مركز الدراسات والبحوث، تونس، 1966.

173. الشريشي الفاسي الشهير بالخراز، مكتبة النجاح، طرابلس – ليبيا، (د.ت).

174. **مالبرج،** بارتيل، علم الأصوات، تعريب د. عبد الصبور شاهين . مكتبة الشباب 1985م.
175. **ابن مجاهد،** أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس، السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1972م.
176. **مجلة الحكمة** اللندنية، العدد 20، شوال 1420هـ.
177. **محمود بن علي بسّة** المصري، العميد في علم التجويد، تح: محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة - الإسكندرية،ط01.
178. **مصلوح**، د. سعد: دراسة السمع والكلام، طبعة عالم الكتب، القاهرة، 1980م.
179. **ابن منظور،** محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقي، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة- 1414 هـ.
180. **ناصر الدين** الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة 1966م.
181. **نذير** حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنايرة، جدة – السعودية، ط01، 1991م.
182. **نوزاد** حسن أحمد، المستوى الدلالي في كتاب سيبويه، مجلة المورد مج 28 - ع3 ـ 1421 هـ - 2000م.
183. **ابن هشام،** الأنصاري جمال الدين، أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت (د.ت).
184. **وافي،** علي عبد الواحد فقه العربية – دراسة اجتماعية تاريخية لغوية لفصيلة اللغات السامية وخاصة اللغة العربية –مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية 1363هـ-1944م.
185. **أبو الوفا،** عبد الله بن علي، القول السديد في علم التجويد، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003م.
186. **ابن يعيش،** موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي شرح المفصل، عالم الكتب – بيروت (د.ت).

فهرس المحتويات

فهرس محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	أ - ز
الفصل الأول: **أصوات المد العربية عند المتقدمين**	1 - 87
المبحث الأول: مفهوم المد وأقسامه	1
مفهوم المد	1
أقسام أصوات المد عند المتقدمين	1
المبحث الثاني: أحرف المد (أصوات المد الطويلة)	7
مفهوم أحرف المد	7
أقسام أحرف المد	8
المصطلحات الخاصة بأحرف المد	9
مخارج أحرف المد	15
صفات أحرف المد	28
المبحث الثالث: حرفا اللين(أشباه الصوائت)	41
مفهوم اللين	41
أقسام أصوات اللين	43
المصطلحات الخاصة بأصوات اللين	44
مخارج أصوات اللين	46
صفات أصوات اللين	48

المبحث الرابع : العلاقة بين أحرف المد وحرفي اللين	54
المبحث الخامس: أهمية أصوات المد	61
المبحث السادس: أصوات المد؛ ساكنةٌ أم حركات طويلة؟	70
المبحث السابع: أصوات المد في الكتابة العربية	79
الفصل الثاني: أصوات المد العربية عند المحدثين	177-88
المبحث الأول: تصنيف الأصوات اللغوية	88
المبحث الثاني: تصنيف الصوائت اللغوية	90
المبحث الثالث: موقع الصوائت العربية بالنسبة لتصنيف دانيال جونز	96
المبحث الرابع: نظرة المحدثين إلى تصنيف المتقدمين للأصوات العربية	99
المبحث الخامس: مفهوم الصوائت عند المحدثين	103
المبحث السادس: أقسام الصوائت العربية	109
المبحث السابع: أنواع أخرى من الصوائت	115
المبحث الثامن: الصوائت العربية الطويلة	120
مفهوم الصوائت الطويلة	120
مخارج الصوائت الطويلة العربية	125
صفات الصوائت الطويلة العربية	134
صفات الصوائت الطويلة العربية من منظور مخطط دانيال جونز	145
المبحث التاسع: أشباه الصوائت	147
مفهوم شبه الصائت	147
أقسام أشباه الصوائت	161
مخارج أشباه الصوائت	162

صفات أشباه الصوائت	164
العلاقة بين الصوائت الطويلة وأشباه الصوائت	165
المبحث العاشر: أهمية الصوائت العربية	169
المبحث الحادي عشر: أصوات المد العربية في الكتابة الصوتية الدولية	174
الفصل الثالث: **الظواهر الصوتية اللّمّيّة الخاصة بأصوات المد**	178-230
المبحث الأول: مفهوم الظواهر الصوتية الكمية	178
المبحث الثاني: الظواهر الصوتية الكمية الخاصة بالصوائت الطويلة	182
مفهوم ظاهرة المد	182
أيُّ أحرف المد أمكن فيه؟	187
أسباب المد	188
تعليل ظاهرة المد مع الهمزة ومع السكون	196
أقسام المدود	200
القسم الأول: المدّ الأصلي	202
القسم الثاني: المدّ الفرعي	204
المدّ المتّصل الواجب	205
المدّ المنفصل الجائز	205
مد الصِّلة الكبرى	206
مدُّ البدل	206
مدّ اللِّين المهموز	207
المدّ العارض للسكون	207
المدّ اللازم	208

أحكام المد ومقاديره	210
ضبط أزمنة المدود	218
درجة المدّ	222
مراتب المدود	223
مراتب الأئمة القراء في مقادير المد	225
محاذير المدود	226
الفصل الرابع: **الظواهر الصوتيّة النوعيّة الخاصّة بأصوات المد**	308-231
المبحث الأول: ظاهرة الإمالة - flexion	231
مفهوم الإمالة	231
مواضع الإمالة	241
أوَّلاً: ما أميل لأجل الكسرة.	241
ثانيا: ما أميل لتدل إمالته على أصله.	243
ثالثا: الإمالة للإمالة.	245
رابعا: إمالة أحرف الهجاء في أوائل السور.	247
خامسا: إمالة الفتحة قبل هاء التأنيث في الوقف.	247
المبحث الثاني: ظاهرة التفخيم - EMPHASE	251
مفهوم التفخيم	251
مواضع التفخيم	256
مراتب التفخيم	259
تأثر المدود بالأصوات المفخمة قبلها	261
المبحث الثالث: ظاهرة الإبدال - COMMUTATION	267

مفهوم الإبدال	267
مظاهر الإبدال في الصوائت	268
- الإبدال في حركة هاء الضمير	269
- الإبدال بين الصوائت الطويلة	270
- الإبدال بين الصوائت الطويلة والقصيرة	272
- الإبدال بين الصوائت والهمزة	273
- الإبدال بين الصوامت والصوائت	276
المبحث الرابع: ظاهرة الحذف - tronquer	279
مفهوم الحذف	279
مظاهر الحذف في الصوائت	280
حذف الياءات	280
حذف الألفات	283
حذف الواوات	285
المبحث الخامس: ظاهرة الوقف- Stopper	286
مفهوم الوقف	287
أقسام الوقف	288
مظاهر الوقف	290
- الوقف بالحذف	290
- الوقف بالإسكان	295
- الوقف بالزيادة	295
- الوقف بإلحاق هاء السكت	297
- الوقف بالإثبات	298

- الوقف بالإبدال	300
- الوقف على القوافي	303
الفصل الخامس: **أصوات المدّ العربية - دراسة تطبيقيّة مخبريّة**	374-309
تمهيد	309
المبحث الأول: دراسة مخبرية لبعض الظواهر الصوتية الكمية التي تعرض للصوائت العربية	314
1 - مناقشة نتائج تحليل مد البدل	314
2 - مناقشة نتائج تحليل المد المتصل	321
3 - مناقشة نتائج تحليل المد المنفصل	327
4 - مناقشة نتائج تحليل مد اللين المهموز	333
5 - مناقشة نتائج تحليل مد اللين غير المهموز	339
6 - مناقشة تحليل نتائج المد اللازم	345
7 - مناقشة نتائج تحليل الصوائت القصيرة والطويلة بالمقارنة	351
أولا - الفتحة القصيرة والفتحة الطويلة ؛ (فكهين - فاكهين - أنموذجا)	351
ثانيا - الكسرة القصيرة والكسرة الطويلة؛ (فيه- فيهي - أنموذجا)	352
ثالثا - الضمة القصيرة والضمة الطويلة (شرَوْهُ - شرَوْهُو - أنموذجا)	353
رابعا - مقارنة نتائج الصوائت الثلاثة القصيرة والطويلة مجتمعة	355
المبحث الثاني: دراسة مخبرية لبعض الظواهر الصوتية النوعية التي تعرض للصوائت العربية	357
أولا: الفتح والإمالة وبين اللفظين	357
01: مناقشة نتائج تحليل الفتح والإمالة وبين اللفظين مع الصامت المستفل؛ (متى - أنموذجا)	357
02: مناقشة نتائج تحليل الفتح والإمالة وبين اللفظين مع الصامت المستعلي؛ (وأبصارهم - أنموذجا)	359

03: مقارنة كل نتائج الفتح والإمالة وبين اللفظين مجتمعة	362
ثانيا: التفخيم والترقيق	364
01: مناقشة نتائج تحليل تفخيم وترقيق الألف مع (اللاَّم) الصامت الجانبي؛ (الصلاة - أنموذجا)	364
02: مناقشة نتائج تحليل تفخيم وترقيق الألف مع (الرَّاء) الصامت المكرَّر؛ (فِراشا - أنموذجا)	365
03: مقارنة كل نتائج التفخيم والترقيق مجتمعة	367
ثالثا: الإشمام والإخلاص	369
01: مناقشة نتائج تحليل الإشمام وإخلاص الكسر مع الصامت المستفل؛ (سِيئت - أنموذجا)	369
02: مناقشة نتائج تحليل الإشمام وإخلاص الكسر مع الصامت المستعلي؛(وقيل - أنموذجا)	371
03: مقارنة كل نتائج الكسر والإشمام مجتمعة	372
خاتمة	375
مكتبة البحث	378
فهرس محتويات البحث	391

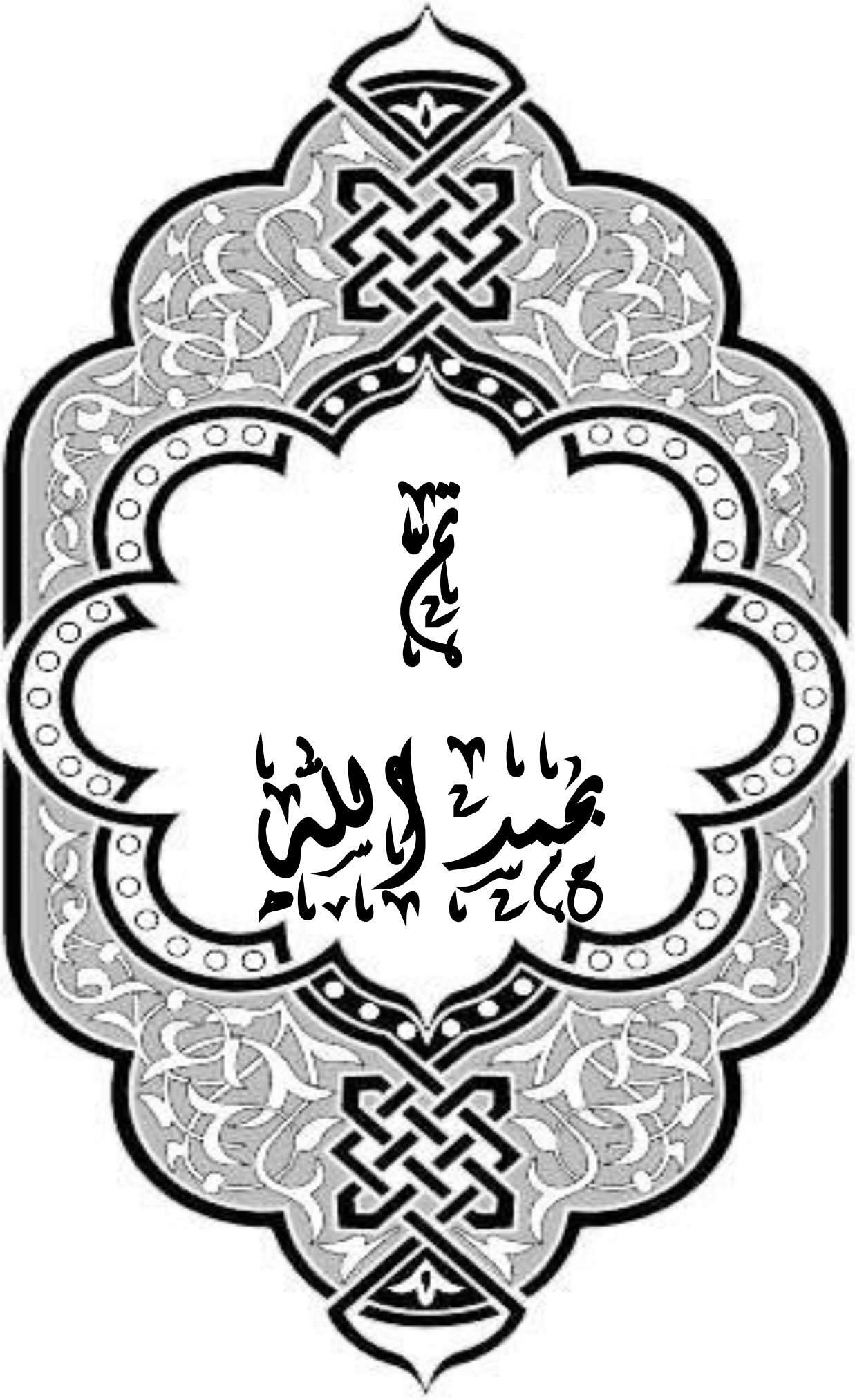
عبد الله